

صلى الله عليه وآله وسلم

لفضيلة الشيخ الدكتور العلامة

محمد بن إسماعيل المقدم

حفظه

الجزء الأول

محو الأمية التربوية

لفضيلة الشيخ الدكتور العلامة

محمد بن إسماعيل المقدم

حفظه

التسريط الأول

اهتمام الإسلام بتربية النساء

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، لاسيما عبده المصطفى، وآله المستكملين الشرفاء، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد: فإن الإسلام كالبناء الجميل، من أي النواحي أتت أعجبت بجماله وبهائه وروعته؛ فسواء نظرت إليه من جهة عقيدة التوحيد التي تميز بها، أو كمال التشريعات التي شرعها، أو النظام الاقتصادي في الإسلام، أو النظام السياسي، أو الإعجاز العلمي، أو بلاغة وآداب القرآن.. وهكذا. ومن الجهات التي إذا طرفناها بالنظر والتأمل نجد أن هذه الجهة وهذا الموضوع هو موضوع التربية والاهتمام بتنشئة الأطفال والأجيال التي تشكل الحاضر والمستقبل، ويتميز المنهج التربوي الإسلامي بوسائل معينة توصل إلى أهداف محددة. أما الهدف فهو إنقاذ هذه الذرية من النار، وأن يشبوا أبناء صالحين يعملون لدينهم وديانهم، ويسعدون في الدارين بالصلاح والتقوى والإيمان والتوحيد. وقد وضع الله ﷻ ذلك حينما قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾** [التحریم: ٦]، قال علي بن أبي طالب: علموهم وأدبوهم. والمعنى: قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾** [التحریم: ٦]، بالتربية والتعليم والتأديب والتهذيب، فيكفي في بيان خطر هذه المسئولية: أن الخلل فيها يؤدي إلى عقوبة النار. وحينما كانت امرأة من الأسرى تجرد في البحث عن ولدها، فحينما رآته بعد بحث وعناء ألصقته ببطنها في حنان شديد، قال النبي ﷺ لأصحابه: **«أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا»**^(١)، فالله ﷻ وضع الرحمة في قلوب الآباء الأسوياء، ومن ثم لم تكثر النصوص

(١) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

القرآنية والأحاديث النبوية التي توصي الآباء بالأبناء، وإنما رأينا العكس، فكثير من النصوص توصي الأبناء بالآباء؛ لأن الله ﷻ تكفل بوضع هذه الرحمة التي تضمن لهم هذا المعين الذي ينبض بالحب والحنان والعطف. وقد جعل الله ﷻ من دعاء الصالحين وعباد الرحمن: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤]، فحينما يراهم صالحين أتقياء فلا شك أنهم يكونون قرة عين للعبد الصالح. وقد حذر النبي ﷺ من أن يجني الأب على ولده، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا لَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدٍ»^(٢). وهناك كثير من النصوص فيما يتعلق بإعطاء الإسلام أهمية كبرى لموضوع التربية، فتربية الإسلام للطفل ليست كأى تربية أخرى، إنما هي تربية لغاية ولقصد ولتقبل في الدارين، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا هِيَ تَرْبِيَةٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣). فمن أول طفولتهم يخاطبهم بهذا الخطاب. فحينما رأينا الإسلام العظيم ربط الهدف التربوي بهذه الغاية العظمى، وهي سعادة الدارين، في نفس الوقت وجدنا جميع تعريفات التربية في المفهوم الغربي الذي يلهج به كثير من المسلمين تركيز على إعداد الطفل ليكون قادرًا على تحقيق رغباته الدنيوية، بغض النظر عن كون التعريف بالتربية علمانيًا ينفصل تمامًا عن التربية الإسلامية. وقد اهتم المسلمون اهتمامًا شديدًا بموضوع تربية الطفل، والحفاظ على نفسيته من التشويه والإعاقة النفسية، أذكر مثالًا عارضًا لذلك: كان المسلمون الأوائل يوقفون الأموال على الأطفال أو العبيد الذين إذا أرسلهم آباؤهم لشراء شيء معين وضاعت منهم الأموال، فمن أجل حماية هؤلاء الأولاد من العقوبة أو القتل التي قد يتعرضون لها أوقفوا أموالاً ليعوض هؤلاء الأطفال من هذه الأموال، حماية لهم من قسوة الآباء الذين قد يعاقبونهم بشدة بسبب ضياع المال منهم.

(٢) رواه الدارقطني من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه.

مفهوم الأمية التربوية الضائع

لا نتصور أن مثل هذه القضية التي هي غاية في الخطورة يمكن أن تناقش وتعطى حقها في هذا الزمن القليل، فليكن كلامنا مجرد مدخل ومقدمة لسلسلة تستمر - إن شاء الله تعالى - فيما بعد عن هذا الموضوع. بالنسبة لمفهوم الأمية التربوية نجد أن الناس يتداعون بين وقت وآخر للحديث والإعلان عن مراكز محو الأمية وأهمية محو الأمية، بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة، لكننا قل أن نجد من يلتفت إلى نوع آخر من الأمية، وهي الأمية في مجال التربية، فضلاً عن أن يفكر في محوها، وسلوك منهج علمي دقيق في محو هذه الأمية.

الفرق بين الأمية التربوية والأمية بالقراءة والكتابة

هناك فرق شديد بين أمية القراءة والكتابة وبين أمية التربية؛ إذ أمية القراءة والكتابة من حيث آثارها أخف بكثير جداً من أمية التربية، أما أمية التربية فقد تخرج أجيالاً مشوهة نفسياً تعاني وتتعذب وتنحرف في كل مظاهر الحياة. الأمية في القراءة والكتابة قد نجدها تنفسي في طائفة معينة من الناس، ولكن الأمية التربوية لا ترحم، فإنها قد تنفسي كالداء الويل، وقد نجدها في أعلى الناس من حيث المستوى العلمي، كأستاذ الجامعة، أو حتى خواص الناس وليس عوامهم، فهؤلاء بلا شك أعلى الناس من حيث تنزههم عن أمية القراءة والكتابة، ولكن مما يؤسف له: أن الأمية التربوية متفشية فيهم بصورة مؤلمة جداً على أعلى المستويات، بل على مستوى الوزراء وغيرهم من علية القوم، وهذه الظاهرة نلمسها في مناهج التعليم، أو وسائل الإعلام.. كل هذه تعكس وتشير إلى مدى الأمية التربوية؛ هذا مع حسن الظن بهم! الأمية بالقراءة والكتابة قد تكون ظاهرة، أما الأخرى فهي تتخفي، ثم تظهر لنا فيما بعد آثارها الخطيرة على الأبناء والأولاد، أي: يمكن أن يكون الرجل خبيراً وقائداً في التربية وهو رجل فقير لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك تجد سلوكه مع أولاده سلوكاً راقياً مهذباً مستنيراً يخرج الأولاد الأصحاء، وقد يكون رجلاً على النقيض من ذلك، ومع ذلك يكون غارقاً في الأمية التربوية. إذًا: ليس المقصود من محاضرتنا هذه محو الأمية التربوية كما هو العنوان، ولكنه تحت عنوان مضمرة: أهمية محو الأموية التربوية؛ فإن المحو لهذه الأمية

يحتاج زمنًا طويلاً وجهودًا مكثفة، والمقصود هو أن ننقل هذه القضية إلى دائرة الاهتمام لیسلط الضوء عليها، ونعطيها القدر الذي تستحقه.

عوائق معالجة الأمية التربوية

كان ينبغي معالجة هذه القضايا منذ زمن بعيد، لكن هناك عوائق وعقبات أمام ذلك، وأكبر عقبة أنه كان يفترض في هذه القضايا التربوية أن يقسم الناس فيها إلى شرائح عمرية، ويوجه لكل طائفة كلام غير الكلام الذي يوجه للطائفة الأخرى، إلا أن مشكلاتنا في مجتمع المسجد أنه تتواجد فيه جميع الفئات العمرية من الجنسين، ولا شك أن هذا توجد معه بعض الصعوبة من حيث اختلاف مستويات الناس في فهم الأشياء. أيضًا الكلام الذي يقال للأطفال غير الذي يقال للشباب المراهقين، وهو غير الذي يقال للناضجين، وهو غير الذي يقال للشيوخ، كذلك ما يقال للبنات غير ما يقال للبنين؛ علاوة على أن هناك قضايا لا بد من طرقها لكن لا يناسب طرحها بصورة مكشوفة أمام كل هذه المجموعات العمرية، لأنها تناسب طائفة معينة؛ فهناك من الشباب مثلاً من له بعض المشكلات الخاصة جدًا التي لا يناسب أن تذكر أمام الجميع، أو تناقش بانفتاح أمام هذه المجموعات كلها. أيضًا: يحتاج هذا الموضوع لتوعية نفسية وصحية، ونحن وإن كنا قد أغنانا الله تعالى بنور القرآن ونور السنة وهدى السلف الصالح، لكننا في نفس الوقت نحتاج لتوعية نفسية وصحية في قضايا لا تكون كالقضايا التي نعتاد على دراستها في المسجد، لكننا نرجع فنذكر أنفسنا بأن المسجد طالما كان له دور شامل لجميع مقاصد الحياة، ويشمل كل مجالات الحياة، فلا حرج على الإطلاق إن شاء الله تعالى من تناول هذه الأشياء، من باب تصديق قول النبي ﷺ: «أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ»^(٣)، كما أن هذه الأمور النافعة تفيدنا دينًا ودنيا، فلا حرج إن شاء الله تعالى من ذكرها. أيضًا مما يتخوف منه الإنسان: أن بعض الناس يسيء أحيانًا فهم الكلام، وبالتالي تطبيق الإرشادات، لكن مع التفصيل والإيضاح نأمل تجاوز هذه المخاطر.

(٣) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ما دمنا نتكلم عن التربية فمحور هذه القضية هو أهم شريحتين في الأمة: الأطفال والشباب؛ لأنها الطائفتان القابلتان للتربية والتوجيه، وكلما تقدم السن كلما كان الأمر أصعب.

بعض مظاهر الخلل في التربية

من المناسب أن نبدأ بإظهار بعض مظاهر الخلل، وموقفنا نحن من موضوع التربية. نقول عدم العلم جهل والخطأ في العلم جهل.

إهمال التربية أو تبني التربية المخالفة للإسلام

إذا قلت لشخص: ما هذا؟ فقال: لا أدري، فهذا جهل، لكن لو قلت لآخر عن كوب: ما هذا؟ فقال: هذا كتاب، فقد أخطأ، فهو لا يعرف الكتاب من الكوب، فالخطأ في العلم نوع من الجهل، وقد يكون أخطر من الجهل العادي الذي يعني انعدام العلم. أقصد بذلك أن عندنا بعض الناس لا يخطر الموضوع لهم على بال، والبعض الآخر يتبنى مناهج تربوية خاطئة؛ لأنها مصادمة للمنهج الإسلامي الصحيح والسوي، فهذا أيضًا نوع من المرض والانحراف ينبغي أن يعالج، وأن تقتلع المفاهيم المنحرفة؛ لأنها لا تخرج عن حيز الجهل؛ لأنها مناهج خاطئة تصادم المنهج الصحيح. نحن أقسام: إما أن بعضنا غافل تمامًا عن شيء يسمى تربية، فيمارس نوعًا من اللامبالاة، والموضوع لا يخطر له على بال، وكل نظره يتجه إلى نمو الطفل: أنه الآن محبوب.. الآن بدأ يتكلم.. الآن كذا وكذا.. مضغ لحم تنمو وتكبر ويتلهى بها، ويغفل أنواعًا أخرى من النمو ينبغي أن يعتنى بها، وأن يعطى الطفل احتياجاته فيها. فالوعي التربوي لدى أغلب الناس ووعي منخفض جدًا حتى عند المثقفين منهم، فالتربية لا تأخذ عندهم مأخذًا جادًا كعلم يكتسب، ومهارة تحتاج إلى تدريس، وإنما ينظر إليها أغلب الناس على أنها شيء تلقائي يدركه الفرد بإحساسه العفوي، فإن أراد الاجتهاد فإنه يضيف شيئًا من خبراته المكتسبة وراثيًا عن طريق ما تعلمه من الآباء. وغالبية الناس يجهلون كيف يتعاملون بالأسلوب السليم مع أولادهم في هذا العصر الذي صعبت فيه التربية جدًّا؛ لأنه عصر يكتظ بالمناقضات، وتزاحم فيه الأضداد، وأصبح الإنسان تتنازعه جوانب عدة واتجاهات مختلفة؛ فلا يجد الفتى أو الفتاة سوى التخبط والضيق عندما لا

يكون هناك من هو كفؤ لقيادته إلى الطريق الصحيح في هذا الخضم المتلاطم من الأفكار والنزعات.

الحديث عن التربية من أبراج عالية لا تناسب بسطاء العقول

بعض الناس يتكلمون كثيرًا عن التربية لكنهم يتكلمون من برج عاجي، أو دراسات أكاديمية معقدة لا يفقهها إلا من كان على هذا المستوى الأكاديمي، وكما نلاحظ في الدراسات المتخصصة فإنها لا تعطينا وجبة سهلة قابلة للتطبيق، لأن كل الكلام على مستوى أكاديمي يناسب المتخصصين ويستغل على الإنسان العادي، وربما عقدت بعض المؤتمرات لمناقشة بعض المشكلات، وقد حضرت مرة مؤتمرًا يناقش مشاكل المراهقين، وتطرق أساتذة كبار في كلية الطب إلى هذه المشاكل؛ فوجدت أن الكلام كله يدور في إطار مشاكل طبقة المترفين، وفيه تفاصيل لا تمت للأغلبية من الناس بصلة. أيضًا بعض الناس افتتن بالمنهج التربوي الغربي وأراد إسقاطه عشوائيًا على بيئتنا، وهذا كقصة المثل الذي يحكي أنه كان هناك سمكة جرفها السيل، وأخذ يدفعها أمامه، وهناك قرد أراد أن ينقذ هذه السمكة، فأخرجها من الماء حتى ينقذها، نحن إذا تم التعامل معنا على أساس ثقافة غير ثقافتنا ومذهب غير ديننا فإن هذا لا يناسبنا؛ لأن صلاحنا لا يكون إلا بما صلح به أمر أول هذه الأمة. وبعض الناس يرون التربية الحسنة، في أن يوفر الأب لأولاده أحسن ملبس وأحسن مأكلاً، ووسائل الترفيه، والبعض يسلك مسلك التربية القاسية المتسلطة، حتى إن منا من يستحسن ذلك حين يحكي عن شخص أنه حين ينظر لابنه بعينه فإن الولد يرتجف، فينظر إلى هذا الأب على أنه مرب جيد، وأن هذا الولد مترب، وعلى الجهة الأخرى نجد التدليل المفرط الذي يدمر الأطفال ويسبي إليهم.

تطبيق طريقة الآباء الخاطئة في التربية أو إيصالها إلى الخادمت

من مظاهر الخلل في هذه التربية أيضًا: اعتزاز بعض الناس -إلى حد التقديس- بالطريقة التي ربي هو بها منذ صغره ويعتبرها جزءًا من كيانه لا يستطيع أن يتخلص عنه، وبالتالي يريد أن يحاكي هذه الطريقة ولا يخضعها أبدًا للنقد أو التمحيص أو النقاش أو

إعادة النظر فيها. أما مشاكل المترفين: فهم يتركون زمام التربية لغيرهم، كحال الخادمت، فقد أصبحن في هذا الوقت ظاهرة جديدة، حيث يستقدمن من شرق آسيا كافات لا يعرفن العربية، ويسلطن على الأطفال لتربيتهم، وهذه مصيبة ما بعدها مصيبة؛ لأن لهؤلاء الخادمت دورًا مدمرًا لهوية الأطفال الإسلامية.

ندرة وجود المعلم التربوي

من هذا أيضًا: تسليم زمام التربية لمعلمات غير تربويات، ولا حظ لمن على الإطلاق في التربية، فنجد بعض المسالك من المعلمة التي لا تعرف شيئًا في التربية؛ لأن هناك فرقًا بين التربية وبين التعليم، فالتعليم جزء من التربية، كما يقول المثل الصيني: إذا أتاك مسكين من أجل أن تتصدق عليه فأن تعطيه شبكة وتعلمه كيف يصطاد السمك أفضل من أن تتصدق عليه بسمكة. فالمدرس الذي يدرس الرياضيات قد يحل لهم المسألة بسهولة، وهو في هذه الحالة ليس معلمًا فقط لكنه يكون مربيًا إذا علم التلميذ أو الطالب كيف يفكر ويحلها، وكيف يستقل بالإبداع في هذه المجالات؛ فالتربية أعم من التعليم، فقد يوجد معلم لكنه لا يكون مربيًا كما لاحظنا، والأمثلة مؤلمة جدًا.

تسليم زمام التربية لوسائل الإعلام المفسدة

الآن ينتزع زمام التربية ويعطى لوسائل الإعلام التي تدمر الأبناء تدميرًا، وفي مقدمتها التلفاز بسلوكه الخطير على نفسية الأطفال بإجماع جميع العقلاء في كل العالم، وفي أمريكا يوجد اقتراح لمنع الفساد عبر أجهزة التلفزيون والفيديو وغيرها، فانضم لهذه الحملة رئيس أمريكا وطالب الناس أن ينضموا ليطالبوا الوسائل التلفزيونية بالحد من النشاط الإجرامي الذي يفسد الأطفال. هذا وهم كفار غير مسلمين، فما بالك بالمسلمين، فلا نشك أن التربية الموازية والمضادة للتربية الإسلامية التي تسلط على الأطفال صباح مساء تصعب المهمة جدًا في واقعنا الذي نعيشه.

أهمية التربية المبكرة

من المناسب أن نبدأ بإظهار بعض مظاهر الخلل، وموقفنا نحن من موضوع التربية.

تحذير الشريعة من إهمال التربية

إن العملية التربوية عملية في غاية الخطورة، ويكفي أن الخلل فيها يؤدي بنا وبأهلينا وأولادنا إلى النار، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَةً أَعْرَبُوا وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤] إلى آخر الآية. ويقول النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ»^(٤)، أي أنه واقف أمام الله، وسوف يسأله الله، فاسم مسئول من سأل، فسوف يسأل ويحاسب ويعاقب إن قصر، ويثاب إن أحسن. ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَتَّى لَيْسَأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٥). فلا تظنوا أن عملية التربية نوع من الكماليات أو الرفاهية، أو نوع من الترف العلمي أو الثقافي.. بل هي مسئولية في غاية الخطورة، «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَتَّى لَيْسَأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٦) فسوف تسأل وتحاسب بين يدي الله ﷻ عن سلوكك مع أولادك وتربيتك إياهم. ويقول النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمُرءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ»^(٧)، يعني: لا إثم أعظم من ذلك. فمن القصور أن نتصور أن التضييع إنما يكون بالنفقة، لأن

(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) سنن الترمذي من حديث أبي موسى رضي الله عنه، والسنن الكبرى للنسائي وصحيح ابن حبان من

حديث أنس رضي الله عنه (صححه الألباني).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) السنن الكبرى للنسائي، المستدرک علی الصحیحین للحاکم و صححه من حدیث عبد الله

بن عمر رضي الله عنهما ..

التضييع يكون بأمور هي أخطر من النفقة؛ سواء تركه مع صحبة سيئة، أو توفير أجهزة الفساد له بسهولة، أو سلوك مسالك مدمرة لنفسيته. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ»^(٨)، فلا بد من إتقان التربية وإحسانها، والاستعانة في ذلك بالله ﷻ، يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

كلام الغزالي على أهمية التربية المبكرة

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش؛ أي أنه مثل العجينة الطرية يمكنك أن تشكله كما تشاء بإذن الله، فإذا أحسنت تشكيله خرج لك قرعة عين، وخرجت لك ذرية صالحة، أما إذا أهملتها فهذا ما يبينه الغزالي فيقول: الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعُلمه نشأ عليه؛ فسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له. يقول النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسَانِهِ»^(٩)، فالشر طارئ لكن الفطرة البشرية سليمة وقابلة للخير، وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله: وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه وما دان الفتى بحجتي ولكن يعلمه التدين أقربوه فالنبي ﷺ حمل الوالدين مسئولية تربية الأبناء؛ لأن بعض الآباء قد تحصل ظروف معينة في أسرته تجعله يقرر أن يهرب من هذه المسئولية، فيكون مثله كمثل ربان السفينة في وسط البحر إذا غضب من بعض البحارة فترك لهم المركب، وأخذ قاربًا ولن يستطيع القيادة

(٨) رواه أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني.

(٩) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلا هو، وقد يكون الأمر أخطر لو تخيلنا أنه قائد الطائرة وينزل بالمظلة، فهل يخلو مثل هذا من المسؤولية بضياح هذه الأسرة وهؤلاء الأولاد؟ لا. بل سوف يحاسبه الله ﷻ، ويكون حسابه أشد إذا كان سلبياً أو فرر من مواجهة هذه المسؤولية.

حث الشريعة على حقوق الأبناء والاهتمام بتربيتهم

يقول النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»^(١٠)، إلى آخر الحديث. ويروى في بعض الآثار: أن داود عليه السلام قال: «إِلَهِي كُنْ لِنَبِيِّ كَمَا كُنْتَ لِي، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ! قُلْ لِإِنِّكَ يَكُنْ لِي كَمَا كُنْتَ لِي، أَكُنْ لَهُ كَمَا كُنْتُ لَكَ».

يقول الغزالي في رسالته: أيها الوالد! إن معنى التربية يلزم عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحصل نباته ويكمل ريعه. ويقول الإمام ابن القيم رحمته الله: قال بعض أهل العلم: إن الله تعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده. أي: فكما أن للأب على ابنه حق فللابن على أبيه حقاً، كما قال تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [العنكبوت: ٨]. قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦]. وقال علي بن أبي طالب في تفسيرها: علموهم وأدبوهم. قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ

(١٠) سبق تخرجه.

كَانَ مُحْتَا لًا فَحُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦]. وقال النبي ﷺ: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ». قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كْرٍ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّ يْنَ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ [النساء: ١١]. فإذا وصية الله ﷻ للأبَاءِ بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بأبائهم، والدليل من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خِطَا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ [الإسراء: ٣١]، فهنا وصية لاحترام هذه الروح، وهذه النفس، وهي نفس الأولاد قبل أن يصبح هذا الطفل مكلفًا ببر والديه، ومنذ أن كان جنينًا نفحت فيه الروح والله ﷻ يشرع له من الحقوق ما يحمي له حياته ويصونها، ويجعل لها حرمة، والأحكام في ذلك كثيرة كما سنشير إن شاء الله تعالى. يقول ابن القيم: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى؛ فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه؛ فأضاعوهم صغائرًا فلم يتفنعوا بأنفسهم ولم ينفنعوا آباءهم كبارًا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت! إنك عققتني صغيرًا فعقتك كبيرًا، وأضعنتني وليدًا فأضعنتك شيخًا. ويقول سعيد بن العاص: إذا علمت ولدي القرآن وحججته وزوجته فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه.

غفلة الآباء عن التربية المبكرة للأبناء

تربية الأولاد تبدأ مبكرة جدًا عما نتخيل؛ لأن أغلب الناس تنظر إلى الطفل من ناحية نموه الجسدي، وكثير من الناس يستصحب موقفه هذا مع الطفل الصغير منذ أن يجبو حتى يكبر وهو ما زال ينظر إليه بهذه النظرة. والإسلام في الحقيقة نبه إلى موضوع التربية، وبعض الناس لا يلتفت لها إلا بعدما يكبر الولد ويتعدى الثانية عشرة من عمره، وهذه خسارة ما

بعدها خسارة؛ لأن نفسية الطفل وشخصيته تتشكل وتوضع البذرة الأولى لها في الخمس السنوات الأولى، فهذه أخطر مرحلة تشكل كل مستقبل الطفل فيما بعد ذلك، والله تعالى أعلم. وهذه المرحلة حقها أن تحظى بأكبر قدر من العناية، لكنها تحظى بأكبر قدر من اللامبالاة، واللامبالاة لا تساوي عدم التربية، بل تساوي تربية خاطئة، فاللامبالاة في حد ذاتها إساءة.

بداية التربية من اختيار الأم الصالحة

لا ينظر للتربية على أنها تبدأ عندما يكلف الطفل، فهذا غير صحيح، ولن أقول: إنها تبدأ من ساعة خروجه من بطن أمه، لكنها تبدأ من حين اختيار الأب لزوجته؛ هذه هي البداية الصحيحة، أي: أن حق الأولاد يتقرر في عنقك منذ اختيار أمهم؛ لأن هذا الاختيار يكون له أعظم الأثر فيما بعد على الأولاد، وهذا موضوع في غاية الأهمية، لكننا سنختزله ونذكر أهم ما فيه، فأقول: إن من المهم اختيار الأبوين؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام نبهنا إلى كلا الأمرين حينما قال في الرجل: «إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»^(١١)، وقال في المرأة: «فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(١٢). فإذا من حق الولد إحسان اختيار أمه حينما يريد أباه أن يتزوج، ولا خير ولا أحسن من المرأة الصالحة كما بين النبي ﷺ. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولا بد أن تكون قلعته متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد منها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها، وإلا تكن كذلك سهل اقتحام العسكر من داخل

(١١) سنن الترمذي من حديث أبي حاتم المزني رحمه الله، المعجم الكبير للطبراني من حديث أبي هريرة رحمه الله (حسنه الألباني).

(١٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رحمه الله.

قلاعه؛ فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي على مهاجم. وقال النبي ﷺ: «تَحَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»^(١٣).

أهمية حنان الأم في تربية الطفل وتميز نساء قريش بذلك

حينما امتدح النبي ﷺ نساء قريش قال: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدِي فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجِي فِي ذَاتِ يَدِهِ»^(١٤) يعني: الصالحات المتدينات من نساء قريش، ثم ذكر المؤهلات اللاتي استحققن بها هذا الثناء من النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدِي فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجِي فِي ذَاتِ يَدِهِ»، فهن أكثر الناس حناناً على أولادهن، وهذا أمر في غاية الأهمية؛ لأن الطفل يحتاج إلى الحنان حاجة ماسة، ومع كل وجبة إرضاع ينبغي أن تقدم الأم للطفل وجبة حنان وحب وعطف، وكل هذه الأمور من الاحتياجات الأساسية للطفل. الطفل ينمو، وكما ينمو في جسمه تنمو روحه وعاطفته وإدراكاته، فمما يحتاج إليه الطفل باستمرار: وجبة الحنان، وإلا سهل جداً الإرضاع. فقد تقوم به الزجاجة، أو الخادمة، لكن المرأة التي ترضع ولدها يشتد الالتصاق بينها وبينه، ووجودها أساسي جداً في الإشباع العاطفي والوجداني الذي ينعكس انعكاساً كبيراً عليه، لذا فإن أخطر السنوات في تشكيل شخصية الطفل هي السنوات الخمس الأولى، ثم يليها الثلاث السنوات التالية، فينبغي أن يهتم بتربيته وقتها أشد الاهتمام. إن الأم التي إذا أرادت أن ترضع ولدها تصرخ

(١٣) سنن ابن ماجه، المستدرک علی الصحیحین، سنن الدارقطني من حدیث عائشة رضی اللہ عنہا

(صححه الألباني).

(١٤) متفق عليه من حدیث أبي هريرة رضی اللہ عنہ.

فيه، وترضعه بطريقة ميكانيكية آلية قد حرمتها من وجبة الحنان، وهي تظن أنه قطعة لحم لا يحس بشيء، ونحن نقول: إن الطفل يحس بكل شيء، يحس بأمه وهو في بطنها، فيحس بها إذا كانت سعيدة أو كئيبة، ولذلك فإن الأم أثناء فترة الحمل محتاجة إلى توجيهات كثيرة جداً؛ لأنها تختزل فترة من فترات تربية الطفل عن طريق أنها تكلمه وتقوم بعمل حركات معينة على بطنها بحيث يألّفها ويحفظ صوتها، وربما سمعت أن بعض الأمهات الفاضلات كانت دائماً تسمع القرآن الكريم، والطفل في بطنها، فسرعان ما حفظ القرآن مبكراً جداً؛ وذلك لأن الطفل ليس في غفلة، بل يحس بأشياء كثيرة نتغافل عنها، ونحقر من إمكاناته، والحقيقة غير ذلك تماماً. الشاهد: أن هذا وسام وشرف وضعه النبي عليه الصلاة والسلام على نساء قريش، وكافأهن بهذا المديح العظيم على لسانه ﷺ وذلك لسببين. أحدهما: «أَحْنَاهُ عَلَيَّ وَوَلَدِي فِي صِغَرِهِ»، وهذا فيه لفت نظر إلى أهمية الحنان، والأطباء أو الأخصائيون النفسيون حينما يدرسون حالة من حالات الانحراف عند المريض يكون هناك سؤال أساسي جداً: هل الرضاعة تمت في صغرك بطريقة طبيعية أم بطريقة صناعية؟ لأنه لو حرم من الرضاع فسوف ينعكس هذا على نفسه، وهذا نوع من الحرمان. ثم الفطام: كيف فطمت من الرضاع؟ وأغلب الناس لا يتذكر؛ لكن لو أمكن اجترار هذه المعلومات من الأقارب أو الأم فإنها تكون مفيدة. فالأزمات النفسية توضع جذورها في السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل، ثم بعد ذلك تليها في الأهمية مرحلة أخرى تستمر إلى ثمان سنين، ثم تنتهي تقريباً عند سن الثامنة عشرة، إلى هنا تكون كل مقومات الشخصية قد تكونت لديه، وما يستقبل فهو انعكاس لما مضى في خلال هذه الفترة، والتجارب التي مر بها، والأسلوب الذي ربي به. هذه لفظة عابرة لخطورة العملية التربوية.

تربية الطفل النفسية من وجهة نظر إسلامية

بعض الباحثين وهو طيب نفسي له كتاب اسمه (تربية الطفل رؤية نفسية إسلامية) كتب كلامًا جيدًا في موضوع الأولاد، يقول فيه: من أجل ذرية صالحة لا بد للزوج من زوجة صالحة، ولا بد للزوجة من زوج صالح، هو يظفر بذات الدين، وهي تتزوج ممن ترضى دينه وخلقه، لكن بعد هذه المرحلة تأتي أهمية وضوح الغاية من أن يكون عندنا أولاد، وبصورة أخرى: ما هي النية من وراء إنجاب الأولاد؟ هل ننجب الأولاد ونتعب في تربيتهم السنين الطويلة حتى يكونوا لنا عونًا عندما نبلغ الشيخوخة؟ ربما كنا مرحومين فكان أولادنا بارين بنا، وعونًا لنا عندما نحتاج إليهم، لكن قد لا يكونون كذلك؛ فيذهب جهد السنين في العناية بهم بلا مقابل. وقد نربي الولد السنين الطويلة، ثم يموت أو يبتلى بعاهة وإعاقة دائمة، وقد وقد.. كل ذلك يجعل الإنجاب والتربية كوسيلة تأمين ضد الشيخوخة مشروعًا أقرب إلى الخسارة منه إلى الربح، وقد ينجب الأولاد لأنهم مثل الأموال زينة في هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]، والنفس البشرية تحب امتلاك الزينة، لكن العاقل الذي يدرك مدى المسؤولية في ذلك، ومدى العبء الذي يحمله الأبوان في تربية أولادهما، فقد لا تعجبه هذه الزينة؛ لأنها باهظة التكاليف. وقد ننجب لنجبر كسر زواج على حافة الطلاق، ولكن زواجًا محطًا لا يستحق العناء الذي يتطلبه الأولاد، والأولاد قد يزيدون الأمور سوءًا، وقد يعجل ذلك بالطلاق ولا يؤجل. بقي أن ننظر إلى أولادنا على أنهم مشروع رابح، يقول: إن تربية الأولاد ينبغي أن تكون النية والهدف من وراء تربية الأولاد لله، فيقول: إن ما كان لغير الله ينقطع ويفصل، وما كان لله فإنه يدوم ويتصل، فإن أردت بالأولاد مالاً ربما خانوك وضيعوك، وإن أردت زينة فهي مكلفة، وإن أردت كذا.. إلى آخر هذه الاحتمالات. ثم قال: بقي أن ننظر إلى الأولاد على أنهم تجارة لن تبور، وذلك إذا اتبعنا فيها شرع الله ﷻ، يقول: بقي أن ننظر إلى أولادنا على

أنهم مشروع رابح لكسب الأجر والثواب، وارتفاع الدرجات عند الله، ولحفظ جهدنا من الضياع؛ لأن الجهد الذي نضيعه على أولادنا قاصدين بذلك تنشئتهم على الإيثار بالله وتوحيده وطاعته جهد باق لا يزول عندما تزول الجبال، ولا يختفي عندما تكور الشمس، أو تكشط السماء، أو تسجر البحار، إنه جهد أودع في إنسان، والإنسان ضمن الله له الخلود بعد أن يبعثه يوم القيامة إلى حياة لا موت بعدها، بينما تزول كل المعاني المادية العظيمة من حولنا، إلا تربية الأولاد. بهذه النية يكون لدينا مشروع لا احتمال للخسارة فيه، فقد قال رسول الله ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»^(١٥). وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْفَقُوا عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكِيهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِي فَقَالَ نَعَمْ لَكَ فِيهِمْ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتَ عَلَيْهِمْ»^(١٦). أي أن هذا عن المال الذي تنفقه في تربية الأولاد لن يضيع سدى، بل تثاب عليه أعظم الثواب، فما بالناس بالجهد الدءوب والتعب وسهر الليالي بعد الحمل وهنًا على وهن، أيعقل أن يكون أجر ذلك كله دون أجر المال الذي ينفقه الأب؟ هل ثواب الأم التي تعاني ما تعاني في تربية الطفل يكون دون ذلك؟ قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ جَارِيَةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ ﴿١١٥﴾ [آل عمران: ١٩٥]. وعندما يكبر أولادنا صالحين مؤمنين فيكون لنا -بإذن الله- من الأجر مثلما يكون لهم كلما صلوا صلاة أو صاموا صيامًا، أو عملوا عملاً صالحًا ما عاشوا، فالرسول ﷺ يقول: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ

(١٥) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٦) صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

فَلَهُ مِثْلُ أُجْرٍ فَاعِلِهِ»^(١٧)، والولد من سعي أبيه، أي: أنك إذا رببته على الطاعة فكل عمل صالح يفعله يكون لك مثل ثوابه، فإذا ذكر الله ﷻ وأثيب على ذلك فأنت أيضًا لا تقبل عنه في شيء، وهكذا إذا صلى أو صام أو فعل أي شيء؛ لأنك أنت الذي تسببت فيه وجوده؛ فإنه لا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ [النجم: ٣٩]؛ لأن من سعيه إنجاب وتربية هذا الولد. يقول: هذه الطمأنينة على أعمالنا أنها لن تضيع سواء أحسن إلينا أو ولدنا أو لم يحسنوا عندما يكبرون؛ تجعلنا نبذل ونربي بحماسة ورضا، وعندما نشعر أن أولادنا نعمة من الله لأنهم وسيلتنا إلى زيادة حسناتنا؛ فكم منا من له الجلد والمثابرة على الصلوات الكثيرة في جوف الليل، وكم منا من إذا صلى كانت صلواته كلها خشوع، وكم منا من له الصبر على صوم أكثر الأيام، إن أولادنا وسيلتنا لكسب الأجر العظيم الذي نعجز عن كسبه عن طريق النوافل الكثيرة صلاة وصومًا وصدقة وحجًا وذكورًا، فياخلاص النية لله يصبح سهر الأم على رعاية رضيعها عبادة، ويصبح عمل الأب في مصنعه أو متجره عبادة، والولد الذي يحفظه الله لنا فيعيش يكون مستودعًا يحفظ الله لنا فيه أعمالنا ليكافئنا عليها يوم القيامة، أما الذي يميته الله طفلاً فنصبر فإنه يقف على باب الجنة لا يدخلها حتى يدخل أبويه. أوليس تربية أولادنا على الإسلام تجارة لن تبور إن شاء الله؟ لا بد من استغلال الفرص لتحقيق أكبر الأرباح. ثم يلفت النظر إلى أمر في غاية الأهمية، وهو: الدعاء بالصلاح للذرية، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨]. قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

(١٧) صحيح مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري البدرى رضي الله عنه.

خَشِيعِكَ ﴿١٠﴾ [الأنبياء ٨٩-٩٠]، إلى آخر الآية. يقول: نحن في حياتنا اليومية إذا أردنا شراء قطعة أثاث أو سيارة أو غير ذلك ذهبنا إلى السوق، وحصلنا على ما تمكننا نقودنا القليلة من شرائه، لكن الثري فينا لا يفعل ذلك، فممكّن أن يتصل بشركة مرسيديس في ألمانيا ويطلب سيارة فيها كذا وكذا وكذا، ويدفع فيها الملايين؛ لأنه ثري يمكنه أن يبذل هذا المال ليحصل على سيارة حسب مواصفات معينة يرغب فيها، ثم ترسل إليه خصيصاً مقابل ثمنها. أما إذا أردنا ولداً بمواصفات معينة: أن يكون مقيماً للصلاة، صالحاً، قانتاً، خاشعاً، حتى لو أردنا شيئاً من الدنيا أيضاً، فما علينا إلا أن نرفع أيدينا ندعو الله ﷻ أن يرزقنا ذلك، وأن نكثر من الدعاء سائلين الله أن يرزقنا ولداً صالحاً ذكياً سوياً جميلاً، والولد قد يكون صيباً وقد يكون بنتاً فنَدَعُوهُ ﷻ ويكون دعاؤنا من هذه الأسباب، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»^(١٨)، فالدعاء يمكن أن تحصل به أعلى وأثمن الأشياء سواء في الدنيا أو الآخرة، ولا يكلفك سوى أن تخلص النية لله ﷻ، ثم ترفع يديك متذلاً سائلاً، فهذا باب سهل جداً للمؤمن، ولذلك ذم النبي عليه الصلاة والسلام من يزهد في الدعاء بقوله: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ» وقال ﷺ: «مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَقُولَ حِينَ يُجَامِعُ أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ اللّٰهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»^(١٩)، فهذا كله من الإحسان إلى الأطفال، فليس الدعاء وسيلة العاجز، إنما هو سبب من الأسباب التي يجب على الله ﷻ أن نأخذ بها، فنؤجر على الدعاء نفسه، ثم يتقبل الله ﷻ منا هذا الدعاء. بعث بعض الخلفاء إلى بعض الناس ممن كانوا محبوسين في السجن وطال بهم المقام فيه، فأرسل إليهم وسألهم: ما أشد ما مر عليكم في هذا الحبس؟ قالوا: ما فقدنا من

(١٨) المعجم الكبير للطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

(١٩) رواه الدارمي بهذا اللفظ. ورواه البخاري ومسلم بلفظ «مَا مِنْ أَحَدٍ لَوْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ

قَالَ.....» كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

تربية أولادنا، وكان السلف يهتمون جداً بموضوع التربية حتى وجدت وظيفة اسمها: المؤدب، وكان الإمام ابن أبي الدنيا يلقب بـ: مؤدب أولاد الخلفاء.

حضانة الأم التربوية

مما يجسد خطورة التربية في المراحل الأولى: أن الله ﷻ جعل الحضانة حقاً للأم، ورتب على الإرضاع أن جعل الأم من الرضاع تماماً كالأم الحقيقية: قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِمَّنْ أَرْضَعْتُمْ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِمَّنْ نَسَأْتِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء: ٢٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(٢٠). فموضوع مراعاة حق الطفل في رعاية أمه أمر في غاية الأهمية، وانفصال الطفل عن أمه، أو تقصيرها في هذا الأمر يجرنا إلى اليتيم، هل اليتيم هو من كان فقيراً أو من ليس معه مال؟ لا. اليتيم يمكن أن يكون غنياً لكنه يتيم؛ لأنه حرم من أبيه أو من أمه؛ فقد يتيّم الآباء أبناءهم وهم على قيد الحياة، كما قال الشاعر: ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً إن اليتيم هو الذي تلقى له أمّاً تخلت أو أباً مشغولاً ولا يمكن أن يقوم بديل عن الأم في هذه الوظيفة الخطيرة، فالشارع لما جعل حق الحضانة للأم ما قال: يمكن أن تقوم بها دور الحضانة أو الخادمة أو غير ذلك، فعملية هروب المرأة من وظيفتها المقدسة - تربية الأولاد- إلى العمل مصيبة، وأصل هذه العملية إقحامها في حياة المسلمين بطريقة متكلفة، وأصبحت تسمى المرأة: امرأة عاطلة وامرأة عاملة، فالعاطلة ربة بيت، والأخرى

(٢٠) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

عاملة منتجة، أو نصف المجتمع.. إلى آخره، هذه هي المرأة العاملة التي تمارس هذه الوظيفة المقدسة وهي العاملة بالفعل لأشرف عمل، أما الأخرى فهي هاربة من الوظيفة، وهاربة من العمل إلى الشوارع والمصانع والمحلات... إلى آخره. طبيب أمريكي كان كلما جاءته أم بطفل مريض يشتكي، يكتب في كل الإرشادات الخاصة به: العلاج هو العودة إلى الأم الحقيقية، وهذا كاف، فقد كان يرى أن المرض هو نتيجة عن هذا الخروج. وكما أشرت فإن الأم الحقيقية ليست عاطلة، ووظيفتها أصعب من أي موظف في العالم؛ لأن أي موظف يشتغل ثمان أو عشر أو خمس عشرة ساعة في اليوم أو فترة معينة ثم يستريح بعد ذلك، لكن الأم التي تحضن الأطفال وتراعيهم والزوج والأولاد والصغار والكبار، تشتغل أربعاً وعشرين ساعة، ويمكن أن تستدعى بصراخ الرضيع في أي وقت، وقد تسهر معه إلى نصف الليل أو معظم الليل كي ترعاه وتحرسه، فهل هذه تسمى عاطلة؟! فموضوع إقحام قضية المرأة العاملة كان لغرض يراد بالمسلمين على يد اشتراكية عبد الناصر، وكان الكلام فيه متكلفاً، وضربوا له مثلاً فقالوا: مثل ذلك كمثّل عامل يأتي في الليل بأنقاض بناية متهدمة ويضعها في الشارع فيسد الميدان بالأنقاض، ويرفع عليها مصباحاً، فيأتي من يسأله: لماذا أتيت بهذه الأنقاض؟ فيقول: لأرفع عليها المصباح، فيقال: ولماذا أتيت بالمصباح؟ فيقول: حتى لا يصدّ الناس بالأنقاض، وهذا مثل قضية عمل المرأة، فهي قضية متكلفة زرعت زرعاً وأفحمت إقحاماً لكي يتم إخراج المرأة من قلعتها الحصينة، ولشلها عن هذه الوظيفة المقدسة. قد يقول بعض الناس: نحن نكثر الكلام عن التربية وأهميتها، فهل درس السلف هذه العلوم؟ فنقول: السلف حققوا النموذج العملي الراقى في كل مجالات الحياة، وليس فقط في مجال التربية، لكن الأمر كما في علم النحو والصرف واللغة والبيان والبدیع وغيرها، فهل السلف درسوا النحو والصرف وغيره؟ فنقول: لا، ومع ذلك كانوا أفصح الناس؛ لأن ذلك كان عندهم بالسليقة وبالاستعدادات الفطرية بجانب تهذيب الوحي الشريف لهم، كذلك التربية هم مارسوها بالفعل؛ لكن ضبط هذه الأشياء وتبسيطها وتقنينها لا يمكن أن يتصادم مع هذا.

مشاكل تواجه استمرار العملية التربوية للطفل

هذا مهم جداً ومما ينبغي أن نلتفت إليه، وهو: أن العملية التربوية هي عملية مستمرة ومتجددة، فلا يوجد وقت معين للتربية.. بل كل حياتك مع أولادك تربية.. كل سلوك وكلمة وحركة وسكينة وتعليق وإيحاء وتصرف هو تربية، والطفل يقتبس منك ويتمثل كل ما يراه. فإذا التربية هي علم له قواعد وأصول وله سنن تحكمه، فكل ما يحصل منك هو نموذج عملي يحتذيه الطفل، ويتأثر به طوال حياته، ولا يوجد وقت معين يقول الأب للأولاد: سنعطيك حصّة تربية أربيكم فيها، لا يحصل هذا، فكل تصرف منك هو تربية، فالتربية عملية تستمر آناء الليل وأطراف النهار، التربية عملية تفاعل وتأثر بالبيئة المحيطة، وسنذكر أمثلة لدى خطورة التصرفات التي لا نتفطن إليها على الإطلاق.

نشوء الطفل على سلوك خاطئ

الطفل إذا نشأ في بيئة تحتقر المرأة وتزدرجها وتستخف بها؛ فيرى أباه يضرب أمه ويشتمها ويسبها ويفعل بها كذا وكذا؛ فإن هذا يزرع في قلبه أن هذا هو الوضع الطبيعي للمرأة، ثم بعد ذلك يتقمص هذا السلوك حينما يصير زوجاً، ويكرر ما تشر به منذ الطفولة. طفل أمه تضربه بالحذاء، مؤكداً أنه سيعيش إنساناً مهدر الكرامة، فكيف يكون عنده كرامة حينما يكبر؟ وكما قلنا: أخطر مرحلة هي السنوات الثمان الأولى، وبخاصة الخمس الأولى منها، ومع ذلك أغلبنا لا يلتفت إليها، ولا ينتبه لها. الأستاذ مالك بن نبي رحمته الله أتاه رجل فقال له: قد رزقت بنتاً، وأريد أن تعلمني كيف أربيها، قال له: كم عمرها؟ قال: سنة، قال: فاتك الخطاب، هو في الحقيقة ما فاتته، ولكن هذا تجسيد من رجل بصير بفن التربية؛ لخطورة إهمال التربية التي يجب أن تبذل للطفل في وقت مبكر.

إهمال الاضطرابات النفسية للطفل

الوقاية من الاضطرابات النفسية أفضل من العلاج؛ لأن العلاج إما ميئوس منه، وإما نسبة النجاح فيه قليلة، وبالتالي فالوقاية تكون بأن ينشأ الطفل سوياً نفسياً من الصغر، وهذا أعظم أسلوب للتعامل مع الاضطرابات النفسية التي قد تحصل إذا حصل خلل في

هذا الأمر. فنحن بدلاً من البحث عن حل للمشاكل عند الأطفال نفر من مواجهة ذلك، فمرة نقول: محسود، ومرة: مصروع عليه جن، أو مسحور؛ وهذا كله هروب. فنحن بجانب الأذكار الشرعية والرقية، نراجع أنفسنا ونقتدي بالنبى ﷺ في تربيته ومعاملته للأطفال؛ فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، والذي أشار إليه الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿٢١﴾» [الأحزاب: ٢١]، أي في كل مجال من مجالات الحياة فهو أب وابن وقائد وزعيم. وفي قصة الصحابي الذي أدبه النبي عليه الصلاة والسلام في أحد المواقف، فقال: «فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ»^(٢١)، فهو المعلم الأول، والنموذج الأكمل لكل البشرية. أكرر: أخطر مراحل التربية هي التي تحظى عندنا بأكبر قدر من اللامبالاة التربوية، وأكرر أيضًا: إن اللامبالاة لا تعني عدم التربية، لأنه لا يمكن أن تتوقف التربية، وسلبيتك في حد ذاتها أو هروبك هو نوع من التربية السيئة التي سوف تنعكس على هذا الطفل.

إخراج العلاج النفسي كعامل في العلاج التربوي

إذا: اللامبالاة لا تعني عدم تربية، أو توفقاً عن التربية، وإنما تساوي تربية سيئة مدمرة لهذا الطفل. تأملت جدًا حينما كنت أقرأ بعض الأوراق في مقالة بالإنجليزية، وكان يتكلم هذا الرجل التربوي الأمريكي عن معالجة موقف معين من المواقف، فيقول: في هذه الحالة لا يوجد لهذا حل، فقد عملت خطأ جسيمًا لا يكفي لحله أن نكتب كلمتين في ورقة، فيما أن تذهب إلى الأخصائي الاجتماعي في المدرسة، وإما إلى رجل من رجال الكنيسة. انظر كيف ساوى رجل الكنيسة بالأخصائي النفسي؛ لأن هؤلاء يهتمون جدًا بدراسة النواحي النفسية، والثقافة التربوية، ولذلك ساوى بين رجل الدين وبين الأخصائي النفسي؛ لأنه يدرس هذه الأشياء. ولذلك أقول: إن كل من ينتمي إلى الدعوة.. بل كل أب، يحتاج إلى أن

(٢١) صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

يفقه في الجانب النفسي في التربية أعظم الفقه، ونحن أولى من الكفار بأن نهتم بهذه الأشياء، بل أحياناً تحدث بعض التصرفات التي تلفت النظر في الأطفال، وكلما انتبهنا إليها مبكراً سهل علاجها. نحن ننكر الحقيقة كي لا نواجهها، كشخص عنده أعراض مرض السكر، والدكتور يقول له: أنا أشعر أن عندك سكرًا، فعليك بإجراء تحليل للدم، فلم يجز التحليل، ويقول: أنا خائف أن يكون عندي سكر، وهل هذا سيقطع عنك البلاء؟ لماذا لا تأخذ بالأسباب، وتحرص على ما ينفعك؟ ومفهومه: اجتنب ما يضر. فالشاهد أنا عندنا مفهوماً في غاية الخطورة، وهو النظر إلى الطب النفسي على أنه وصمة عار، فمن ذهب للأخصائي النفسي لابد أن يختفي عن الأنظار، ويظن من يراه هناك بأنه مجنون. ومن علامات تخلف المجتمعات في هذا العصر، ينظر أن الإنسان هذه النظرة لأناس أفنوا أعمارهم في دراسة هذه الأشياء، والتعامل معها بأساليب علمية لا تتصادم مع ديننا على الإطلاق. لكن ينبغي أن يذهب الإنسان إلى من هو متدين من هؤلاء الأخصائيين لأننا نظل نتهرب ونتهرب، ونضطر بعد ذلك مرغمين إلى اللجوء للطبيب النفسي بعد استفحال الاضطراب في الأطفال، فأى شيء يلفت النظر، ونحن لسنا بغنى عن الاسترشاد بكلام الأخصائيين في هذه الأبواب. في الحقيقة إذا كان هذا الكلام يعم جميع الناس، فإن المسؤولية على المتزمين مضاعفة، فموضوع التكيف مع الواقع أو مع البيئة من حولنا مهم جداً، والناس الذين لا تهمهم معاناة أبنائهم لا يعانون كثيراً، ولكن الإخوة الذين يريدون أن يحافظوا على دينهم وعلى ذريتهم في عصر الغربة الثانية تتضاعف عليهم المسؤولية؛ لأنك ستحارب بمجرد خروجك من البيت إلى الشارع، وفي كل مكان تذهب إليه، فما بالك بالطفل أو الصبي أو الشاب الغض الطري الذي يواجه المتناقضات حيثما حل، ويواجه الغربة، فأنت مع الوقت أصبح عندك مناعة من التأثير بالنقد والألفاظ المؤثرة كالمطرفين والإرهابيين وكذا وكذا، أما هذا الطفل فيحتاج بلا شك إلى عناية خاصة كي يمر بسلام إلى شاطئ الالتزام الحقيقي بالدين، فنحن نواجهه كما قلت: صعوبات كثيرة في الواقع، أما الدارسات التربوية والمنهج التربوي فإن الكلام كله أكاديمي لأناس متخصصين، فلا نستطيع أن نتعامل معه.

انشغال الآباء بالكسب عن التربية

هذه مشكلة أخرى، وهي أن الآباء يشتغلون بالكسب الحلال للقيمة العيش، وبالتالي لا يؤدون أي واجب تربوي، والأم قد تعمل وتهمل أولادها، وكلا الأبوين أو أحدهما جاهل تمامًا بأصول التربية، وفاقد الشيء لا يعطيه. وأخطر هذه العقبات وجود اتجاهات شتى تتنازع تربية الطفل وتربيته تربية مباينة، وكل ما تبنيه أنت يهدمه الآلاف، ثم نعاتب أنفسنا حينما يشب الأولاد غير ملتزمين، ونريد أن نقهرهم قهراً على الالتزام، ونحن لم نلتفت للخطورة من البداية. ولو أنك بدأت بداية صحيحة، وكنت يقطاً وراعياً، فإن هذا إن شاء الله تعالى يكون سبباً لسلامة ابنك من الافتتان بهذه الفتن من حوله، لكن أنت لا تؤدي أي دور، بل ربما تحطم هذا الولد بمسالك خاطئة، ثم بعد ذلك تريد منه أن يصمد! كيف يصمد وأنت لم تبذل له ما يقيه ويحميه من هذه التربية الموازية التي هي أشد تأثيراً فيه من تأثيرك أنت؟ سواء الإعلام الفاسد، أو الأقارب وغير ذلك مما يوجد تعارضاً بين تربية الأبوين وتربية الإعلام مثلاً.

الرسائل المتضادة من البيئة المحيطة

الصراع الذي يحس به هذا الإنسان؛ صراع في البيت، مع أن المفروض أن جميع المؤسسات التربوية في الدول المحترمة تكون وحدة متكاملة، كالمدرسة مع البيت، وفي البيت نفسه لا بد من سياسة تربوية موحدة بين الأبوين، فلا يظهران الخلاف أمام الأولاد، ولا التناقض في التربية. فالواقع أننا نرى كل محضن يسير في طريق معاكس للآخر؛ فالمدرسة بمناهجها الفاسدة المدمرة في طريق، والعلوم الإسلامية في طريق، والإعلام في طريق الشهوات، والتعليم في طريق الشبهات، والأبوان لا توجد عندهما سياسة تربوية متفق عليها، بل قد نجد أن الأب يتعارض مع الأم، الأم تقول: افعل، والأب يقول: لا تفعل، ويتشاجران أمام الولد، ويصير محتاراً في هذه الرسائل المزدوجة، ثم إن الأم نفسها قد تقول له عن شيء: هذا غلط، ثم في وقت آخر تمارسه هي، فأصبح نفس المرابي يعطي رسائل متضادة وقدوة متناقضة تحير هذا الابن. في المدرسة أيضاً ما بين المناهج المدمرة والفاسدة،

وما بين هيئة التدريس؛ فيوجد تقصير شديد عند كثير من المدرسين من ناحية الاهتمام بالنواحي التربوية، ويكفي أن أذكر مثلاً عابراً لذلك: مراقب في لجنة امتحان الثانوية العامة يغشش الأولاد ويقول لهم: أنا سأقفل لكم الباب، لتعاونوا مع بعض، وسوف أنبهكم عند حضور أحد، فهذا في حد ذاته نموذج مدمر للسلوك. ثم أيضاً التناقض بين ما توجهه أنت إن كنت توجهه وبين الأصدقاء في الشارع أو النادي أو المدرسة، وهؤلاء يكونون أشد تأثيراً عليه منك، ويتلقن منهم أكثر مما يتلقن منك أنت والمجتمع ككل، فلا شك أن الصراع الذي نعيش فيه يولد كثيراً من الإحباط إذا لم نتخذ معه نوعاً من التوعية والفهم، وكيف نتكيف تكيفاً صحيحاً يحفظ لنا ديننا، ويجعل الأولاد يقتنعون بالرسالة التي نحملها كي يحملوها هم من بعدنا؟ إن لم ندرس هذا الأمر ونتعامل معه بطريقة علمية، فبلا شك أن هذا الصبي أو هذا الشاب يكون أضعف بكثير من أن يصمد أمام هذه التيارات كلها.

أمثلة تطبيقية لسوء معاملة الطفل تربوياً

البيت هو أخطر مؤسسة تربوية على الإطلاق، صحيح أن الكل يدمر، لكن تربية البيت هي أخطر ما تكون؛ للأسباب التي أشرنا إليها من قبل. أكبر الأخطاء التي نرتكبها مع أولادنا وأطفالنا تنشأ عن شيء مهم جداً، وهو أننا ننظر إلى الأولاد ونعاملهم ونحاكمهم بعقليتنا نحن. وهذا التصور ينتج عنه كثير من الأخطار، منها أننا نكلفه بشيء فوق طاقته، والصواب أن نعامل ونحاسب هذا الطفل على تصرفاته بعقليته هو، ونراعي أنه ينمو كما كنت أنت تماماً في سنه. مثلاً: الولد في سن معينة يكون له خيال واسع جداً، فيقول لك: أخي رقبته طارت، وطلعت الرأس ونزلت، والتحمت ثانية في الجسم. هذه عبارة عن خيال واسع وليست كذباً، فلا تقل: إنه يكذب، وهو لا يتعمد هذا؛ بل هو نوع من الخيال الواسع، كما سنفصل إن شاء الله تعالى فيما بعد. مثلاً: طفل نشاطه زائد عن المعتاد بصورة ملفتة للنظر، لا تقل: هذا الطفل قليل الأدب، أو أهله لم يربوه، بل عليك أن تعلم أن هذا يلفت النظر إلى أنه يحتاج إلى إرشاد وتوجيه للأبوين للبحث وراء أسباب هذه الظاهرة، أما الولد فليس له ذنب، وإنما هو ضحية لمسالك غير صحيحة من الأبوين، فلا

تعاب الأبوين ولا تعاب الطفل، واحمد الله على أن عافاك، لأن هذا البلاء قد يأتيك أنت، ففي هذه الحالة لا تقل: هذا قليل أدب.. بل هو يتفاعل مع ظروف معينة تواجد فيها هذه الطريقة وبهذا الأسلوب. من هذه الأشياء: كل كلمة تتكلم بها مع الطفل، فأنت تطبع فيه انطباعاً معيناً، سواء شعرت أم لم تشعر، فأحياناً نكون نحن من نمسك الفتوس ونحطم بها أولادنا، وكما قلت: السنوات الأولى بالذات يكتسب فيها الانطباع الذي يبقى معه -والله تعالى أعلم- إلى ما شاء الله، وإلى أن يكبر ويصير رجلاً.

أمثلة على غرس العجز والخذلان والسلبية في نفس الطفل

ذكر بعض الباحثين في هذا المجال مثلاً فقال: ولد تصطحبه أمه في سوپر ماركت أو محل البقالة، ويسلك سلوكاً غير صحيح بطريقة معينة، أو يصرخ أو يعمل أي نوع من السلوك الغير مرضي، فتقول له أمه: إذا لم تتوقف عن ذلك سوف أتركك. وفي موقف آخر: ولد أمه عملت له شيئاً أعجبه (كيكة)، ثم أكلها كلها، فتقول له: من المفروض أن تخلج من نفسك لهذه الفعلة! في الحالة الأولى أو الثانية كلاهما تريد السيطرة على سلوك الولد وتقويمه وتهذيبه، وهي تظن أنها تؤدي رسالة التوجيه والتربية، لكنها قد أحدثت جرماً نفسياً لم تكن آتته السكين ولا الموس، وإنما كانت الكلمات.

الكلمات التي تتواصل وتتعامل بها مع الأولاد حرجة إلى أقصى حد، وذات تأثير بالغ على نظرتهم إلى نفسه وثقتهم بها، وعلى صحته العاطفية، وقوته الشخصية، فهناك رابطة لا يمكن أن ننكرها بين الكلمات التي نستعملها مع الأولاد وبين المواقف والنواتج التي تحدثها تلك الكلمات في حياتهم، فالكلمة قد تدعمه وتقويه، وقد تحطمه وتجرحه.. قد تربيته، وقد تشعره بالعار.. قد تشجعه، وقد تثبطه.. قد ترفعه، وقد تضعه.. فلا يوجد أب على الإطلاق يستطيع الصباح، ثم يفكر كيف يتأمر على أولاده: كيف أستطيع أن أحطم نفسية ابني، وأطبخ بثقته أرضاً، وأجعله يشعر بالتبعية لي والاعتماد علي، وأفقده القدرة على ضبط نفسه. لا يمكن أن يقصد ذلك أب أو يسعى له مسبقاً، وإنما يفعله بعض الآباء غالباً وبدون قصد؛ لأنهم لا يفهمون الانطباع الكلي الذي تطبعه كلماتهم في أبنائهم.

المثال الأول على معاملة الطفل بما يؤثر على سلوكه سلبياً

المثال الأول: إذا لم تتوقف عن هذا الضجيج سوف أمضي وأتركك هنا. هذه كلمة عابرة جداً. أما التخويف بالغيلان والجن فهذا كلام الآباء الإرهابيين. والطفل الصغير أخوف ما يخافه، وأسوأ شيء يؤثر على نفسيته: أن يترك وحيداً غير آمن، وإحساس الطفل بالأمان ليس محل نقاش، فالمصيبة التي يفعلها بعض الآباء الجهلة: أنه يطرد الولد من البيت، وهذا شيء عجيب جداً، والمصيبة الأكبر: أنه لا يطرده من أجل أنه عمل عملاً سرقة أو كذا أو كذا، وإنما من أجل أنح التحى مثلاً يهدده بأنه سيطرده من البيت أو أنه سيطلق أمه أو غير هذه المسالك المدمرة من أجل أن يفرض رأيه يمكن في حين أنه لما كان فاسداً وغير ملتزم ما كان يبالي يفعل ما يشاء ويسهر ما يشاء ويفسد ما يشاء لكن لما يلتزم دين الله إذا به تأتيه هذه الأشياء.

الشاهد أن تهديد الطفل والعزف على وتر أنني سأتركك هنا وأثر وسيلة للتلاعب بهذا الطفل وهي وسيلة تدل على جهل الأب فبدلاً من هذه الوسيلة تقول له يا فلان إذا أصررت على هذا التصرف سترجع إلى البيت كلنا ونرجع مع بعض لا تقوله له سأتركك وأمشي.

لكن إذا اخترت أن تتكلم بصورة طيبة ستبقى هنا ونكمل الشراء وأنت الذي تقرر. وهذا هو المسلك الصحيح وفرق بين الأولى التي تدمره لأنها تشعره بعدم الأمان سأتركك وأمشي لأنه خطر على نفسية الطفل. أما المثال الثاني الولد عمل حاجة مثل أكل الكيككة وجاء لأمه واعترف فهي تقول له اتخرج من نفسك وكمآن جئت تقول؛ فهذه النوعية من الكلام تخلق فيه الشعور بالذم لأنك لما تظن أنه يشعر بالذم سيخجل ويتوقف عن هذا السلوك. صحيح هذا المسلك ينفذ لك الغاية التي تريدها -إشعاره بالذم- حتى لا يكرر هذا السلوك ولكن على أي حساب وأي ثمن؟

الثمن أن يترسخ فيه اعتقادات جوهرية تزرع في نفسه عن طريق هذه الكلمة وهي قول الأم والأب المفروض تتكسف من نفسك أنا مخطأ أنا غير كفاء، أنا عاجز عن إني

أعمل حاجة صح، أنا لا أستطيع أن أنجز أي شيء بنجاح ولذلك لما تأتي لتكلف هذا الولد الذي تربي بهذه الطريقة يقول لا أقدر أن أعمل ودائمًا يهرب من تحمل المسؤولية ويحكم على نفسه مسبقًا بالفشل؛ لأنه تعود على أن يعامل أنه غير كفء وأنه لا يستطيع أن يفعل شيء وأنه المفروض أن ينجل من نفسه.

طبعًا ستعمل دائرة مطردة لأنه إذا عمل السلوك الذي تريده فيه وهو أن يشعر بالذم فإذا شعر بالخجل هذا سيجلب له مزيدًا من الخجل.

مثال آخر ممكن كلمة عاجلة تقولها الأم الجاهلة أمام الصديقات أو القريبات في المجالس النسائية المعروفة مثل هذا الولد ده أنا حاولت أجهضه بكل وسيلة ده جاء غضب عنا وهي تحكي هذا الأمر عادي في المجلس من باب الدردشة ولا تدري مدى خطر هذه الكلمة على نفسية هذا الطفل أو مثلاً تقول للولد في أي وقت من الأوقات سواء غضب أو رضا وهو لا يدري ما هي ساعة الغضب والرضا؛ لأنها تزرع فيه مفاهيم خطيرة فتقول له مثلاً: أنت بالذات لم تكن أرغب فيك على الإطلاق ولم تكن تحتاج إليك بصورة أو بأخرى تقول لهذا الطفل أو تقول يا ليتني ما أتيت بك. هذه الجمل لا يمكن أن تغتفر في العملية التربوية بغض النظر حتى لو كان الطفل عمل شيء صعب جدًا رفع صوته أو تكلم بطريقة غير صحيحة فإن هذه ردود الأفعال الأبوية غير مناسبة بالكلية لأن من المهم جدًا بالنسبة للطفل أن نتقبله كما هو لا تقل له كان نفسنا يكون شكلك كذا أو كذا كلمة تقبل كلمة تقال عند النفسيين لكن عندنا في الإسلام أعظم وأفضل منها وهي كلمة الرضا بقضاء الله، الرضا باختيار الله ﷻ ولا يخفى بين الاثنين من البعد مثلاً عبارة أخرى من ضمن هذه العبارات تخاطب الأم الولد بأنه السبب في أنها ستفصل أو أن أباه وأمه سيطلقون وهو السبب. في الواقع ليس ممكن أن يكون هو السبب ولا نتوقع أن الطفل يتحمل مثل هذه الكلمة ده حتى لو نحن نفينا عنه أنه السبب في الغالب بينه وبين نفسه سيشك هل هو السبب لو كنت أنا أحسن من الذي كنت عليه فأكيد لن يطلقان، وغير ذلك هو لا ينطق

هذه العبارات لكنه يفكر فيها المقارنة بين الأطفال وبين الأولاد مثل أن تقول أخوك طيب كما لم تكن مثل أخاك يا ليتك تفعل مثل أخاك أو أختك. هذه المقارنة خطيرة جداً؛ فحينما يعقد الوالدان مقارنة لفظية بين الأشقاء معنى ذلك أنه يوجد أحسن وأفضل يعني مفضل ومفضل عليه.

فالمفضل عليه هذا لا شك أنه سيظهر عليه أنه قاصر ناقص وأنه دون أخيه، هذه كلمات نقولها ولكنها رسالة تترسخ في أعماقه، رسالة ترسلها إليه، مضمونها أنك مهمل إن كنت تمدح الثاني بأنه منظم «أخوك منظم فلم أنت مهمل، أخوك ذكي فلم أنت غبي؟»، أخوك أدق منك أو كذا أو كذا من هذه الصفات؛ فهذه الرسائل تستقر داخل نفسه كعقيدة أساسية وتساهم في إنشاء سلوك غير مرغوب في المستقبل، أو مثلاً بعض الناس الجهلة يعقدوا مقارنة بين الأخوات علناً «لم شكلك أعمق من أختك؟ أليست أمكم واحدة؟» هذه الكلمة حينما تصدر من النساء الجاهلات فلن يسمعها الطفل مرة واحدة بل سيسمعا عشرات المرات طالما يوجد جاهلات كثيرات -وإنا لله وإنا إليه راجعون- هل ستمر بطريقة عفوية أم أنه يبدأ يشعر بالدونية والنقص وأنه أقل من أخيه؟! فإذا هذه المقارنات ينبغي أن يكون عندنا وعي لكي لا نقع فيها، خاصة أنه يوجد بين الأطفال تنافس في الأصل وشجار وهو شيء عادي، ولا شك أن هذا الكلام سيزيد من روح التنافس والخصام بين الأشقاء، وطبعاً هذا سيزيد نسبة التشاحن بين الوالدين؛ فالمقارنة تدمر العلاقة بين الأشقاء عن طريق تغرية مشاعر الانفصال بين الأطفال، طبعاً فيما بعد يمكن أن ينتج عنها قطيعة الرحم وغير هذا من الأشياء، ماذا تعني؟ أتريد أن تجلب كل هذه المصائب؟ أنك تقطع رحم أولادك بعدما يكبروا؟ وأنهم يضربوا بعض وهم صغار ويزداد الحقد بينهم والشجار؟ لا... إنك لا تقصد هذا ولكن نتيجة عدم الخبرة في انتقاء ألفاظك وقعت في هذا الخطأ دون أن تقصد.

طيب وما البديل؟

بدلاً من أن تقول لم لا تشبه أخاك عليك أن تقبل كل واحد بشخصيته؛ لأن كل واحد من هؤلاء الأولاد يميزه بميزة غير موجودة في الآخر، فأنت تسلط الضوء على الميزة التي أعطاها الله إياها، فلان صوته جميل في القرآن، فلان خطه حسن، فلان شكله كذا، وهكذا.

فتركز على الصفة الإيجابية في هذا الابن وتقبل شخصيته كما هي، ولكن تركز على السمة التي ميزه الله بها؛ فإن كل شخص له مواضع قوة خاصة به، له إمكانيات، له احتياجات، فلا بد أن نساعد الأبناء على مشاهدة جمال تلك الصفات التي ميزهم الله ﷻ وتعالى بها عن طريق التركيز على كل واحدة منها على حدة بدون عقد مقارنات بينهم.

أنموذج آخر: إذا أراد الأطفال الخروج إلى مكان والولد يلبس «البوت» مثلاً؛ فطبعاً يحتاج إلى وقت لربط الرباط وهم مستعجلين، فيقول «طيب تعال أنا سأربطه لك هذه المرة»، هذا خطأ فادح لا تقول له «تعال أؤدي عنك هذا العمل أو اتركني أقضيه عنك هذه المرة» هذه عبارات نحن نقولها دون أن نشعر بأنها تزرع العجز في نفسية الأولاد. الشيء الذي يستطيع الطفل عمله بنفسه اتركه يعمل، تأتي فترة من الفترات الله ﷻ يزرع فيه هذه الفطرة؛ لذلك في سن من ٢-٤ سنوات يحاول الطفل أن يستقل في أواخر السنة الثانية فهو لا بد أن يتمرن ويخطأ؛ فمثلاً هو يريد أن يأكل بالملعقة بنفسه أو يشرب من الكوب بنفسه وأنت تقول له «ستوسخ ملابسك» أو «ستوقع الطعام على الأرض» دعه ولا تسبب له إحباطاً؛ لأنه الفطرة الآن تكلفه بأن يبدأ أن يتمرن بالاعتماد على نفسه في أداء بعض الوظائف، فتحمل بعض الخسارة أن ملبسه تتقذر، أو أن يصيب الأرض بعضاً من الأرز أو شيء من هذا؛ فلا مشكلة في سبيل أن هناك فائدة كبيرة تحدث وهي أنه ينمو الآن، ولا بد لكي ينجز هذه المهام أن يتمرن عليها بنفسه، في الأول بالمساعدة ثم بعد ذلك يستقل بها؛ فتتنامي فيه هذه النزعة الاستقلالية لا تشعره بالعجز وتقول له «تعال ألبسك، تعال أؤكلك» لا دعه ما دام أنه يحرص على هذه الاستقلالية، وإلا فستزرع فيه التخاذل والوهن وينظر إلى نفسه دائماً على أنه عاجز، وغير قادر وضعيف.

فإذا قمت بأنك تعمل له الوظيفة التي يجب عليه أن يعملها تلبسه الحذاء مرة وفاتت فلا مشكلة، ولو مرتين فأنت ابتدعت نموذج، ولو فعلتها الثالثة فقد أوجدت لنفسك وظيفة جديدة؛ لأنه سيتعود أن يعتمد عليك في هذا الموضوع إلى ما شاء الله سبحانه.

من هذه العبارات الخطيرة أنه حينما يتناقش مع أمه وأبيه فيسأل عن السبب في شيء معين فيكون الرد «ما دام أنا قلت فهذا هو السبب» هذه ألفاظ تقال ببساطة لكنها رسالة للطفل تقول له «أنا كبير وأنت صغير، أنا ذكي وأنت بليد، أنا قوي وأنت عاجز، وظيفتي أن أمرك ووظيفتك أن تطيع وتنفذ» طبعاً هذا ينشئ عند الطفل امتعاض واستياء وصراعاً داخلياً. طيب بدلاً من هذا تحاول أن تعامله بطريقة فيها احترام لشخصيته.

يعني الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان جالساً وبجواره طفلاً صغيراً فشرب، وكان الطفل على يمينه، وكان هناك في المجلس ناساً كباراً مشايخاً فاحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم حق هذا الطفل وعامله باحترام وقال له «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هُوَ لَاءِ فَقَالَ الْغُلَامُ لَا وَاللَّهِ لَا أُؤْثِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا»^(٢٢).

لأن الصحابة كانوا يتباركون بشرب سؤر النبي صلى الله عليه وسلم فالرسول صلى الله عليه وسلم دفعها إليها فقال: لا أنا أشرب من موضع فم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أؤثر بنصيبى منك أحداً؛ فهذا طفل صغير لكن استأذنه الرسول صلى الله عليه وسلم وعامله باحترام، وكان لما يقابل أطفالاً يسلم عليهم، كان من الممكن أن يأخذه الطفل من يده ويمشي به حتى يقضي حاجته.. إلى آخر الأمثلة التي سوف نتعرض لها إن شاء الله بالتفصيل.

فالشاهد: عامل طفلك باحترام ولا تعود على أن يهان وأن تهدر كرامته، ممكن تتعامل معه في شيء كهذا فتقول له «أنت دائماً تزعجني بكلمة «لماذا؟»» أنا كأب ينبغي أن أتخذ بعض القرارات، وهذه مرة من المرات التي سوف أتخذ فيها قراراً ولن أغير رأيي هذه المرة،

(٢٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

إذا فأنت تتكلم عن موقف واحد فقط، ولا تزرع فيه أنه يجب أن يكون منقادًا لما تريد، فيقول له مثلاً «طول عمرك خائب، أنت ليس بك رجاء، أنا عارف أنك طول حياتك ستظل هكذا ولن تتغير»؛ فكل هذا تحطيم، وليست هذه وظيفة الأب؛ لأن هذا يدمر ابنه ويفقده ثقته بنفسه ويزرع فيه الفشل والعجز والهوان.

ومن هذه الأخطاء كما قلت موضوع الإرضاع، مثلاً الأم التي تتعامل بألية وميكانيكية في عملية الإرضاع ولا تضم الطفل إليها، ولا تربت عليه... الخ، فالله فطر الأم بطريقة تمكنها من إعطاء وجبة الحب والحنان مع وجبة الطعام الذي يتغذى عليه.

ومن هذه الأخطاء موضوع الكذب على الطفل، فالطفل لا يفوتها؛ ولذلك الرسول ﷺ ما فاتته هذه التربية، لما كانت المرأة تقول للطفل «هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ دَ وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمَرًا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ دَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ»^(٢٣). نعم.. حتى لو مع الطفل الصغير هي كذبة؛ فينبغي احتراز موضوع الكذب لأن هذا له عامل كبير في فقد الثقة كما أنك تعطيه أنموذجًا يقتدي به في سلوكياته.. أبوه يكذب حينما يقرع أحد الباب يقول له «قل له أبي ليس هنا» فيخرج الولد ويقول «أبي يقول لك أنه ليس موجودًا»؛ فهذا أنموذج، هذا تحطيم، لا ترد من الأساس أفضل لك، حتى لا تعرض لأن استعمال التعريض سيدمر الولد لأن الولد لن ينتبه إلى أن هذا تعريض؛ فلو غضب هذا الرجل لأنك لم ترد أفضل من أن تدفع الثمن مع ابنك فيتعلم الكذب؛ لأن أهم صفة على الإطلاق إذا أردنا اختصار هذه المحاضرة في كلمة واحدة فهي «علمه الصدق» والدليل قول النبي ﷺ «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى

(٢٣) رواه أبي داود من حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه (حسنه الألباني).

النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢٤). فهذه عملية تدريب.. أنت تقدم له أنموذج وسوف يبتدي به، وأول من سيكذب عليه هو أنت إذا علمته هذا الكذب.

مثلاً تقول له الأم «اشرب الدواء» فيقول «لا.. الدواء مر» فتقول له «لا.. ستجده حلوًا جدًا» ثم تقهره على أخذ الدواء فيجده مرًا. طبعًا سيفقد الثقة في أمه ولا يصدقها بعد ذلك.

مدرسة مثلاً تقول للتلاميذ «ذاكروا عندكم امتحان اليوم الفلاني» فيأتي هذا اليوم فتقول «لا يوجد امتحان أنا كنت أريد منكم أن تذاكروا فقط» بمنتهى البساطة ولا تدرك أن هذا أنموذج مدمر؛ لأنها تكذب.

مثلاً.. يدخل المدرس أو الأخصائي الاجتماعي فيقول «من الأخير في ترتيب هذا الفصل هنا؟» أمام الأولاد... مثل هذه المسالك تعرفونها كثيرًا.

أمر مهم جدًا مما ينبغي الحذر منه أثناء التعامل مع الأطفال يقول «لو أنك عملت كذا فلن أحبك» فهذا أخطر ما يكون؛ فلا بد من تأمين موضوع الشعور بالحب؛ فلا تستعمل الحب أبدًا أسلوبًا للتهديد.

لذلك تجد الطفل يخاف جدًا على موضوع الحب. يقول الدكتور محمد كمال الشريف «لاحظ العلماء أن بعض الأطفال يعيشون في قلق دائم نتيجة إحساسهم أن والديهم لا يحبونهم إلا إذا كانوا متفوقين في دراستهم ومطيعين ومهذبين فترى الطفل يحرص على المثابرة في المدرسة وعلى تنفيذ أوامر والديه خشية أن يفقد حبهما وهما بالنسبة له كل شيء وكيف له أن يعيش دون حبهما الوضع الصحيح المتوازن هو أن نفصل بين الحب وبين التأديب للأطفال فلا نعاقبهم إن أخطئوا بتهديدهم بأننا لن نحبهم بعد الآن أو بسحب

(٢٤) رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

حبنا لهم فعلاً.. بل نعاقبهم إن هم أخطئوا ونطمئنهم في الوقت نفسه بأننا ما زلنا نحبههم وإن كنا سنحبهم أكثر لو كانوا مستقيمين مهذبين وإننا لا نكرههم الآن، إنما نحن غير راضين عما فعلوه؛ فلا بد أن نشعر أطفالنا أن التأديب هو مظهر من مظاهر الاهتمام بهم وليس مظهر للكراهية أو لأنهم خيبيوا آمالنا وتسببوا لنا في الإحباط؛ فهذا أيضاً أمر مهم جداً وهو عدم استعمال سلاح الحب لتهديد الأطفال.. لا تقل له «لن أحبك إذا فعلت كذا» ولكن قل «أنا أحبك لكن لا أحب هذا التصرف أو أغضب عندما تفعل هذا الشيء الفلاني».

من هذه المظاهر أيضاً: سلوكيات من الممكن أن نعملها ولا نلتفت إلى أنها قد تتسبب في إحداث مشكلة لاحقة موضوع «الخوف - الفوبيا-».. الأم مثلاً رأت صرصاراً فتصرخ أو تقفز فوق السرير وتجمع الناس لأنها رأت صرصاراً. هذا نموذج عملي.. الطفل لا يتعلم الخوف إنما يتعلم منا مما يخاف، يتعلم منا ما المفروض أن يخاف منه. يرانا مثلاً عندما يقترب من النار ننادي عليه «لا تقترب من النار كي لا تحرقك» فإذاً يتعلم أن يخاف من النار. فيوجد أشياء من المهم جداً أن يتعلم أن يخاف منها لكن أن يرى أمه تفرح من الحشرة هذا الفرع طبعاً هذه حالة مرضية، موضوع الخوف من الحشرات بهذه الطريقة الفظيعة طبعاً ستتقل تلقائياً إلى الطفل ويقلد نفس هذا المسلك. وأيضاً التخويف من الضرب «سأحبسك في غرفة الفئران المظلمة» كما يفعل في بعض المدارس للأسف «نحن سنحبسك في غرفة الفئران أو نأتي لك بأبي رجل مسلوخة والغول.. الخ» أو أن أم تأتي إلى طفل قبل أن ينام وتقص عليه قصة مرعبة وتقول له «إن لم تنم فسأتي لك بالغول وأبي رجل مسلوخة... الخ» فهذا أمر مهم جداً فموضوع الخوف المبالغ فيه من أي شيء المفروض أن يعالج كي لا ينعكس على الأطفال.

أمر آخر وهو «إتمام الفطام» لأن موضوع الفطام الشائع الآن في مجتمعنا للأسف الشديد يتم بطريقة مؤلمة.. الفطام باختصار شديد لا يبدأ بعد انتهاء الستين، إنما ينتهي بعد الشهور الأولى من الإرضاع، بمعنى أنه لا بد أن يتم بطريقة متدرجة، تبدأ الأم بإعطائه

وجبات معينة معروفة بجانب الرضاعة؛ بحيث عندما يأتي وقت الفطام يكون قل عنده مرات الرضاع فيستطيع أن يستغني عن الرضاع الطبيعي، ولن تشكل لك مشكلة، ولكن المصيبة كلها في الفطام المفاجئ، وهذه أزمة نفسية حادة بالنسبة للطفل.. إساءة بالغة للطفل، والأشد إساءة الطريقة الوحشية أن يأتوا بنبات الصبار البالغ المرارة ويضعوه في موضع الرضاعة لكي يصدّم الولد صدمة نفسية قاسية، ولا يرضع رضاعة طبيعية؛ لأنه سيكره هذا الثدي، طبعًا هذا تصرف بدائي ومتخلف وفي غاية الأذية لنفس الطفل، يعمل له صدمة شديدة، والطفل يهتم بهذه الأشياء، ولا أريد أن أطيل عن هذا في هذه القضية كي لا نخرج عن الموضوع.

أيضًا عدم الفطام النفسي للأبناء، وهذا موضوع الحقيقة مهم جدًا وهو أن الطفل يفطم أحيانًا من الرضاعة، ولكنه لا يفطم من أمه وأبيه، بمعنى أنه لا يحصل له الاستقلال الوجداني عن الآخرين، دائمًا ما يُشعر الآباء الأبناء بأنهم ما زالوا صغارًا وهذه خطيئة دائمًا ما تقع فيها في مجتمعنا دون أن نلتفت إليها، يعني الشاب تُرسم عنده صورة عندما كان في المرحلة الابتدائية أو قبل الابتدائية تظل هذه الصورة مرتسمة في ذهنه ولا يريد تغييرها والاعتراف بأنه صار رجلاً، دائمًا يصطحب هذه الصورة معه ولا يريد إلغائها، ما زال في مخيلته نفس الشخص ولا يريد أن يتطور مع تطوره أو نموه؛ فلا بد من الحذر فهذا الطفل قديمًا كان رضيع ولكنه الآن طالب في المدرسة، والآن هو شاب قوي يافع رجل، فلا ينبغي أن تعامله على أنه طفل، وهذه مشكلة توجد في كثير من التعاملات خاصة من الوالدين وهي أنه ما يزال طفلاً في نظرهم، وبالتالي فهذه أذية له، لأنهم لا يساعده على النمو الطبيعي بحيث أنه يتحمل المسؤولية ويستقل، ويشعر أنه أسير لإرادة أبويه فلا يستطيع أن يوجه عواطفه أو يأخذ قراراته أو يستقل عن الآخرين، وهذه ممكن تكون مع الأم أكثر تحصل عملية اندماج وجداني وعاطفي يؤثر على الأولاد؛ فعملية التعلق الشديد بالأولاد، خاصة الأمهات يستمررون في التعلق الشديد بأولادهم، كما كان في مرحلة الطفولة، تذهب

إلى لجنة الثانوية العامة ترى صرخات الأمهات يشيعون هذا الذهاب إلى السلخانة كأنه سيدبح وهو يذهب إلى الثانوية العامة.

الأم تصحبه من البيت إلى باب المدرسة، وتظل واقفة أمام باب المدرسة، ولا تجعل منه رجلاً قادرًا على الذهاب بمفرده ويصمد في اللجنة، ولو أنها استطاعت أن تدخل معه اللجنة لدخلت؛ فشيء غريب جدًا، ما هذه الطفولة؟! ما هذه الحماية الزائدة؟! هذا شخص أصبح رجلاً وسيدخل الجامعة وما زالت تسير معه وتوصله إلى اللجنة وتظل واقفة، هذا قلق ويؤثر على نفسية الشاب داخل الامتحان، ما هذا التوتر؟!.

أو مثلاً لو يريد أن يجتاز الطريق وهو يسير معه في الشارع يمسك به من يده ليجتاز به الطريق، ويكون ولده شاب عنده عشرين سنة أو أكثر؛ فهذه حماية زائدة، هذا خطأ في التربية، وطبعًا هذا مما يعكس أنه لا يزال هناك اعتمادية وستطول فترة الطفولة بالنسبة لهذا الشاب.

فالأم تظل علاقتها بالابن أو البنت كأنه ما زال يرضع، هذا معنى الفطام النفسي. طبعًا تأخذ تفاصيل كثيرة، بالذات بعض أن يتزوج الابن تحدث مشاكل كثيرة، فتدخل في تفاصيل الحياة، تطلب تقرير مفصل عن كل تصرفات هذا الرضيع الذي لم يفطم حتى الآن فطامًا نفسيًا. فتدخل في أخص الخصوصيات، وتطلب تقارير مستمرة عن كل تصرفاته.

صورة أخرى من مظاهر عدم الفطام النفسي «الإغداق»:

فلو كان الأب غنيًا يظل يغدق على ابنه أموالًا طائلة في سبيل أن يرضيه، فهذا أيضًا من مظاهر التعلق المرضي، من مظاهر عدم التمتع بالفطام النفسي عند الوالدين أن هذا الحب الشديد لو انقلب إلى كراهية يأتي أيضًا لأمر لا تحمد عقباها.

أيضًا عدم الفطام النفسي بالنسبة للوالدين أو بالنسبة للولد نفسه ينشأ منه شخصية اعتمادية، تعتمد على الآخرين دائمًا، ولا يستطيع أن يتحمل مسؤولية نفسه، غالبًا يكون الفشل حليفه في الزواج؛ لأنه لم يصعد إلى مستوى الفطام النفسي، وكذلك بالنسبة للزوجة

يحصل هذا أيضًا كثيرًا، لا يحس أنه انفصل عن البيت أو خرج منه، لا ما زال له نفس التبعية.

أيضًا التوقف عن اتخاذ أي قرار، وأيضًا سهل جدًا ينخدع بالكبار؛ لأنه دائمًا تعود على أن لا يحس بأنه كبيرًا أو يأخذ قرار، تعود على أن يوجهه أحد؛ فبالتالي من السهل جدًا أن ينصب عليه النصابون والمحتالون.

خلاصة الكلام أنه إذا أراد الوالدان أن يحرزوا الفطام النفسي لا بد أن يقفوا على الفروق لمراحل النمو المختلفة، وكل مرحلة لها خصائصها فينبغي أن يخفا من هذا التعلق كلما تقدم الابن في النمو، ويبدأ الأب والأم بنفسها إذا لم ينفظا عن الولد؛ فلا بد أن يفهما أن الحب الحقيقي للولد هو أن يصنعا منه رجلاً يستطيع أن يأخذ قراراته ويتمتع بحرية الاختيار.

من مظاهر الخلل في التربية أيضًا موضوع «التفرقة بين الأولاد» خاصة بين البنات والذكور، وهذا موجود للأسف الشديد. وقد قال رسول الله ﷺ «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُمْ مُفَضِّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُمُ النِّسَاءَ»^(٢٥) هذه أيضًا إحدى مظاهر الخلل.

موضوع حرمان الطفل من اللعب، هذا اللعب بالنسبة لك هو مجرد لعب، ولكن بالنسبة للطفل هو عمل، يعني كما أنت عمك هو الجد فعمله هو اللعب، واللعب أمر مهم جدًا، موضوع اللعب الآن أصبحت علم وفن، ووسيلة علاجية وتشخيصية وكل شيء، اللعب بالنسبة للطفل أمر مهم جدًا ويجب أن يتم بطريقة علمية مدروسة، كل سن له أشياء تعلمه خبرات في الحياة (الفك والتركيب). ولن تأتي لكم بأكثر من مثال للرسول ﷺ أنه كان يأتي لعائشة باللعب من أجل أن هذه تربية مبكرة على الفطرة، فطرة الأمومة. ومن أجل ذلك رخص لمن في لعب البنات، وهذا الموضوع مهم أيضًا وسنفصله إن شاء الله فيما بعد.

(٢٥) السنن الكبرى للبيهقي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه (ضعفه الألباني).

موضوع الترهيب من النار، تكلم الطفل الصغير وكل الكلام على أنك إذا فعلت هذا سينتقم الله منك، ويقطع يديك ويدخلك النار، والنار فيها ملائكة تعذب بكذا، وفيها كذا. فهو غير مكلف أصلاً. فأنت تجزم لو عمل شيئاً فلانياً أو لم يسمع الكلام سيدخل النار؟! فهو غير مكلف والقلم مرفوع عنه، فلا يوجد داعي للإلحاح على موضوع الترهيب بهذه الطريقة، ولكنه سيستوعبها بطرق أخرى، إذا حضر معك في مجلس العلم أو في الدرس أو في قراءة كتاب أن الذي يكذب عاقبته كذا وكذا، وأنت تنميه على هذا تقول له أن الذي يكذب عاقبته كذا. ولا تقول له «أنت ستدخل النار أو تقول ربنا سيعذبك» لأن التركيز على جانب حب الله ﷻ أو أن الله ﷻ جدير بأن نحبه لاتصافه بصفات الجمال والكمال والجلال ولما أسدى إلينا من النعم.. وهكذا.

الحب والرجاء.. لأن الطفل بمنتهى البساطة إذا كان طفلاً مميزاً يعمل الأعمال الصالحة بنية فإنه يثاب عليها، ولكن إذا فعل معاصي لا يعاقب عليها. طبعاً لا تقول له أنه إذا فعل معاصي فلن يعاقب عليها؛ لأنه من الممكن أن يتهادى، ولكننا نريد تربيته وتوجيهه، فتكون هناك حكمة في انتقاء الكلام الذي تقوله له.

أيضاً «القسوة الصارمة» قسوة بعض الآباء قسوة صارمة وشديدة. بين الأمهات مثلاً من تأتي بملعقة وتسخنها وتعاقب الطفل بالإحراق.. بالإحراق، ولا حول ولا قوة إلا بالله. الأب مثلاً الذي يضرب ابنه حتى يصيبه العمى، كيف يكون هذا الطفل حاقداً عليه طوال عمره، أنه تسبب في عماه.

كل مشاكلنا أننا نساوي عقلنا بعقول الأطفال الصغار، فكر كما يفكر هو لا كما تفكر أنت، هو طفل وأنت رجل عاقل، فما أحسن عبارة عنون بها أحد الأخصائيين النفسيين سماه «طفلك ليس أنت». فينبغي أن تراعي التفاوت في العقل بينك وبين هذا الطفل. فالضرب هذا دواءٌ وله شروط طبعاً، فما معنى الدواء؟ معناه أنه إذا لم يأت بالنتيجة.. إذاً فلا داعي له. وأكثر الآباء للأسف الشديد ينظر للضرب على أنه وسيلة لتفريغ شحنة الغضب المتراكمة في

قلبه. ولا يتوقف الضرب حتى يفيض ويخرج كل ما في داخله من شحنة الغضب وهذا عدوان صارخ على حرمة هذا الطفل. تصور هذا الشخص الأب القوي المتين ويضرب طفلاً غَضاً طريراً حتى يكسر له عظمه أو يفعل ما يفعله كما يحصل من آباء ويخطوا له رأسه بهذه الوحشية، وبعد هذا الرسول ﷺ يقول اضربهم لكذا وكذا. ينبغي أن نفهم أن الضرب ليس مقصوداً به الانتقام من الطفل ولكن تأديبه والإحسان إليه، ليس المقصود به تفرغ شحنة الغضب، فلن يتوقف الضرب إلا بعد أن يرضى، فالأب الذي يفعل هذا ظالم ومعتد، ومخالف للشريعة. إذا فالضرب وسيلة تأديبية بشرطها وستكلم عنها بالتفصيل إن شاء الله تعالى فيما بعد.

من ذلك أيضاً «الدعاء على الأولاد» سواء ساعة الغضب أن الأم تدعو «يا رب يتليك. سيارة تدهسك لا تبقي منك شيئاً سليماً».. إلى آخر هذه الدعوات التي تدعو بها بعض النساء وهذا مخالفة صريحة لأمر النبي ﷺ «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»^(٢٦). فيندم الإنسان بعد ذلك ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْهُولًا﴾^(١١)؛ فدعاء مثلاً يتلىه بالفقر أو بضيق ذات اليد؟ لماذا؟ هل أنت الذي يرزقهم؟، أنت رزقك ورزقهم على الله ﷻ، أترضى لنفسك أن يدعو عليك أحد بالحرمان من هذا الحق أو يقتلك كي يجرمك منه؟، فهذا الطفل له الحق في الحياة مثلك تماماً، بل هو أحوج إلى الحياة لأنك أخذت فرصة، أما هو فمقبل على الحياة فكيف تدعو عليه بالموت ونحوه.

جاء رجل إلى ابن المبارك رحمته الله يشكو عقوق ولده، فقال له «هل دعوت عليه أم لا؟» فأجاب «نعم» فقال «أنت أفسدته بالدعاء عليه».

(٢٦) سبق تخريجه.

أمر آخر.. طبعاً هناك التربية بالثواب والتربية بالعقاب أو التأديب بالعقاب، أمر مهم جداً لكي نختصر يتبقى لنا شيئاً بسيطاً بحمد الله وهو أنك إذا أردت مكافئة الولد على شيء جيد لا بد أن تكون المكافئة في الحال ولا تؤجلها. لا تقول له «عندما يأتي الليل سأعطي لك المكافئة» لا.. اعطه المكافئة في الحال. كذلك العقوبة إذا أخطأ ينبغي أن تكون فورية عقب الخطأ مباشرة، لا تكون مؤجلة «لما يرجع والدك سوف يفعل بك كذا».

أمر آخر أيضاً من الأشياء التي نود لفت النظر إليها موضوع «تشاجر الوالدين أمام الأطفال» لا يجوز ولا ينبغي أبداً المخاصمة مهما كان الداعي أمام الأولاد، موضوع السياسة التربوية المتصادمة بين الأب والأم كل الأطراف تخسر (الأب يخسر والأم تخسر والأطفال أيضاً يفسدون بسبب ذلك)، يعني يوجد بعض الآباء يجزبون الأولاد، يعملوا معسكرات في البيت، هذا يتبع الأم وهذا يتبع الأب، يجزبوهم.. والولد يلعب على الحبلين في بعض الوقت، يظهر لكل طرف أنه معه، طبعاً هذا تدمير للأولاد، ينبغي على الأم أن تعطي للأب وضعية لها هيبة واحترام، ينبغي عليها أن تحافظ على هيئته ولا تفعل أي تصرف فيه خدش لهذه الهيبة وتخوفهم بأبيهم تقول «سأقول لأبيك أنك فعلت كذا إن لم تتوقف عن كذا». وكثير من المشكلات النفسية والأمراض النفسية تنشأ بسبب الأم المتسلطة، الأم المسترجلة التي تريد أن تفرض كلمتها ولا تريد أن تخضع لزوجها أبداً؛ فالأم المسترجلة تشقى ويشقى أولادها، وأكثر هذا الكلام عند الخواجات الكفار كثير من الحالات النفسية ترجع إلى أن أسلوب التربية إلى أن الأم في البيت متسلطة على الرجل، هي الرجل وتريد أن تسترجل، يعني كما يقولون. فهذا أمر مهم جداً أن الأم ينبغي أن تعطي للأب وضعيته واحترامه وتحافظ على هيئته أمام الأولاد، وإلا الجميع سوف يخسرون.

للأسف الشديد في الغرب يعتبروا أن تشاجر الأبوين أمام الطفل نوع من الإساءة تستدعي القبض عليها وإيداعها في مصحة نفسية للتأديب والتهديب والإصلاح الحقيقي. يأخذون دروسًا وإذا تكرر هذا السلوك منهم يؤخذ منهم الطفل ويربى في مؤسسة تابعة للدولة، ويصير ابن الدولة. طبعًا يبالغون فيها أحيانًا بطريقة سيئة جدًا. أنا ما أقصد هذه المواطن التي تتصادم مع الدين، ولكن أقصد كيف انتبهوا إلى أن مشاجرة الأبوين أمام الطفل أو رفع أصواتهم عدوانًا على الطفل وانتهاكًا لحقه النفسي في السلام والاستقرار النفسي.

وينبغي علينا أن الطفل يدرك، يعتقد الكثير أن الطفل لا يدرك، ولكنه يدرك كل ما يحصل ويترجمه ويحتزنه ويهدد شعوره بالاستقرار. ولذلك يقول الخبراء النفسيين «إن الطفل الذي تطلق أمه وتنفصل عن أبيه حالته أخف من الطفل الذي يعيش مع الأبوين وهما في حالة شجار»، الخسائر في حالة الانفصال أخف من الخسائر في حالة الاستمرار مع بعض في البيت ولكن مع الشجار الدائم أمام الولد.

لماذا؟! لأنه في حالة الطلاق سيموت مرة واحدة، سيصدم مرة واحدة وسيتكيف بعد ذلك مع الحياة الجديدة، ولكن هذه الحياة لن يشعر فيها باستقرار، ولا بسلام نفسي. الدكتور/ محمد خليل يتكلم عن هذه الجزئية يوضحها فيقول «والطفل يترجم ما يدور حوله ترجمة صادقة دون تحريف أو تزييف وقد يخطئ الآباء والأمهات في تقدير سلوكيات الطفل لصغر سنه فلا يتورعون عن النقاش الحاد والجدل ورفع الصوت أثناء مناقشة مشاكلهم، وغاب عنهم أن هذا كله يصل إلى الطفل بمفهوم عاطفي». الطفل يفهم - حتى الرضيع - يعرف إذا كانت أمه حزينة أو مكتئبة مسرورة أم مغتمة. الأمر مهم جدًا وينعكس ذلك عليه. ليس هذا فحسب، حتى وهو جنين ينفعل بانفعالات أمه - وهذه دراسات حسية - يقول «وغاب عنهم أن هذا كله يصل إلى الطفل بمفهوم عاطفي ويترجم النقاش والجدل والحدة عندما تصل إلى سمعه على أنها رياح قطيعة أو بذور خلاف ويتأكد ذلك لو أحس بضغط العلاقة بين أبيه وأمه، هذه المشاعر تصل إلى الطفل بشفرتها العاطفية النفسية

خصوصًا إذا صاحب ذلك اختلاف واضح في معاملة الأم أو في قلة اهتمامها به، أو بعض انصرافها عنه حتى لو كان ذلك لمجرد التغير في نبرات صوتها أو في حرارة حديثها، هذه التغيرات البسيطة قد لا تشعر بها الأم، ولكن الطفل يقيسها بترموتر عاطفي حساس لا يخطئ فيطوي نفسه على الألم والحسرة وتقل اهتماماته ويفقد شهيته وقد يلفظ ما في جوفه تعبيرًا عن رفضه لما حدث، فإذا تكررت المواقف فإن الأعراض تنتهي إلى الأسوأ؛ فربما تصل إلى الانطواء والحجل والتردد واللثمة والتهتهة أو التبول اللاإرادي، إنها رموز مرضية تؤكد تأثر الطفل بالخلافات إذا استمرت بين الأزواج. وكأن الطفل بما يحدث له من الأعراض يقول بملء مفهومه العاطفي النفسي «لا للخصام بين الأزواج، لا للقيطة بينهم».

فإذا لا بد أن يكون هناك اتفاق بين الآباء على سياسة تربية. وإذا اختلفوا فيكون ذلك بصوت منخفض، وفي مكان منعزل، فلا بد أن يكون هناك اتفاق على هذا. ولا يكون هناك تعارض بين الأوامر - الأب يأمر والأم تنهى - كأن الأب قاسي والأم هي الحنونة. يعني الأب يقول «لا تفعل» والأم لأنها تحبه تقول له «افعل» كي تحظى بهذا الحب من الولد وأنها حنونة عليه. وفي سبيل ذلك تدمر أمر الأب، وهذا بالتالي يفقد قدرتها على التأثير على الولد.

وكما أشرت أيضًا موضوع تحزيب الأولاد، حتى لو انفصل الأبوين المفروض ما يحصل إثارة حقد في نفس الطفل من أبيه. بالعكس، لا ينبغي أبدًا إدخال الطفل في الصراعات بين الأبوين. أو مثلاً تتعمد هدم احترام الأب أمام الأولاد. في غيابه مثلاً تسخر من أبيهم. طبعًا هذا كله تحطيم للأولاد لأنفسهم قبل أن يكون تحطيمًا لغيرهم.

الحقيقة الجهل بالأمور الأساسية كثير جداً. ومنها أيضاً أمور تمس صحة الطفل والمحافظة عليه من الأخطار، وقد تمس العقيدة أحياناً. يعني الطفل الذي يأتي له التهاب الغدة النكفية يسموه «أبو اللطيش - أبو النطيد» -المهم- ماذا يفعل جهلة نساء المسلمين؟ يأتوا بالرماد الأسود ويصنعوا الصليب لكي يشفى -والعياذ بالله-. هذا تصرف غاية في الخطورة أن المسألة تمس العقيدة، يوضع الصليب والعياذ بالله وتظن أن بذلك الكفر يكون الشفاء.

طبعاً من غير المناسب أن نخوض في موضوعات تنبيهات صحية ولكن مثلاً الأم التي بعدما تلد أو ما يفرز من الأم من صدر الأم شيء يسمى بالعربية «اللب» وله اسم آخر في اللغة العامية، ولكن في اللغة العربية اسمه «اللب» وهو ليس لبن ولكنه «لب» وهذا اللب سائل شفاف، طبعاً هذا هدية من الله إلى هذا الطفل يحتوي على كمية من المضادات الحيوية والأجسام المناعية، وفيتامينات وأملاح وبروتينات عالية جداً، وكذا وكذا لحماية الطفل، فتأتي الأم الجاهلة تهدره؛ ما دام لونه ليس لون اللبن ترميه. وطبعاً هذا حرمان للطفل من سلاح طبيعي يعطيه الله إياه.

مثلاً ربنا من الله علينا بالعلوم الحديثة والتطعيمات واللقاحات والأشياء لحماية الطفل، فتأتي الأم الجاهلة تؤخر تاريخ الميلاد وتؤخره عن ميعاد التطعيم بحجة أنه ضعيف بدلاً من تشريطه وحقنه، فشفقة عليه تمنع التطعيم. طيب هم لا يريدون إيدائه، لا إنهم يريدون مصلحته. ومع ذلك تمنعه، ويمكن يعني بإذن الله وبمشيئته يحدث له مرض شديد لفترة، نتيجة عدم المناعة، نتيجة الجهل، يعني هو يفهم أفضل من الأطباء، وسيمنعه لأن الأطباء الوحوش سيقومون بتشريطه ويؤخذونه بالإبر فيؤخرونه عندما يستحمل.

الابن مثلاً عنده اللوز فيقولون له «ابلع بيضة مسلوقة»، إنها جريمة قتل، كأنه ثعبان سام سيبلع بيضة. وطبعاً سيختنق ويموت، جريمة قتل بسبب الجهل. الأم تقول «اعصر له ليمونة في عينيه»، ليمونة وفي عينيه.

طبعاً الحقيقة هذه بعض الملاحظات، ومن الصعب تناول الموضوع بطريقة شاملة وصحيحة، نحن إلى الآن لم ندخل بطريقة منهجية ولا في قضية واحدة. كل قضية نؤصلها بتأصيل علمي في ضوء علوم الشرع الشريف وسنة النبي ﷺ الذي هو خير معلم ومرّب على الإطلاق. وفي ضوء العلوم الحديثة المبنية على ملاحظات حسية ودراسات علمية لا شك أنها في كثير من الأحيان أنها تكون مفيضة. فأرجو أن أكون أفلحت في الوصول إلى أهمية محو الأمية التربوية.

نكتفي بهذا القدر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نهاية الشريط الأول

التسريط الثاني

من هنا نبدأ

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجراه، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعه إلا وهي حيرى، ولا تزال لطائف نعمه لأولي العاملين تترا، فهي تتوالى عليهم اختياراً وقهراً، ومن بدائعه الطافية أن خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً، واستبقى بها نسلهم إقهاراً وقصرًا، ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرًا، فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقيحه ردعًا وزجرًا، وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرًا إمرًا، وندب إلى النكاح فحث عليه استحبابًا وأمرًا، فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلم به هدمًا وقصرًا، ثم بث بذور النطف في أراضي الأرحام وأنشأ فيها خلقًا، وجعله لقصر الموت جبرًا، تنيبها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعًا وضرًا، وخيرًا وشرًا، وعسرًا ويسرًا، وطيبًا ونشرًا، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى، وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدًا ولا حصرًا، وسلم تسليماً كثيرًا.

أما بعد: فإن موضوعنا الذي نشرع بإذن الله تعالى فيه الليلة أو هذه السلسلة التي نستفتحها هذه الليلة وهي سلسلة محو الأمية التربوية كما كنا أشرنا من قبل يعني عنوان هذه المحاضرة هو «من هنا نبدأ» إشارة إلى نقطة البداية الصحيحة في التربية السليمة التي أشار إليها الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْزُجُ لِي لَبَّ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ [آل عمران: ٣٧] والتربية الصحيحة التي هي في الحقيقة منجاة من النار، كما قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحريم: ٦] وفي الحقيقة هناك مصنفات كثيرة جدًا في موضوع التربية، لكن من أجمعها وأفضلها - فيما أحسب والله تبارك وتعالى أعلم - كتاب «مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة» للأستاذ عدنان حسن صالح باحارث، وهو

نشر دار المجتمع للنشر والتوزيع في جدة، هذه تعتبر من أمثل الدراسات المتعلقة بهذه القضية، فكعادتنا نحن نتخذ هذا الكتاب محوراً وهيكلًا ثم نُحشي عليه بفوائد من هنا وهناك يعني طلباً للتعديل والتركيز في تناول هذا الموضوع.

فهذه المحاضرة أو هذا الموضوع الذي نبدأ به «من هنا نبدأ» التربية من اختيار الزوجة الصالحة، وللأب في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة وجليلة، فهو القائم على الأسرة بما فيها من أفراد كالأم والأطفال والخدم، وهو مسئول عنهم وعن استقامتهم على منهج الله ﷻ، وقد قال النبي ﷺ «أَلَا كُلكُمْ رَاعٍ وَكُلكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ»^(٢٧) يعني سوف يسأله الله ﷻ عما استرعاه من شؤونهم، قلنا من قبل إن كلمة مسئول هذه لكثرة استعمالها أصبحنا نتخيل أن مسئول موظف في الحكومة أو موظفًا أو شخص مسئول، وكثرة شيوع استعمالها بهذا المعنى الضيق يعني ربما نبعد عن المعنى الحقيقي، مسئول يعني محاسب أمام الله ﷻ، ثم أمام الخلق، تمامًا ككلمة أمير، الآن صار عندنا انطباع عندما تذكر كلمة أمير يتبادر إلى أذهاننا الريش والحياة المترفة الناعمة والبذخ والسرف وكذا وكذا مما هو معلوم، ولكن كلمة أمير في عرف القرآن والسنة أي الذي يأمر الناس فيطيعونه كما هو معلوم، كما أن كلمة شيخ وشيخة فقدت في بعض البلاد بعض مدلولاتها أو حقيقة كل مدلولاتها الصحيحة الشرعية، فبدل من أن تقتصر على كبير السن وعلى من هو رأس في العلم إذا ببعض العائلات تحظى بهذا الاسم فيقول الشيخة فلانة والشيخ فلان وليس له من المشيخة حظ ونصيب، على أي الأحوال كلمة مسئول لا بد أن نتذكر صداها ونستحضره ونستصعبه، مسئول يعني مسئول أمام الله ﷻ، محاسب عن هذه الوظيفة «وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ» بناءً على هذه المسئولية الجسيمة بالنسبة للرجل يتكفل الأب

(٢٧) سبق تخرجه.

بتبعات تكوين المحضن الإسلامي الصالح لنمو الذرية نموًا سويًا صالحًا، فإن الرجل الذي يتولى اختيار الزوجة المناسبة ويقدم لها الصداق وينفق عليها، وبعد خروج ثمرة النكاح إلى الحياة يتولى مهام جديدة في مجال التربية تبدأ في الأذان في أذن المولود وتحنيكه والعق عنه واختيار الاسم الحسن وغيرها من أمور الرعاية والتربية.

فيما يتعلق بمسئولية الأب في تكوين الأسرة نقول إن من أول حق الولد أن ينتقي الأب أمه ويجسن اختيارها، فكما أن للوالد على الولد إذا كبر حقوق فإن للولد على والديه حقوقًا، فقد سبق أن بينا أن الله ﷻ قدم حقوق الولد على حقوق الوالد حينما وصى الآباء بأبنائهم وهم صغار قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦] فهذه وصايا الله ﷻ بالأبناء وبالأهلين قبل أن يكبروا ويصيرون مسئولون عن يعني بر الوالدين.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولديك عليك حق، ومن أعظم هذه الحقوق وأهمها حسن اختيار الأم، تلك الحاملة الحاضنة المربية؛ وذلك لأن للوراثة دورًا هامًا جدًا فيما يصير إليه المولود في المستقبل، وبعض الدراسات تثبت أن النباهة والامتياز تستند في الحقيقة إلى خصائص وراثية، كما أن علماء الجينات يرون أن للوراثة قوة عجيبة تفرض نفسها على المولود، وهذا الاعتقاد ساق البعض إلى القول بأن الحصول على أفراد ممتازين لا يعود إلى التعليم بل يعود إلى تحسين النسل، فالطفل يرث من والديه بعض المميزات والسمات الجسمية وبعض الاتجاهات العقلية؛ فإذا هذا فيما يتعلق ورأي أو ترجيح علم الوراثة أو الهندسة الوراثية يثبت أن لأموال الوراثة والتناسل دخلًا كبيرًا في تحديد صفات الأبناء، والوراثة إنما تأتي من كلا الأبوين، وفي الحقيقة أن علم الوراثة أو الجينات هو في الحقيقة لمن عقل يُعد فرعًا من فروع التوحيد؛ لأن من درس هذا العلم تكشفت له

آيات الله ﷻ الباهرة ودلائل قدرته القاهرة ﷻ، يكاد يجمع علماء الأخلاق على أن الوراثة مع البيئة هما العاملان الأساسيان في تكوين الأخلاق.

هناك عمال موروث لا يد للإنسان فيه اللهم إلا فيما يتلق في عملية الاختيار، حسن الاختيار للأمر، وهناك عامل البيئة، البيئة التي ينشأ فيها الطفل ويكتسب منها الصفات، ويكون لها أبلغ وأعظم التأثير في تكوينه واتجاهاته، آية ذلك قول النبي ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يِمَجِّسَانِهِ»^(٢٨) إلى آخر الحديث، هذا إشارة إلى تأثير البيئة في اتجاهات الأبناء؛ لذا جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بحسن اختيار الزوجة، ووضعت للآباء من الرجال أوصاف الزوجة الصالحة، وفي مقدمتها الدين، كما نقول حسن الاختيار هي المفروض تكون في كلا الجانبين، يعني الرجل يكون أن تطلب فيه صفات معينة؛ لقول النبي ﷺ «إِذَا أَتَاكُمْ مِنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»^(٢٩) إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه مع أن الخلق من الدين إلا أنه خصه بالذكر بعد التعميم للإشارة إلى عظم وخطورة حسن خلق الرجل مع أهله، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَدِثُوا قَلِيلًا حَلَفُوا لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَحَافُونَ نُسُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ بَعْضُهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ إِنْ أَطَعْنَاكُمْ فَلَا تُبَغُّوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤] والقائات هن المطيعات للأزواج، والحافظات للغيب أي أنهن يحفظن الأزواج في غيابهم وفي أموالهم وفي أنفسهن،

(٢٨) سبق تخرجه.

(٢٩) سبق تخرجه.

ويمدح الرسول ﷺ ذات الدين فيقول «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُهُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْءُ الصَّالِحَةُ»^(٣٠).

ويضع الإمام الغزالي بعض الجوانب الخلقية التي يراعيها الرجل عند اختيار الزوجة

فيقول:

ويسأل عن دينها ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها، وعن حياءها ونظافتها، وحسن ألفاظها وقبحها، والتزامها قعر بيتها، وبرها لوالديها، ويسأل عن خصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها؛ ولذلك لهذا الأمر وهو تأثير البيئة والبيت الذي تخرج منه المرأة على سلوكها وأخلاقها لذلك لم يستحب العلماء الزواج من الكتابيات حتى ولو كان مباحاً؛ لأن جانب الدين غير متوفر فيهن؛ ولأن المرأة تعيش مع الرجل ويحصل باعتبارهما كائنين من الأحياء يحصل تفاعل في الأخلاق، لا بد أن يحصل تبادل وتفاعل وتأثر وتأثير من كلٍ منهما في الآخر، وبالتالي مع دوام الصحبة التي يفترض أنها صحبة أبدية إلى نهاية العمر لا بد أن تتسرب وتنتقل منه إليها أو منها إليه؛ ولذلك لا بد من وضع الدين في مقدمة هذه الصفات في حسن اختيار يعني الزوجة، فالزواج من الكتابيات غير مفضل وإن كان مباحاً؛ لأن جانب الدين غير متوفر فيهن والرسول ﷺ عندما وضع وبين مرغبات الرجال في اختيار النساء ذكر الجمال والحسب والمال والدين ثم قال عليه الصلاة والسلام ناصحاً للأمة مختاراً لها ما يرتضيه لها فقال «فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٣١) فاطفر فز بها وإياك أن تفوتك، «فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»، أما اليهوديات وأما النصرانيات فلسن من ذوات الدين.

(٣٠) المستدرك على الصحيحين للحاكم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ضعفه الألباني).

(٣١) سبق تخريجه.

ويحذر الإمام ابن الجوزي رحمته الله من مغبة تقديم الجمال على الدين فيقول: فنبغي أن يكون النظر إلى الحسن فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة، وفي الحقيقة فإن كل جمال يزول ويذهب إلا جمال الدين والخلق فإنه باقٍ في طبع المرأة الصالحة الملتزمة بدينها، العاملة بأداب الشرع الشريف، فبناء الأسرة هو أخطر بناء في كيان المجتمع، بل أخطر بناء في كيان الأمة بأسرها، فإذا كان الناس حينئذ يبنون الأبنية والعمارات، هذه المباني يعنون عند إقامة هذه الأبنية من الأحجار باختيار الموقع المناسب وتحري الخامات الجيدة التي تكفل سلامة البناء وتضمن بقائه إلى حين، وإذا كان هذا هو شأن الناس في إقامة الأبنية المكونة من الأحجار والطين فالأسر المكونة من النساء والبنين أولى بالدقة عند الاختيار وأجزل بالتقصي والاستفسار؛ لأن بناء الأحجار يتعلق بشؤون الدنيا وهي فانية، وبناء الأسرة يتعلق بسعادة الدنيا ويمتد أثره إلى الآخرة وهي دار القرار، والبيت قلعة من قلاع العقيدة، ولا بد أن تكون هذه القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها، وكل فرد من أفرادها يقف على ثغرة كي لا ينفذ منها العدو أو يقتحمها العسكر، ويجب على كل مسلم أن يؤمن هذه القلعة من داخلها، وأن يسد الثغرات فيها قبل أن يذهب فيها بدموته بعيداً، والأب المسلم لا يكفي وحده بتأمين القلعة، ولا بد من الأم المسلمة، أن تكون معه لتربية البنات والأولاد، فأول الجهد ينبغي أن يوجه في البيت إلى الزوجة إلى الأم، ثم إلى الأولاد وإلى الأهل بعامه، فينبغي لمن أراد بناء بيت مسلم أن يبحث له أولاً عن الزوجة المسلمة، وإلا فسوف يتأخر البيت الإسلامي وسيظل البنيان متخادلاً كثير الثغرات في هذه الناحية.

الإسلام شأنه في هذه المسألة شأنه في كل شيء، لا يقيم وزناً للمظاهر وإنما يعنى دائماً للجوهر الأصيل؛ لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فالعبرة في الخصال لا في الأشكال، وفي الخلال لا في الأموال، يقول النبي ﷺ

«رُبَّ أَشْعَثَ أُعْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»^(٣٢) والطمير: هو الثوب الخلق، من أجل ذلك رغب الإسلام الرجل في تحري أن تكون زوجته سالحة ذات دين، وجعل ذلك هو الأصل الذي ينبغي الاعتناء به ضمن الخصال المرغوب فيها، فإن كانت المرأة ضعيفة الدين في صيانة نفسها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه، وشوهت بالغيرة قلبه، وتمغص من ذلك عيشه.

بالغ النبي ﷺ في الحث على ذات الدين؛ لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على أعظم أمرٍ بهم المسلم، ألا وهو الدين، يقول النبي ﷺ: «مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي»^(٣٣)، وعن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّوكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها في سبيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣٤) [التوبة: ٣٤] كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خيرٌ فتتخذهُ فقال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ شَاكِرٌ وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيْمَانِهِ»^(٣٤) فلما سأله ما هو الشيء الذي يرضى الله ﷻ عنا أن نكنزه؟ وما هو الكنز الذي فيه الخير؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام أفضل ما يكتنز المرء أي ما يدخره الإنسان ويفوز به أفضله «لِسَانٌ ذَاكِرٌ وَقَلْبٌ شَاكِرٌ وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيْمَانِهِ» وقال بعضهم في نظم هذا

(٣٢) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا

الوجه»، وله شاهد عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٣) رواه الطبراني عن أنس مرفوعاً (وقال الألباني: حسن لغيره).

(٣٤) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن».

المعنى من خير ما يتخذه الإنسان في دنياه كي ما يستقيم دينه قلب شكور ولسان ذاك
وزوجة تعينه.

وقال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ، وَثَلَاثَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ، فَمِنَ السَّعَادَةِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ تَرَاهَا فَتُعْجِبُكَ، وَتَغِيبُ عَنْهَا فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكُ» وتتمة الحديث «الدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِيئَةً فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةُ الْمَرَافِقِ، وَمِنَ الشَّقَاءِ الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوءُكَ وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِيبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكِ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ قَطُوفَةً فَإِنْ ضَرَبَتْهَا أَتَعَبَتْكَ وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ ضَيِّقَةً قَلِيلَةَ الْمَرَافِقِ»^(٣٥) والقطوف: هي قليلة المشي بطيئة المشي.

الشاهد هنا في الحديث أن من علامات السعادة المرأة الصالحة تراها فتعجبك وتغيب
عنها فتأمنها على نفسها ومالك.

وقال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ، الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ وَالْحَارُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ، الْحَارُ السُّوءُ وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ»^(٣٦).

وعن محمد بن واسع قال: قال مسلم بن يسار رضي الله عنه: «ما غبط رجل بشيء ما غبطه بثلاث: زوجة صالحة وبقار صالح وبمسكن واسع».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»^(٣٧).

(٣٥) المستدرک علی الصحیحین للحاکم من حدیث سعد بن أبی وقاص رضي الله عنه (حسنه الألباني).

(٣٦) صحیح ابن حبان من حدیث محمد بن سعد بن أبی وقاص عن أبیه عن جده (صححه الألباني).

وقال عليه السلام: «تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ لِمَاهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٣٨).

قال في عون المعبود: يؤخذ من الأحاديث استحباب تزوج الجميلة إلا إذا كانت الجميلة غير دينية والتي أدنى منها جمالاً متدينة فتقدم ذات الدين، إلا إذا تساوت في الدين فتكون الجميلة أولى، يعني إذا تساوت امرأتين في الدين وكانت إحدهما أجمل فتقدم الأجل، لكن إذا كانت الجميلة ضعيفة الدين رقيقة الدين، وغير جميلة لكنها دينية فينبغي يقدم الجميلة؟! فينبغي أن يقدم الدينه طبعاً، نعم.

طبعاً هناك فكرة مغلوطة يلبس بها إبليس على بعض الشباب، فقد يرى الواحد منهم فتاة يروقه شبابها ولكنها ليست ذات دين فيدعي أنه يريد من وراء الزواج منها أن يصلحها، ويقول إنه يتزوجها حتى يصلحها ويقومها ويدعوها، بلا شك أن هذه الفكرة فكرة خطيرة، وهي من تدليس إبليس، وفكرة غير مأمونة ولا مضمونة، فقد رأينا في الحياة الواقعية كثيراً من الشباب كانوا يريدون الإصلاح فأفسدتهم تلك الزوجة، وهذا يذكرنا برجل تزوج امرأة من الخوارج وقال أنا أردتها عن مذهبها الرديء، فذهبت هي به وفتنته عن مذهب أهل السنة والجماعة، وضاع معها في هذه البدعة، فينبغي الالتفات لهذا الأمر، لا يحتل في هذه الرحلة الخطرة رحلة الزواج والإبحار بها في عالم كعالمنا الذي يموج الآن بالفتن يعني مع احتمال أنها لا تستجيب له، لكن هل معنى ذلك أن هذه المرأة إذا كانت من بيت طيب ويعني فيها صفات طيبة وهو راغب فيها ولكنها غير دينية تُدعى إلى الالتزام، تدعوها القريبات والأخوات أو الداعيات إلى الالتزام بالدين، والمطلوب أن تلتزم طاعة لله ورسوله وليس من أجل فلان، وكل واحدة متبرجة تقول عندما يتقدم لها فلان مستعدة

(٣٧) سنن النسائي، مسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

(٣٨) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مش بس تتحجب كما يقولون تتنقب أيضًا، كأن الأمر معلق بطاعته لكي لأنها لا تريد وجه الله ﷻ بهذا الحجاب، لكنها تتحجب طاعة لله ولرسوله حتى لو لم يرغب فيها بذلك الأزواج، لأن الطيور على أشكالها تقع، فالرجل الصالح يبحث عن المدينة، والفاسق أيضًا يبحث عما يعينه أيضًا على يعني هواه، فالشاهد أن هذا مسلك خطر، ورحلة الزواج رحلة عمر كامل وليست نزهة سويعات قليلة، فنبغي الدقة والتحري في الاختيار.

يلقب القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله على قول النبي ﷺ «فَاطْفِرُ بَدَاتِ الدِّينِ» يقول: إن اللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم في كل شيء، لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره؛ ولهذا اختاره النبي ﷺ وأبلغ وأمر بالظفر به، الذي هو في غاية البغين ومنتهى الاختيار، والطلب الدال على تتضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة، يؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ «إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(٣٩) أي الدنيا كلها متاع زائل لكن خير ما في هذا المتاع المرأة الصالحة لأنها تسعد صاحبها في الدنيا وتعينه على أمر الآخرة، وهي خير وأبقى.

وقد روي أن أبو الأسود الدؤلي قال: يا بني قد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا وقبل أن تولدوا، قالوا كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها.

وقال سهل التستري كلامًا معناه إني لأتعهد العهد الذي أخذه الله منا في عالم الذر قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢] إلى آخر الآية الكريمة، فيقول إني لأتعهد ذلك الوقت إلى حين ظهورهم إلى عالم الحضور وعالم الشهادة حين يولدون بالدعاء والرعاية عن طريق هذا الدعاء وحسن الاختيار.

(٣٩) سنن النسائي، مسند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، (صححه الألباني).

هذه الإجراءات الوقائية في موضوع الزواج لا يمكن أن ترى لها مثيلاً في شريعة من الشرائع أو أمة من الأمم، انظر يراعي ولده وعلى يقين أنه سبق في اللوح المحفوظ وسبق في المقادير ويعني كتابة من سيخرج من الأولاد والذرية من صلبه، فهم وإن كانوا مجهولين له فإنهم معلومون لله ﷻ، وإن كانوا معدومين في الدنيا إلا أنهم معلومين في علم الله، فهو يتعهدهم وهم في علم الله في علم الغيب بالدعاء إلى أن يخرجوا إلى عالم الغيب والشهادة، فمثل هذه الوقاية وهذه الإجراءات وهذا الإحسان حتى قبل أن يولد الأولاد لا يمكن أن تجد له نظيراً في شريعة من الشرائع.

شكا رجل لصديقه عقوق ولده له وسوء معاملته ودناءة طبعه فقال: لا تلم أحداً ولكن توجه باللوم إلى نفسك لأنك لم تتخير أمه، وقديماً قال الناس كادت المرأة أن تلد أخاها، وقال الأصمعي ما رفع أحد نفسه بعد الإيثار بالله تعالى بمثل منكح أو منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح سوء.

وقال الشاعر:

وليس النبت ينبت في جنانٍ كمثل النبت ينبت في فلاة
وهل يرجى للأطفال كمال إذا ارتضعوا ثدي الناقصات

وقال الإمام ابن عبد القوي في منظومة الآداب:

وَخَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ سَرَّهُ الزَّوْجُ مَنْظَرًا وَمَنْ حَفِظَتْهُ فِي مَغِيبٍ وَمَشْهَدٍ
قَصِيرَةٌ أَلْفَاظًا أَسِيرَةٌ بَيْنَهَا قَصِيرَةٌ طَرَفِ الْعَيْنِ عَنْ كُلِّ أَبْعَدٍ
عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَظْفَرُ بِالْمُنَى الْوُدُودِ الْوَلُودِ الْأَصْلِ بِذَاتِ التَّعَبُّدِ

وقال الشاعر:

سَعَادَةُ الْمَرْءِ فِي خَمْسٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ صَلَاحُ جِيرَانِهِ وَالْبِرُّ فِي وَكَلِدِهِ
وَزَوْجَةٌ حَسُنَتْ أَخْلَافُهَا وَكَذَا خَلِيلٌ وَفِي وَرِزْقِ الْمَرْءِ فِي بَلَدِهِ

فالزوجة الصالحة بلا شك يعني سلامة العلاقة بين الزوجين لها تأثير في غاية الخطورة على الأبناء، فهذا هو المنهج الصحيح أن يبدأ في الاهتمام بالتربية والخطوة الأولى هي الاختيار، ولا بد أن يقدم في الاختيار يعني أن تكون امرأة صالحة، فإن من أفضل ما يتخذه الإنسان كما قال النبي ﷺ امرأة مؤمنة تعينه على إيمانه، يقول المباركفوري رحمه الله أي على دينه بأن تذكره الصلاة والصوم وغيرها من العبادات وتمنعه من المحرمات إلى آخر كلامه، فالتعاون على طاعة الله يتوج التفاهم بين الزوجين ويبلغ القمة، والتعاون هو شعار المجتمع الإسلامي قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا سَعَتِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَىٰ وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢]

فكيف بالزوجين؟! وهذا رسول الله ﷺ يهيب بالزوجين بأن يجتهد كلاً منهما في إعانة الآخر على بلوغ الكمال الديني، فيحثه على أخلص العبادة لله وهي قيام الليل.

يقول أبو هريرة أو يروي أبو هريرة عن النبي ﷺ في قوله «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّىٰ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ»^(٤٠) يعني طبعاً في مثل هذا الحديث قد يكون بعض الأزواج أو الزوجات شديد العصبية أو سريع الغضب، ربما هو في حالة الإيقاظ هذه ما بين اليقظة والمنام ورشت، تجيب ماء وترشه على وجهه، هذا طبعاً يحدث كارثة، ففي هذه الحالة يعني لا بد أن يكون الإنسان لا يتمسك بالحرفية في النص، ولكن يمكن زيادة يفعل هذا بشيء لا يؤدي إلى الابتزاز يعني إن كان يضايقه ذلك أو يثيرها ويعني يضجرها ذلك فيمكن أن يستعمل شيئاً آخر، يعني كمسح الوجه بشيء من الطيب

(٤٠) سنن أبي داود، سنن ابن ماجه، مسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

أو نحو ذلك مما ينه أعصاب الوجه، فالإنسان يعني يبدأ يوفق، أبو هريرة راوي هذا الحديث امثل ما رواه عن النبي ﷺ فطبقه على نفسه وطبقه على أهله، فكان هذا ديدنه يصوم النهار ويقوم الليل، يقوم ثلث الليل ثم يوقظ امرأته فتقوم ثلث الليل، ثم توقظ هي ابنته فتقوم ثلثه، فكانوا كل واحد له وردية، وقال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبع ليال فكان هو وخادمه وامرأته يعتقبون الليل ثلاثاً.

وقال ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلِّيًا رَكَعَتَيْنِ كُتِبَا مِنْ

الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»^(٤١).

التعاون على البر والتقوى بين الزوجين له آثار في غاية الأهمية عليها وعلى ذريتهما في الحاضر والمستقبل، أما في الحاضر فإن شيوع هذه الروح في البيت وتشبع الطفل بما يؤدي إلى حبه لطاعة الله ﷻ، وكما قلنا من قبل موضوع تربية الأطفال يعني لا يأتي الإنسان بأولاده ويقول تعالوا في حصة تربية أو تعالوا نعلمكم التربية أو تعالوا أربكم، لا، موضوع التربية عملية متجددة ومستمرة ولا تتوقف أي لحظة، بالذات داخل البيت؛ لأنه هو المحضن لتربية الذرية، فالتربية كل سلوك يجري أمام الطفل هو تربية، كل سلوك، إذا رآك الطفل تجلس وتذكر الله ﷻ كثيراً بأن تقول لا إله إلا الله أو سبحان الله وبحمده أو تصلي على النبي ﷺ بدون أن تأمره بذلك، مجرد أن يراك خاشعاً منفرداً بذكر الله رافعاً صوتك به ستجده هو تلقائي يتشرب منك هذا السلوك، إذا كنت تصلي تجده تلقائياً يجلس خلفك أو قريباً منك ويحاول أن يقلدك بأفعال الصلاة، وكل مسلك يفعله الإنسان، طريقتك في الأكل، طريقتك في الكلام، تعاملك مع زوجتك، كل هذه عبارة عن حصص دائمة لا تتوقف أبداً، فسواء في البيت أو في المدرسة الإنسان أو الطفل يتفاعل مع هذه البيئة

(٤١) سنن أبي داود، السنن الكبرى للنسائي، صحيح ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري

وأبي هريرة رضي الله عنهما (صححه الألباني).

ويتشرب منها قيمها وسلوكياتها، فإذا نشأ الطفل إن بعض الناس تقصر في هذا الذي الأساس الذي نرديه الآن ونبنيه الآن في الكلام في الموضوع، ثم بعد ذلك يفرغ وهو يتصور إن موضوع الالتزام لابد أن يسقيه الابن مثل الدواء، لابد إن ابن فلان وإن أبوه ملتج وأمه منقبة لابد أن يخرج هكذا، يهمل يهمل في كل هذه المراحل كلها سواء مرحلة الاختيار أو حتى بعد ذلك لا يستدرك ويقصر ويتهادى في التقصير وإهمال أولاده حتى إذا كبر أطفاله وشبوا كما قلنا من قبل عدم التربية أو اللامبالاة بالتربية لا تعني عدم تربية، يعني بعبارة أخرى أريد أن أقول خطأ إنك تقول على واحد مش متربي، ما فيش أحد مش متربي ولكن في واحد إما مربى تربية حسنة وإما مربى تربية سيئة، الإهمال في حد ذاته واللامبالاة بالتربية سوف يخرج لك ابناً سيء التربية، ما فيش حاجة اسمها فلان مش متربي لا؛ لأن لازم أن يتربي، إما أن يتربي بطريقة صحيحة وإما يُربي بطريقة يعني مشوهة، لكن لا توجد منطقة أو منزلة بين المنطقتين هنا واضح، فهو إما مربى أو غير مربى، فالأب الذي يهمل تربية أولاده وتوجيههم سوف يخرج أولاده بدون تربية بمعنى تربية سيئة، فاللامبالاة لا تعنيك من المسئولية، وسوف تذوق مرارتها وتحصد ثمراتها المرة فيما بعد، فبمجرد ما يشب الطفل ويبدأ يدخل في مرحلة المراهقة ويعتد بنفسه يريد أن يتمرد على أبيه أو على أمه، ويلتصق بأصدقائه، ويريد أن يخرج دون أن يقول له أحد إلى أين ذاهب؟ أو يأتي متأخراً ولا يريد أن يُسأل من أين أتيت؟ ومثل هذه الأشياء التي سبق أن تكلمنا عليها طبعاً؛ لأنه لم يعود من قبل طريقة تلقائية وعفوية، أن يهيا البيئة والمحضن الذي تُربي فيه هذه الشتلات إن جاز مثل هذا التعبير، يسفر ذلك أنه يظن الالتزام لابد أن يأتي بالقهر والإخضاع، ويحاول أن يستدرك الأمر بعد أن يكون قد فات الأوان تقريباً بعدما يصل المراهقة وبدأ يفتح على المجتمع ويتفاعل أكثر مع أصدقائه، يحصل طبعاً ضعف في التدين، هذا ناشئ عن إيه؟ نشأ عن إهمال هذه الخطوات المهمة جداً التي تبدأ باختيار الأم ثم تستمر أثناء الحمل ثم عند الولادة ثم في مراحل الطفولة بأشكالها الأخرى، فالاهتمام بهذه المراحل يوفر علينا كثيراً من

العناء في المستقبل، فيصبح الالتزام بالدين بذكر الله ﷻ وتعظيم الصلاة جزء من كيان هذا الصبي؛ ولذلك أعداء الدين الذين سلكوا المسالك الحربائية لتنفير الفتيات من الحجاب وفي الحقيقة هذا وراءه بُعد نفسي مهم وهو أن البنت إذا نشأت على الحجاب من صغرها سوف تنمو على أن هذا الحجاب جزء من كيانها لا يمكن أن تتخلى عنه، ومع الأسف جرى ما جرى من أجل تخويف الآباء ودفع الفتيات الصغيرات دفعًا كي لا يرتدين الحجاب، وجاءت الحجج إن كل أب يكتب إقرار أنه موافق أن ابنته تتحجب وما حدث أكرهها، إيش معنى دي بالذات عايزين إقرار؟ لأن الناس فاهمين نفسية الشعب المصري وأنه مجرد ما يلوح بالعصا كده الواحد يقول لا مش عايزين مشاكل أنت لسه صغيرة خليكي، الشاهد يعني من الكلام إذا نشأ على هذه الأشياء من صغره ستنمو معه كأنها جزء من كيانه، هذه يده وهذه أنفه وهذه عينه، كذلك الملابس أو الصلاة أو كذا أو كذا من آداب وسلوكيات الإسلام ستصبح جزءًا من كيانه لا يستطيع الانفكاك عنه بحالٍ من الأحوال؛ فإذا لابد أن يُشبع البيت بروح من التدين وتعظيم اسم الله ﷻ وحب الله ورسوله ﷺ وتعظيم شعائر الإسلام وتسهيل انقياده لأمر الله ﷻ؛ لأن الطفل يتلقى أساسًا عن طريق القدوة الاقتداء بالأبوين كما قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾** [آل عمران: ٣٤] بعضها من بعض لماذا؟ لأن البيئة متناسقة، المؤسسات التربوية متكاملة، ذرية بعضها من بعض كما كان الأبوين صالحين أشاعا في البيت جو الصلاح وجو التدين، فنشأ من هذين الأبوين ذرية بعضها من بعض يعني متناظرة ويعني متماثلة فيما يتعلق ببركات الاستقامة على البر والتقوى في المستقبل القريب في الدنيا.

لهذا أيضًا ثمرة عظيمة فقد بين القرآن الكريم أن صلاح الآباء ينفع الأبناء، وهذا الخضر عليه السلام بنى الجدار متبرعًا فيقول له موسى قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧٧﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَوَّانٍ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَآقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾** [الكهف: ٧٧] وبين له سبب عدم أخذه على

ذلك أجراً وقال قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢] فقوله وكان أبوهما صالحًا وثيقة التأمين الحقيقية التي وفرها هذان الأبوان لحماية هذه الذرية، هي وثيقة تأمين حلال، وأقوى وثيقة تأمين في العالم، وهي تقوى الله تعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِن خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ [النساء: ٩] فهذه هي وثيقة التأمين، ليست وثيقة تأمين بالمال الحرام بالربا أو بالقمار والغرر الذي يتوفر في عامة وثائق التأمين، وإنما وثيقة التأمين هي أن تتقي الله ﷻ فيحفظ لك ذريتك وأنت في قبرك، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢] هذه هي مؤهلات التأمين على مستقبل الأولاد، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢] قيص الله ﷻ الخضر وهو على الأرجح نبي كي يقوم بنفسه بصيانة ماليهما في وسط هذه القرية البخيلة المعروفة بالبخل كي يشبا ويحفظ لهما هذا المال وينتفع هما به، وكان التأمين لهذا كله صلاح الأبوين، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٨٢] إذا نشأت الذرية على طاعة الله ﷻ وتعظيم دينه سهل عليهم أمر التكاليف الشرعية حين يبلغون فيستحقون بشارة الرسول ﷺ

الواردة في قول النبي ﷺ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»^(٤٢) ذكر منهم «شَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ» شاب نشأ في عبادة الله أي ما يعني نشأ؟ يعني: نشأ من صغره يسهل له وأعين على أمر الطاعة، حتى إذا ما أتى لمرحلة الشباب والفتوة وثورة الشهوات إذا به يثبت ويستقيم رغم شدة هذه الشهوات، ويؤثر طاعة الله ﷻ وعبادته، فتأملوا كلمة «نَشَأَ» إذاً التعاون على البر والتقوى له آثار عظيمة عليها وعلى ذريتهما في الحاضر والمستقبل، في الحاضر يؤدي إلى تشجيع الأبناء بطاعة الله ﷻ وحب الله ورسوله ﷺ، وتكون الذرية بعضها من بعض، أما في المستقبل القريب في الدنيا فإن صلاح الآباء ينفع الأبناء، قال الخضر قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^(٨٢) [الكهف: ٨٢] فإذا نشأ الطفل على طاعة الله ﷻ وسهل له هذا الأمر وأعين عليه، فإنه حين يبلغ يسهل عليه التكليف الشرعية ويستحق بشارة النبي ﷺ في قوله «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» منهم «شَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ».

ليس هذا فحسب، إذا فارق الأبوان الدنيا نفعها دعاء الولد الصالح كما في الحديث «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ»^(٤٣) وذكر منها «وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ» فهذا هو النفع المستمر بعد موت الإنسان، فكما قلنا من قبل إن تربية الأولاد تربية إسلامية على أساس الإسلام تجارة رابحة، تجارة لن تبور، أي تربية غير التربية الإسلامية هي تربية

(٤٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٣) سنن الترمذي، سنن النسائي، صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (صححه

مشئومة، فمن أتى بالأولاد من أجل أن يجمعوا له المال ربها خذلوه، فإن طلب الذرية لأجل كذا وكذا من أعراض الدنيا ربها حُرِّم من ذلك وعوقب بنقيض قصده، من شغله أولاده عن طاعة الله ﷻ واستحل الحرام من أجلهم يكونون شؤماً عليه ويكونون سبباً في عذابه، فيرى منهم العقوق وسوء الأدب وذلك، أما الاحتمال الوحيد الذي تصح فيه الأولاد تجارة لن تبور فهو أن يربيهام عباداً صالحين وينشئهم في طاعة الله ﷻ، فإنه ينتفع بذلك كما قلنا في الحاضر والمستقبل، وينتفع أولاده أيضاً بهذه الفضائل كما ذكرنا، حتى إذا فارق الأبوان الدنيا نفعهما دعاء هذا الولد الصالح في قبريها، وإذا استقامت الذرية بعد فراق الأبوين على هذا العهد كان اللقاء بينهما من جديد في جنة الخلد ودار القرابة، يقول الله ﷻ: **قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾** [الطور: ٢١]؛ ولهذا قال أحد الصالحين: يا بني إني لأستكثر من الصلاة لأجلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت **قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١﴾** **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾** [النجم: ٣٩] أنزل الله تعالى بعد هذا **قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾** [الطور: ٢١] يعني بإيمان، فأدخل الله ﷻ الأبناء في صلاح الآباء في الجنة، تأملوا في كلمة **﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾** فالأبناء يدخلون تبعاً للآباء إذا كانوا صالحين الجنة، يقول ابن عباس في رواية أخرى: إن الله ﷻ ليرفع ذرية معه في الجنة وإن كانوا أقل منه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ **قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾** [الطور: ٢١] أي ما نقصناهم من عملهم من شيء، فحتى لو كانوا - الأبناء - أقل في الدرجة من الآباء لكنهم يرفعون لدرجة الآباء في الجنة.

وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي، يعني يدخل في الصلاة فيتذكر أبنائه فيزيد في الصلاة وفي الخشوع وفي الصلاة كي يزيد تقرباً من الله تعالى وصلاًحاً، مما يترتب عليه أن ذلك ينفع الذرية في الدنيا والآخرة؛ إذا التقوى والعمل الصالح الذي يتعاون عليه الزوجين أعظم ذخيرة يدخرها الأبوان لحماية أولادهما، وأوثق وثيقة تأمين على مستقبل أولادهما، وأقوى ضمان لسلامتهم ورعاية الله لهم في حياتهم وبعد رحيلهم خاصة إذا تركهم ضعافاً يتامى لا راحم لهم في حياتهم ولا عاصم من البشر قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾** وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ [النساء: ٩] معنى الآية فليتقوا الله في اليتامى الذين ولوا على أموالهم ويتقوا الله في هذه الأموال؛ لأن الجزء من جنس العمل؛ لأنهم لو فرطوا فيها أو خانوا أو ضيعوا الأمانة فقد يموتون هم ويصير أولادهم بعدهم يتامى وضعافاً فيشربون من نفس الكأس، والجزء من جنس العمل قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾** وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ [النساء: ٩].

نعود إلى الصفات المرغوب فيها في الزوجة، في الدين ثم ثمانية النسب، فإن في النسب وهو السلالة الطيبة أهمية في الإسلام فإن الوراثة المولود لا يحدها أبواه مباشران فقط بل هو يرث من جده وآباء جدوده وجدود جدوده وهكذا فيأخذ من كل طبقة من طبقات الأجيال قدرًا من الصفات والسمات فهو مرتبط من السلالة من جهة الأب وجهة الأم، ولهذا يقول الرسول ﷺ «تَحَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»^(٤٤) ويرغب في أفضل الأكفاء، وأفضل الأكفاء على الوجود هن القرشيات أفضل نساء العالم، يقول النبي عليه الصلاة والسلام واصفاً القرشيات ذوات النسب بأوصاف فريدة فيقول «خَيْرُ

(٤٤) سبق تخريجه.

نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»^(٤٥) أحناه يعني أكثر شفقة على الأولاد والحانية على وليدها هي التي تقوم عليهم إذا مات الأب فلا تتزوج، وهذا النسب العريق من نساء قريش الصالحات من له فقد حصل مطلبه وجمع الله له في أهليه خيراً كثيراً.

يتعلق الأمر أيضاً أمر النسل أو النسب أنه يفضل يعني على الأقل من الناحية الطبية أن تكون الزوجة من غير القريبات طلباً لجودة النسل وتكوين صلات جديدة بين الأسر داخل المجتمع، وقد يسبب الزواج من القريبات ضعفاً ملحوظاً في المولود موجودة بنسب قليلة ولكن على الأقل أن علم الهندسة الوراثية يشير إلى أن النسبة تزيد إذا كان الزوجان قريبين؛ لأن البركة يصب فيها الصفات الوراثية تكون متقاربة لكن هذه ليست قاعدة مطردة فقد ثبت زواج الأقارب وليس أعظم ولا أشرف من علي ابن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا إنه في الغالب وفي كثير من الأحيان يؤدي إلى قطيعة الرحم للأسف الشديد، فيعني اتساع الدائرة مما يعمق الصلات الاجتماعية خارج دائرة الأقارب إلا إن المسألة لا ينظر إليها من زاوية واحدة المسألة سيكون فيها كثير من المرجحات ولا يتحكم في نوع الاختيار عنصر واحد لكن انظر إلى الإنسان فربما يتنازل عن شيء في سبيل شيء فهذه أمور يعني نسبية.

من الصفات المرغوب فيها السن، فإن لسن الزوجة دوراً في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية فإن الزوجين الذين يولدون من زوجين في ريعان الشباب يعيشون من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة، وده طبعاً كلام طب أيضاً لكن والله الحمد ويخذلون ونجد أزواجاً تنجب أولاداً وإن كان في سن متقدمة ولكن يكونون أذكاء وأصحاء والله الحمد فهذا الكلام قائم على احتمالات فقط وربما احتمالات

(٤٥) سبق تخريجه.

بعيدة ولكن على كل الأحوال يمكن علم الجينات بيني على أساس أن البويضة بتكون ثابتة عند التعرض لكثير من الإشعاعات بخلاف حال الرجل فبالتالي قد تتعرض لأشياء إذا كبر سنها تؤثر، نعم يقول لهذا نصح رسول الله ﷺ في نكاح الأبقار لكونهن في العادة صغيرات السن وفيهن من المميزات ما لا يجدهن في الكبيرات والثيبات فقال للذي تزوج الثيب فهلا بكرًا تضاحكها وتضاحكك وتلاعبها وتلاعبك، وهذا اللعب والمزاح والضحك في الغالب يكون في أو عند صغيرات السن لملهن إليه ويقل عند الثيبات والبكورات لكمال عقولهن، وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة فقال رسول الله ﷺ فإنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه، فيقول السندي قوله فخطبها علي أي عقب ذلك بلا مهلة يعني أصلا خطبها أبو بكر وعمر فقال لها أنها صغيرة ولكن بعد وقت بسيط جدًا خطبها علي فيعني زوجها منه، فهذا قول فخطبها علي فزوجها منه يعني عقب ذلك بلا مهلة كما تدل عليه الفاء فهم أنه لاحظ الصغر بالنسبة إليهما، صغيرة بالنسبة لمن؟ لأبو بكر وعمر، ليست صغيرة لعلي رضي الله عنه ولذلك زوجها منه، ففيه أن الموافقة في السن أو المقاربة مرعية لكونها إلى المؤلفه نعم، يترك ذلك لما هو أعلى منه يعني قد يتغاض، ودي مشكلة كثير من الأخوة في موضوع الزواج نجد الأخوة يتشدد ويريد كل شيء على كل صورة ممكنة وهو نفسه وهو أيضًا مش حسن في كل شيء، يعني فيه أشياء حسنة وأشياء غير كده ولذلك يطلب الكمال في غيره وهو نفسه مقصر في الكمال ويعني كما نقول الموضوع ينظر إليه نظرة الطائر حينما يخلق في السماء حتى يرى الصورة كاملة، ولكن إذا وقف تحت يرى ما أمامه فقط، فالمطلوب أن تكون النظرة شاملة ويمكن التغاضي عن بعض الأشياء في مقابل أشياء، هكذا تأتي الأمور والله تعالى أعطانا العقول ولم يعطينا العقول لنستعملها فقط في التمييز بين الخير والشر أو الحسن من القبيح وإنما أيضًا لما هو أدق وأخطر من ذلك؛ لأن التمييز بين الأبيض والأسود شيء سهل ولكن أحيانًا في مناطق اشتباه يجب عقل راجح بحيث أنك تستعمل العقل أحيانًا في المفاضلة حسن

وأحسن وبين شر وأشر منه فتقدم أخف الضررين أحياناً، والمسألة نسبية وتحتاج للموازنة فيمكن أن يتغاضى عن الجمال في سبيل الدين إذا لم يجد جميلة متدينة فيتغاضى عن الجمال في سبيل الدين وهو مكسب أعظم وهو الذي اختاره له النبي عليه الصلاة والسلام، ممكن مثلاً لا تكون هناك كفاءة في السن لكن في سبيل مصلحة أخرى واضح، كما يترك موضوع السن لما هو أعلى منه كما في تزويج عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم، هل يمكن لأي بكر أن يترك أن يفوت هذا الشرف العظيم أن يزوج عائشة رضي الله عنها للنبي عليه الصلاة والسلام مع الفارق الكبير بين السن بينهما الذي أنتج خير زواج عرفته البشرية على الإطلاق زواج عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم، لكن القاعدة أن يتواجد تكافؤ في السن بين الزوجين يكون في تكافؤ لكن لا يعني ذلك ما عاداه يكون جائز، يمكن للرجل أن يتزوج امرأة أكبر منه في السن لمصلحة كالتدين أو غيره ممكن رجل يتزوج امرأة أكبر منه في السن مثلاً زوجة أخيه الذي توفي وترك أطفالاً يريد أن يصون أولاد أخيه مثلاً في هذه الفتن واضح، فهذا عمل صالح ويمدح هذا الشخص على أن يضحى هذه التضحية في سبيل الحفاظ على هذه الذرية والحفاظ على هذه الزوجة، وهذا ما عرفناه من قصة جابر من هذه المرأة الشيب لأن أباه قد توفي وترك له بناتاً فأراد أن يتزوج ثيب تستطيع أن تقوم برعايتهم وتسريحهن وتربيتهن إلى آخر هذا الموضوع بما فيه موازنة وعقل وحكمة عند الاختيار.

الاختيار السيء وإن أجاز الشرع غيره مادام الرجل قادر على أعباء الزوجية وتحققت فيه كفاءة الدين والخلق وارتضته الفتاة زوجاً لها، وقد تزوج صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها وأرضاها كان يكبرها بخمسة وأربعين سنة، ومن قبل تزوج خديجة رضي الله عنها وكانت تكبره بخمسة عشرة سنة، وتزوج عمر رضي الله عنه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت تصغره بسنين كثيرة، لكن انتبهوا إلى أن القاعدة الأساسية هي التوافق والتكافؤ في السن، وهذا أيضاً من الناحية الطبية، أيضاً أمر مهم جداً لكن على أي الأحوال يمكن في بعض الحالات وإن كانت قليلة يتغاضى عن هذا الأمر بشرط استيفاء باقي الشروط الأهلية لوظائف الزواج،

فالعمدة في تحقيق السعادة الزوجية هي التوافق الروحي للزوجين، يقول النبي ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَلَفَ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^(٤٦).

أيضاً من هذه الصفات كما أشرنا من قبل صفة الجمال، تكلمنا عن الدين وتكلمنا على النسب وتكلمنا على السن، منها أيضاً صفة الجمال فإن النفس البشرية تميل بفطرتها الطبيعية إلى الصور الحسنة والصوت الجميل وجمال المنظر، كما أنها تنفر من ضد هذا، ولما كانت النفس على هذه الطبيعة أمر رسول الله ﷺ بالنظر إلى المخطوبة فقال لأحد أصحابه عندما أراد الزواج: «فَاذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا»^(٤٧) واضح اذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً، فيستحب للرجل أن ينظر إلى مخطوبته ليرى منها ما يدعوه ويرغبه في نكاحها، ولكن العقبة تأتي أحياناً من تعصب بعض الناس، بعض أولياء الأمور يكون مخه يعني عقله أقصد يعني عجيب جداً، يعني ممكن يكون تاركها متبرجة في الشارع متبرجة سافرة مهتكة، ثم لما يأتي واحد يخطبها يقول ما عنديش بنات تنشاف! طب ما كل الناس يبشوفوها في الشارع واضح، فهذا تفكير ضيق ومتحجر، لا، المرأة يعني الرجل من حقه أن يرى هذه المرأة، وعلل النبي عليه الصلاة والسلام ذلك لأن هذا ادعى أن يؤدم بينكما «انظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤَدِمَ بَيْنَكُمَا»^(٤٨) أن يوجد هذا النظر مع إن شوفوا النصوص في غض البصر وتحريم النظر إلى النساء وكذا وكذا، لكن هنا لأن هذه حكمة الإسلام وروعة أحكام الإسلام في هذا الموضوع يجوز له النظر حتى لو وجد احتمال الافتتان بها لكن يجوز له لماذا؟ في سبيل تحقيق مصلحة عامة عظيمة وهي الإحصان وإتمام الزواج بود وألفة، فإن عجز عن رؤية التي يريد خطبتها لتعصب بعض أولياء يحاول أن يراها سراً،

(٤٦) صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، صحيح مسلم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤٧) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٨) سنن الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه (صححه الألباني).

فقد كان بعض السلف يتخبأ للمرأة التي يريد نكاحها ليرى منها ما يدعوه لنكاحها، انظر إلى روعة أحكام الإسلام؛ لأن بعض الناس مساكين الحقيقة نتيجة وجود فجوة للأسف الشديد الإعلام زرعها بين الملتزمين وبين عموم الناس، عندهم أفكار غريبة جداً، يعني نحن أنفسنا نفاجئ عندما نرى أنهم يفهموننا بهذه الطريقة، وهذا مش كلام نكت أو شيء لإضحاك الناس لكن فعلاً شيء لمُس في واقع الأحداث، كثير من العوام يتصورون إن المنقبة ليل نهار لابسة النقاب، أنا شايف إخوة يهزون رؤوسهم واضح لأنهم تعرضوا لنفس الكلام، بيتصور إن المنقبة أو المحجبة ليل نهار حتى في بعض الأوقات تنام بالجلباب واضح، لا لابد أن نفهم هؤلاء الناس أننا نعيش حياة سوية جداً وحياة طبيعية تماماً كسائر خلق الله ﷻ، لسنا مخلوقات غريبة آتية من كواكب أخرى لا، لكن الفارق أن المرأة المسلمة لا تبدي زينتها أمام الرجال الأجانب لكن تبدي زينتها أمام المحارم، تزين لزوجها وتنعم بكل ما أحل الله من الطيبات، فقط هناك دائرة محظورة وهي من حكمة الإسلام ونظافة الإسلام وحفاظه على الأعراض والأنساب، مثل هذه التصورات يقول لك طب لما بقى تتزوج حتتزوج إزاي؟ دي المشكلة عندهم كيف تتزوج وهي منقبة، الشرع أباح أن تكشف وجهها ليراها خطيبها، ما في بأس، بل يبيح ما هو الأكثر، ممكن أن يختبئ لها ويراه ويرى ما هو أكثر من الوجه والكفين، حلال له ذلك، انظر الحكمة في شرع الله ﷻ مع وجود احتمال إنه يمكن أن يفتتن، لكن لأجل المصلحة العظمى وهي تترتب على التوفيق بينهما فيما أحل الله ﷻ، نعم بل إن الشرع يقول إذا المرأة إذا رآها مرة ولم تكفي هذه المرة لأنه غلب عليه الحياء ما استطاع أن يراها، المنظور كان مثلاً من زاوية لا يستطيع أن يراها يطلب رؤيتها مرة ثانية، لا حرج، والاختباء فيما أظن أفضل من رؤيتها صراحة؛ لأنه إننا يراها ليحدد هل يناسبها أم لا؟ فإذا كانت لا تناسبه قد يكون خدش لشعورها، فأكرم لها بأن يكون الأمر أن لا تشعر بأن أحدًا يراها، ويتمكن من رؤيتها على سبيل الاختباء هذا أكرم للمرأة وأصون لحياتها، بحيث إذا لم يرغب فيها لا يؤذي شعورها وبيان أن كره منها كذا وكذا، لكن إذا لم

يرضاها فهذه الحالة يكون فيها مراعاة لشعور هذه المرأة، إذا لم يتمكن من رؤيتها فيمكن أن يختبئ لها ليرى منها ما يدعو ويرغبه في نكاحها، فإن لم يتمكن في ذلك أيضًا هو الحقيقة هنا الأستاذ عدنان باحارث فعن طريق الصور الفوتوغرافية يحصل عليها عن طريق بعض قريباتها سرًا يعني على أساس أنها مخرج آخر، وإن كنت أظن عن طريق الصور الفوتوغرافية مع الملتزمين بالذات مع المحجبات غير مناسب؛ لأن الصور الفوتوغرافية تختلف كثيرًا عن الصورة التي تكون عليها المرأة، وكثيرًا ما يكون فيها تدليس، لكن هذا ما قال، فإن لم يتمكن من كل هذا وقد اكتملت لديه كل شروط صلاح الزوجة واستقامة أهلها اكتفى بوصف أهله لها على الدقة يعني بالاستيصال، يُباح في هذه الحالة إن أخته أو أمه مادامت أمينة يعني تذهب وتصفها له كبديل، وإلا صرف نظره عنها إلى غيرها من النساء في الأسر الصالحة التي تقدم السنة على الأهواء، ولا يهمل الزوج هذا الجانب الذي فُطر عليه البشر بالكلية، بل عليه التوسط في طلبه وعدم التطرف، يعني صحيح الشرع رغب في الجمال لكن كما قلت المسألة تحتاج إلى ميزان، موازنة، مسألة نسبية، ممكن يضحى بشيء في سبيل شيء، فكما قلنا يعني يطلب الجمال، لا حرج أن يطلب الجمال والنسب والمال وكذا، لا حرج، لكن أهم شيء الدين، فيطلب الجمال، ولكن بعض الناس يتطرف في الجمال، يعني أتى لي أحد الإخوة مرة بورقة أنا طبعًا ما أشتغل في موضوع الخطبة ولكن هذا وما عندي إمكانيات لهذا الأمر لكن هذا حصل من حوالي مئتين سنة، أحد الإخوة الأفاضل أتاني بورقة وكتب فيها مواصفات، الإخوة والأخوات يبحثون له عن زوجة بهذه المواصفات، مش عارف زوجة ملونة عايز زوجة ملونة بعين لونها كذا والشعر لونه كذا ورقيقة البنان وكذا وكذا، أنت تروح مخرطة بتاعت كلية الهندسة يخرطوا لك واحدة، يعني فطبعًا هذا قسم الخراطة، أقصد فهذا الغلو في المواصفات والتطرف في الحقيقة ربنا ﷻ له حكمة، كل أهل أمة أو بلد في تناسب معين في الصفات، بلاد إفريقيا الناس كلها سود مع بعض، في أوروبا كذا، في بلدنا كذا، ففي تناسب ربنا ﷻ بحكمته كذا في كل في التقاء، إن الغلو والتطرف في

هذه الأشياء يعني مما لا يُحمد، فمما لا شك يعني يراعي الجمال لأن الجمال له تأثير مهم جداً في الحياة الزوجية، فرضاه بزوجته، سروره عند النظر إليها، دوام رغبته فيها ودوام ميله إليها كل هذا يريجه من تطلع نفسه إلى غيرها فيكون هذا عوناً له على غض البصر وتحصين الفرج والرضا بما قسمه الله ﷻ وقدر.

بعض الأساتذة - الأساتذة النفسيين - أستاذ كمال إبراهيم مرسى في كتاب قيم اسمه «العلاقة الزوجية والصحة النفسية وعلم النفس» يشير لبعض الاعتبارات أيضاً لعلم اختيار الزوجة نسوق منها على سبيل الاختصار، يذكر منها المنبت الحسن، فنشأة الرجل أو المرأة في أسرة صالحة وخبرته بالاستقرار الأسري مع والديه في الطفولة والمراهقة من عوامل نجاحه في الزواج، فقد تبين انتقال التوافق بين الأسر جيلاً بعد جيل، في التربية غالباً الشخص اليي يكون نشأ في أسرة مستقرة فيها التوافق بين أبيه وأمه، في الغالب هذا ينجح في حياته الزوجية بعد ذلك لأن تنتقل عن طريق التربية إلى الأسرة التي يكونها، وأشارت الدراسات إلى أن الزوجين السعيدين في حياتهما الزوجية نشأ في أسرة مستقرة شعرا فيها بالأمن والطمأنينة ولسا فيها وهما صغيرين مكانة الحياة الزوجية بين والديهما، واستنتج الباحثون من نتائج هذه الدراسات أن السعادة الزوجية في جيل الآباء تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على السعادة الزوجية في جيل الأبناء، فالوالدان السعيدين في زواجهما يقدمان النموذج الذي يغذي أمن الأبناء من التفاعل بين الزوجين والجيران والمجتمع، وهذا ما يجعل الزواج في هذه الأسرة أو الزواج من هذه الأسر مهيباً للنجاح أكثر من الفشل، لا يُقصد بالمنبت الحسن النشأة في أسرة غنية أو عائلة كبيرة، بل يُقصد النشأة في كنف والدين صالحين ينشئان أبنائهما على الدين والأخلاق ويكونان قدوة لهم في حسن الخلق مع الأهل والناس، وهذا ما عناه الرسول ﷺ من التحذير من المرأة الحسناء في المنبت السوء، الحديث ضعيف للأسف، يعني المقصود في الحديث الضعيف هذه المرأة التي نشأت في الأسرة الفاسدة تعلمت فيها سوء الخلق، فقال النبي ﷺ «إِيَّاكُمْ وَخَصْرَاءُ الدَّمَنِ» قيل يا رسول الله وما خصراء

الدمن؟ قال: «الحَسَنَاءُ فِي الْمُنْتَبِتِ السُّوَاءُ»^(٤٩) لأن المرأة التي تنشأ في هذا المنبت مغرورة بجمالها، لا تثق في نفسها ولا في غيرها، واتجاهاتها سيئة نحو الزوج، أما المرأة في المنبت الحسن فهي واثقة من نفسها، مخلصه في علاقاتها، واتجاهاتها إيجابية نحو الزوج أو نحو الزوج، الذي تأست فيه بالديها.

الحد الأدنى في هذا الشرط الذي هو المنبت الحسن ألا يختار الشاب أو الشابة الزوج من أسرة تجاهر بالمعاصي أو تتفاخر بظلم الناس أو تستخف بدينها وقيم مجتمعتها؛ لأنه إما أن يسير في ركابها فيفسد وتفسد أسرته وتفشل حياته الزوجية.

أيضاً بالمره بمناسبة الكلام في هذا الموضوع، الإنسان إذا تزوج طالباً للدنيا يُحشى أن يعامله الله ﷻ المعاملة التي يستحقها من يطلب الدنيا ولو على حساب الدين، أسمع كثيراً من قصص الزواج ما تم الزواج إلا لأن فلان ابن فلان من عائلة كذا أو قريب كذا أو أسرته كذا من ذوي السطوة والنفوذ ويعني غير ذلك والسلطة ثم إذا بهذا الذي بهذا الشيء الذي من أعراض الدنيا الذي ما زوج ابنته إلا من أجل هذا أو ما تزوج هو إلا من أجل الدنيا والجاه والمناصب وكذا إذا عند الصراعات تنقلب إلى مصيبة؛ لأن هذا الذي أراد أن يتعزى به من أعراض الدنيا هو ينقلب عند الصراعات إلى معاناة؛ لأن الله يسلط عليه هؤلاء الأقوياء وأصحاب النفوذ والمناصب فيذيقونه سوء العذاب، فربما انقلب الأمر وعانى أشد العناء لأنه أثر الحياة الدنيا، فالإنسان لابد دائماً يستصحب إرادة الله ﷻ، ولا مانع من أن يطلب الدنيا كما ذكرنا من مال وجمال أو حسب أو نسب، لكن أهم شيء ألا يكون على حساب الدين، إن وجدت هذه الأشياء مع الدين فهذا خير ما يُرجى، أما إن تعارضت فينبغي أن يقدم الدين كما بينا ذلك من قبل.

(٤٩) رواه الشهاب القضاعي في مسنده، وقال الألباني (ضعيف جداً).

أيضاً مما يذكره الدكتور كمال مرسي في هذه المعايير يقول: يفضل عند اختيار الزوج أو الزوجة مراعاة التشابه في العقيدة وفلسفة الحياة والخلفية الثقافية والاجتماعية والحضارية لكل من الشاب أو الشابة، فاحتمالات استمرار الزواج تتم عندما يكون الزوجان من مجتمع واحد متشابهين في العقيدة والثقافة والمستوى الحضاري والاقتصادي وغير ذلك من العوامل التي تجعلها متشابهين في العادات والتقاليد وأسلوب الحياة وطريقة التفكير في الأمور الاجتماعية والثقافية والدينية، فالاختلاف في العقيدة والوطن والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي يخلق اختلافات كثيرة في التفاعل الزوجي تجعل احتمالات الزواج قليلة واحتمالات الفشل كبيرة، يعني عن نفسي أنا ما أعرفه عن نسبة الزيجات الإخوة الذين يتزوجون في أمريكا أو أوروبا نسبة الفشل كبيرة جداً، ما يكاد ينجح زواج بأجنبية حتى لو كانت مسلمة؛ نظراً لهذا المعيار حتى لو كانت مسلمة، ينجح طبعاً ولكن بنسبة قليلة؛ إذاً موضوع اختلاف الثقافات والمفاهيم وطريقة التفكير؛ ولذلك أقول للإخوة دائماً أقول الأخت الأمريكية تتزوج من أخ أمريكي أسلم يعيش في نفس البيئة ويتشرب نفس المفاهيم، طبعاً التي لا تتعارض مع الإسلام، ولكنها تقاليد أو مفاهيم اجتماعية متفاوتة، فالتقارب في هذه الأمور مما يزيد نسبة نجاح الزواج.

يقول الدكتور كمال: ونعتقد أن ارتفاع معدلات الطلب في حالة الزواج الأجنبية يكون راجعاً إلى جزء كبير منه إلى الاختلاف في الخلفية الثقافية والاجتماعية والدينية التي نشأ فيها كلاً من الزوجين؛ لذا يحسن صنعاً في حق نفسه ومجتمعه كل من يختار زوجته أو زوجها من أبناء بلده وعقيدته، فاحتمالات التوافق الزوجي لهذه الحالة أكبر مما لو اختارها من فتيات المجتمعات الأجنبية المختلفة عن مجتمعه في العقيدة والعادات والتقاليد وفلسفة الحياة، يُضاف إلى هذا أن الزواج من أجنبية غير مسلمة فيه أضرار اجتماعية مباشرة وغير مباشرة على الأسرة والمجتمع حددها الشيخ مصطفى صادق الرافعي رحمته الله فيما قال في مقال له بعنوان "الأجنبية" فقال: لا تتزوجوا يا إخواني بأجنبية، إن الأجنبية يتزوج بها المسلم هي

مسدس جرائم فيه ست قذائف، مسدس قذائف فيه ست جرائم، من أهمها بوار امرأة مسلمة، فلما يتزوج الشقراء والزرقاء والخضراء وهذه الأشياء كلها ما هو كان في نفس الوقت ممكن إنه كان يتزوج واحدة من بنات المسلمين وأهل بلده من نفس البيئة ومن نفس الثقافة واضح، فمن أهم القذائف الستة التي تستعمل في هذا هو الزواج من أجنبية هو بوار امرأة مسلمة، إن هذا يؤدي لو حصل ترويج زواج من الأجنبية وترك نساء المسلمات يعني عانسات يتأخرن في الزواج أو لا يتزوجن، في بوار لامرأة مسلمة يمكن أن يتزوجها. ثانياً: إقحام الأخلاق الأجنبية على طبائنا، شكالي أحد الإخوة تزوج من امرأة أجنبية تصحبه الساعة يعني مثلاً ثلاثة بالليل حتى يقضي حاجة الكلب، ويأخذ الكلب ويذهب به لقضاء الحاجة، فالله المستعان، فطبعاً حصل ما تتوقعون، الطلقة الثانية وهي إقحام الأخلاق الأجنبية على طبائنا، ودس الفروق الزائفة إلى دماننا ونسلنا، نقاء البحيرة الجينية يندس، هؤلاء الناس إلى جيناتنا ونسلنا، ويتمكن الأجنبي في بيت من بيوتنا يملكه ويتحكم فيه، فنصح في هذه الحالة أن يكون يختار الشاب زوجته من أهل بلده، وأن توافق الفتاة على الزواج من شاب من بلدها، ويعني يُراعى التوافق في المستوى الثقافي والاجتماعي والديني. أيضاً من هذه الأمور المطلوبة وهو أمر مهم جداً، وهو نضج الشخصية والقدرة على تحمل المسؤولية في الحياة؛ لذا يفضل قبل اتخاذ قرار الزواج معرفة شخصية الزوج أو الزوجة بالسؤال عن عاداته وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية وقيامه بواجباته وتحمل مسؤوليته في العمل والأسرة، ويُسأل عن صفاته وعن علاقته بوالديه وأهله.

هذا أمر في غاية الأهمية، يعني لو رحنا ذهبنا إلى المحاكم والنيابات وهذه الأشياء التي فيها الصراعات الزوجية تكون على أكثر وأشدّها أدركنا أن موضوع الاضطراب في الشخصية سبب كامن وراء فشل كثير من الزيجات، الاضطراب في الشخصية هذا طبعاً حالة في غاية الخطورة، ويعني النقطة في مثل هذه الأشياء يمكن أن يطلع عليها الإنسان، لكن الحقيقة أننا في مجتمعنا في خلل في أمور في غاية الأهمية تتعلق بهذا الأمر وهذا الموضوع وهو أننا عند السؤال لا نراعي هذا الأمر، بعض الناس تجامل ولأنه صديقه ولأنه صحبه

لأنه قريبه يمكن أن يقول فيه كلام ليس هو فيه بالحقيقة، فهذا الموضوع ليس موضع مجاملة، لا بد أن نراعي الشخص الذي تسأله عن فلان أو عن فلانة لا بد أن يعرف ما معنى الشهادة لا بد أن يُشرح له معنى الشهادة، هذا ليس محتَمِل للمختره وليس محتَمِل للمجاملة؛ لأن بعض الناس تذهب الأخت تذهب وتمدح في أختها أو في أخيها، الأم تمدح وتنشئ قصائد المديح في ولدها أنه كذا وكذا وكذا، وهكذا نجد الناس تجامل، هذا أحد الأسباب أنه ما يعرف معنى الشهادة وما مسئوليتها في نفس الوقت، يعني المجازفة في موضوع الشهادة ينشأ عن كما قلنا عدم إدراك معنى الشهادة ومسئوليتها التي رفع الله ﷻ شأنها أيها رفعة .

نعم في عامل آخر من العوامل إن الناس بتخاف أن تقول الحق، عامل أول المجاملة، عامل آخر يمنعه ويقول أنا لو قلت فيه كلمة سيذهب يحكي له ثم تفسد العلاقة بيني وبينه، أيضاً في الخلل في معاملاتنا الاجتماعية المفروض الإنسان يحفظ السر، إذا أتاك شخص يسألك عن فلان تقول له وأنت تؤمن له أنك لن تبلغه هذا الكلام؛ لأن طبعاً إذا الكلام ده وصله سوف تكون نوعاً من النميمة وإفساد العلاقات بين الناس، فيخاف الإنسان أن يقول شهادة الحق خشية أن يصل الكلام إلى هذا الذي شهد فيه، فلا بد من كل طرف أن يحصل نوع من التأمين وحفظ الأسرار والمجالس بالأمانة، فينقل الكلام الذي قاله؛ لأن الذي ينقل الضرورة التي اقتضت أن يغتابه مثلاً أو يذكر بعض عيوبه؛ لأن في الزواج في الحقيقة ينبغي للإنسان أن يسأل عن العيوب، الشخص الذي يسأل شهادة في موضوع الزواج هو لا يسأل عن المدح لأن المدح في هذه الأمور كثيرة ولا خطر منها، بالعكس هي مرغوبة ولكن الخطر يكمن في الصفات المدمرة للحياة الزوجية يخفيها الذي يُستشهد، فالشهادة أمانة، والله ﷻ يقول ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ۚ فَإِنْ أَثِمْنَ مِنْكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ ۚ وَلْيَسْقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۚ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال تبارك وتعالى قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ

شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥]

فلا بد للإنسان إذا أردت أن تكتشف شخص تشرح له ما معنى الشهادة ومسئوليتها، وما خطر المجازفة في المديح أو الذم واضح، أيضًا أن يراعي الإنسان أن لا يسأل حاسدًا؛ لأنه يمكن أن يسأل شخص حاسد وحاقد على هذا المتقدم مثلاً أو الخطيب، حاقد عليه يريد أن لا يمضي له الزواج فيظل يذكره بصفات سيئة ويظلمه وهي ليست فيه أو يضخم من الصفات القبيحة؛ لأنه يطمع في خطبتها مثلاً أو لأنه يحسده هو وغير ذلك من أهواء الأنفس، فينبغي أن يكون إنسان عاقل لبيب منصفًا، كذلك المرأة التي تستشهد لا بد أن يُبحث فيها عن هذا العقل، من حق الإنسان الذي يريد أن يخاطب امرأة أو العكس رجل يتقدم إلى امرأة لا بد أن نعطي كلاً الحق لكلا الطرفين؛ لأن بعض الناس تخاف إنه يعرف أي سألت عليه لأن هذه ليست لعبة ليست نزهة إنما هي حياة كاملة محتمل فيها أنها مؤبدة إلى أن يموت الإنسان، فليس أمرًا هيئًا إنما في غاية الخطورة، علاقة ميثاقًا غليظًا كما قال الله ﷻ؛ فإذا لا بد أن يعطي الأمر حجمه، والخلل فيها سوف يكون فادح فيما بعد، فلا بد أن يشرح للشخص ما معنى الشهادة وما مسئوليتها وما العواقب التي تترتب عليها بأدلة شرعية التي تجيز الغيبة في مثل هذه المواضع في هذا الكلام لهذا الشخص، إلى آخر ما ذكرنا من حق كل أن يسأل إذا تقدم شخص يمكن أن تسأل هذا الشخص إلى آخر ما ذكرنا ما عنوانك؟ من أصدقائك؟ من أقربائك؟ وعنوان عملك؟ من الذي يعرفك أكثر من الناس؟ ولا بد أن يستوفي الوسع بحيث ما قدر شيء بعدها نقول قدر الله وما شاء فعل لأنه ما قصر، لكن إذا قصر فإن الثمن يكون فادحًا.

فيما بعد نقطة نضح الزوجين وقدرتهما على تحمل المسئولية في الحياة من الأمور المهمة جدًا ذات التأثير الخطير على التوافق الزوجي، فلا بد قبل اتخاذ قرار الزواج من معرفة شخصية الزوج أو الزوجة، سؤال عن عاداته وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية وسلوكه، إذا

غضب هذا الإنسان إذا غضب هل التقوى تردعه أم أن لا شيء يحجزه عن الظلم والتيادي في العدوان؟ إذا غضب هل يسيطر عليه الشيطان أم أنه إنسان عاقل؟ هل هذا الإنسان مطلق؟ كثير الحلف بالطلاق، إذا كان تزوج من قبل مثلاً مستهتر وهو يبيع وهو يشتري وهو زعلان مع صديقه يطلق وعليه الحرام بكذا ومش عارف الطلاق كذا، ويفعل السوقة والرعاغ هذا كله مما ينبغي أن يُبحث عنه، عادات الشخص، أخلاقه وعلاقاته الاجتماعية، قيامه بواجباته، تحمل مسؤوليته في العمل والأسرة، كذلك يُسأل عن أصدقائه، كذلك أمر مهم جداً وهو بعض الناس تكون داخله على موضوع الزواج وهي واضحة تصور مثالي، لا بد أن يكون كل شيء مائة في المائة، لو حتى واحد قال له عيب في الشخص خلاص ينفر منه أو منها، لأ إحنا بنبحث ليه عن العيوب؟ أمر مهم جداً كلنا بشر ولا يوجد أحد ليس فيه عيوب، إحنا بنبحث عن العيوب من أجل تحري العيوب التي لا تحتل زي في دائرة عيوب، كل واحد منا فيه عيوب وفيه نقص لكن في دائرة الاحتمال التي لا تهدد الاستقرار الأسري، فلا بد من تقبل هذه العيوب لأن كل طرف فيه عيوب بلا شك، لكن الأهم العيوب الخطيرة التي تهدد الاستقرار الأسري، هي دي المفروض التي تفتش عنها، مش إنك تبحث عن واحد كامل مهذب لا عيب فيه، لن تجد إلا رسول الله ﷺ، وبالتالي ما كان أحد سيتزوج من أحد، لكن نحن نكون عقلاء ومنصفين ونكون متدينين، فيبحث الإنسان عن العيوب ليس لأجل العيوب التي تدخل في دائرة الاحتمال كالتقص البشري الموجود في كل إنسان، لكن نفتش عن عيوب نتأكد من خلو الشخص أو الشخصية من العيوب التي تهدد الاستقرار الأسري وتحطم التوافق الزوجي، وفي التحري بهذه المسألة مصلحة للطرفين، مادام عيوب تهدد الاستقرار فيفضل التحري وعدم الإقبال على هذه المغامرة في راحة للطرفين لأن العواقب بعد ذلك تكون مضاعفة، أي نعم فأيضاً نرجو الالتفات لهذا الأمر، والتعقل عند النظر إلى العيوب، لا بد من الموازنة وتقبل العيوب التي تدخل في الدائرة المحتملة، لكن الخطر المهم أن تبحث عن العيوب التي تدخل في الدائرة التي لا تُحتمل ولا يمكن الغض عنها التي تمثل أركان وأعمدة الزوجين، فكما قلنا يُسأل عنه عن

شخصيته، عاداته وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية، قيامه بواجباته وتحمل مسؤولياته في العمل والأسرة، يسأل عن أصدقائه وعلاقته بوالديه وأهله، فقد تبين من الدراسات أن الشاب المدلل لا يستطيع تحمل مسؤوليات الحياة الزوجية؛ لأنه اتكالي يتوتر ويقلق عندما لا يجد من يصرف له أموره، وتفشل حياته الزوجية عندما لا يجد عند زوجته الحماية والرعاية، أشرنا إليها من قبل في موضوع الفطام النفسي، إن ممكن رجل يكون رجلاً وتجاوز مثلاً سن النضج بكثير ومع ذلك لم يُفطم فطام نفسي عن أمه، كذلك الأم التي لا تُفطم عن والدها وتنكد عليه حياته بسبب هذه العلاقة المرضية إنها ما زالت عيزاك طفل تحت سطوتها وتحت إمرتها وتصرفه تصريفاً، يعني هذا طبعاً مما ينبغي أن يُراعى.

كذلك الفتاة التي تُدلل في أسرتها تشعر بالقلق في حياتها الزوجية لخوفها من الفشل في تحمل مسؤولية البيت والزواج، وتوقعها التذليل من زوجها كما كانت أمها تدللها، لا إن كانت في بيت أمها إذا أرادت أن تشرب تقوم أمها تأتي لها بالشراب الآن هي زوجة ومسئولة لا بد أن تتحمل يعني المسؤولية، كما وُجد أيضاً أن الشاب الذي تعود على المروق عن سلطة والديه لا يقبل قيود الحياة الزوجية ويمرق عليها، ويعيش حياته الزوجية دون مراعاة لحقوق الزوجة عليه، ويطلب الحصول على امتيازات لا تحصل عليها زوجته، ويغضب عندما تتعارض مطالبه مع مطالب زوجته، ويصعب عليه التوافق معها لأنه تعود الحصول على نصيب الأسد، تعود على امتيازات.

أما الشاب الناضج انفعالاً فيكون زوجاً ناجحاً قادراً على ضبط نفسه عند الغضب، وعلى تحمل مسؤوليته الأسرية؛ لذا يتفق علماء الاجتماع العائلي على أن نضج شخصية الزوج أو الزوجة وتوفر الصحة الجسمية أهم من المال والجمال والتعليم في نجاح الحياة الزوجية.

الآن تكلمنا على بعض الصفات المرغوبة في الزواج، أيضاً من هذه الصفات التي تُطلب في المرأة عكس ما يشيع الآن في المجتمع يقول لك بتشتغل إيه؟ لا الحقيقة الصفات المرغوبة في المرأة أنها بتكون ربة بيت، الذين يسمونها خطأً وظلماً وعدواناً عاطلة، عندهم امرأة عاملة وامرأة عاطلة، كأن المرأة التي تربي أولادها عاطلة! يا للهول! هذه مصيبة عظيمة

ومؤامرة على أمة الإسلام والمسلمين كما سنين، إن التفرغ لتربية الأولاد وللبيت من أعظم الصفات المرغوبة في المرأة، التفرغ للبيت والأولاد والزوج من أعظم الصفات المرغوبة، كما يُرغب في الجمال والدين يُرغب أيضًا أن تكون المرأة متفرغة لزوجها وأن يكون عمل المرأة الرئيس تدبير البيت ورعاية الأولاد، فلا يشغلها عن ذلك شاغل أيًا كان، فإن الطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، يعني ألا تلاحظون أن الشرع جعل في حالة انفصال الزوجين جعل الحضانة من أجل من؟ المرأة؛ لأن المرأة أحق بهذا من الرجل لأنه ينظر لمصلحة هذا الطفل أو هذا الرضيع؛ فلذلك جعلها للمرأة، هذه المرأة إذا تزوجت تسقط حضانة المرأة وتؤول إلى غيرها، لماذا؟ لأن إذا تزوجت المرأة تنشغل بواجباتها نحو الزوج الجديد عن أداء حقوق هذا الطفل الرضيع، فالشرع يؤمن لهذه الطفولة حقوقها، إذا تزوجت تسقط حضانتها لماذا؟ لأن في حقوق للزوج، فتتزاخم مع حقوق الطفل، لحماية هذا الطفل والتشريعات التي تؤمن له حقوقه في الحضانة ومقتضياتها مع أنها أمه تسقط حضانته لماذا؟ لأنها بانشغالها بحقوق الزوج يسقط حضانة الطفل وتؤول إلى من هي أهل، إذن الحضانة ليست حضانة رياض الأطفال ولكنها دور الإيواء، يصبح الطفل المسكين سنة أو سنتين والأم بتشتغل وبتربيه في دور الإيواء، فالحضانة بيسموها أحياناً دور إيواء، فهذا ظلم؛ لأن الطفل له حق في أمه أهم من العمل وأهم من الشغل وكذا وكذا، فلا يمكن أبداً دور الإيواء هذه التي تأخذ الصغار في الأقسام الداخلية ويتركون فيها فقط، يُقدم لهم الطعام والألبان مع هذه الأشياء مع إغفال الحقوق المهمة بالنسبة للطفل، ومع ذلك فهل مشكلة الطفل إن شخص يأكله أو يشربه أو يرضعه من الزجاج أو ينظفه، ما دي شغلانة سهلة تبقى خادمة أو أي حد، لكن الأم بالذات لأن الأم هي التي تتقن وتحسن أداء واجبها وصيانة هذا الطفل؛ إذا الطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وإن كل أمرٍ تقوم به خلافاً لتدبير أمر البيت ورعاية أطفاله إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال وعلى حساب الجيل القادم من البشرية، والمرأة تكون عاصية لله ولرسوله

عَلَيْهِ السَّلَامُ إن هي أهملت شيئاً من بيتها بانشغالها خارجه، قال النبي عليه الصلاة والسلام
 «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا عَلَى زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ
 رَعِيَّتِهِ»^(٥٠) المرأة راعية في بيت زوجها، شوف دائرة العمل «فِي بَيْتِ زَوْجِهَا» ما قال في
 المصنع ولا في المتجر ولا في كذا وكذا، إنما قال في بيت زوجها، وهي دائرة العمل الأساسية
 بالنسبة للمرأة، المرأة العاملة التي تخرج بدون عذر؛ طبعاً لأن كثيراً من النساء يكن
 معذورات بالعمل، لكن نقول إن المرأة التي تخرج بدون عذر وتعمل من أجل الحصول على
 المال والمكياج وكذا من هذه التفاهات هذه امرأة هاربة، هي هاربة من الوظيفة، وظيفة
 مقدسة، تبقى المرأة فيها مطالبة خلال الأربع والعشرين ساعة، ممكن يجي أمر استدعاء في
 أي وقت، مثل طبيب الطوارئ، الساعة أربعة بالليل تقوم لإرضاع الطفل الذي يصرخ،
 حسبها يأمرها تمتل وتطيع وتنفذ في وظيفتها، وكيف تُسمى امرأة عاطلة؟! هي المرأة التي
 تخرج هذه هي امرأة هاربة، هاربة من الوظيفة المقدسة، والخطر يكمن في مائدة توسع الحالة
 في عمل المرأة وانشغالها عن أولادها خارج البيت وأصبح هو القاعدة في المجتمع، فإنه
 يُخشى ولأنه انتشر بقى موضوع خروج النساء للعمل كما هو منتشر الآن عندنا في بلدنا فإنه
 يُخشى بعد فترة من الزمن انتشار ظاهرة، عارفين هناك في أطفال الأنابيب، هناك أيضاً
 أطفال المفاتيح، أطفال المفاتيح يقول لو الموضوع استمر طبعاً يعني أظنه الأخ سعودي،
 يعني يقول لو ظل موضوع خروج الأمر وهو خروج المرأة للعمل تنشأ ظاهرة أطفال
 المفاتيح، إحنا بقى سبقنا الناس في هذا وعندنا أطفال المفاتيح، من هم أطفال المفاتيح؟ الي
 يبقى معاه مفتاح الشقة ويرجع بعد الظهر أو بالليل إلى الشقة من الكلية وداخل البيت
 لوحده معاه مفتاح الشقة لا يجد أمه ولا أباه، فيقول فإنه إذا أصبح عمل المرأة هو القاعدة
 في المجتمع إنه يخشى بعد فترة من الزمن انتشار ظاهرة أطفال المفاتيح التي يوجدوا الواقع

(٥٠) سبق تخرجه.

الشاذ، فُتْصَبَ البلاد الإسلامية ومجتمعاتها بهذا الداء الذي فُرض على أربعة ملايين طفل في أمريكا أن يعودوا إلى منازلهم في آخر النهار حاملين مفاتيح البيت الخاوي من الأبوين العاملين، وهذا الإهمال ربما سبب للأطفال إحباطًا شديدًا وانحرافًا في سلوكهم؛ ولهذا أدركت منظمة الصحة العالمية الخطورة التي عليها أطفال العصر الحاضر في الدول التي تعمل فيها المرأة فأوصت بتفريغ الأمهات ثلاث سنوات لكل طفل جديد، يعني أنا مش عارف هم بيشتغلوا إزاي؟! مرة أجازة عمل وبعدين أجازة وضع، حتى الصحة العالمية عاملة لهم يعني خليه ثلاث سنوات تفريغ لكل طفل جديد، ما هذا العذاب؟! طيب لو جلست في بيتها أحسن وأكرم لها وبعدين عندنا كم من ملايين الشباب لا يجدون عملاً خريجي الجامعات، ما تكاد تهنته بالباكالوريوس والليسانس حتى تعزبه بعدها مباشرة لأنه ما يجد عملاً، وهؤلاء يشغلن المكاتب بصورة عجيبة، وهن عطلة في كل مكان، ولكن إما الثرثرة في التليفونات أو مع الموظفات معهن في المكاتب وإما أشغال الكروشيه، وأنا كنت أعمل في مركز صحي وكن يأتين الطبيبات بالملوخية وتحطه في الدرج من أجل لما يأتي التفتيش تدرك أن تجبأها في الدرج، وكان طعام البامية والملوخية وبيقطعوها في داخل المركز الصحي، وأحياناً يدخلوا في غرفة لوحدهم ولا يزلن شغالين في هذه الأشياء، وتنزل السوق تشتري وهي في أثناء فترة العمل، يعني لماذا لا تحترمن الفطرة ومقتضيات هذه الفطرة لم؟ لأنهم بيوزنوا المال بموضوع الخلل في التربية، لأن عندنا أمية تربوية ما بنحسش أنها خسارة، ولكن دائماً نرجح الجانب الذي يأتي بهال، وأول ما تأتي فرصة للعمل في الخارج ممكن الأب والأم يسافروا ويتركوا الأولاد، لم؟ لأن أهم شيء المال، لكن لو أعطينا موضوع الخسارة في الناحية التربوية قيمتها الحقيقية لن نقول ستخذ قراراً يعني دائماً بترجح المال أو بترجح القعود في البلاد مع الأولاد؟ لا بيكون في موازنة ولكن أعطي الموضوع حجمه، ولكن أعط الخسارة حجمها من أجل أن الميزان يوزن تبقى ويأخذ وزنه الحقيقي ولا تفقده بالكلية من حساباتك، وبعد ذلك تقول كسبت مال الدنيا وخسرت أولادي كما

يحصل الإهمال والفساد الأخلاقي في الشباب نتيجة غياب الأبوين خارج البيت في العمل وهكذا، نعم.

يُضاف إلى ما تقدم من الجوانب الهامة من اختيار الزوجة المناسبة أن يتأكد الخاطب من موافقة المخطوبة ورضاها من الزواج وأنها غير مكرهة عليه؛ لذلك تدوم المودة بينهما ويتحقق السكن النفسي لهما الذي امتن الله به على الناس وجعله آية من آياته الباهرات، إذ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الروم: ٢١].

ويُشرع للرجل إذا هم بخطبة المرأة أن يستخير الله الاستخارة الشرعية الواردة في السنة، وأن يلهج بالدعاء والتضرع لله ﷻ بأن يوفقه بزوجةٍ صالحة طيبة، ولا ينبغي أن يهمل ذلك، فإن الدعاء والاستخارة من أعظم أسباب التوفيق والسعادة والثبات للمسلم، ولكن كعادتنا دائماً نحن قابلون للتطرف في كل شيء حتى في موضوع الاستخارة، كثيراً ما نسيء استعماله، بعض الناس يصلي استخارة وعند أول عقبة يستسلم ويقول هذه أكيد من أثر الاستخارة، أنا استخرت ربنا والموضوع تعقد، هذا خطأ أي عقبة لا بد أن تبذل كل ما في وسعك من الأسباب كي تقضي عليها واضح، فبعد استفراغ الوسع ستكون مضطراً، لكن ما دامت هناك أسباب احترم الأسباب، لا تستعمل الاستخارة كشاعة لتوصد هذه الأبواب، لكن حاول أن تتغلب على هذه العقبات، وتجاوزها وواجه عقبة ثانية وهكذا وهكذا، لكن ما تجلس الاستخارة سبباً لفشلك في كل محاولة لأن بعض الناس، مثلاً يستخير يتزوج ولا ما يتزوج وبعدين أذهب إلى الشغل الفلاني ولا ما أروحش، وبعد ما يستخير يقعد في البيت ولا يتحرك، يعني هل السلبية يعجز عنها أحد؟! كل الناس قادرون على السلبية، لا الاستخارة تصلي الاستخارة ثم تشرع بإيجابية، لا تأخذ الجانب السلبي وتقول أنا استخرت وبالتالي تعلق هذا التكاسل وهذا التواني وهذا التقصير على شاعة الاستخارة واضح، السلبية لا يعجز عنها أحد، خذ إجراءات إيجابية ثم إذا توقف الأمر

وأعمل عقلك، وضم إلى استخارة الخالق ﷻ استشارة الخلق أعمل عقلك، الله ﷻ أيضًا أضف إلى عقلك عقول الآخرين عن طريق الاستشارة والتشاور مع الناس العقلاء الناصحون الأمناء الذين يجوبون لك الخير المنصفون، تتشاور وتتفاعل وتكمل النقص الذي في عقلك بأن تضم إليه عقولهم، ثم تضم استخارة الحق الخالق إلى استشارة الخلق، ثم تتوكل على الله ﷻ، وإذا عزم فتوكل على الله، لكن لا أحد يعجز عن العجز الذي تعود منه النبي عليه الصلاة والسلام «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»^(٥١) والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»^(٥٢) الحديث يعني منهاج حياة؛ لأن كلمة «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»، فانظر إلى كلمة ما ينفعك في دينك أو في دنيا احرص عليه، وخذ بالأسباب، واحترم يعني السنن، ولا تجعل الاستخارة شاعة تعلق عليها فهمك السقيم للاستخارة ومعاني الاستخارة، نكتفي الليلة بهذا القدر، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(٥١) سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وله شاهد في الصحيحين من حديث

أنس رضي الله عنه.

(٥٢) سبق تخريجه.

التسريط الثالث

حقوق الزوجية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فقد شرعنا الأسبوع الماضي في الكلام حول مسئولية الأب في تكوين الأسرة، وبدأنا بمحاضرة بعنوان "من هنا نبدأ" والإشارة إلى اختيار الزوجة، فهذه أول خطوة سليمة على طريق يعني التربية الحسنة للأولاد، فإن من أول حق الولد على أبيه أن ينتقي أمه، وذكرنا يعني الصفات أو الأوصاف التي ينبغي أن ترغب في المرأة التي يريد الإنسان أن يتزوجها، وأعظمها على الإطلاق هو الدين، كما قال النبي ﷺ: «فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٥٣).

ثم تكلمنا على النسب، ثم على السن، ثم على الجمال، ثم على التفرغ، وناقشنا إلى حد ما وإن شاء الله سيأتي مزيد تفصيل لهذه النقطة، إن المقصود بالتفرغ تفرغ المرأة أساساً لتدبير البيت ورعاية الأولاد فلا يشغلها عن ذلك شاغل، وأن هذه أقدس وظيفة خلقت لها المرأة، وأشرنا أيضاً إلى ظاهرة أطفال المفاتيح كأطفال الأنايب الذين يعودون بعد الظهر فلا يجدون أباً ولا أمّاً، فالأم في العمل والأب في العمل أو على المقهى أو مع أصدقائه، ويعود أطفال المفاتيح بالمفاتيح وحدهم يحيون هذه الحياة يعني الموحشة، وسناقش إن شاء الله فيما بعد ظاهرة الأب المنفرد بتربية الأولاد نتيجة غياب الأم أو الأب في سفر وغير ذلك وأثر

(٥٣) سبق تخرجه.

ذلك على تربية الأطفال، ذكرنا أيضًا الكلام على أهمية الاستخارة، الاستخارة في موضوع الزواج بالاستخارة الشرعية، وكذلك الدعاء لأنها من أعظم أسباب التوفيق والسداد في أمور المسلم كلها.

من هذه الأمور أيضًا التي ضبطها الشرع أو جعلها من مسؤوليات الزوج أن يقيم وليمة العرس، وليمة الزواج، فيُستحب للرجل أن يقيم وليمة بمناسبة زواجه يدعو إليها بعض أقربائه وأصدقائه لقول النبي ﷺ «أَوْلِمُ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٥٤) وفي الوليمة وما يحصل لها من الاجتماع والسرور يعني علامة على أولاً إشهار للزواج أكثر وأكثر، وتعبير عن الفرح والابتهاج، وفيها إدخال السرور على الأسترتين واضح، فهي لها آثار نفسية مهمة جداً بالنسبة لإظهار البهجة لهذا الزواج والإعلان عنه، ولو أننا تمسكنا بسنة النبي ﷺ في أمر الوليمة لوفر علينا كثيرًا من الإرهاق المادي الذي يحصل بسبب المظاهر الكاذبة التي يتمسك بها الناس في هذا المجال، بعض العلماء أوجب الوليمة على الزوج لقول النبي عليه الصلاة والسلام «أَوْلِمُ وَلَوْ بِشَاةٍ» وأكثر العلماء على أنها غير واجبة وإنما هي مستحبة؛ فلذلك لا ينبغي للزوج أن يزهّد في أداء هذه السنة المباركة اقتداءً بالرسول ﷺ وخروجًا من الخلاف الفقهي في وجوبها.

وقوله «أَوْلِمُ وَلَوْ بِشَاةٍ» في الوليمة بالذات لا يشترط الذبح كما هو الحال في العقيقة، وإنما يولم بأي شيء حتى لو جمع تمرًا أو ثريدًا أو أي شيءٍ يعني أي طعام يصلح لأن يكون وليمة، ولا يُشترط أن يذبح له.

يُستحب إذا أمكنه ذلك أن يختار شهر شوال لعقد النكاح وللوليمة والدخول بالزوجة لاستحباب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك، على أن يراعي في وليمته وتجهيز بيته تجنب الإسراف والبذخ.

(٥٤) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

ثم يذكر بعد ذلك أدب الدخول على الزوجة، ويعني يُستحب له أن يدعو الله ويسأله من خيرها وخير ما جُبلت عليه، وهنا دعاء مأثور «اللَّهُمَّ اجْمَع بَيْنَنَا مَا جَمَعْتَ إِلَى خَيْرٍ، وَفَرِّقْ بَيْنَنَا إِذَا فَرَّقْتَ إِلَى خَيْرٍ»^(٥٥) وأظن والله تعالى أعلم أن هذا الدعاء والشطر الثاني منه بالذات الذي فيه الإشارة إلى التفرق يمكن أن يقوله سرًا، لا يجهر به في مثل هذه المناسبة والله تعالى أعلم، كالحال عند الدعاء عند رؤية المبتلى فإنك تقول «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»^(٥٦) فيعني يُفضل في هذه الحالة أنك لا تواجه الإنسان المبتلى بمرض أو بأي نوع من الابتلاءات لا تواجهه بقولك «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ» فالأولى أن تسر بذلك لكي لا تؤذي شعوره، وإنما تتحدث بنعمة الله ﷻ عليك وتدعو بهذا الدعاء كي تُعافي من نفس هذا البلاء، إلا إذا كانت معصية والجهر بهذا الدعاء مما يزر المبتلى بالمعصية أو الفسق ولا يترتب على ذلك فتنة.

ذكر في الحقيقة بعض الأشياء هنا منها آداب شرعية كالأدعية المأثورة عند ذلك وغيرها من الأمور، الحقيقة هي في غاية الأهمية وأيضًا في غاية المناسبة لهذا الموضوع الذي نتكلم فيه، نحن نتكلم في موضوع تربية الأولاد، وأشرنا إلى أن العلاقة بين الزوجين علاقة في غاية الخطورة من حيث انعكاس آثارها وطبيعتها على نفسية الأولاد وعلى تربيتهم، إذا كان هناك شقاق ونزاع بين الزوجين وعدم توافق فإن هذا بلا شك سوف ينعكس على الأولاد ويدفعون هم الثمن؛ فلذلك اهتمت الشريعة وكذلك الدراسات النفسية بخطورة العلاقة بين الزوجين والاستقرار النفسي والتوافق بين الزوجين، هذا الجانب الذي يشير إليه هاهنا له في الحقيقة انعكاسات كثيرة على العلاقة بين الزوجين، خاصة في ظل الجهل الفاحش

(٥٥) مصنف عبد الرزاق، المعجم الكبير للطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (صححه الألباني).

(٥٦) سنن الترمذي من حديث عمر رضي الله عنه (صححه الألباني).

المتفشي في كل أوساط مجتمعاتنا بلا استثناء على الإطلاق، بلا استثناء يوجد جهل فاحش في هذا الجانب، هناك عادات متوحشة وهناك يعني تقاليد خربة متعفنة وهناك جهل كما قلت يعني فاحش متفشٍ وغرق يعني في هذا الجهل في مجتمعاتنا مما يترتب عليه كثير من المعاناة النفسية بالذات بالنسبة للزوجة، وهذا الجانب بالذات يعني حافل - كما أشرت - حافل بكثير من مظاهر الخلل والجهل، وبما أنه لا يُناقش بصورة يعني صحيحة فبالتالي عامة المشكلات المتعلقة بهذا الجانب يتعسر جدًا الوصول إليها أو اكتشافها، كثير من المشاكل تكون في الظاهر لها أسباب معينة هي التي يمكن أن ينطق بها الناس أو الزوجان، لكن إذا أمكن للخبير أن يغوص في أعماق المشاكل سيرجع معظمها إلى الخلل في هذا الجانب الذي لو صلح لامتنع كثيرًا من المشكلات، نكتفي في هذا الموضوع إلى أن تأتي فرصة مناسبة، وكما قلت من قبل عندنا مشكلة في تناول قضايا التربية هذه لأن بعض المشكلات لا تناسب مع مجتمع المسجد، ليس فقط لخصائص المسجد ولكن أيضًا لأن جمهور المسجد جمهور يحتوي على جميع الفئات العمرية مما يصعب جدًا تناول هذه القضايا بصورة مناسبة، فلا أقول إن هذا الجانب ينبغي أن يخلو من التوعية، بالعكس حتى الأطفال يحتاجون إلى توعية تناسب أعمارهم، وإلا تحصل مصائب كبيرة جدًا بسبب الجهل وعدم الحكمة والإهمال الكامل لهذا الجانب، فالطفل يُقال له كلام، تلميذ المدرسة يُقال له كلام، الشاب المراهق له كلام، وهكذا كل مجموعة عمرية لها طريقة معينة وحوار خاص بها، أما طبيعة مجتمعنا الآن فبلا شك لا تزال المشكلة قائمة، وحتى الآن ما أدري كيف يكون حلها لأن لو نخاطب فئة واحدة لأمكن، يعني لو الإنسان يتخاطب مع زملاء من الأطباء سيكون الأمر سهلًا جدًا، أو فئة عمرية واحدة، لكن هذه هي المشكلة أننا لا نستطيع أن نتكلم بصورة مفيدة توصل الفائدة المرجوة لكل الناس، لكن باختصار شديد يعني يُنصح من هو مقبل على الزواج أن يلجأ دائمًا قبل الزواج وهذه النصيحة يعني لا تستغربوها لكن لا بد أن يلجأ إلى طبيب نفسي، ونحن مطالبون بتصحيح الموقف من الطب النفسي، هذا الانطباع الموجود في مجتمعنا المتخلف من أن الطبيب النفسي لا يطرق بابه إلا المجانين، هذا انطباع في غاية الجهل، وكما

قلت من قبل الصحيح إن المفروض الدعاة إلى الله ﷺ والشيوخ في المساجد يكون عندهم إمام كامل وكاف؛ لأنهم يتصدرون لمشاكل الناس، فينبغي أن يكونوا عندهم فهم ووعي بواقع الحياة، خاصة هذه الدائرة دائرة حيوية في غاية الأهمية، وهي أحد أركان وأعمدة العلاقة الزوجية، عمود وليس أمراً ثانوياً أو هامشياً، فالخلل فيه له آثار خطيرة، الجهل به له آثار خطيرة على كل الفئات العمرية، لكن باختصار الذي أستطيع أن أتكلم به هو أنه لا بد من اللجوء إلى الطبيب ليحصل نوع من التثقيف والتوعية الضرورية خاصة في بيئاتنا الجاهلة وبعض بيئاتنا المتوحشة التي ترتكب جرائم يندى لها جبين الإنسانية نتيجة هذا الجهل.

يقول الأستاذ عدنان صالح باحارث وكما قلنا إن كتابه "مسئولية الأب المسلم في تربية الأولاد في مرحلة الطفولة" إحننا نتخذة الهيكل ونحوم حوله بزيادات وإضافات حتى لا نهم ونشت بعيداً في تناول النقاط، فهو الأساس ونحن نحشيه ببعض الفوائد من هنا وهناك ونتوسع أحياناً في بعض القضايا، يقول هنا بعدما ذكر كلاماً يناسب أن تقرأه في الكتاب يقول: وليس من الغريب على دين الإسلام الذي يعلم المسلم آداب قضاء الحاجة في الخلاء أن يهتم بهذه الجوانب من العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، فالحقيقة يُفاجأ كثير من الناس إذا علموا أن أدق التفاصيل في هذا الجانب الحرج - أدقها - منصوص عليها في القرآن وفي السنة، لم يهمل الإسلام شيئاً على الإطلاق لأن الإسلام دين واقعي، دين حياة، يتعامل مع الواقع وليس مع الفروض ولا الخيالات، ولكن من الذي يفقه هذه الإشارات، عادة الشرع الشريف والنصوص الشرعية الشريفة عند تناول هذه القضايا أنها تتناولها بطريقة لا تחדش ولا تجرح وإنما تتناولها ولا تتهرب منها، يكفي أن يعني أحد أركان هذا الجانب نص عليه في القرآن الكريم في آية تُتلى في المحاريب إلى أن يأتي أمر الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٥٣﴾ نَسَاؤَكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَالَى: وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ مُلْقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾ [البقرة: ٢٢٣] فهذه العبارة قَالَ تَعَالَى:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ نَسَاؤَكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣٣﴾ [البقرة: ٢٢٣] تحتوي من الآداب والإشارات ما يعني يؤكد كيف أن الإسلام دين حياة ودين واقع، وينكر على أتباعه أن يتنكروا للحقائق وأن ينكروا مشاكلهم بالهروب منها، والهروب ليس حلاً، لابد من مواجهة المشاكل، وفي الحقيقة واضح جداً أن مجتمعاتنا تحفل بكثير من الرصيد الضخم المتعلق بهذا الجانب من الخلل والمشكلات، لا يقوى كثير من الناس بل أكثر الناس على الكلام فيها سواء من الرجال أو النساء، الأمر الذي انعكس بصورة واضحة جداً، إن البالونة بمجرد ما لمستها إبرة انفجرت ويعني طفحت الساحات الثقافية بالكلام، صحيح غلب عليه اللغو الفارغ والمزاح السيئ ولكن أيضاً عكس في نفس الوقت هذه المشكلة التي نشير إليها والخلل في هذا الجانب وهو الدواء المعروف والذي أثير الكلام عنه منذ حوالي سنتين تقريباً، ويعني كشف كثيراً مما هو مخبوء من المعاناة أو ما يعكس الخلل في هذه الجوانب.

يقول: ليس من الغريب على دين الإسلام الذي يعلم المسلم آداب قضاء الحاجة في الخلاء أن يهتم بهذه الجوانب من العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة ويضع لها آدابها ونظامها الذي يكفل للأزواج دوام الألفة والسعادة، فليس من الغريب أن يهتم الدين بهذه الناحية، التي ربما ظن البعض أن العقلاء يترفعون عن الحديث فيها فضلاً عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولكن الذي ثبت علمياً أن هذه العلاقة علاقة مهمة جداً وعلاقة مصيرية، إذ يترتب عليها طبيعة وكيان المولود الجديد؛ بناءً على ذلك شرع الذكر والبسملة في هذه الوظيفة أيضاً مما يوحي ويشعر بقداسة هذه العلاقة ونظافتها في التصور الإسلامي، فمن الخطأ أن يربط في لا شعور الطفل الربط بين هذه الأمور والمتعلقة بأجزاء من جسده وبين العار والقبح وقلة الأدب وكذا وكذا من هذه الأساليب الخاطئة في التربية التي تظهر آثارها فيما بعد، فالإسلام ينظر بنظرة واقعية للطبيعة البشرية، يلبي الحاجات الفطرية ولا يتنكر

لها، فهذه يعني واقعية الإسلام التي لا تترفع على أساسيات الحياة، بل تعترف بها وتتعامل مع الحياة على أساس أننا بشر، فلسنا ملائكة ولسنا أيضاً بهائم، ففي هذه الأمور لا يترفع عنها وينظر إليها نظرة النظر إلى الشيء القبيح وأن الاهتمام بهذا الجانب هو من شأن الناس الفاسدين والفاسقين، كلا مادام يجري في المجرى الشرعي الذي شرعه الله ﷻ لتلبية لنداء للفطرة ومادام في حدود ما أحل الله ﷻ فهو مشكلة واقعية ومن خصائص الإسلام.

مما يدل على أهمية هذا الجانب قول النبي ﷺ «مَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى الزَّوْجِ فَقَدْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْآخِرِ» أو كما قال ﷺ، فيجعل الشرع الشريف توفية هذا الجانب نصف الدين، كأن الدين نصفين، نصف منه ما يتعلق بإحصان الفرج، فيشير النبي ﷺ إلى أن الوفاء بهذه الحاجة إعانة من الله للعبد على نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر، فتخيل وظيفة يبين النبي عليه الصلاة والسلام أن فيها نصف الدين هل يمكن أن تكون قضية هامشية يعني مهملة؟!

نعم أيضاً قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَمَنْ ءَايَنْتَهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم: ٢١] طبعاً واضح جداً أن المودة والرحمة إنما تكون بعد الزواج وليس بعد الزواج مع وقف التنفيذ الذي هو مجرد العقد، فبالعقد لا يُشترط أن تتواجد المودة والرحمة ولكنهما تتواجد المودة والرحمة في الصورة الكاملة بعد أن يحقق قول الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾ [النور: ٣٢] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَمَنْ ءَايَنْتَهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [الروم: ٢١] فالسكينة هي في الحقيقة أثر للنكاح الفعلي وليس مجرد العقد، وإنما هي أثر لهذه الوظيفة التي تورث السكينة وتورث المودة والرحمة، نعم.

يُراعى أيضًا يعني يُلاحظ في هذا الأمر من اهتمام الإسلام بهذه العلاقة مثلاً كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام رخص في الكذب على الزوجة في حديث المرأة لزوجها والرجل لزوجته، طبعاً ليس المقصود أن يعد فلا يفى أو يلتزم بعهد معين ثم ينقضه فهذا نفاق، وإنما المقصود ما يرجع إلى المجاملة التي لا تكلفه شيئاً وفي نفس الوقت يعني فيها نوع من التودد والإحسان إلى المرأة كما يقول الشاعر:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

فالمرأة بفطرتها تحب الثناء عليها؛ ولذلك انظر إلى أهمية هذا النوع من الإحسان كيف أن الكذب الذي هو أكبر الكبائر من أكبر الكبائر قول الزور كذب ثم استثناه هنا في هذه المنطقة بالذات وفي حديث الرجل لامرأته وفي حديث المرأة لزوجها وذلك بالمديح، أن يمدح شكلها وجهها وطعامها وغير ذلك من خصائصها لا أن يفعل كما يفعل بعض القاصرين، إن هو ما له وظيفة غير أنه يكدر امرأته بالكلام عن الزوجة الثانية وإنه سوف يتزوج واحدة ثانية أو يفتح موضوع تعدد الزوجات وهو في الحقيقة لا يتزوج حرة ولا أمة ولا يستطيع في الغالب، هو ما يقصد في الغالب من ذلك إلا إيذاء شعورها وتكديرها، فإذا كانت أنت ما تتزوج وما أحد يقول إن هذا حرام فلماذا تفعل؟! لماذا تؤذيها؟! لماذا يتلذذ بعض الرجال بتعمد أذية الزوجة واستفزازها بهذا الكلام؟ ما دمت لم تفعل فما في داعي، بل أنت مطالب حتى إذا تزوجت بأخرى لم تستفزها ولم تستثير شعورها بهذا الكلام، ومعلوم حساسية المرأة الشديدة لهذه القضية بالذات، فمن الأذية ومعاندة الأدب الذي أدبنا به رسول الله ﷺ إنه بين وقت والثاني هو ما يشعر أن له قيمة إلا لما يبجدها متمسكة به ويستفزها بهذا الكلام، يشعر إن هو إنسان له وزنه، لا يمكن تشعر بإنك لك وزن بالطرق الحقيقية لإثبات أنك رجل ولك وزن ثقيل، ليس بالأذية وبين وقتٍ وآخر أنك سوف تتزوج وتستفزها بذلك الكلام، فهذا على طرف نقيض من أدب الذي علمنا إياه النبي عليه الصلاة والسلام، إذا كان الرسول رخص في الكذب لماذا؟ مراعاة لهذه الفطرة في المرأة يعني

يمدحها «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»^(٥٧) لن تخسر شيئاً بل ستكسب كثيراً، أن يتمدح امرأته وأنها أجمل امرأة في العالم مثلاً، ماذا ستخسر؟! تقول هذا كذب، وليكن كذباً أباحه النبي عليه الصلاة والسلام لإشباع هذه الحاجة الفطرية في المرأة، فبعض الناس عندهم مفاهيم إنه يقول أنا رجل كيف يتزلف إلى زوجته بهذا الكلام ويثني عليها هذا الثناء يرى أن هذا مناقض للرجولة، ونحن يعني أتمنى لو نجمع قائمة كده مفاهيم خاطئة للرجولة إذا أمكن فيها بعد، في بعض الناس عندها مفهوم غريب جداً للرجولة، فهو لا تتحقق رجولته إلا بأشياء معينة كلها فاسدة، منها مثلاً إنه لا عيب إن الرجل يعني يمدح امرأته أو يثني عليها أو كذا أو كذا، أو أن الرجل هو الذي يضرب ويشتم وأنه لا تتحقق رجولته إلا بهذا، وغير ذلك من المفاهيم، لا نريد أن نخرج عن المسار بقدر المستطاع، أشياء غريبة جداً!، إنه ما يكون رجلاً إلا إذا أهانها وإلا إذا ضرب أو إذا شتم، أو إذا كان قاسياً فظاً غليظاً، هذه هي الرجولة! وغير ذلك من المفاهيم الفاسدة فيها هي الرجولة بالضبط، فالرجولة يعني أخلاق نعم.

فطبعاً هذه المنطقة التي نشير إليها لا شك أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً جداً بعلاقة الود، فهي تنشأ عن ود وتنتج ود، يعني الود هنا سبب ونتيجة، سبب لحصول هذه السكينة، وهو نتيجة أيضاً وقوع هذه السكينة، فالجانب الوجداني والجانب العاطفي في هذه العلاقة حتى هذه أشار إليها النبي ﷺ في حديثٍ معناه «بِمَ يَضْرِبُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْفَحْلِ أَوْ الْعَبْدِ ثُمَّ لَعَلَّهُ يِعَانِقُهَا»^(٥٨) فهذا تناقض غريب جداً، فيه إهمال لكيانها الإنساني وكرامتها يعني كمسلمة وكأدمية مكرمة، فهذه المفاهيم التي تنتشر عند بعض الأجلاف ويتوارثونها

(٥٧) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥٨) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه.

من ثقافة ضحلة ينبغي أن تصحح، حقيقة في كثير من القضايا المعرفية مطلوب تصحيحها متعلقة بهذا الجانب.

فيما يتعلق بهذا الأمر كما قلنا نظر إليه الإسلام على أنه حق راسخ وأحد أعمدة الزوجية، ونحن إذا تأملنا قول النبي عليه الصلاة والسلام «وَإِنَّ لِرَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(٥٩) وقوله في نفس الحديث «فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» وقوله أيضاً «فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ»^(٦٠) فهذا الأمر كما قلنا أحد أعمدة الزوجية، وإهماله أو التشاغل عنه، يعني لو كان يُباح لي الكلام لأني طبعاً بحكم احتكاكي كثيراً بهذه الحالات بصفتي أخصائي نفسي، في الحقيقة إنه يحصل كثير جداً من المصائب بسبب انشغال الزوج وإهماله لهذا الأمر، لا ينظر إليه على أنه حق ويفكر في نفسه فقط، لكن هذا حق متبادل بين الطرفين الإعفاف والإحصان، وإلا يحصل ما لا تحمد عقباه، ولا يصحو من نومه وغفلته إلا على مصائب كبرى، لا يجوز لأحد الزوجين أن يغمط صاحبه هذا الحق مادام قادراً عليه، يقول النبي ﷺ «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضَبَانَ عَلَيْهِمَا لَعْنَتُهُمَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»^(٦١) وفي رواية أخرى «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْتِي عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(٦٢) فإن كان سخط الزوج يوجب سخط الرب في قضاء شهوة فكيف إذا كان في أمر الدين، إذا كان يأمرها

(٥٩) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٦٠) سبق تخريجه.

(٦١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦٢) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بالصلاة أو بشيء فيه طاعة لله ﷻ فبات غضبان عليها لا شك أن سخط الله عليها يكون أشد في الدين لمجرد هذا الأمر.

وعن طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُورِ»^(٦٣) وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا»^(٦٤) وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ -دخيل يعني ضيف ونزير- يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(٦٥).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتِهِمْ إِذَا نَهَمَ الْعَبْدُ الْأَبْقَى حَتَّى يَرْجِعَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَإِمَامٌ قَوْمٌ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ»^(٦٦) كالعادة في عامة الأمور خاصة فيما يتعلق بالحقوق والواجبات عندنا قابلية شديدة للتطرف والتعسف في استعمال الحق، طبعاً كثير من الناس تقف عند قوله «فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتَهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»، الزوجة المتدينة بالذات التي تتقي الله ﷻ والملتزمة بدينها شعورها بالإثم يكون مضاعفاً عن المرأة العادية الغير ملتزمة؛ لأنها تعرف هذه الأحاديث وتعرف هذه النصوص فينبغي أن يكون الإنسان كيساً عاقل لا يجعلها تتراكم عليها عقدة

(٦٣) سنن الترمذي من حديث طلق بن علي رضي الله عنه (وصححه الألباني).

(٦٤) سنن ابن ماجه، صحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه وقال الألباني (حسن صحيح).

(٦٥) رواه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. (صححه الألباني).

(٦٦) سنن الترمذي من حديث أبا أمامة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

الشعور بالذنب ثم تذوق ويلات هذه العقدة فيما بعد، فلا بد أن لا يتعسف الرجل في استعمال الحق، وقول النبي عليه الصلاة والسلام «فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»؛ لأنها حينئذ يتحقق ثبوت معصيتها، يعني إذا غضب من غير سبب واضح «فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»، هذا الوعيد لا يتحقق إذا لم يغضب عليها، فلماذا أحياناً نسيء استعمال النصوص الشرعية؟ ويحصل أن يكون همه أن يخوفها بالحديث ويذكر اللعن والوعيد وكذا وكذا، فهل يرضى المسلم أن يكون سبباً في عذاب أخيه المسلم؟! يعني الإمام أحمد رحمته الله لما كان يمتنع من الدعاء على من جلدوه وظلموه وسجنوه وأساءوا إليه كانوا يقولون للإمام أحمد لما لا تدعو عليهم؟ فيقول كفى بالمرء من الشر أن يكون سبباً إلى عذاب أخيه المسلم حتى لو كان ظلمه، فكيف بالزوجة التي لها من الحقوق لها كذا وكذا؟! إذاً يستطيع أن يجتهد ألا يكون غضبان، لماذا؟ كي يرفع عنها الإثم ويكون في نوع من الرحمة، هذا مظهر من مظاهر المودة والرحمة والتسامح حتى لا تستحق المعصية، وليس مجالاً للانتقام بأن يغضب عليها، فإنه إذا لم يغضب لا يتجه هذا الوعيد عليها، لا يغضب إما لأن يكون قد عذرها يعني رأى عذراً معيناً فقبل ذلك فلا يغضب، أو لأنه ترك حقه مادام حقه وهو تنازل عنه فلا يتجه عليها اللوم، لا يتجه عليها اللوم إلا إذا بدأت هي بالهجر فغضب هو لذلك أو هجرها وهي ظالمة فلم تستنصل من ذنبها وهجرته، أما لو بدأ هو بهجرها ظالماً لها فلا ينطبق عليها الحديث.

وفي هذه الأحاديث الإرشاد إلى مساعدة الزوج وطلب مرضاته، وأن صبر الرجل على ترك ذلك أضعف من صبر المرأة وأن أقوى التشويشات على الرجل داعية النكاح، نعم. كذلك يحرم على الرجل أن يتعمد هجر زوجته، فهو مأمور بأداء حقه بقدر حاجتها وقدرته، فإن الشريعة السمحة لم تقتصر على مطالبة المرأة بأن تستجيب لزوجها بل طالبت الرجل أيضاً أن يؤدي إليها حقه ويعفها ويغنها، وذلك قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ نُصِّلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٩﴾ [النساء: ١٢٩] قال الإمام أبو بكر الجصاص رحمته الله: ويدل عليه أن عليه وطئها لقوله تعالى ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ يعني لا فارغة فتزوج ولا ذات زوج إذا لم يوفها حقها من الوطاء ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ فالتعبير هذا ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ يشير إلى هذا المعنى، وكذلك يدل عليه مفهوم قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ فَالضَّلِحَتْ قَدِنَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيِّ تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ فِي حَالَةِ الْعُقُوبَةِ، هذه عقوبة، نعم وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَهْجُرُ إِلَّا فِي الْمَضْجَعِ».

وكما قرر النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس للمرأة أن تشتغل بالعبادات غير الفريضة إذا كانت تفوت حق زوجها، يعني مثلاً فهي لا تصوم نفلاً إلا بإذنه، وغير ذلك من الأحوال، كذلك قرر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز للرجل أن يشتغل بالعبادات النوافل حتى يغفل أو يعجز عن أداء هذا الحق، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ صُومَ وَأَنْفِطِرَ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِحَسْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِرُؤُوكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ» (٦٧).

وفي رواية البخاري قال: «أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَتَّتَهُ - يعني امرأة ابنه - فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا - عن زوجها - فَتَقُولُ نِعَمَ الرَّجُلِ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا

(٦٧) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (صححه الألباني).

فِرَاشًا وَلم يُفْتَشْ لَنَا كَنَفًا مُنذُ آتَيْنَاهُ»^(٦٨)، يعني وهذه إشارة إلى جانب مهم جدًا، وهي أن الاتصال اللفظي بين الرجال يختلف عن الاتصال اللفظي في الكلام مع النساء، المرأة قد تقول كلامًا وهي تعني معنى معينًا، فالذي يفهم ما تعنيه ولا يقف عند اللفظ الذي تقوله، كما تفعل هذه المرأة، فحينما كان عمرو رضي الله عنه يتعاهد زوجة ابنه عبد الله فيسألها عن بعلمها فترد هذا الرد، لفظيًا كلام عادي ولكن لو نفذت إلى المعنى له معنى هو المقصود من الكلام، نعم الرجل من رجل: يعني هذا رجل عابد مجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل، فهي تمدحه في الظاهر، هذه هي الرسالة اللفظية لكن فحواها هو المقصود، فينبغي أن يُفطن دائمًا إلى ذلك، نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا - يعني جانبًا - مذ أتيناها، فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ، اشتكاه أبوه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال «الْقَبِي بِه فَلَقِيْتَهُ بَعْدُ فَقَالَ كَيْفَ تَصُومُ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ وَكَيْفَ تَحْتِمُ قَالَ كُلَّ لَيْلَةٍ» إلى آخر الحديث وفيه قول النبي عليه الصلاة والسلام «لَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَتُمْ وَنَمَّ فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِرُؤُوسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(٦٩) إلى آخر الحديث.

وفي رواية النسائي قال: «رَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً فَجَاءَ يَزُورُهَا فَقَالَ كَيْفَ تَرَيْنَ بَعْلَكَ فَقَالَتْ نِعَمَ الرَّجُلِ مِنْ رَجُلٍ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَلَا يُفْطِرُ النَّهَارَ فَوَقَعَ بِي - يعني لأمه وعنفه -، وقع به غير وقع فيه، وقع فيه اللي هي يعني الوقيعة والغيبة وهكذا، أما وقع بي لأمني وعنفني، فوقع بي وقال زوجتك امرأة من المسلمين فعضلتها، يعني لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم ولا تركتها بنفسها لتتزوج وتتصرف في نفسها كما تريد، قال فَجَعَلْتُ لَا أَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهِ مِمَّا أَرَى عِنْدِي مِنَ الْقُوَّةِ وَالْإِجْتِهَادِ - يعني لم ينتصح بنصيحة أبيه -

(٦٨) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٦٩) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ «لَكِنِّي أَنَا أَقُومُ وَأَنَا مُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ فَتُمْ وَنَمْ وَصُمْ وَأُفْطِرُ» إلى آخر الحديث.

وفي حديث الرهط الثلاثة أن أحدهم قال: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَنْزُوجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَنْزُوجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٧٠).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية وكانت عند عثمان بن مظعون رضي الله عنه، قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذادة هيبتها، يعني إهمالها في ملابسها وكذا، فقال «يَا عَائِشَةُ مَا أَبَدَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتْهَا»^(٧١)، فانظر هنا أيضًا إلى إحياء هذه الكلمات تركت نفسها وأضاعتها يعني إشارة إلى إهمالها الزينة في نفسها واهتمامها بمظهرها وملبسها وكذا، لماذا؟ لأن الشرع أيضًا راعى فطرة المرأة في هذا الجانب، حاجتها إلى التزين وهذه الأشياء، حتى إنه أيضًا مع أنه حرم الحرير على الرجال وحرم الذهب على الرجال أباحه للمرأة مراعاةً لهذه الفطرة، نعم فقالت: يا رسول الله امرأة لها زوج يصوم النهار ويقوم الليل فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها وأضاعتها، فانظر إلى فقه عائشة أيضًا، الاتصال اللفظي عبارة عادية لكن الفحوى والرسالة يعني مفهومة، قالت فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال «يَا عُثْمَانُ أَرُغِبُ عَنِّي؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ سُنَّتِكَ أَطْلُبُ، -أنا أجتهد في العبادة هذا الاجتهاد اتباعًا لستك ورغبة فيها لا رغبة عنها-، قال: «فَأِنِّي أَنَا مُ وَأُصَلِّي

(٧٠) صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧١) مسند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها (صححه الألباني).

وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِيُضِيفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَصُمْ وَأُفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ»^(٧٢) في بعض الروايات فأتتهم المرأة بعد ذلك كأنها عروس فقيل لها مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس.

ويُروى أن كعب بن صور كان جالساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي والله إنه ليبيت ليله قائماً ويظل نهاره صائماً، فاستغفر لها وأثنى عليها واستحيت المرأة وقامت راجعة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها فقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال لكعب: اقض بينهما فإنك فهمت من أمرها ما لم أفهم، قال: فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن، فأقض بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن، ولها يوم وليلة، فقال عمر: والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر، اذهب فأنت قاضٍ على البصرة، نعم القاضي أنت، يعني هذه المرأة أنت فما فعلت أكثر من أنها مدحت زوجها بالتعب والاجتهاد في العبادة يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي، والله إنه ليبيت ليله قائماً ويظل نهاره صائماً، فاستغفر لها وأثنى عليها واستحيت المرأة وقامت راجعة، فقال كعب بن صور يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها، ألا مكنتها من حقها وحكمت لها فقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال لكعبٍ اقض بينهما فإنك فهمت من أمرها ما لم أفهم، قال فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة، يعني قال إنك ينبغي أن تحكم على زوجها إنه يُترك يتعبد ثلاثة أيام وفي الرابعة يعني يكون مع أهله؛ بناءً على أن الشرع أباح له أربع نساء أربع زوجات، فيُفترض أنه تزوج أربعة، فالحق الي هو الحق الأدنى من حقها أن يكون كل أربع ليال يبيت عندها، فقال إني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن فأقض بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ولها يوم وليلة، فقال عمر والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر، اذهب فأنت

(٧٢) سنن أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها (صححه الألباني).

قاضي على البصرة، نعم القاضي أنت، فتأمل هنا كيف رأى ذلك القاضي المسلم أنه لا فرق بين التشدد في العبادة الذي يضر بالزوجة وبين الضرائر، تأمل فقه القاضي المسلم! إنه اعتبر التشدد في العبادة مثل الضرائر، الضرائر يعني لأنها تُضار بهؤلاء الضرائر اللائي ينافسها على زوجها، فاعتبر التشدد في العبادة مساوياً لثلاث ضرائر فأوجب لها حقاً، ولو لم يكن لها فيه حق لم يقض فقهاء الإسلام بفسخ النكاح لتعذره، يعني إذا تعذر أداء هذا الحق وشكت المرأة فيفسخ النكاح بينهما لأن هذا حق.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمته الله: فإن للمرأة على الرجل حقاً في ماله وهو الصداق والنفقة بالمعروف، وحقاً في بدنه وهو العشرة والمتعة بحيث لو آل منها لو حلف ألا يقربها استحقت الفرقة بإجماع المسلمين، وكذلك لو كان محبوباً أو عنيماً لا يمكنه جماعها فلها الفرقة، ووطئها واجب عليه أكثر العلماء، وقد قيل إنه لا يكفي اكتفائه بالباعث الطبيعي، والصواب أنه واجب كما دل عليه الكتاب والسنة والأصول.

وسئل الإمام أحمد رحمته الله يؤجر الرجل أن يأتي أهله وليس له شهوة فقال: إي والله يحتسب الولد، وإلا لم يرد الولد يقول هذه امرأة شابة لما لا يؤجر؟!

هذه الشريعة الحنيفية تقرر أن الزوج لو آل يعني لو حلف ألا يقرب زوجته يلزمه أن يحث في يمينه، يجب عليه أن يحث في هذا اليمين، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ رحمته الله لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رحمته الله [البقرة: ٢٢٦] فقد نص على أن الذين يؤلون يعني يملفون على ألا يقربوا زوجاتهم يُمهلون أربعة أشهر، فإن عاد أحدهم إلى الإنصاف وأداء الحق فيها وعليه كفارة يمين، وإلا كان إصراره إضراراً موجباً للفراق، قال رحمته الله: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» رحمته الله (٧٣) وقال رحمته الله: «مَنْ ضَارَّ أَضَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ»

(٧٣) سنن الترمذي من حديث عبادة بن الصامت رحمته الله (صححه الألباني).

عَلَيْهِ»^(٧٤) ويعني هذا أيضًا يدخل في السلوك الذي يسلكه بعض الظالمين من الأزواج، أعرف شخصًا استحالت العشرة بينه وبين زوجته فحلف ألا يطلقها حتى تبلغ الأربعين سنة، فعصلها وعلقها حتى بلغت الأربعين ثم طلقها بعد ذلك، فهؤلاء أناس يسلكون مسالك من لا يخشى أو من لا يؤمن بيوم الحساب، ينسى أن هناك يوم حساب وأن الله ﷻ أقوى منه، ومع ذلك نجد هذا العضل وهذا التعليق والمآسي التي يكتظ بها الواقع، هذه المضارة وهذه الأذية مما حرمه الله ﷻ، نعم وإذا كان إنسان لا تحكمه التقوى في مثل هذه المواقف فأين تظهر تقواه وخوفه من الله ﷻ ورعاية حدوده؟!

هذه الأمور لشدة حساسيتها نجد القرآن الكريم اهتم بها أعظم الاهتمام، ما ترك شيئًا أبدًا، وهذه أعظم الآيات أن هذا الإسلام هو دين الله الحق وشريعته الكاملة التي لم تترك يعني شيئًا ولو قل من أمور الحياة إلا وتعرضت لها بأحكام وآدابٍ وتهذيب للناس «مَنْ ضَارَّ أَضَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» فالجزاء من جنس العمل، وإذا لم يعاقبه الله ﷻ عقابًا عاجلاً في الدنيا فأين هو يوم القيامة؟ فمثل هذا الرجل الذي حلف وكانت زوجته في أوائل العشرينات حلف ألا يطلقها إضرارًا بها وكيدًا لها حتى تبلغ الأربعين، فلما استوفت الأربعين طلقها والعياذ بالله، والنماذج الأخرى كثيرة الواقع يُغص بها، لماذا؟ لأنه لا يتقي الله ﷻ ولا يخاف يوم الحساب.

يُروى أن عمر رضي الله عنه كان يطوف في المدينة فسمع امرأة وهي مغلقة عليها بابها تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه	وأرقني ألا ضجيع الأعبه
الأعبه طورًا وطورًا كأنما	بدا قمرًا في ظلمة الليل حاجبه
يسر به من كان يلهو بقربه	لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه

(٧٤) سنن أبي داود من حديث أبي صرمة رضي الله عنه (صححه الألباني).

فوالله لولا الله لا شيء غيره لنقض من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يكتب الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني، وعمر واقف يسمع قولها، وقال لها عمر يرحمك الله ثم وجه إليها بكسوة ونفقة وكتب لها أن يقدم عليها زوجها، وقيل إن عمر رضي الله عنه تأوه ثم خرج حتى دخل على حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: يا أمير المؤمنين ما جاء بك في هذا الوقت؟! قال: أي بنية كم تحتاج المرأة إلى زوجها؟ فقالت في ستة أشهر، فكان لا يغزي له جيشاً أكثر من ستة أشهر، وفي بعض الروايات تحديد المدة بأربعة أشهر.

وقيل: إن عمر وطبعاً هذا أقرب لأنه هذا أقرب من ظاهر القرآن بدليل إيه؟ لأن آية

الإيلاء ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦] وقيل إن عمر كتب إلى أمراء الأجناد في رجال غابوا عن نسائهم من أهل المدينة أمرهم إما أن يرجعوا إلى نسائهم وإما أن يفارقوا، فمن فارق منهم فليبعث بنفقة ما ترك وأن تكون النفقة على قدر السعة، فكان عمر رضي الله عنه يرى فسخ النكاح إذا فات حق الوطاء وراه الفقهاء أيضاً فرأوا أن من حق أحد الزوجين أن يفسخ النكاح لترك الوطاء، وهو ما يسمى بالفسخ بالعيب، أي لعيب خلقي كالمرض الذي يستحيل معه الوطاء أو خلقي للإضرار أو إهمالاً لأن ذلك ترك لحق من الحقوق.

قال الإمام بن حزم رحمته الله: ويُجبر على ذلك من أبي بالأدب لأنه أتى منكراً من العمل،

نعم.

وقيل للإمام أحمد: كم يغيب الرجل عن زوجته؟ قال: ستة أشهر، يكتب إليه فإن أبي

أن يرجع فرق الحاكم بينهما، يعني إذا تضررت الزوجة وطلبت التفريق، أما إذا لم تضرر فلا

حرج.

من هذه الحقوق وهي متعلقة بهذا الموضوع ومكملة له: أن التزين بين الزوجين هو حق متبادل، ليس فقط قاصراً على المرأة؛ فإن الله ﷻ امتن على عباده بما أنزل إليهم من الزينة التي تحسن هيئاتهم ومنازلهم، قال الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِدْشًا وَيَلْبَسُ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦] فهذا في سياق المنة من الله ﷻ، وقال ﷻ وهو يندد بالذين يجرمون ما أحل الله لعباده من هذه الزينة والطيبات المباحة قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢] وجاءت السنة النبوية تحض المسلمين رجالاً ونساءً على حسن الهيئة والنظافة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»^(٧٥) يعني اللي يطلق شعره فعليه أن يكرم هذا الشعر، مش يطلق شعره ويتركه مسرّحاً للهوام والحشرات والقاذورات والأتربة وكذا، فإما أن يطلق شعره طبعاً هذا في الرجال لأن النساء تطلق شعرها في الأصل «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ». وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قلت «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي جُمَّةً -وهي الشعر المسترسل حتى يبلغ الأذن- أَفَأَرْجُلُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «نَعَمْ وَأَكْرَمُهَا»^(٧٦) يعني يسرحها بالمشط ويكرمها بالزيوت أو هذه الأشياء.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ يعني لأن الإسلام دين النظافة في كل شيء، النظافة بكل أبعاد هذه الكلمة، وأعلاها على الإطلاق نظافة القلب وتطهيره وتركيبته بالتوحيد، بدليل أن الله ﷻ وصف من لا يزكي قلبه بالتوحيد بأنه مشرك نجس قَالَ تَعَالَى:

(٧٥) سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الألباني: (حسن صحيح).

(٧٦) موطأ مالك من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ [التوبة: ٢٨] نجاسة في قلوبهم الشرك نجاسة فقلوبهم نجسة ونفوسهم نجسة قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٩: ١٠] وَقَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكَبِ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ [فصلت: ٦: ٧] يعني لا يقولون لا إله إلا الله على أحد التفسيرين، لا يؤتون الزكاة طهارة القلب بلا إله إلا الله، نعم فإذا الإسلام دين نظافة في كل شيء بكل أبعاد كلمة النظافة، ولا يُعلم عن أمة من الأمم أنها اهتمت بالنظافة ما اهتم بها الإسلام، حتى في عهد محاكم التفتيش في أسبانيا في الأندلس كان المسلمون يخفون إيمانهم لما غزاهم النصارى وقهروهم واستضعفهم فكانوا يخفون حقيقة إسلامهم كانوا يتعرفون على البيت الإسلامي بيت المسلمين بوجود أماكن استحمام فيه؛ لأن أوروبا ما كانت تعرف عادة الاستحمام على الإطلاق إلى عهد قريب ما يعرفون الاستحمام أبداً؛ ولذلك برعت مدينة كولونيا أو كولن بصناعة العطور لأنهم كانوا اهتموا بهذا الأمر لأنهم كانوا يغتسلون ولا يتطهرون ولا يعني ينظفون أنفسهم؛ لذلك كانوا يجتهدون في صناعة هذه العطور ليكتبوا بها هذه الروائح المتعفنة التي تنبعث من قاذوراتهم، فما عرف الاهتمام بالنظافة بكل أبعاد كلمة النظافة، النظافة الحسية طهارة ونظافة القلب بالتوحيد، نظافة الخلق، نظافة اللسان ما عرفت كما عرفت في الإسلام، فله الحمد على نعمة الإسلام.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، فَقَالَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ»^(٧٧) وواضح أن الكلام هنا في الجمال المكتسب، الجمال المكتسب بالنظافة والزينة والتطيب والزيوت وكذا «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» واضح أن سياق الحديث في الجمال المكتسب عن طريق النظافة، فيعني هذا علاج معرفي، صحح له مفهومًا كان يفهمه خطأ، يظن أن الإنسان لما يهتم بالنعل الحسن والثوب الحسن أن هذا من الكبر، لا ليس هذا من الكبر، بل أجابه بهذا الرد البليغ «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»، ليس هذا من الكبر على الإطلاق، لكن المسلم ينبغي أن يكون كالشامة بين الناس، نظيفًا ثوبه ونعله وهندامه.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ وعليه ثوبٌ دون، فقال له: «أَلَك مَالٌ؟» قال: نَعَمْ، قال: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟» قال: مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ آتَانِي اللَّهُ، قال: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرْ أَنْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ»^(٧٨) أظهر نعمة الله، تحدث بها ولا تكتمها، فإدام الله أكرمك وأعطاك مالاً فلماذا لا تظهره؟! أظهر نعمة الله وتحدث بها بصورة عملية فعلية.

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيُرْ عَلَيْهِ أَنْتَهُ»^(٧٩).

وتزين المرأة لزوجها وكذا الرجل لزوجته ينبغي أن يتخذ منه الزوجان الحظ المناسب لأنه من أسباب الألفة والمودة؛ ولهذا جعل الشارعُ الزينةَ حقًا مشروعًا لكلٍ منهما على صاحبه، ومراعاة لهذه الفطرة التي فطر الله عليها النساء من حبِّ الزينة، والتي يشير إليها

(٧٧) صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٧٨) سنن أبي داود، سنن النسائي من حديث أبي الأحوص عن أبيه - مالك بن نضلة - رضي الله عنه، (صححه الألباني).

(٧٩) المعجم الكبير للطبراني من حديث قيس بن حازم عن أبيه - أبو حازم البجلي، واسمه عبد عوف - ويقال: عوف - بن الحارث بن عوف بن حشيش رضي الله عنه (صححه الألباني).

قول الله قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾ أَوْ مَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ [الزخرف: ١٨] إشارة إلى أن المرأة تجبر نقصها الظاهري بالزينة والحلية، لذلك المرأة تجبر هذا النقص؛ لأن هي المرأة دون الرجل في أمرين، في الباطن وفي الظاهر، في الظاهر لأن الرجل أقوى منها بلا شك، أقوى منها وأكمل منها، فهي تجبر النقص الظاهري في بدنها بالزينة؛ لذلك تتحلى بالذهب، فالرجل كامل فلماذا يتحلى بالذهب؟! الرجال الذين يلبسون الآن الذهب، يلبس سلسلة ويلبس خاتمًا ذهبيًا، ما هذه الأخلاق؟! هذه الزينة بالضبط مثل الكحل، مش الكحل لأ بلاش الكحل مثل إيه؟ أن يلبس الرجل مثلاً فستان زوجته! أنتم بتضحكوا وتستبشعون ذلك، وكذلك الذهب، الرجل زينته رجولته مش إنه يلبس ذهب؛ لأن الذهب يكمل النقص الخلقي الذي عند المرأة كما قال الشاعر:

وما الحلي إلا زينة من ناقصٍ يكمل من حسنٍ إذا الحسن قصر
أما إذا كان الجمال موفراً كوجهك لم يحتاج إلى أن يزورا

واضح، فالشاهد من الكلام يعني لماذا يلبس هو الذهب؟ الرجل يلبس الذهب ليه؟! أنت كامل برجولتك، الرجولة هي زينة، أما أن يلبس الذهب ويلبس الحرير يعني هذه الأشياء تماماً كأنه يلبس ثوب المرأة، يلبس ثيابها! هل يقبل أن يلبس ثياب المرأة؟! أو يضع الزينة التي تضعها المرأة؟! يعني ينفر من ذلك؛ طيب إذا لماذا تلبس الذهب؟! الذهب ليس زينتك أنت، هو زينة النساء، أي نعم قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾ أَوْ مَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ [الزخرف: ١٨] إشارة إلى الضعف الظاهر الذي تكمله المرأة بالزينة والذهب وهذه الأشياء، ويُنشأ في الحلية: إشارة إلى أن الطفلة من نعومة أظفارها من صغرها الباكر تنجذب للزينة، وتظهر فيها فطرة محبة الزينة، هذا يرى في الفتيات الصغيرات، البنت الصغيرة تحب الزينة بالفطرة من غير ما حد يعلمها ولا تقلد أحداً أو شيئاً من هذا، تبدأ هي تذهب للمرأة وتأخذ زينتها وتجيّب اللعب الي فيها أدوات

الزينة، وهذه الأشياء كلها لماذا؟ يُنشأ في الحلية، يُنشأ يعني من صغره، وهي تنجذب لتكملة هذا النقص في خلقتها، وهو في الخصام غير مبين: يعني إشارة إلى أنه قلما توجد امرأة فصيحة أو بليغة، لكن المرأة دائماً خجولة تعجز عن الانتصار في مقام الانتصار أو المحجة إلا قليلاً جداً من النساء، لكن الغالب أنها لا تُبين في الخصام، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿أَوْ مَنْ يُنْسُوْا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] فمراعاة لهذه الفطرة، فطرة حب الزينة أباح الله تعالى من التحلي واللباس للنساء ما حرمه على الرجال لحاجتهن إلى التزين للأزواج، وأسقط الزكاة عن حليهن معونة لهن على اقتنائها، يعني هذا مذهب الجمهور إذا كان يُتخذ زينة ومتاعاً وليس للكنز والادخار، دي قضية أخرى، لكن الشاهد أن مذهب الجمهور أنها إذا كانت تتخذ للزينة لمجرد التزين مش للادخار كمال مدخر، ففي هذه الحالة تسقط عنها الزكاة عند جمهور العلماء، لماذا؟ حتى تُعان على اقتناء الذهب؛ لأنها محتاجة إليه في الزينة، فالشرع دائماً يراعي هذه الأمور النفسية، ولذلك أيضاً نلاحظ أيضاً كيف الشريعة المطهرة أباحت للبنات أن تلعب بالعرائس واللعب وهذه الأشياء، لماذا؟ لأن هذه فطرة فيها، تُربى فيها وتُنمى فيها من صغرها من التعود على أمور الأمومة وغير ذلك، فعلى المرأة أن تتزين لزوجها، ومن حقه عليها أن تفعل، طبعاً لكن بشرط ألا تظهر الزينة لرجل أجنبي، وأيضاً لا تتزين بزينة محرمة، ليس بحجة أنها تتزين لزوجها وأن هذا حق له فما تجيش تتزين بوصل الشعر أو النمص أو الوشم وتفليج الأسنان وغير ذلك مما نهى عنه الشرع، فلا يحل التزين به حتى لو أمر به الزوج؛ لقول النبي ﷺ «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٨٠) نعم فعلى المرأة أن تتزين لزوجها، ومن حقه عليها أن تفعل وإن تجاوزت الشطر الأعظم من عمرها، فذلك من أسباب الألفة والتودد، ولكن لا تبالغ في ذلك حتى يضيع وقتها الثمين أمام المرأة، فهذا من ضعف العقل وخلل التصور.

(٨٠) المعجم الكبير للطبراني من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

من الإشارات النبوية إلى أهمية التزين للأزواج وأثره في التواد والتحاب بين الزوجين ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال: «أْمَهَلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا أَيْ عِشَاءً لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ»^(٨١) والشعثة هي البعيدة العهد بالغسل وتسريح الشعر والنظافة، والمغيبة التي غاب عنها زوجها.

وعن زينب امرأة عبد الله رضي الله عنه قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجته فانتهى إلى الباب تنحج وبزق كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه، مع أنه ليس واجباً على الزوج أن يستأذن على زوجته لكن حتى لا يراها على هيئة تكرهها.

وفي رواية للبخاري في الحديث السابق «إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمْ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا»^(٨٢) فيُستحب التأي للقادم على أهله حتى يشعروا بقدومه قبل وصوله بزمان يتسع لما ذُكر من تحسين هيئات من غاب عنهن أزواجهن لئلا يهجم على أهله وهم في هيئة غير مناسبة فيقع النفور عنهن، وفي هذا الحديث بيان أن المرأة مادام زوجها حاضراً مقيماً فهي دائمة التزين ولا تهجر هذه الخصلة إلا في غياب زوجها، طبعاً هذه إشارة واضحة جداً لأهمية هذا الأمر.

ومما يعكس رسوخ هذا المفهوم عند الرعيّل الأول ذلك السؤال الذي وجهته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه لما رأتها هجرت الزينة فقد قالت رضي الله عنها: «كَانَتْ امْرَأَةٌ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ مُخْتَضِبٌ وَتَنْطِيبٌ فَتَرَكَتُهُ فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا أَمْشُهِدُ أُمَّ مُغَيْبٌ - يعني هل زوجك مسافر أم شاهد حاضر؟ - فقالت: مُشْهِدٌ كَمُغَيْبٍ، - يعني طبعاً تلاحظون هنا فقه عائشة رضي الله عنها كما تقول السلفية يعني نتبع السلف في كل شيء،

(٨١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٨٢) صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

السلف كانوا يطبقون الإسلام بصورة شاملة، ما في جزء يغلب على جزء أو يطغى على جزء، تؤدى جميع الحقوق في توازن وتناسق ويعني تكامل، أما من ينحرفون عن هدي السلف فهم الذين لا يستطيعون إيجاد هذا التوازن في حياتهم، فانظر إلى مفهوم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بمجرد أن رأتها كانت أولاً تتخضب وتزين وتضع الطيب وكذا وكذا ففوجئت بها لا تضع ذلك، فانظر كيف ربطت أم المؤمنين ربطاً مباشراً بين هجر التزين وبين غياب الزوج فسألتهما هذا السؤال الذي يعكس هذا الربط، أنها ربطت فوراً بين هجران الزينة وبين غياب زوجها، فهذا يدل على أن غياب الأصل الذي كان متقرراً عند نساء السلف أن المرأة تداوم على الزينة مادام زوجها مقيماً-، فقالت: **أُمُّشَهْدُ أُمِّ مُغَيْبٍ** فَقَالَتْ مُشَهْدٌ، وفي رواية أنها قالت: **(مُشَهْدٌ كَمُغَيْبٍ)** -يعني أن زوجها لا حاجة له بالنساء، فهي في حكم من لا زوج لها، قالت عثمان لا يريد الدنيا ولا يريد النساء-، قالت عائشة: **فَدَخَلَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ؛** لأن هذا ليس من هدي النبي عليه الصلاة والسلام، **فَلَقِيَ عُمَانَ فَقَالَ: «يَا عُمَانُ أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ»** انظر للسؤال عن الإيمان **«يَا عُمَانُ أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ»** وانظر إلى الرقي في أسلوب الخطاب، الكلام كله مُغطى لكن الرسائل التي تتضمنها العبارات اللفظية ومعانيها أبعد بكثير من مجرد الألفاظ، فهذا الرقي والسمو وأدب الإسلام في التعبير عما يُستحي منه بالكناية، قال: **«يَا عُمَانُ أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ»** قال: **نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ،** قال: **«فَأَسْوَأُ مَا لَكَ بِنَا»**^(٨٣) يعني لك أسوة فينا اقتد بهدي النبي عليه الصلاة والسلام.

وكانت عليّة بنت المهدي كثيرة الصلاة ملازمة للمحراب وقراءة القرآن وكانت تزين وتقول، وهذه العبارة الحقيقة في غاية الروعة تقولها هذه المرأة الصالحة عليّة بنت المهدي، كانت كثيرة الصلاة ملازمة للمحراب وقراءة القرآن ومع ذلك كانت تزين وتقول "ما

(٨٣) مسند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها، (صححه الألباني).

حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما أحل عوضاً منه، فيماذا يحتج العاصي؟ "عبارة في غاية الروعة وأقوى رد على هؤلاء الذين ينفرون من التدين ويصدون عن سبيل الله ﷻ ويهاجمون دين الله ﷻ أنتم تحترموا علينا كل شيء؟ كل حاجة عندهم حرام؟ البنك حرام وكذا حرام وكذا حرام أنت بتركبوا قطار حرام، فلا من قال إن كل شيء عندنا حرام؟! بالعكس انظر إلى هذه العبارة التي تحتاج أن توصف بعنوان يُشرح فيه مقالات عديدة "ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما أحل عوضاً منه" فكل ما حرمه الله هناك يكون فيه مصلحة للبشر أساساً وفي تحريمه للأضرار المقتترنة به، وفي نفس الوقت احترام الفطرة البشرية تسد أبواب الحرام وتفتح باب الحلال على مصراعيه "ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما أحل عوضاً منه" طب التي يقولوا علينا إن إحنا بنقول كل حاجة حرام المشروبات إيه حرام؟ الخمر حرام لكن إيه حلال بقى؟ حتعد آلاف المشروبات حلال، الخمر مثلاً حرام من المشروبات أو عصير القصب حرام وعصير البرتقال حرام إذا كنت سرقت هذا البرتقال أو أتيت به من مالٍ حرام فهو ليس هنا محرماً لذاته لكن محرم بسبب المال الحرام الذي اشتريت به، فالحرام دائرته ضيقة جداً، والحلال هو الأصل ودائرته واسعة جداً، ودائرة الحرام ضيقة جداً في غاية الضيق، في المأكولات حرام الميتة والخنزير والدم لحكم عظيمه الله ﷻ حرمها لأجلها ومحافظه على صحة الناس وغير ذلك من الأسباب واضح مما نعلمه ومما لا نعلمه وتخفى حكمته علينا، لكن انظر إلى الحلال، عد الحلال الناس التي بتقول علينا كل حاجة عندهم حرام عد الحلال، كم تعد من المأكولات التي أحلها الله ﷻ؟ آلاف المأكولات حلال فمش كل حاجة عندنا حرام، الحرام ما حرم الله ورسوله ﷺ والحلال ما أحل الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فالشريعة تحرم التزين؟! لا كما ترون التزين يُنظر إليه على أنه عبادة ومن الحقوق المتبادلة بين الزوجين ويعاتب عليها، وانظر إلى مخاطبة الرسول إلى عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو بن العاص قبل ذلك والشدة عليه «مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي

فَلَيْسَ مِنِّي»^(٨٤) انظر إلى العبارة الشديدة لماذا؟ لأنه انحراف عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام والمنهج الوسطية، ففين بقى كل حاجة حرام؟! الحرام أن تبدي المرأة زينتها للرجال الأجانب عنها لأنهم لا يؤتمنون عليها ولأنهم يُفْتَنون بها واضح؛ فلذلك أمر الرجال بغض البصر من جهة، وأمر النساء بستر الزينة من جهة أخرى واضح، فالزينة مش حرام الزينة حلال، لكنها تغطي زينتها ولا تظهرها إلا للمحارم أو أمام زوجها لأنهم هم الذين يؤتمنون على المرأة، فكلام منطقي لا يرفضه أي إنسان عاقل، لا الزينة حرام ولا التزين حرام ولا التمتع بما أحل الله ﷻ من الطيبات حرام، يعني هذه العبارة الحقيقة أنصح الإخوة بحفظها لأنها عبارة فائقة ورائعة في التعبير عن منهج الإسلام في قضية الحلال والحرام.

كانت عُلية بنت المهدي كثيرة الصلاة ملازمة المحراب، الربط بين العبوس والتكشير وسوء الخلق والنكدية وبين التدين هذا مفهوم غير صحيح على الإطلاق أبداً، الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتبسم وكان ضحاكاً بساماً بشوشاً، ومع ذلك كان في عبادة الله كما نعلم أجمعين، وفي أداء الحقوق كلها كما نعلم في نفس الوقت، ما فيش تعارض، فالربط بين التدين وبين حرمان طيبات الله هذه مغالطة يُقصد بها الصد عن سبيل الله حتى ينجرف الناس وراء الشهوات واتباع الشيطان وأتباع الشيطان والدعاة على أبواب جهنم، فلا تعارض بين التعبد والذكر والخشوع وقراءة القرآن وملازمة المحراب وبين تزين المرأة لزوجها، هذه عبادة وهذه عبادة، نعم.

كانت عُلية بنت المهدي كثيرة الصلاة ملازمة للمحراب وقراءة القرآن وكانت تتزين وتقول: "ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما أحل عوضاً منه فيما إذا يحتج العاصي؟".

(٨٤) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة ويدها سبيحة فقلت ما أبعد هذا من هذا! فقالت: والله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب يقول: فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تترين له، وقد راج بين العرب قديماً مثل يقول "أطيب الطيب الماء" لأن زينة المرأة عندهم هي النظافة في الدرجة الأولى، ومن هنا فإن من واجب الزوجة أن تسعى إلى إرضاء زوجها وإدخال السرور على قلبه، إذا جاء بيته فتستقبله متزينة مننظفة، لا تبدي تعباً من عمل ولا نفوراً من أمر، متحرية إدخال السرور على قلبه، فتحمل متاعه وتعيّنه على نزع ثيابه وتقدم إليه ما يلبس في بيته، وذلك مراعاة لسروره وسعادته بامرأته.

سُئِلَ إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمته الله عن المرأة تبالغ في إكرام زوجها فتتلقاه وتنزع ثيابه وتقف حتى يجلس؟ فقال: أما التلقي فلا بأس به، وأما القيام حتى يجلس فلا، فإن هذا فعل الجبابة، وقد أنكره عمر بن عبد العزيز رحمته الله، فانظر كيف أقرها على أن تتقاه وتكرمه إذا دخل وتنزع ثيابه، لكن تقف حتى يجلس لا هذا فعل الجبابة، وما أكثر الجبابة في هذا الزمان، الجبابة، بعض الناس ينظر أن المرأة دي أمة، بالضبط أمة، والنموذج اللي قدمه هذا الشيطان المدعو نجيب محفوظ بتاع مش عارف السيد، هو الكلمة مقصودة هو السيد وهي أمة يعني، هذا النموذج مازال يُستدل به من وقتٍ لآخر، فهذا النموذج الغريب مفهوم بعض الناس أن هذه هي الرجولة، القسوة والفظاظة والغلظة والجلافة واضح، فيسلكون مسالك الجبابة، ويتعاملون على أن المرأة أمة يعني شيء يملكه، أو نظرتة نظرة بهيمية لغرض محدد وكفى وحسب.

وكما تعلمون فمع اهتمام الإسلام بهذا الأدب العظيم لكن يعني ما أكثر الزوجات التي تلقى زوجها مشغولة بطبخها الذي تأخرت فيه، بذلة الثياب، تعب، ضيقة الصدر، كثيرة الشكوى والضجر، لا تلبث إحداهن بعد الأشهر الأولى من الزواج أن تنهك في مراعاة الطبخ أو المطبخ والأثاث وتبذل في ذلك غاية وسعها، حتى تنصرف من حيث لا تشعر عن

الاحتفاء بزوجها في الملبس أو الزينة، وإن كانت لا تغفل عن ذلك الاحتفاء وتلك الزينة لاستقبال أترابها وزيارة جاراتها؛ مما يكون عاملاً أساسياً في نفرة الزوج وسخطه، فيدخل البيت مستعيذاً من شرها، ويفر منه مستجيراً من ضرها، إذ يجد زوجة قد تحولت عنه وتقمصت شخصية الخادم التي تحس أن واجبها منحصر في خدمة البيت دون العناية بصاحب ذلك البيت، يعني الزوج.

أوصت أم ابنتها عند زواجها فقالت: أي بنية لا تغفلي عن نظافة بدنك فإن نظافته تضيء وجهك، وتحبب فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوي جسمك على العمل، فالمرأة التفلة تمجها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسباع، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مستبشرة، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه.

كذلك ينبغي للرجل أن يتزين لزوجته بما يناسب رجولته كما يجب امرأته أن تزدان له، أيضاً يعني بخاتم الفضة، يعني ترجيل الشعر وإكرامه، تغيير الشيب، وهذه للأسف سنة مهجورة، ما أدري لماذا ندعي السلفية والتمسك بالسنة والإخوة الأفاضل الذين يسرع إليهم الشيب، طبعاً غالباً بسبب وراثي مش بسبب آخر، فيسرع إليهم الشيب ولا نجد الاهتمام بتغيير الشيب بالصفرة أو الحمرة، يعني يستحب بل هي سنة مؤكدة تغيير الشيب بأي لون ما عدا الأسود وأفضله الكتم، الحناء والكنم، وكذلك الطيب، اهتمام الرجل بالطيب والسواك، وطبعاً هناك أنواع من التزين مما حرمه الله ﷻ على الرجل، كحلق اللحية أو لبس خاتم الذهب، والحريز، وجر الثياب أسفل الكعبين، فالرجل يتزين بما يناسب رجولته كما يجب أن يرى امرأته تزدان له أيضاً، فإنها يعجبها منه ما يعجبه منها، وقد فهم السلف ذلك من قول الله تبارك وتعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْيِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرِيْهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨].

كثير من الأزواج قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ [المطففين: ٢: ٣] هو يحفظ حقه جداً لكنه يتجاهل واجبه، ما عليه إلا ما يعرفهوش، لكن يعرف كويس جداً ويحفظ حقوقه كاسمه ويتعسف باستعمال هذه الحقوق، فهذه آية في القرآن قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرَيْبِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وهي درجة القوامة.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها عليّ، يعني لا أستوفي حقوقي منها حتى لا تعاملني بالمثل فتطالب أيضاً بكل حقوقها، كما أشرنا من قبل موضوع الحقوق والواجبات في موضوع الزوجية التصور الموجود عند بعض الناس إنه موجود في محكمة أو في قسم شرطة أو ثكنة عسكرية، موضوع أوامر ونواهي، وكل شيء أنا آمر بكذا وعليك أن تسمعي وتطيعي، ويذكر الآيات والأحاديث في وجوب الطاعة، هذه المعاملة الميري المعاملة الرسمي ما تصلح في الحياة الزوجية، هي وجدت نعم في الشريعة لأجل ضبط الحقوق والواجبات للرجوع إليها عند التنازع، لكن الأصل هو التسامح والمعاشرة بالمعروف، فلا مانع أن يعين امرأته في أعمال البيت، إيه المشكلة؟ الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أشرف خلق الله كان في مهنة أهله، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقم البيت، يكنس البيت، إيه المشكلة؟! هل هذا يتنافى مع الرجولة؟ ما يتنافى، هذه المفاهيم ينبغي أن تستأصل، ما يتنافى مع رجولته، الرجولة أخلاق وكرم ونبل، أما هذه الأشياء إنه كل شيء يفرض.. لأن بعض الناس يكون في عقد كثيرة قوي وما صدق لقي واحد تحت حكمه فيطلع فيه الي بيعمله معاه مديره مثلاً في الشغل أو الضابط الي فوق منه في الجيش، يجي يطلع بقى يعمل الإزاحة، يطلع فيه الي هو بيشفه من الثانيين الي هم أقوى منه، فشايف دي أضعف

فيخلص منها بقى في البيت الحاجات اللي بيعانيها من هو فوقه في الخارج والإذلال والأمر، ما هذه العقد؟! لا بالعكس أنا أتذكر كلمة جعفر الصادق عليه السلام، كان يقول عبارة جميلة جداً أيضاً، يقول: إني لأستحيي أن أظلم من لا يجد له ناصرًا إلا الله تعالى، والرسول أيضاً عليه الصلاة والسلام ما فاتته حتى هذه، أبداً عليه الصلاة والسلام، ما من بابٍ من أبواب الخير إلا دلنا عليه، وما من بابٍ من أبواب الشر إلا حذرنا منه، يقول عليه الصلاة والسلام «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»^(٨٥) يوصي بالتورع من تضييع حق هذين الطرفين، وانظروا كيف قرن اليتيم بالمرأة وسواهما معاً، الضعيفين لأن المرأة رقيقة بالنكاح قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥] فينبغي أن يكون عنده رحمة، وكما قلت موضوع العلاقة الزوجية - وأكررها ولا أمل - مش واحد زائد واحد يساوي اثنين أبداً، موضوع العلاقة بين الزوجين مش واحد زائد واحد يساوي اثنين، لا لازم نتغاضى عن هذه القوانين، واحد زائد واحد ممكن تساوي عشرة، ممكن تساوي عشرين، تساوي خمسين مائة، مش شرط واحد زائد واحد يساوي اثنين، الكلام ده بقى لما يكون فيه نزاع وتحاكم وتخاصم وكذا فنعم واحد زائد واحد يساوي اثنين ساعتها، لكن الأصل كل الحياة تبقى مبنية على إنك أنت قائد وهي جندي؟! كل شيء ماشي على هذا الأساس؟! وتستوفي حقك تماماً ثم تتجاهل حقوقها هي وتهمل حقوقها، وبعض الأزواج بيعملوا أشياء عجيبة جداً يعني أن الإنسان يعجب من الأمور التي نسمع عنها، إن الزوجة يعني يهينها ويذلها ويظلمها أفحش الظلم ثم يمنعها من الشكوى، يمنعها من الشكوى أو من أن تتصل بأبيها أو وليها الشرعي ليأتي لها بحقها، لأن هو يتصور هذا التصور العجيب أن المرأة أمة ملكها كقطعة أثاث، شيء يملكه ويتصرف فيه كما يشاء بدون

(٨٥) مسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

رقيبٍ ولا حسيب، من قال هذا؟ أي دين؟! لا يمكن أن يكون دين الإسلام أبدًا، لا؛ لأن المرأة إنسان مكرم، له كرامته وله حقوقه وعليه واجباته.

أيضًا كما قلنا كل حق يقابله واجب، فالمرأة في الشرع الإسلامي نعم تظل المرأة محتفظة بأسرار بيتها حتى مشاكلها مع زوجها هذا أفضل، ولا تدخل طرفًا ثالثًا مادام هما يجلان المشاكل ومادام هو ينصفها ويعطيها حقوقها، لكن هل إذا ظلمها وضع حقها ليس من حقها أن تشتكي، من قال هذا؟! في هذه الحالة من حقها، يجب أن تمكن من الشكوى لأبيها أو وليها الشرعي حتى ينصفها ويعطيها حقها، فالأب أو الولي نعم ليس له أن يتدخل في حياة ابنته إلا في حالة ما إذا عجز الزوج عن فض المشاكل بينهما أو عن أداء حقها إليها واضح، ففي هذه الحالة لها أن تتظلم لوالدها أو للقاضي الشرعي أو غير ذلك حتى تستوفي هذا الحق، من قال إن الله ﷻ قال إني حرمت الظلم على نفسي إلا ظلم الرجل لزوجته؟! من قال أو من زاد في الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة إلا ظلم الرجل لزوجته فهو نور يوم القيامة واجتهدوا فيه؟! من قال هذا؟! هذا ليس ديننا، وليست أخلاق نبينا ﷺ، وإذا كنا نزعم التحاكم للسنة وتعظيم السنة والتمسك بها فلأن نتمسك بها في هذه الأخلاق وفي هذه الولايات أولى من التمسك بها في اللحية وفي الثوب وفي الأذكار وفي غير ذلك، فلا تبعض لأحكام الإسلام، لا بد أن نتمسك بها كلها ونتأدب بهذه الأخلاق كلها.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل

حقي الذي لي عليها فتستوجب حقوقها التي لها علي؛ لأن الله قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصِدْنَ بَأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٢٨﴾** [البقرة: ٢٢٨] أي زينة من غير مآثم.

وقد سرى هذا الفهم إلى التابعين، فهذا يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي يقول: أتيت محمد

بن الحنفية، فطبعًا يراعي بقى ويكون الإنسان عنده أيضًا ذوق، مش يرى أن زوجته تكره

شيء معين يتعمد أن يفعل هذا الشيء، تنقبض من رائحة معينة من الطيب فيتعمد أن يأتي بهذا الطيب، هذه معاشرة بالسوأى وليست معاشرة بالحسنى، يتعمد أذيتها! نوع من الطيب هي تكرهه فيتعمد أن يتعاطى هذا الطيب أذية لها، تكره المخاطبة باسم معين فيتعمد أن يكرر لها هذا الاسم نكاية فيها، هذه ليست أخلاق الإسلام بل ولا أخلاق اليهود ولا أخلاق النصارى، ليست أخلاق البشر المكرمين أن يفعلوا هذه الأفعال.

فهذا يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي يقول: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إليّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية - وهو نوع من الطيب - فقلت ما هذا؟! قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهي منهن.

قال العلماء: أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم، فإنهم يعملون ذلك على اللبق والوفاق، يعني الحذق واللباقة، فربما كانت زينة تليق في وقت ولا تليق في وقت، وزينة تليق بالشباب، وزينة تليق بالشيخوخة ولا تليق بالشباب، والمقصود أنه يكون عند امرأته في زينة تسرها وتعفها عن غيره من الرجال، وقد وسعت شريعة الله الإباحة فيما يتزين به الإنسان ولم تقيده إلا تقييداً يسيراً لكي لا تخرج الزينة إلى المفسدة المضرة، قال تعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ ﴿يَنْبَغِيءَ آدَمَ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي

غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا حَيْلَةٍ»^(٨٦) أهم شيء عدم الإسراف وعدم التكبر والاختيال على الناس.

(٨٦) سنن النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (حسنه الألباني).

وعن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَا شِئْتَ وَالْبَسُ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَحِيلَةٌ»^(٨٧) فالإسلامُ يأمرنا بالاعتدالِ في اللباسِ والزينة، ويكره للرجلِ كما يكره للمرأة أن يباهي بثيابه أو يتعاضم بها؛ لأنه اشتغالٌ بالقشورِ وإعراضٌ عن اللُّباب.

نكتفي الليلة بهذا القدر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(٨٧) رواه البخاري موقوفاً على ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

التسريط الرابع

القوائم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد: فقد استفاضت السنة المطهرة بالتوجيهات النبوية المباركة التي تحث على التناسل وكثرة الولد، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ»^(٨٨) وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تدل على فضيلة طلب الولد ورجاء الثواب من كثرة الذرية؛ فلذلك من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية تكثير النسل، المحافظة على النسل الإسلامي، فهذه من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، حتى إن العلماء حكموا بأن أي حديث فيه حث على العزوبة وتفضيل العزوبة فهو حديث ضعيف لا يمكن أن يصح عن النبي ﷺ، ويُرفض من حيث المتن لأنه في هذه الحالة يُعتبر متناقضاً مع مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو تكثير النسل، فأبي حديث مما فيه تفضيل العزوبة والحث على العزوبة أو تزهد الناس في الزواج يُعتبر حديثاً ضعيفاً لا يُعمل به ولا يجوز الاحتجاج به لسبب أساسي وهو أن هناك يعني عيباً في متنه أو نكارة في متنه من حيث إنه يتنافى ويتعارض مع المقاصد العليا للشريعة الإسلامية.

وقد رُتِبَ الأجر على كثرة الولد، حتى لو لم يعيش هؤلاء الأولاد، فقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ النَّاسِ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»^(٨٩).

(٨٨) سنن أبي داود من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، (صححه الألباني).

(٨٩) صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

كذلك من رباهم وسهر عليهم حتى كبروا وكانوا صالحين فإن أجره لا شك أكبر وأعظم، وتعلمون قول النبي ﷺ «صَغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ»^(٩٠) يعني يتلقى أحدهم أباه عند باب الجنة فيأخذ بصنفة إزاره كما أخذ أنا بصنفة إزارك هذا فلا ينتهي به حتى يدخله الجنة، يعني الصغار الذين يموتون صغارًا وأطفالًا في حياة آبائهم فيصبر الآباء يعني يأتون يوم القيامة على باب الجنة فيأخذ أباه من ذيل ثوبه ويجره حتى يدخله الجنة، فهذه فضيلة الذرية حتى لو ماتوا صغارًا في حياة آبائهم بشرط أن يصبر الآباء على ذلك.

ويقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: يا سعيد تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً، يُجتمَل معنى هذا الأثر عن بن عباس أحد معنيين "يا سعيد تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً" إما المقصود خير هذه الأمة يعني خير المسلمين من تزوج أكثر لأنه مظنة أن ينجب أولادًا أكثر، أو تزوج واقتد بالنبي ﷺ فإنه خير هذه الأمة، فيكون المقصود بخير هذه الأمة النبي ﷺ وكان أكثرها نساءً، وما ذلك إلا لطلب الولد والذرية، وقد كان لقيس بن عاصم رضي الله عنه اثنان وثلاثون ذكرًا.

أما ما ورد في السنة من الترخيص في العزل مع الكراهة فإنه لا ينبغي أن يؤخذ الجواز من هذا الترخيص، فإنه جواز ترغيب الناس على العموم فيما يُسمى بوسائل منع الحمل أو تحديد النسل، فإن هذا ينافي مقصود الشارع الحكيم من حفظ النسل واستمراره، يعني باختصار شديد وإن كنا ناقشنا هذه القضية بالتفصيل، موضوع تحديد النسل هو جائز بالجزء ممنوع بالكل، جائز بالجزء يعني ينبغي أن يُفتى فيه كل إنسانٍ على قدر سؤاله، فبعض الناس يحتاج إلى ذلك ويُباح له ذلك والبعض لا يجوز له ذلك، أما أن يدعى المسلمون دعوة عامة إلى تنقيص نسلهم فهذا ما لا يجوز على الإطلاق، هذا لا يمكن أن يجيزه عالم من العلماء لسببٍ مهم وهو الذي ذكرناه، وهو أن هذا يتنافى مع المقاصد العليا للشريعة الإسلامية،

(٩٠) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السياسات العليا والأساسية للشريعة الإسلامية تقضي بتكثير النسل المسلم واضح، ففينا يتعلق بالترخيص الذي ورد في بعض الأحاديث فيما يتعلق بالعزل مع كراهته إنما يُراد به حالات معينة، حيث ربما يكون مباحًا، أو ربما يكون أحيانًا واجبًا لحفظ حياة الأم وهكذا، فتحديد النسل أو الأخذ بهذه الوسائل إذا أبيح فإنها يُباح بالجزء، بالجزء يعني كل حالة تُقدر بقدرها، والطبيبة المسلمة الثقة هي التي تحدد إن كانت صحة الأم مثلاً لا تحتمل ذلك أو لغير ذلك من الأسباب المعتبرة شرعًا، ففي هذه الحالة يجوز بالجزء لكن لا يجوز الإعلان بصفة عامة في المجتمع الإسلامي لتحريض الناس على تقليل النسل؛ لأن هذا ينافي مقصود الشارع الحكيم من حفظ النسل واستمراره.

يقول الأستاذ عدنان باحارث: كما يجب أن يفهم أن دعوى تحديد النسل بين المسلمين دعوة تبشيرية نصرانية تهدف إلى تقليص أعداد المسلمين، علمًا بأن تحديد النسل بالنسبة لأهل الكنيسة يُعد جريمة، فهذه إيطاليا تضع قانونًا صارمًا ضد من يقوم بالدعاية لتحديد النسل أو يقوم بعملية إسقاطٍ للجنين بصورةٍ متعمدة؛ وذلك لعلمهم وبقينهم أن الثروة البشرية هي أكبر مصدرٍ للاقتصاد، فالإنسان هو صاحب إمكانية العمل والتفكير والاختراع وتركيب الأغذية وإيجاد الحلول، وعامة القوانين الغربية تحرم يعني الإجهاض.

هناك فرق بين هذا الذي أشرنا إليه وبين تنظيم الحمل، عملية تنظيم الحمل وترك فراغ زمني بين المولود والذي يليه لمصلحة الأم ومصلحة المولود الذي يحتاج بعد الولادة إلى كثيرٍ من الحقوق كالرعاية والرضاعة وغير ذلك، فالمقصود إذا روعي مصلحة المرأة صحيًا ومصلحة الطفل الذي يرضع وحصل أخذ ببعض هذه الأسباب التي لا تضر يعني لفترة، وهي في العموم بتكون تقريبًا ستان، تفرغ الحمل أو منع الحمل في هذه الفترة مؤقتًا إلى أن يستوفي الرضيع حقه من الرضاعة، لأنه إذا حصل حمل أثناء الرضاعة فإن هذا قد يضر بهذا الرضيع الذي يرضع، وإن كان يُعتبر من وسائل منع الحمل الفسيولوجية الطبيعية مجرد الرضاعة، الرضاعة نفسه يُعتبر إبه؟ وسيلة من وسائل منع الحمل، لكن هذا غير مطرد في كل النساء، يمكن أن يقع حمل مع الرضاعة واضح، فالشاهد يعني أنه إن كان هذا يحصل عند

بعض النساء لحكمة من الله ﷻ أن يُمنع الحمل أثناء الرضاع بصورة طبيعية مادامت ترضع، لماذا؟ حتى يُعطي المولود الرضيع حقه من العناية والاهتمام والرضاع، لكن إن حصل حمل فربما يترتب يعني على ذلك بعض الضرر، وهذا هو نكاح الغيلة المعروف.

ومعلوم أيضاً أن الشريعة جاءت بإباحة تعدد الزوجات لأسباب عديدة، من هذه

الأسباب طلب الذرية والاستكثار منها، كما أن الشريعة حرمت ومنعت كل ما يعوق تحقيق هذا المقصد كالرهبانية والتبتل وغير ذلك من المعوقات، ففياً يتعلق بأمر يعني طلب الولد

أشار إليه القرآن الكريم في قول الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ

الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ

أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بِشِرْوَهْنِ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ

وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهْنَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧] فالآن باشر وهن يعني وابتغوا ما كتب الله لكم يعني هذا أمر

بالأ يقنصر الأمر على قضاء وطرٍ ولكن ينوي أيضاً ابتغاء ما وضع الله في النكاح من

التناسل، وابتغوا ما كتب الله لكم يعني من الذرية، فإن هذا لا بد في تحصيله من الأخذ يعني

بالأسباب؛ ولذلك قال جمع من السلف في تفسير هذه الآية قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ

أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بِشِرْوَهْنِ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى

الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهْنَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧] منهم أبو هريرة وابن عباسٍ وأنس بن

قالوا أي من أجل طلب الولد.

وقال النبي ﷺ لجابر بن عبد الله رضي الله عنه: «إِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ»^(٩١) وهذا حديث متفق عليه، المقصود بالكيس هنا الولد، يعني لأنه لا يأتي إلا بالنيكاح فجعل طلب الولد من العقل، الكيس يعني العقل، الكيس الكيس يعني جعل طلب الولد من العقل. وتعلمون حديث النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليه السلام لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»^(٩٢) طبعاً سبق أن بينا في تفسير سورة ص، في تفسير قول الله تعالى قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ﴿٣٤﴾ [ص: ٣٤] وقلنا إن الأقرب تفسير هذه الآية بهذه الواقعة وهي حينما لم يقل إن شاء الله لما حلف على ما حلف.

قال الحافظ بن حجر: قوله باب - قول الإمام البخاري في ترجمته لهذا الحديث - قال باب من طلب الولد للجهاد أي ينوي عند المجامعة حصول الولد ليجاهد في سبيل الله فيحصل له بذلك أجر وإن لم يقع له ذلك، يعني يُثاب على هذه النية. وروي عن عمر أنه قال: تكاثروا من العيال فإنكم لا تدرسون ممن ترزقون. وقال الإمام الماوردي: وأن ينوي في ذلك كله نية الولد، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وينوي في الولد أن الله لعله يرزقه من يعبد الله ويوحده ويجري على يديه صلاح الخلق وإقامة الحق وتأييد الصدق ومنفعة العباد وعمارة البلاد.

(٩١) صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٩٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من متعلقات الأمور التمهيدية المتعلقة بحقوق الأولاد حتى قبل أن يولدوا تعلق بقضية الوضع الاجتماعي بالنسبة لعلاقة الرجل بالمرأة في البيت، وهذا أمر في غاية الأهمية، وأي خلل في هذا الأمر لا جرم ينعكس على يعني نمو الأولاد النفسي، فهذا الموضوع هو موضوع قوامة الرجل على المرأة، لا بد أن يحتفظ الرجل بمركز القوامة والقيادة في هذه السفينة واضح، فيما أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل اختلافاً جذرياً فلا يمكن إغفال هذا الاختلاف بحالٍ من الأحوال، حتى إن خلايا جسمها تحمل طابعاً أنثوياً، فهي مخلوقة لمهام تناسبها، كما أن الرجل مخلوق لمهام تناسبه أيضاً؛ ولهذا جاءت الشريعة بالتفريق بين الرجل والمرأة في المهام والأعمال، وبالتساوي بينهما في الجزاء والعقاب عند الله ﷻ، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨].

يقول القرطبي رحمه الله: وللرجال عليهن درجة، يقول أي لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وللرجال عليهن درجة يعني منزلة، هذه الدرجة هي درجة القوامة، يعني هما متساويان في مبدأ الحقوق والواجبات، فحق المرأة واجب على الرجل، وواجب المرأة حق الرجل، والعلاقة بينهما مبنية على قاعدة على أن كل حق يقابله أداء واجب، كل حق يقابله واجب، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨] وهي لا شك درجة القوامة كما سنبين إن شاء الله تبارك وتعالى.

ففي ضوء هذه الآية الواضحة قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرَ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨] وفي ضوء قول النبي ﷺ «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ
 الرِّجَالِ»^(٩٣) نعلم خطأ التصور الذي تتلقاه بعض الناس جيلاً عن جيل مما فيه نظرة احتقار
 وازدراء للمرأة، فهذه من أمور الجاهلية كما قال عمر رضي الله عنه: «مَا كُنَّا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا حَتَّى
 أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ» فهذه بقايا ورواسب الجاهلية، ثم أتت في الإسلام بعض النصوص
 أو بعض المأثورات التي لا تصح بحال لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة فعملت معاملة
 التقديس ونُظر إليها نظرة يعني كأنها حديث صحيح أو قول عن المعصوم عليه السلام، وبالغ
 الناس في ذلك حتى صاروا تُبنى نظرتهم أساساً للمرأة على أساس الاحتقار للمرأة، مثلاً ما
 يروى عن بعض السلف أنه قال لزوجته: إنها أنت لعبة إن احتجنا إليك وإلا تركناك، يترك
 الآية الواضحة الصريحة الدلالة قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٢٨﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ
 يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨] ويترك قول النبي عليه الصلاة والسلام «إِنَّمَا النِّسَاءُ
 شَقَائِقُ الرِّجَالِ»^(٩٤) ويترك قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ تَيْمُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
 بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ
 خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ [النساء: ١٩] ويترك كل هذه النصوص ثم يتشبث بها يوافق هواه من
 هذه الآثار التي لم تصح عن النبي ﷺ، وهذه النقطة بالذات مما اتخذته أعداء الإسلام سبيلاً

(٩٣) سنن أبي داود، سنن الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها، (صححه الألباني).

(٩٤) سبق تخريجه.

للطعن في الدين والصد عن سبيل الله بحجة أن المسلمين يفعلون بالمرأة كذا وكذا، ويعلم الله ما كُرِّمت المرأة في شريعة كما كُرِّمت في شريعة الإسلام، فلا السنة القولية ولا العملية تؤيد مسلك هؤلاء الناس، عملية احتقار المرأة والنظر إليها نظرة ازدراء هذا من رواسب الجاهلية التي تستر وتتخفى وراء يعني إما أحاديث ضعيفة وموضوعة وإما آثار لم تصح عن السلف أو حتى لو صحت فينبغي أن يعارض بها القرآن الكريم والسنة.

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَسَبَتْ قُنُودُهُمْ حَفِظْتُ لَهُمْ مَا كَفَرْتُمْ فَذَرُونِي أَصْطَفِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ [النساء: ٣٤].

يقول ابن كثير رحمته الله: الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، هذا معنى القوامة، الله تعالى بمقتضى الفطرة آتى الرجال خصائص وآتى النساء خصائص ووزع المسئوليات على كل منهما، ولكن مع ذلك لا بد لكل سفينة من ربان، ولا بد لكل طائرة من قائد، ولا بد لأي مؤسسة من رأس يقودها، وتكون له الكلمة العليا، فهذه هي مرتبة القوامة، فالله تعالى فضل الرجل أولاً يعني بأنه رجل برجولته، ثم أيضاً بقيامه بالنفقة على زوجته، فهو معنى أن الرجل قيم على المرأة هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، ولا زلنا نكرر أن هذا كله في حق الرجل السوي؛ لأن بعض الناس للأسف الشديد كما تكلمنا الأسبوع الماضي لا يعني يكون عندهم اعتدال في هذه النقطة، هو يعني كمل نقول مراراً هناك فرق بين الحق بين استعمال الحق وبين التعسف في استعمال الحق، يعني مما أعجب له بشدة بعض الناس مثلاً امرأته زوجته أبوها مرض مرضاً شديداً حتى وصل إلى مرحلة الاحتضار، وهو ومن حوله جميعاً يعني يشيرون عليه ويعارضون هذه المرأة التي تشتاق أن ترى أباه قبل أن يموت واضح، يقول لها لأطاعتك لزوجك ومكثك في البيت بدون أن تري أباك حتى لو مات لك فيها ثواب كذا وكذا،

ويستدلون بالحديث المشهور على ألسنة الناس مع أنه لا يصح عن النبي ﷺ، أذكركم بالحديث وهو أن امرأة مريض أبوها فاستأذنت زوجها في أن تزوره فلم يأذن لها حتى مات أبوها، فحزنت لذلك حزناً شديداً فأوحى الله إلى نبيهم إن الله قد غفر لها بطاعة زوجها، فيتشبثون بمثل هذا، فكما قلت مراراً الموضوع مش واحد زائد واحد يساوي اثنين، حقه يبقى ما يفوتش فرصة إنه يتنازل عن حقه، أحياناً تكون هناك سوء معاشرة، هذا ليس من المعاشرة بالمعروف، أن يجرمها من رؤية أبيها حتى وهو على فراش الموت ! ما هذا التعسف؟! هذا تعسف ويحتاج ! طيب إن كان في سبب معقول نقول نعم تطيع زوجها ولا تخرج إلى زيارة أبيها، لكن إن لم يكن هناك سبب معقول، العملية محض تحكم، محض تحكم ويكون الإنسان عنده نقائص في نفسه أو مشاعر هو يحتاج إلى علاجها فمجرد أن يقع تحت يده يكون في يده سلطة يقهر كل من تحته، وهذا باب ما يكون يعني مستبداً في البيت فقط لكن في كل مكان، متى ما وقع إنسان تحت قبضته فإنه لا يرحمه ولا يتعامل بالحسنى ولا يعرف المعروف إليه سيلاً، فهناك فرق بين الحق والتعسف في استعمال الحق، فإن كان هناك سبب وجيه منطقي أو شرعي بتعبير صحيح يمنعه من الإذن لها بالذهاب لزيارة أبيها حتى وهو على فراش الموت نقول نعم تطيع وتؤجر إن شاء الله من الله ﷻ، لكن هل تصل الأمور لهذا الحد؟! يصل الجفاء إلى هذا الحد؟! حتى أبوها الذي هو على فراش الموت والذي يموت دون أن تراه، حتى هذه نتعسف فيها؟! فهذا أيضاً من مظاهر التعسف وعدم احترام آدمية المرأة وكرامة المرأة ومشاعر المرأة لأنها إنسان مكرم معزز داخله في قوله تعالى

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠] فكل إنسان مكرم لأنه ليس خشبة وليس جماداً وليس حيواناً لكنه إنسان كرمه الله ﷻ بهذه الإنسانية؛ فإذا التعسف الذي يحصل والنماذج كثيرة أكيد لو قلنا كل واحد يذكر ما عنده من النماذج ما تنتهي لن تنتهي، لكن هذه مجرد إشارة إلى عملية التعسف في استعمال الحق، خاصة بالنسبة

للرجال يعني مع النساء مما يورث فيما بعد مشاكل كثيرة جداً، فربما صبرت المرأة وكتمت في نفسها أو بتعبير آخر كبتت وكبتت وكبتت إلى أن يحصل انفجار في النهاية، فإن الفطرة لن تطيق هذا الضغط المستمر، والرجل الحكيم العاقل لابد أن يدع متنفساً بين وقتٍ وآخر، يقول الشاعر:

وإذا ملكت النفوس فابغِ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء

هذه لكل إنسان يملك سلطة على من دونه، حتى الساسة في السياسة يأخذوا بالهم من هذا الأمر، يعني كان أيام عبد الناصر في وقتٍ من الأوقات حس إن في غليان في الشعب، غليان شديد وكبت وقهر لشدة الكبت والقهر، وبعدين خطب خطبة وقال لهم يا جماعة كل واحد يكتب شكوى الي عنده أي شكوى في أي مرفق من المرافق أو أي مؤسسة أو أي وزارة، كل الجماهير مطالبة أنها تكتب في رؤسائها يعني الي عنده أي شكوى يكتبها واضح، وسننظر في هذه الشكاوى ونأتي لكم بالعدل ومش عارف إيه إلى آخره، فطبعاً الي حصل إن فعلاً الناس استجابت وفرحت جداً، وهذا حصل فعلاً كل واحد قعد يكتب كل حاجة معذبا، طبعاً هو أكيد دي كانت نصيحة من حد يفهم في الأمور النفسية؛ لأن هذه المقصود مجرد تنفيس عن شحنة أو شحنة مكبوتة وسُمح لها بأن تتنفس، خلاص بس طبعاً هو مش ممكن يعمل شيء واضح، لكن هو المقصود أن يترك لهم فرصة للتنفيس، بين وقتٍ وآخر تجد بعض الحكومات مع تسلطها وقهرها وجبروتها بيتركوهم يعملوا مظاهرات أحياناً حتى لو عملوا تخريب لكن يبقى محدود لأن بيدي فرصة للتنفيس، كذلك أنت مع أولادك خاصة في سنة المراهقة كما تكلمنا بالتفصيل، الكبت المستمر ممكن يحصل انفجار بعد ذلك وتمرد، يخرج من يدك، لكن بين وقتٍ وآخر الحكيم لابد أن يترك متنفساً، فالكبت المستمر سينتهي بالانفجار؛ ولذلك كما يعني نقول فيما يتعلق بالتعامل مع المرأة الكبت الكبت الكبت لابد في النهاية ينتهي لهذا، ومن حكمة الله ﷻ أن كثيراً من الأمور التي نعتبرها الآن

نحن اكتشفناها حديثاً مثل العلاج عن طريق التنفيس، العلاج بالتنفيس، أحياناً بعض الناس يكون عندها مشاكل ليس علاج هو مش طالب أي شيء غير إنه عايز حد يسمع له ينفس، هذا في حد ذاته نوع من إيه؟ حلة بتغلي فأنت بتشيل الغطاء بس علشان تهدأن النار شويه، بس بمنتهى البساطة، نفس هذا النوع من العلاج اللي إحنا بنعتبره حديث نص عليه القرآن الكريم، ألم يقل الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٤٨﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ [النساء: ١٤٨] فالمظلوم يُباح له أن يتشكى من ظالمه، دع له فرصة يتكلم، فإذا حصل بيُمكن من تحصيل حقوقه مثلاً عن طريق القضاء الشرعي أو غيره، أو حتى مجرد إنه يتكلم فهو بينفس عن هذا العناء الذي يعانیه؛ إذاً من الحكمة أن الزوج يترك للزوجة ولأبنائه فرص التنفيس، الكبت المستمر هو سيدفع ثمنه في النهاية، لا بد إنه إذا حصل بينهما شيء يعني إما أن يحل مشكلته معها بنفسها بالتعاون بينهم والتفاهم، وإما إذا عجزا عن حسم المشكلة ففي هذه الحالة لا بد أن يعترف رغباً عنه بحقها في أن تتشكى لوليها، أما أن يتعامل معها تعامل الأمة التي يملكها كما يملك المقاعد والكراسي والأجهزة، لأ المرأة إنسان مكرم فلا بد أن تُعطى فرصة للشكوى لوليها كي يعطيها حقها إذا لم تستطع أنت أن تؤدي لها هذا الحق واضح، فنذكركم بالبيتين أيضاً

وإذا ملكت النفوس فابغِ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء

إذا كان الوحش الذي ليس عنده عقل ولا عاظة يعني جياشة كالإنسان يعني إذا أسأت إليه أو إذا حبسته في القفص يظل يعني إيه متربصاً بك حتى إذا ما أتت أول فرصة فإنه يهيج ويثور ويتمرد أو يهرب أو يفعل كذا أو كذا.

يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء

يمكن أكثر حيوان مشهور بالموضوع ده مين؟ الجمل حقود وصبور، ومن صبره إنه بيكتم في نفسه ويظل لحد ما يجي فرصة مناسبة ويقتنصها ويتمرد يعني على سيده.

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَدِّكَ قَنِينَتٌ حَفِظْتُمْ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ بِحَبْلِ جَنَّةٍ بَاطِنٍ وَهُجُرُوتُ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

يقول ابن كثير: الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدها إذا اعوجت، فقد أتى الله ﷻ الرجل أسباب القوامة من القوة، لا شك أن الرجل أقوى من المرأة، والشجاعة، لا شك أن الرجل أشجع من المرأة، وكمال العقل والدين مما يؤهله لإدارة الأسرة وحراستها والإنفاق عليها، حتى وإن استقلت المرأة ماليًا فهي لا تزال فطريًا بحاجة إلى قوامة الرجل وسيطرته، أي شيء يجري في الدنيا على خلاف فطرة الله التي فطر الناس عليها ما تنتظر منه إلا الفساد وإلا الخبال والبلاء، أي شيء يخالف هذه السنن الإلهية والقوانين يعني الفطرية، فالوضع الطبيعي هو أن يكون للرجل القوامة على المرأة، أما إذا انعكس الأمر وصارت المرأة هي القيمة أو هي المسترجلة فحدث ولا حرج عن الخلل الذي يحصل في هذا البيت، فالوضع الطبيعي والصحيح هو أن تحافظ المرأة للرجل على هذه القوامة وعلى هذه الدرجة وعلى هذه الفوقية عليها، والحقيقة إن استرجال المرأة وكونها هي المسيطرة الأم المسيطرة أو المتسلطة أو الزوجة المتسلطة هذه بلا شك تكون سببًا في الوبال، يعني إذا راجعنا المراجع النفسية التي كتبها الكفار لا يعرفون شيئًا عن الإسلام هم أنفسهم يقولون كثير من الأمراض تنشأ في الأولاد في الأسرة التي يكون فيها الأم متسلطة، فالأم المتسلطة تدمر أولادها وتدمر بيتها، أي نعم.

يقول: وحتى إن استقلت المرأة ماليًا فهي لا تزال فطريًا بحاجة إلى قوامة الرجل وسيطرته، كما أن الأولاد بحاجة إلى ذلك أيضًا، فإن رمز السلطة عند الطفل عادة يكون الأب، يكون للأب، الأب رمز السلطة الي هي السلطة الي فيها القوة والحزم والإدارة والسيادة، دائمًا رمز السلطة في نظر الطفل بيكون الأب، لكن رمز الحب والحنان عادة يكون

الأم، الأم للحب والحنان والعطف وكذا، أما الأب فهو لأخذ القرارات والحسم وللسلطة الحاكمة في الأسرة؛ لهذا كان واجباً على الأم أن تركز هذا المعنى في نفوس أبنائها لتوجد للأب المهابة في نفوسهم ليحصل الانتفاع بسلطته وشخصيته في عمليتي التربية والتعليم، فالأم مسئولة عن المحافظة على هذا المعنى في نظر الأولاد، يعني لا يصلح أنها تخدش سلطة الأب وقوامته سواء أمام الأولاد أما في غيابهم، نجد بعض الأمهات أحياناً تحزب الأولاد، آباء وأمهات ييحبوا الأولاد إلى فريقين، ده فريق الأم وده مع الأب، وبعض الأولاد كما قلت من قبل يلعب على الحبلين ليحصل نتائج ويستثمر هذا التحزب إلى مصلحته واضح، ففي الحقيقة الأم التي تفعل ذلك سواء تتكلم على الأب بطريقة غير لائقة في وجوده أم في غيابه هي في الحقيقة تفسد أولادها، فلا بد من المحافظة على المركز الأدبي للأب باعتباره رمز السلطة في البيت، الحاكم على هذا البيت، فإن خدش هذا الأمر مما يجني ثماره المريرة يعني الأولاد قبل كل أحد، فالأم مسئولة عن احترام الأب وغرس هذا الاحترام يعني في نفوس أبنائها حتى تبقى مهابة الأب في نفوسهم، وبالتالي يبقى له السلطة عليهم كي يقومهم إذا احتاجوا.

فنعود إلى موضوع القوامة يعني بعد أن أعلن الإسلام موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها نظر إلى طبيعتها وما تصلح له من أعمال الحياة، فالإسلام أبعد المرأة عن كل ما يناقض تلك الطبيعة أو يحول دون أداء رسالتها كاملة؛ ولهذا خصها ببعض الأحكام عن الرجل زيادةً أو نقصاناً، كما أسقط عنها لذلك الغرض بعض الواجبات الدينية والاجتماعية، وهذا حديث يطول، الحقيقة هذا موضوع مستقل لكن ليس موضوعنا الأساسي فذلك نتجاوزه، موضوع تقسيم الوظائف بين الرجل والمرأة في غاية الحكمة والتناسق كما هو شأن الإسلام في كل الأمور، فالمرأة تزيد عن الرجل في أحكام وتنقص عنه في أحكام، فنلاحظ مثلاً أن الشريعة لأن المرأة واجبة الأساسي هو خدمة البيت والزوج والأولاد ورعايتهم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ رَوْجِهَا

وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا» فمن أجل رعاية هذه الفريضة الأساسية في حياتها نجد أن الشريعة أسقطت عنها صلاة الجمعة بخلاف الرجل، فصلاة الجمعة غير واجبة على المرأة لماذا؟ لأنها مشغولة في بيتها، والشريعة راعت هذا الأمر، كذلك مثلاً هيئة الإحرام في الحج، هذه يُراعى فيها الاختلاف بين المرأة وبين الرجل في عملية التخفيف من الثياب، فالمرأة أيضاً لا تتكشف حتى في حالة الإحرام كما هو معلوم، في حين أن الرجل يعني يجرم في إزار وفي رداء، كذلك سقط عنها واجب الجهاد إلا في حالة النفير العام، وغير ذلك مما ينسجم مع فطرتها وطبيعتها ولا يرهقها من أمرها عسراً، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] ثم بين كيف خلقنا من ذكرٍ وأنثى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنْهَا نَجْمًا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَطُونٍ وَمِنْهُمْ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦] إذا المرأة الأولى حواء كانت في وجودها الأول مستندة إلى وجود الرجل وفرعاً منه، المرأة هي أصلاً فرع عن الرجل، الرجل هو الأصل ثم المرأة فرع، كما تعلمون خلقت من إيه؟ من ضلع، يعني وهي عظام القفص الصدري أو إحدى هذه العظام، فكون وجود المرأة في الأول مستنداً إلى وجود الرجل وفرعاً منه هذا أمر كوني قدري من الله ﷻ، أنشأ المرأة في إيجادها الأول عليه، وجاء الشرع الكريم المنزل من عند الله ليُعمل به في أرضه بمراعاة هذا الأمر الكوني القدري في حياة المرأة في جميع النواحي، فجعل الرجل قائماً عليها وجعلها مستندة إليه في جميع شؤونها كما قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا ضَلَجْتَ فَذَنْبُكَ حَفِظْتُ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ تَحَافُونَ نَشْوَاهُمْ بِفِعْظُوهُمْ وَهُمْ كَالشَّجَرِ لَا يُحْمَلُونَ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِجَاتَهُمْ عَلَىٰ صُرُوحٍ يُرَىٰ مِنْهَا مَا أَصَابُوا مِنْ غُلُوبٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤] فمحاولة استواء المرأة مع الرجل في جميع مناحي الحياة لا

يمكن أن تتحقق؛ لأن الفوارق بين النوعين كوناً وقدراً أولاً وشرعاً منزلاً ثانياً تمنع من ذلك منعاً باتاً، ولقوة الفوارق الكونية والشرعية بين الذكر والأنثى صح عن النبي ﷺ أنه لعن المتشبه من النوعين بالآخر «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(٩٥) «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرِّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ»^(٩٦) التي تشبه بالرجال، فلماذا هذا اللعن؟ لأن الشريعة حريصة أشد الحرص على احترام الفوارق الكونية القدرية والشرعية أيضاً بين النوعين كي لا تتحطم هذه الفوارق التي لا يمكن في الحقيقة أن تتحطم، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ [النجم: ٢١: ٢٢] أي قسمة غير عادلة، لعدم استواء النصيبين لفضل الذكر على الأنثى؛ ولذلك وقعت امرأة عمران في مشكلة لما ولدت مريم كما قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣﴾ [آل عمران: ٣٦] فامرأة عمران تقول ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ وهي صادقة في ذلك بلا شك ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ فهي صادقة في هذا بلا شك، أما الكفرة وأتباع الكفرة فيقولون إن الذكر والأنثى سواء، فأيهما أصدق هذه السالبة أم هذه الموجبة؟ لا شك أن هذه السالبة هي الصادقة ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ نفي، أما قول الكفار بما يُضاد قول الله ﷻ إن الذكر والأنثى سواء فهذه يعني كاذبة بلا شك، هذه مقولة كاذبة لا شك في ذلك.

بمناسبة هذه الآية قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

(٩٥) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٩٦) سنن أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها، (صححه الألباني).

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦] يُلاحظ هنا أن امرأة عمران هي التي سميتها، مع أننا نعلم أن التسمية من حق الأب، فهذا أيضًا يشير إلى عملية التسامح والتفاهم في موضوع تسمية الأولاد التي كثيرًا ما تحدث مشاكل، فهذه امرأة عمران هي التي سميتها مريم، ومع ذلك مع أن التسمية حق أصلاً هي من حق من؟ من حق الرجل، فهذا مما ينبغي أن يجري فيه التسامح.

فإذًا بما أن الإسلام يعني دين الفطرة فقد قررت يعني الشريعة اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة على مقتضى هذه الفطرة، فقد فضل الله ﷻ الرجل في خلقته بقوة في الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالأسرة والعام للأمة والدولة، ومن ثم فُرض عليه النفقة، وبهذا كان الرجال قوامين على النساء يتولون الرياسة العامة والخاصة التي لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها، فعليه جميع الأعمال الخارجية في أصل الفطرة.

ومن مقتضى الفطرة أيضًا اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الأطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شؤونه.

قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»^(٩٧) فتأمل كيف حصر وظيفتها في بيت زوجها، ولا ينازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة إلا جاهل أو كافر، بل إن من استقرأ طباع النساء السليبات الفطرة من جنابة سوء التربية وفساد النظام يرى أن هذه الأفضلية ثابتة عندهن، ولا أدل على ذلك من أن السواد الأعظم منهن يفضلن أن يكون مولودهن ذكرًا ويتفاخرن بذلك.

(٩٧) سبق تخرجه.

أما أدلة هذه الأفضلية، فمنها قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١﴾ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ **فَأَلْصَقَتْ قَدِيدَتُهُ حَفِظَتْهُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَحَافُونَ نُسُورَهُمْ فَعِظُوهُنَّ بِمَا وَهَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَثِيرًا** ﴿٢٤﴾ [النساء: ٣٤] وهم الرجال ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ وهن النساء، وقوله **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴿٢﴾ هذه درجة القوامية، وأنه القيم عليها؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» (٩٨).

وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه. يقول ابن عطية: وهذا قول حسن بارع، فانظر كيف يكون نص ممكن يكون نص واحد ولكن الناس تفترق افتراقاً متبايناً وشديداً عند التطبيق والفهم، فهذه الآية قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١﴾ **وَالْمَطَلَقَاتُ يَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرِيهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨] يحيى واحد ينظر إليها لأنه أناني ينظر إليها أن الله فضله الله أعطاه هذه الدرجة، درجة القوامية، فيكون أنانياً، فمثلاً يعني يتعسف كما قلنا في استعمال حقوقه ويتنطع ويعسر الأمور التي يمكن أن تكون يسيرة، في حين انظر كيف نظر بن عباس وهو ترجمان القرآن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إلى تفسير هذه الآية، يقول أن هذه الدرجة إشارة إلى أن إيه؟ كما يقول الناس إيه سيد القوم خادمهم، مادامت درجة فينبغي يعني كأى رئيس أو زعيم أو قائد لا بد أن يطمئن على رعيته أنها استوفت كل شيء ثم يؤخر احتياجاته الخاصة به هو ويتحامل على نفسه في سبيل أن يؤدي حق هذه الرياسة أو حق هذه القيادة،

(٩٨) سنن الترمذي من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، (صححه الألباني).

فانظر إلى كلمة بن عباس والتي يستحسنها الإمام بن عطية رحمته الله بهذه العبارة، يقول تعليقاً على كلام بن عباس: وهذا قول حسن بارع، يقول ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه يعني ويعطي أولاً حق المفضل عليه، ليس إنه يأخذ منها كما فعل ذلك الرجل وأنا ما أذكر يعني أبيات الشعر، كان رجل زوجها تركها من قوت ومن غير طعام تعاني الجوع الشديد ثم ذهب هو إلى بيت الحجاج وظل يعني يأكل ويأكل ونسي مسؤوليته تجاه أهله فأرسلت إليه مش عارف الحقيقة بأبيات أنا ما أذكرها الآن بتقول له يعني معناها أتقعد عند بيت، في الآخر بتقول له للأسف فأنت ككلب السوء ضيع أهله، فمعناها فيجوع أهل البيت وهو سمين، فكلب السوء شبهته بذلك، يقول أحاول أن أتذكرها مش فاكّر الحقيقة.

فخلاصة الكلام إن قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١﴾ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** **وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٢٢٨﴾ إشارة كما يقول ابن عباس إشارة إلى حض الرجال إلى حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق، لأن هذه أخلاق القائد أو أخلاق الرئيس أو الزعيم الذي يكون مسئولاً، لا بد أن يترفق بالرعية لا أن يستوفي منها كل حقه، بل يتحامل على نفسه في سبيل رعاية هذه يعني الرعية، يقول ابن عطية: وهذا قول حسن بارع، فالذكورة كمال خلقي وقوة طبيعية وشرف وجمال، والمباينة والمفارقة بين الرجال والنساء أمر لا يكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس.

وقال النبي صلوات الله وسلامته عليه: «كُلُّ نَفْسٍ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيِّدٌ، فَالرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ، وَالْمَرْأَةُ سَيِّدَةُ بَيْتِهَا» وهذا الحديث صححه الألباني، «كُلُّ نَفْسٍ مِنْ بَنِي آدَمَ سَيِّدٌ، فَالرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ، وَالْمَرْأَةُ سَيِّدَةُ بَيْتِهَا»، فقوامه الرجل على المرأة قاعدة تنظيمية، عملية تنظيمية وليست

استبدادية، تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، ولا تسلم الحياة في مجموعها إلا بالتزامها، فهي تشبه قوامه الرؤساء وأولي الأمر، فإنها ضرورة يستلزمها المجتمع الإسلامي والبشري، ويأثم المسلم بالخروج عليه مهما يكن من فضله على الخليفة المسلم في العلم أو في الدين، إلا أن طبيعة الرجل تؤهله لأن يكون هو القيم، فالرجل أقوى من المرأة وأجلد منها في خوض معركة الحياة وتحمل مسئولياتها، فالمشاريع الكبيرة يديرها الرجال، والمعارك الحربية يقودها الرجال، ورئاسة الدولة العليا يضطلع بها الرجال، وهكذا ترى الأمور الكبرى والمصالح العامة يُوفق فيها الرجال غالباً ويندر أن تُفلح فيها امرأة إلا أن يكون من ورائها رجل.

هذا وإن النطاق الذي تشمله قوامه الرجل لا يمس حرمة كيان المرأة ولا كرامتها، وهذا هو السر العظيم في أن القرآن الكريم لم يقل فيه الله ﷻ الرجال سادة على النساء، لم يقل الرجال سادة على النساء وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿فَالَّذِينَ حَفِظْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ تَحَافُونَ نُسُوزَهُمْ﴾ فَعِظُواهُمْ وَأَهْبِئُواهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا بُغْوَ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿[النساء: ٣٤] ليفيد معنى سامياً بناءً، يفيد أنهم يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن، وقوام على وزن فعال للمبالغة، من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد، فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد، وهو أن يقوم بتدبيرها وتأديبها وإمساكها في بيتها ومنعها من البروز وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية، وتعليل ذلك بالفضيلة والنفقة والعقل والقوة في أمر الجهاد والميراث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وشأن القوامين أنهم يصلحون ويعدلون لا أنهم يستبدون ويتسلطون، فنطاق القوامية محصور إذاً في مصلحة البيت والاستقامة على أمر الله وحفظ حقوق الزوج، أما ما وراء

ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه، كمصلحة الزوجة المالية؛ لأن المرأة لها ذمتها المالية المستقلة، فلا يتدخل الزوج فيها بغير رضاها، وليس عليها طاعته إلا في حدود ما أحله الله، فإن أمرها بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما لم تخل المرأة بحق الله تعالى أو بحق الزوج فليس له عليها سبيل إلا سبيل التكريم والاحترام.

وانظر إلى دقة وبراعة وتفوق مقاييس الإسلام في هذا الأمر، يعني الرسول عليه الصلاة والسلام يعطينا ميزاناً نعمل به المعايير، مش المعايير التي هي في اللغة العامية بتاعتنا، المعايير مقياس ثابت نوزن به الناس يعني، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا»^(٩٩) انظر إلى هذا المقياس الرائع الذي يضعه النبي ﷺ، يجعل الرسول عليه الصلاة والسلام حسن معاشرته الرجل زوجته وحسن خلقه معها من أعظم المقاييس التي يُحكم بها على كمال الإيمان وسلامة الدين «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا» وهذا أخرجه الترمذي «وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا».

وقال أيضًا في الحديث الآخر عليه الصلاة والسلام قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١٠٠) ﷺ، فليس هناك أروع من هذا؛ لأن المقياس الذي يُقاس به كمال الرجل وحسن إسلامه وسلامته دينه هو أن الناس يتفاضلون بهذا المقياس «خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا» نعم.

ثم نشير إلى شهادة شاهد من الغرب الكفار - شاهد من أهلها - وهو الدكتور أوجست فوريل، يكتب تحت عنوان "سيادة المرأة" يقول: يؤثر شعور المرأة بأنها في حاجة إلى حماية زوجها على العواطف المشعة من الحب فيها تأثيرًا كبيرًا، ولا يمكن للمرأة أن تعرف

(٩٩) سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، (صححه الألباني).

(١٠٠) سنن الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها، (صححه الألباني).

السعادة إلا إذا شعرت باحترام زوجها، وإلا إذا عاملته بشيء من التمجيد والإكرام، ويجب أيضًا أن ترى فيه مثلها الأعلى في ناحية من النواحي، وهذا أمر في غاية الأهمية، لا بد لكي يملأ الرجل عين المرأة، لا بد أن يكون متفوقًا في شيء من الأشياء، لا بد أن يبرز ويتفوق ويعني ترى فيها مثلًا أعلى في أي ناحية من النواحي، إما في القوة البدنية أو في الشجاعة أو في الكرم أو في التضحية وإنكار الذات أو في التفوق الذهني والذكاء أو في أي صفة طيبة أخرى من الأمور الخيرية، وإلا فإنه طبعًا لأن هذا رجل كافر ما ذكرش مجالات القوة الحقيقية مثل الدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد لأنه لا يعرف هذه الأشياء، فهو ما ذكرها لأجل هذا، لكن الشاهد أن المرأة كي يملأ الرجل عينها لا بد أن يتفوق في نظرها في مجال من المجالات، وما من إنسان إلا والله ﷻ يفتح عليه في مجال من المجالات، إذا أتقن تنميته فإنه يبرع فيه ويتفوق، كل إنسان فيه منقطة بس المهم اكتشافها، وكل ما اكتشفت مبكرًا ووجه حياته إلى هذا المجال كلما كان أفضل بالنسبة إليه، يقول: ويجب أيضًا أن ترى فيه مثلها الأعلى في ناحية من النواحي، إما في القوة البدنية أو في الشجاعة أو في التضحية وإنكار الذات أو في التفوق الذهني أو في أي صفة طيبة أخرى، وإلا فإنه سرعان ما يسقط تحت حكمها وسيطرتها، أو يفصل بينها شعور من النفور والبرود وعدم الاكتراث ما لم يصب الزوج بسوء أو مرضٍ يثير عطفها ويجعل منها ممرضة تقوم على تمريضه والعناية به، ولا يمكن أن تؤدي سيادة المرأة إلى السعادة المنزلية، هذا الرجل كافر لا ندري يهودي أم نصراني أم ملحد، لكن يقول هذه الكلمة الخطيرة: لا يمكن أن تؤدي سيادة المرأة علو المرأة وسيطرتها وتسلطها لا يمكن أبدًا أن تنتهي بالسعادة إلى السعادة المنزلية، لأن في ذلك مخالفة للحالة الطبيعية التي تقتضي أو التي تقضي بأن يسود الرجل المرأة بعقله وذكائه وإرادته لتسوده هي بقلبها وعاطفتها، فهذا فيما يتعلق بقضية القوامية، إشارة يعني سريعة.

يختم الأستاذ عدنان صالح باحارث كلامه في موضوع القوامة يقول: ولا تعني القوامة كما يفهمها البعض التسلط والتجبر بغير حق، وأيضاً هذا أمر يعني يا ليت أحد يتفرغ لذكر الخلل في مفهوم الرجولة عند كثير من الرجال، في ناس عندها مفاهيم تتوارثها أو تتلقاها من الثقافة المحيطة بها ويتمصها بعد ذلك، إن عنده مفاهيم للرجولة إن هي دي الرجولة واضح، وكما تعرفون الرجولة دي صفة يعني إيه من الصفات النبيلة، هناك فرق بين الرجولة وبين الذكورة، فالذكورة هذه صفة تشرحية، أما الرجولة فأمر فوق ذلك واضح؛ ولذلك نلاحظ القرآن الكريم إذا عملنا استقراء للقرآن نجد أن الله ﷻ لا يستعمل وصف الرجولة إلا في مقامات الكمال الأخلاقي والإيماني قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣] ﴿٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴿٣﴾ لَمْ يَقُلْ ذُكُورٌ وَلَكِن قَالِ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٥﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٧﴾ [الفصص: ٢٠] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٩﴾ [عافر: ٢٨] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠﴾ رِجَالٌ لَا نُلْحِقُهُمْ بِجَهَنَّمَ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿١١﴾ [النور: ٣٧] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْقَلِبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَانقَلِبُوا عَلَٰنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [المائدة: ٢٣] وهكذا، إذا حاولتم عمل استقراء واستقصاء للمواضع التي ذُكرت فيها وصف الرجولة فنجد أنها دائماً مقترنة بالنبيل والأخلاق النبيلة

ومعالي الأمور والشجاعة والإيمان الكامل وغير ذلك؛ فإذا هذا هو مفهوم الإسلام للرجولة، بعض الناس عندهم مفهوم الرجولة عجيب، مفهوم غريب، من هذه النماذج التي تحضرنى الآن إن الرجل هو الذي يضرب امرأته مثلاً، أو الرجل هو الذي يشتم ويرفع صوته ويسب الألفاظ وكذا وكذا، أو أن الرجل يتنزه عن أن يتواضع لزوجته، كيف يتواضع لها؟ هو رجل كيف يتواضع كيف يمدحها؟! كيف يثني عليها كيف يحسن إليها؟! بعض الناس تتصور أن هذا ضعف، الإحسان إلى الزوجة ضعف ويتنافى مع الرجولة، فالحقيقة مفاهيم الرجولة عندنا فيها كثير من الخلل تحتاج إلى يعني المراجعة، يكفي أن خير البشر على الإطلاق وهو النبي ﷺ كيف كان في مهنة أهله؟ كان في مهنة أهله الرسول وهو الرسول عليه الصلاة والسلام أشرف وأفضل خلق الله ﷻ، ومع ذلك كان يخفض نعله، كان يقيم المنزل يكنس المنزل، يخفض نعله ويخيط ثوبه أو يرقع ثوبه، وكان في مهنة أهله حتى إذا ما نودي للصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه واضح، طبعاً ليس معنى هذا إن انقلاب الوظائف زي ما يحصل في بعض القبائل الشاذة الرجال يقومون بكل شيء والستات هي اللي تخرج للعمل، لأ المقصود أن هذه نوع من المواساة والتقدير والمروءة والإحسان للمرأة والتخفيف عنها أو التقدير لها، لا أن تصبح هذه هي وظيفة الرجل طبعاً، فهل هذه منقصة؟! لا ليست منقصة أن يتواضع لها ولا أن يمدحها ولا أن يحسن إليها كما يتصور بعض الناس ويقول أنا رجل والرجل لا ينبغي له أن يفعل هذه الأشياء.

أخيراً نتكلم على موضوع آخر من الموضوعات المهمة في هذه القضية التمهيديّة، وهي المسؤوليات توزيع المسؤوليات ما قبل الإنجاب ومعرفة يعني تبعاتها، فمن هذه الأمور النفقة، فقد أجمع الفقهاء رحمهم الله تعالى على وجوب نفقة الرجل على أولاده الأطفال الذين لا يملكون المال؛ إذاً هذا حق من حقوق الأطفال النفقة، وحدد بعضهم هذه النفقة بأنها خمس نفقات، نفقة الرضاع لأن الرضاع وسنفردهم للرضاع حقيقة بكلام مفصل لكن الرضاع مثلاً طيب لو حيحصل تعسف من الرجل بقى في حقوقه لننظر ماذا يحصل لو المرأة

أيضاً تعسفت، يعني الشرع والقرآن الكريم ينص على أن الرضاع مسئولية من؟ تكاليف الرضاع مسئولية الأب، هو المسئول عن إرضاع الولد، بمعنى إما أن تتطوع أمه، وإما أحياناً يُدفع لها نفقة إرضاعها، وإما أن يضر له مرضعة أخرى تقوم بإرضاعه، لكن هي مسئولية الأب، لكن هل في الغالب القاعدة العامة، يمكن كثير من الناس الآن أو النساء بالذات تكشف الحكم هذا تكون ما سمعتش عنه قبل كده، بقى إرضاع ابني أو بنتي شيء أنا أستحق عليه أجراً من أبيها؟ واضح وهذا من كرم الأخلاق الإسلامية، إن الفطرة تتواءم مع الشرع نور على نور، وبالتالي يحصل التضحية والصبر والبذل في سبيل هذه الذرية، فهذا من التسامح، يعني لو أن الرجل بيتعسف في استعمال الحقوق هذا حقي هذا واجبك أنا أمرك بكذا، والتركيز على موضوع السلطة والقهر وهذه الأشياء، طيب لو هي بقى كمان طالبت بحقوقها واستوفت حقوقها كما تستوفي أنت، حتقول لك أنا باخد بالمذهب اللي بيقول إن تنظيف البيت ليس واجباً عليّ وأخذ بالمذهب - هو مش مذهب - آخذ بالحكم الشرعي إن المرأة لا يجب عليها أن ترضع أولادها أو إذا أرضعتهم تستحق نفقة هذه الرضاعة، هل ممكن تستقيم الحياة بهذه الطريقة؟! لا الأصل أن الأمور تمشي بالتسامح وبالتفاهم، لا بمسألة حقي وحقك، قلنا إن موضوع حقي وحقك هذا إنما ضُبط لأجل التحاكم إليه عند التنازع، أما في خلاف ذلك فالأمور تمشي على أساس المعاشرة بالمعروف والتسامح.

فإذاً النفقة خمس نفقات: نفقة الرضاع، ونفقة الحضانة، والمعيشة، والسكن الخاص بالحاضنة، والخادم عند الحاجة، ويُلحق بهذا زكاة الفطر؛ لأنها تشمل الصغير، أي نعم. يقول: ويراعي الأب في إنفاقه على الأولاد الحلال من الرزق، وأن يصبر على ذلك، ولا يجزع من الفقر، فإن الله هو الذي تكفل بالرزق، يقول الإمام أحمد رحمته الله ناصحاً الأب: ليق الله العبد ولا يطعمهم إلا طيباً، لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطاً يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا يراه الله بين يديه، كما ينبغي للوالد أن يراعي الحكمة في الإنفاق، فلا

يقتر عليهم ولا يسرف، فإن وسع الله عليه وسع على عياله ولم يقتر عليهم؛ ولذلك صح في الحديث «إِذَا أَعْطَى اللَّهُ أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»^(١٠١).

والله ﷻ يجب أن يرى أثر نعمته على عبده، كما أن إنفاقه على ولده وأهل بيته وخادمه جميعه صدقة إذا استحضر النية الصالحة لذلك، ولأن يترك أولاده أغنياء لديهم ما يكفيهم من المال والمسكن أفضل من أن يتصدق بهاله كله ويتركهم فقراء يطلبون من الناس ويسألونهم فيكون لهم ذلك ذلةً وصغاراً، وربما كان سبباً في انحرافهم وحقدهم على المجتمع، فإن الفقر مع ضعف الإيمان واليقين بالله من أعظم أسباب انحراف الناس، وانظروا إلى هذا الضابط، يقول إن الفقر المقترن بضعف الإيمان واليقين بالله ﷻ هذا غالباً يقود إلى الانحراف، انحراف الناس؛ ولذلك هذا هو المقصود إن الرسول عليه الصلاة والسلام في الأحاديث في أذكار الصباح والمساء كان يتعوذ ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ»^(١٠٢) قرن الكفر بالفقر، لماذا؟ لأن الفقر إذا كان مع ضعف الإيمان وضعف في اليقين فإنه يكون سبباً في الانحراف، الجزع، التشكي، عدم شكر نعم الله ﷻ، التحاسد بين الناس، والسعي في الحصول على المال بطرق غير مشروعة كالرشوة والسرقة أو المتاجرة في الحرام وغير ذلك.

طبعاً النفقة كما قلنا هي من الحقوق المادية للزوجة، وجوب نفقتها على زوجها، تشمل الطعام والشراب والملبس والمسكن، وفي القرآن إشارة إلى ذلك في قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١١٨﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٩﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٢٠﴾ [طه: ١١٨: ١١٩] والله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٢١﴾ فَقُلْنَا يَا نَادِمُ إِنَّ هَذَا عُدُو لَكَ

(١٠١) صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(١٠٢) سنن أبي داود من حديث أبي بكره رضي الله عنه، (صححه الألباني).

وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ [طه: ١١٧] ولم يقل فتشقيان، فخص آدم بذكر الشقاء في قوله قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾ فَقُلْنَا يَتَعَادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ [طه: ١١٧] فهذا مما يشير إلى أن النفقة على الزوج، يعني يشقى في السعي وراء الرزق كي ينفق على زوجته، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ [الطلاق: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَن أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِن أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تِرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِن أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣] وَقَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾ أَسْكُنُوهُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا نَضَارُوهُنَّ لِنَضِيقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَنَاتِكُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِن تَعَاَسَرْتُم فَسْتَزِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ [الطلاق: ٦] فإذا كانت النفقة على المطلقة الحامل يعني واجبة فتكون النفقة للزوجة غير المطلقة أوجب من باب أولى، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُوهُ فَإِن فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاصْرَبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» (١٠٣).

(١٠٣) صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وعن عمرو بن الأحوص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع: «أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِنَنَّ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكَرَّهُونَ وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكَرَّهُونَ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»^(١٠٤).

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت «مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحَ»^(١٠٥) وفي رواية للإمام أحمد بزيادة «وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ كَيْفَ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ إِلَّا بِمَا حَلَّ عَلَيْهِنَّ»^(١٠٦).

قوله عليه الصلاة والسلام «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ» يعني فيقبح بالرجل أن يتعاطى هو أطايب الطعام ويلتذ بأشهى الشراب في المطاعم والنوادي والرحلات ثم يبخل بشيء منه على زوجته وأولاده، كما يصدر ممن لا مروءة له، وجدتها يعني الفقرة التي كنت نُسيتها فقد حدث القاضي قال: كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يحضر طعامًا، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك، كتب إلى امرأته جواب إنه قاعد عند الحجاج في القصر ويأكل من طعامه، يأكل كذا وكذا ويعني يصف لها هذه المأكولات، فكتبت إليه، هو طبعًا أرسل لها ماذا؟ جواب، الجواب كان بيسموه إيه؟ قرطاس ورقة يعني، فبعث لها الجواب بيوصف فيه الأكل اللي بيأكله عند الحجاج، فكتبت هي إليه، ردت الجواب، قالت له:

أيهدى إليّ القرطاس والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين

(١٠٤) سنن الترمذي، سنن ابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه، (صححه الألباني).

(١٠٥) سنن أبي داود من حديث معاوية بن القشيري رضي الله عنه، وقال الألباني «حسن صحيح».

(١٠٦) سنن أبي داود من حديث معاوية القشيري رضي الله عنه، (صححه الألباني).

إذا غبت لم تذكر صديقًا ولم تقم فأنت على ما في يديك ضنين
فأنت ككلب السوء ضيع أهله فيُهزل أهل البيت وهو سمين

يعني أنت مسئول عن إنفاقهم فبعت لها هدية الورقة، ماذا تفعل بالورقة؟ تأكلها؟! فتقول له: يَهْدِي إِلَيَّ الْقُرطاس والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين، إذا غبت لم تذكر صديقًا ولم تقم فأنت على ما في يديك ضنين، فأنت ككلب السوء ضيع أهله فيُهزل أهل البيت وهو سمين، فيقبح بالرجل أن يتصف بهذه الأنانية، خاصة إذا التفتنا إلى قول ابن عباس في تفسير الآية، وهذه من روائع فهم القرآن، وآية من آيات الله ﷻ في أن بن عباس فعلاً استجيبت فيه دعوة النبي ﷺ «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ» (١٠٧) قَالَ تَعَالَى:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَرِيضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرِيحِنَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهِنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨] فيشير إلى أن هذه الدرجة درجة القوامة ودرجة السيادة أو القيادة بالنسبة للمرأة، وهي تستلزم أن الأفضل لا بد أن يرعى رعيته وينظر إلى أضعفهم ويحسن إليهم، ويتنازل عن حقه هو إيثاراً لهذه الرعية يعني عليه، فهذا هو شأن الإنسان الذي يقود، أن يحسن إلى من يقوده، وإذا كان العوام يقولون "الحسود لا يسود" لماذا لا يسود؟ كيف الناس يسودون عليهم حسوداً إذا كان هذا الحسود يسدي إليهم هذا الشر وهو إنه إيه؟ يتمنى زوال النعم عنهم، لا شك لما تبقى في سلطة في يديه مش بس حيتمنى لا ده حيسعى بالفعل بسلطته في إزالة النعم عن هؤلاء المرؤوسين أو الرعية، فالحسود لا يسود؛ لأنه هو المفروض يسود القائد أو الزعيم أو الرئيس أو الحاكم أو كذا من أجل الإحسان إلى الرعية، فإذا كان الشخص الذي يقود هو نفسه يعني يتمنى زوال النعم عن الناس فكيف يسودونه؟! لا يمكن أن يقبلونه سيداً

(١٠٧) مسند أحمد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ورواه الشيخان بلفظ «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ».

عليهم، فكَذَلِكَ الرجل السيد في أهل بيته كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، ما أقول حسود بالضبط لكن أقول إن يعني البخل أو الأنانية أو الشح أو الأثرة، يسعى هو في استيفاء كل احتياجاته ثم هو يفرط في حق زوجته وأولاده مع أنهم رعيته، وقد قال النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ»^(١٠٨) فالدرجة يكون يعني رجلاً على مستوى المسؤولية، إذا كان عليه واجباً لا بد أن يؤدي واجبه أولاً ثم يستوفي حق نفسه، لكن أن يكتسي هو ويطعم هو ويعني يستوفي جميع احتياجاته بل الكمالات منها ثم يقصر في واجباته نحو زوجته بخلاً وشحاً وحرصاً فهذه يعني تتنافى مع المروءة ومع يعني الأخلاق الإسلامية، انظر إلى جواب الرسول عليه الصلاة والسلام لهذا الرجل الذي سأله معاوية بن حيدة «مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا وَلاَ تُقَبِّحَ الْوَجْهَ» لا تقبح الوجه يعني لا تسمعها المكروه، لا يتلفظ بألفاظ تكرهها كأن يقول لها قبح الله وجهك مثلاً أو نحو ذلك من الكلام «وَلَا تَضْرِبْ» يعني لا تضرب الوجه أو لا تضرب إلا بما حل عليهن من الضرب والهجر بسبب نشوزهن كما قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقُوا لِحَدِّ قَنْبَلٍ حَفِظْتُمُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَحَافُونَ نَشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَكِينًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤] طبعاً موضوع الضرب ده موضوع كبير نتكلم عليه إن شاء الله في مناسبة أخرى.

وفي رواية الإمام أحمد بزيادة «وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» يعني لا يهجر المرأة إلا في المضجع، إذا أراد أن يمثل هذا الأدب القرآني ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ فالأصل في الهجر أنه لا يهجر إلا في المضجع ولا يتحول عنها، من صور أو صورة هذه العقوبة يعني

المهجر في المضجع أن يوليها ظهره، فهذه من الجفاء وهذه هي العقوبة، هذه عقوبة جعلها الله عقوبة، فلا يهجرها إلا في المضجع ولا يتحول عنها أو يحولها إلى دارٍ أخرى، نعم وإن كان قد ورد ما يدل على جواز هجرة النساء في غير بيوتهن، والجامع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال «وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ كَيْفَ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ إِلَّا بَمَا حَلَّ عَلَيْهِنَّ».

قال أبو سليمان الخطابي: في هذا - أي في هذا الحديث - إيجاب النفقة والكسوة لها، وهو على قدر وسع الزوج، فالنفقة تجب بحسب حال الزوج لا الزوجة، يُنظر في تقدير النفقة إلى حال الزوج وليس حال الزوجة يسارًا وإعسارًا، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَبِّحْهُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ [الطلاق: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٣﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَن أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِن أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تِرَاضٍ مِّنْهَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِن أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا بِأَوْلَادِكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣] وَقَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٦﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِّوهُنَّ لِضَعْفِ قُوَّاتِهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِن أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضُوا لَهُنَّ أُخْرَى ﴿٦٦﴾ [الطلاق: ٦٦] يعني أسكنوهن من سعتكم كما يقول ابن عباس، وَقَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٤﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيَاتُ تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِن أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤] بما أن الرجل الذي ينفق فالاعتبار ينبغي أن يكون بحال الرجل يسارًا وإعسارًا وليس بحال

المرأة، وكذلك قول الحديث «أَطْعِمُوهُنَّ بِمِمَّا تَأْكُلُونَ وَاكْسُوهُنَّ بِمِمَّا تَكْتَسُونَ»^(١٠٩) فجعل الميزان هو حال الرجل وقدرته، وإذا جعله النبي ﷺ حقًا، مادامت النفقة حقًا للمرأة فهو لازم، حق لازم حضر أو غاب، فإن لم يجد في وقته كان دينًا عليه كسائر الحقوق الواجبة، سواء فرضها القاضي عليه أيام غيبته أو لم يفرض، يعني هذه النفقة غير قابلة للإسقاط واضح، ولا تسقط بالتقادم بل يجب عليه أن ينفق سواء كان مسافرًا أو حاضرًا أو القاضي حكم له أم لم يحكم في شرع الله وفي حكم الله ديانة يجب عليه أن ينفق عليها، وقد روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»^(١١٠) وأخرجه مسلم بلفظ «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُجْبَسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ»^(١١١) وفي رواية لأحمد عن وهب قال: إن مولى لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال له: إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا بيت المقدس، فقال له: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فارجع إلى أهلك فاترك لهم ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ أَحْفَظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ»^(١١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَاللَّهِ لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهُ وَيَسْتَعْنِي بِهِ وَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ يُؤْتِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ

(١٠٩) سنن أبي داود من حديث معاوية القشيري رضي الله عنه، (صححه الألباني).

(١١٠) سنن أبي داود، مسند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، (صححه الألباني).

(١١١) صحيح مسلم من حديث ابن عمرو رضي الله عنه.

(١١٢) السنن الكبرى للنسائي، صحيح ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه، (صححه الألباني).

مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى»^(١١٣) وفي رواية «فَقِيلَ: مَنْ أَعُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: امْرَأَتُكَ مِمَّنْ تَعُولُ تَقُولُ أَطْعَمْنِي وَإِلَّا فَارْقُنِي وَجَارِيَتِكَ تَقُولُ أَطْعَمْنِي وَاسْتَعْمَلْنِي وَوَلَدُكَ يَقُولُ إِلَى مَنْ تَرْكُنِي»^(١١٤) وفي رواية البخاري: فقالوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَا هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ. المقصود إن في هنا في الحديث إيه؟ إدراج، في إدراج في الحديث، يعني إشارة إلى أن هذه العبارة الأخيرة وهي قوله تقول «أَطْعَمْنِي وَإِلَّا فَارْقُنِي...» إلى آخره هذه من استنباط أبي هريرة، فهمه من الحديث المرفوع وفهمه أيضاً من الواقع، وفي بعض الألفاظ بعض العلماء روهها إيه؟ هذه من كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ، من كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ يعني من فطنته وذكائه، من استنباطي أنا بعقلي، فالحديث إيه وفي رواية قيل: من أعول يا رسول الله؟ لما قال وابدأ بمن تعول، فقال له الصحابي: من أعول يا رسول الله؟ قال: «امْرَأَتُكَ مِمَّنْ تَعُولُ» انظر إلى الدقة «مِمَّنْ» يعني إشارة إلى إن في هذه من تبعيضية فهناك ممكن الإنسان يجب عليه نفقة كثير من الناس، لكن صدر الكلام بيايه؟ امرأتك ممن تعول، فأبو هريرة بعدما روى الحديث قال «امْرَأَتُكَ مِمَّنْ تَعُولُ» تقول يعني هذه إدراج من أبي هريرة يبشر الحديث تقول يعني امرأتك تقول أطعمني وإلا فارقني، وجاريتك تقول أطعمني واستعملني، تريد أن أخدمك وتستعملني في الخدمة إذا لا بد أن تطعمني، وولداك يقول إلى من تركني؟

وجاء في تفسير قول الله تبارك وتعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ ﴿١١٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا قُلٌّ فِيهِمَا كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا كَبِيرٌ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١١٤﴾

(١١٣) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١١٤) مسند أحمد، السنن الكبرى للنسائي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الألباني: (إسناده

﴿البقرة: ٢١٩﴾ قل العفو، العفو تفسيره الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها، على أصح التفسيرات قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢١٩﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْلَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَنْفَكُونَ﴾ ﴿٢١٩﴾ [البقرة: ٢١٩] يعني لا يأتي إنسان يظل يتصدق هنا وهناك وهو لا يؤدي حق زوجته وأولاده في النفقة، هذا واجب وهذه نافلة أو مستحب، ففهذه الحالة يعني لا بد أن ينفق مما زاد على النفقة الواجبة عليه، فالعفو الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات، وهو مذهب الجمهور، وقد قال النبي ﷺ: «أَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ» (١١٥).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ» (١١٦).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَعْطَى اللَّهُ أَحَدَكُمْ خَيْرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ» (١١٧) يعني لأن الأقربين أولى بالمعروف.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّ هِنْدَ بِنْتَ عْتَبَةَ امْرَأَةَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يُعْطِينِي مِنَ النِّفْقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا

(١١٥) صحيح البخاري من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(١١٦) صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(١١٧) سبق تخريجه.

يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ»^(١١٨) يقول ابن قدامة رحمته الله: وفيه دلالة على وجوب النفقة لها على زوجها، وأن ذلك مقدر بكفايتها، لماذا فيه دلالة؟ لأن لو لم تكن النفقة نفقة الرجل على أهله واجبة لم يحتمل أن يأذن لها بالأخذ من غير إذنه، مادام أن أذن لها أن تأخذ من ماله ولو بدون إذنه لأنه يشح عليها لأنها تأخذ حقاً لها في هذه الحالة، لو لم يكن واجباً لما أذن لها في أن تأخذ بغير إذنه بالمعروف، نعم

فعموماً يعني هذه من المجالات التي تحتاج يعني لشيء من التسامح، فيتوسط كما قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١٧﴾ [الفرقان: ٦٧] يعني لا يسرف ولا يقتدر لكن يعتدل في نفقته، وعلى العموم يعني النساء يكرهن من يحاسبهن بشدة في الناحية المالية أو يبخل عليهن، فقد حكى بن الجوزي في كتابه الأذكياء أن المغيرة بن شعبة رحمته الله وفتى من العرب خطبا امرأة، وكان الفتى جميلاً، فأرسلت إليها المرأة فقالت إنكما قد خطبتماني ولست أجب أحداً منكما دون أن أراه وأسمع كلامه فاحضرا إن شئتما فحضرا، فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما، يعني لم تجالسهما ولم تكشف أمامهما إنما جلست مثلاً خلف ستار أو احتجبت عنهما لكن بصورة لا تعيق أن تسمع الكلام، فلما رأى المغيرة الفتى وحسن هيئته يأس منها وعلم أنها لن تؤثره عليه، فنصب فخ لهذا الفتى الوسيم الذي ظن أنها لا يمكن تفرط فيه، فأقبل على الفتى وقد فكر في مخرج فقال له: لقد أوتيت جمالاً وحسناً وبيئاً فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم فعدد محاسنه ثم سكت، فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ إيه سيرتك المالية يعني سلوكك المالي؟ كيف تفعل في النفقة والإنفاق المالي وهذه كيف حسابك لكن تعبير دقيق هو يقول يعمله فخ عشان لو هو بخيل مثلاً وحيكش نفسه سيسقط من عين المرأة تماماً، فبعدهما ذكر كل هذه الميزات قال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال: ما يسقط عليّ منه شيء، وإني

(١١٨) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

لأستدرك منه أدق من الخردلة، يعني شديد المحاسبة وعسير في الناحية المادية جداً، ما يسقط عليّ منه شيء، وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة، طبعاً لأن البخل صفة إذا وُجدت تستر كل المحاسن، والكرم إذا وُجد فهو صفة تغطي كل السيئات، طبعاً إلا ما كان في الدين واضح؛ فلذلك النساء شديدة الحساسية لهذا الأمر، موضوع البخل والشح وهذا الأمر، نعم سبق إن حكيت لكم قصة عن أحد البخلاء أثناء محاضرة وفتحة مع الجن، كانت واحدة بتدعي إن هي عليها جن وعليها عفريت وإن الجن ده بيقول لها إنك لازم تطلقي من زوجك، هي أصلاً بتعاني منه، فالشخص الذي تدخل يعني في التعامل مع هذه الحالة أحس أنها بتكذب يعني لا يوجد جن لا يوجد عفريت ولا حاجة، فكلّمها وحدها وقال لها ما السر يعني أنت ليس عندك عفريت، قالت أنا أريد الطلاق منه، فهي بتدعي إن في جن لابسها بيقول إن هو قرب لك أنا سأموته وإذا لم يطلقك سأقتلك، فاهتدت لهذه الحيلة الكاذبة لكي تحصل على الطلاق فكان مما ذكرته في إقناع الرجل يعني ببخله فكانت تقول له تشتكي يعني منه وتقول إذا جاب مثلاً جبنة في الثلاثية يقف حراسة على الثلاثية في التعاطي كم مليمتر نقص من الجبنة أو كذا، علبه الزيت يقيسها بالمسطرة كم نقصت، وآنية الطعام يقيسها بالفلومستر، فأشياء طبعاً أنتم تضحكون منها لكن هذا بلاء شديد بالنسبة للمرأة، فيراجع كل إنسان نفسه في هذا الأمر، فالمرأة لا تطيق الإنسان البخيل الشحيح، نعم المهم قال له يعني لما رأى المغيرة الفتى وحسن هيئته يأس منها وعلم أنها لن تؤثره عليه ففكر في مخرج فقال له: لقد أوتيت جمالاً وحسناً وبياتاً فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم فعدد محاسنه ثم سكت، فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال: ما يسقط عليّ منه شيء، وإني لأستدرك منه أدق من الخردلة، فقال له المغيرة: لكنني أضع البذرة، البذرة كيس يكون فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار، ولكنني أضع البذرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما يريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوا غيرها، فقالت المرأة في نفسها: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثل صغير الخردلة، فتزوجت المغيرة.

يقول ابن قدامة رحمته الله معلقاً على حديث هند بنت عتبة وقول الرسول لها خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف: وفيه دلالة على وجوب النفقة لها على زوجها، وأن ذلك مقدر بكفايتها، وأن نفقة ولده عليه دونها بقدر كفايتهم، وأن ذلك بالمعروف، وأن لها أن تأخذ ذلك بنفسها من غير علمه إذا لم يعطها إياه، ودليل الإجماع طبعاً نقله كثير من العلماء كابن المنذر والمهلب وابن قدامة والنووي وابن حجر، وأما دليل العقل فهو أن المرأة محبوسة على الزوج بمقتضى عقد الزواج، ممنوعة من التصرف والاكتساب لتفرغها لأداء حقه، فكان نفع حبسها عائداً عليه، فكان عليه أن ينفق عليها وعليه كفايتها وإلا هلكت لأن الغنم بالغرم والخراج بالضمان، فالنفقة جزاء الاحتباس، فمن احتسب لمنفعة غيره وجبت نفقته في مال الغير، كالقاضي والولي والموظف والجندي فجعل رزقهم في بيت المال لأن كلاً منهم محبوس لحق المسلمين، ممنوع من التكسب لتفرغه لمصالحهم، من أجل هذا تجب نفقة الزوجة على الزوج حتى ولو كانت الزوجة موسرة؛ لأن نفقتها لم تجب للحاجة وإنما بسبب احتباسها لحق الزوج، فالمرأة لا تكلف بشيء من الإنفاق سواء كانت أمًا أو أختًا أو بنتًا أو زوجة، قادرة على العمل أو عاجزة عنه، غنية كانت الزوجة أو فقيرة، كان زوجها قادرًا على العمل أو عاجزًا عنه، غنيًا كان أو فقيرًا، فالرجل هو المسئول عن النفقة البيئية، وليس من حقه أن يلزمها بها إلا إذا تبرعت مساهمة في تحمل بعض العبء، والمرأة قبل البلوغ تحت وصاية أهلها، وهي ولاية رعاية وتأديب وعناية بشأنها وتنمية لأموالها وليست ولاية تملك واستبداد، ثم هي بعد البلوغ كاملة الأهلية للالتزامات المالية سواء بسواء.

يقول النبي ﷺ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»^(١١٩)

يعني خلاصة الكلام قوله «وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا» يفيد أن الأجر في الإنفاق إنما يحصل بقيد قصد القربى، يعني مش حيفرق النفقة بين كونها شيء مباح أو عادي وبين كونها عبادة يُثاب

(١١٩) صحيح البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

عليها إلا بالنية؛ فإذا ينبغي أن يستحضر النية لأنه كده ينفق، فينوي التعبد فينال الثواب على ذلك؛ لقوله هنا «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً» فيستحضر نية التقرب إلى الله ﷻ بهذه يعني النفقة.

يقول الحافظ بن حجر رحمته الله: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرفهم أنها لهم صدقة حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم ترغيباً لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع، أي نعم.

وقال رحمته الله أيضاً لسعد: «وإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرَفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ»^(١٢٠) حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك تؤجر وتثاب عليها، نعم هو لم يقل حتى اللقمة تنفقها أو تشتريها لامرأتك لكن انظر إلى اهتمام الإسلام بحتى هذا النوع من الملاطفة «حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرَفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ» أي نعم.

وعن أبي هريرة رحمته الله قال: قال رسول الله ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -يعني في الجهاد- وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ -يعني في إعتاق رقبة- وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»^(١٢١) دين الإسلام دين حياة كما ترون، حتى الأمور العادية التي تمارس في الحياة العادية هذه عبادات يثاب الإنسان عليها ويتقرب بها إلى الله ﷻ.

(١٢٠) متفق عليه من حديث سعد ابن أبي وقاص رحمته الله.

(١٢١) سبق تخريجه.

وعن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١٢٢).

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحابه من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟ يعني وجدوا واحد إيه عضلات وهمة وفتوة ونشاط فنظروا إليه يعني نظرة إيه ازدراء إن ده بيسعى في الدنيا بيه روح يشتغل بهذه القوة والفتوة في سبيل المال والكسب، فقالوا يعني خسارة لو كانت هذه القوة يروح ينفقها في سبيل الله في الجهاد، فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟ فانظر إلى العلاج المعرفي، كيف الرسول عليه الصلاة والسلام يصحح لهم المفاهيم، فقال لهم: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - هَذَا جِهَادٌ - إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعني بعض الناس تظن أن العبادة هي الركوع والسجود والصيام وحسب وقراءة القرآن، لأ هذه الأمور الحياتية هي عبادة، فلا تنظر إلى حرصك على أن تتكسب من الحلال وتنظر إلى الإنسان الذي يسعى في طلب الرزق نظرة ازدراء وإنه مشغول بالدنيا، لأ هذا من الدين وهذه واجبات عينية عليه، فهذا المفهوم المفهوم الرهباني أو الكنسي يعني لا يعرفه الإسلام قال عليه الصلاة والسلام: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْنِ

(١٢٢) مسند أحمد، السنن الكبرى للنسائي من حديث المقداد بن معدي كرب رضي الله عنه، (صححه الألباني).

شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعْفَهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»^(١٢٣).

وعن عبد الله بن المبارك رحمته قال: لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، يعني ما في شيء يستطيع أن ينال به الإنسان ثواباً مثل النفقة على الأولاد والذرية والأهل، لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله، هذا كلام الإمام الجليل المجاهد عبد الله بن المبارك رحمته.

وخرج الإمام الجليل عبد الله بن المبارك، والإمام بن المبارك من الأئمة الذين ينبغي أن يعطون قدرًا خاصًا من الاهتمام بترجمته ومعرفة سيرته فإنه من أعظم أئمة الإسلام رحمته، خرج مع إخوانه يومًا في الغزو فقال لهم: تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك، نحن مجاهدون، قال: أنا أعلم، قالوا: فما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نيامًا متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه، فعمله أفضل مما نحن فيه، فانظر إلى الفقه الإسلامي وكيف يضع الرحمة بالأولاد وبالعيال والشفقة عليهم والاهتمام بهم في مرتبة أعلى من الجهاد في سبيل الله تعالى، وتعرفون ما الجهاد في سبيل الله، ومع ذلك انظر إلى هذا الإمام الجليل بفقته وفطنته يقول لهم أفضل مما نحن فيه رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نيامًا متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه.

أيضًا مما يجب على الرجل أن يطعم زوجته وأولاده حلالاً لا إثم فيه ولا شبهة، فإن طلب الحلال فرض عين عند أهل الكمال.

(١٢٣) المعجم الكبير للطبراني من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال الألباني: (صحيح لغيره).

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبْتًا عَلَى سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ» ولهذا كانت الزوجة من السلف الصالح تقول لزوجها إذا خرج إلى عمله: اتق الله وإياك والكسب الحرام فإننا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار.

نكتفي بهذا القدر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التسريط الخامس

أخطار قهره الأسرة

لقد قدر الإسلام بمكانة عظيمة للأسرة ومسئولية الرجل عن حماية الأسرة وقد تجل ذلك في الشريعة الإسلامية بشئون الأسرة سواء كان هذا في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وما تضمن ذلك من أحكام الزواج والرضاع والطلاق والإرث ونحو ذلك واستطاعت الأجيال المتعاقبة أن ترسخ معاني إسلامية عميقة للأسرة في مجتمعاتنا وأحس أعداء المسلمين وهم يحاولون هدم هذه الأمة أحسوا وأدركوا صلابة هذه اللبنة وقوة هذا الحصن ومن أجل ذلك كان المهجوم في الأحقاب الأخيرة أو الأزمت الأخيرة مركزا على الأسرة واستخدموا له كل القوى التي يمكن أن تصل إلى أيديهم وما أكثرها قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]

ومن هذه الأساليب سن القوانين التي تفتت الأسرة في كثير من بلاد المسلمين من ذلك أيضا شن حملات على الأسرة عن طريق الفن وبواسطة وسائل النشر والإعلام والقصص والمجلات والصحف وإذاعة وتلفزيون ومسرح وسينما وما زالوا في طريقهم ماضيين.

احتفل هؤلاء عما قريب بمرور مائة سنة على تأليف كتاب تحرير المرأة الذي بدأه قاسم أمين منذ قرن كامل وبعد مرور مائة كاملة بالانقلاب على كتاب الله ﷻ نحن نرى الآن حصادها وشؤمها وثمراتها المريرة وكيف أنها بدأت دعوة ناعمة هادئة يدعي صاحبها أنه يريد تطبيق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولكن المسلمين هم الذين يسيئون فهم النصوص إلى آخر هذه الحيل وانتهت في الاحتفالية بمرور مائة سنة وتكلم فيها لا أقول ناقصات عقل ودين ولكن عديبات العقل والدين من تلميذات التاريخيات لقاسم أمين ودعوتها المشؤمة فواحدة منهن تجهر وتقول أنا ملحدة وأفخر أني ملحدة وترفض أن توصف بأنها مسلمة.

والأخرى نوال السعداوي ترسل الرسالة إلى المؤتمر وتقول لهن ينبغي أن نتحدى إرادة الله عياذ بالله وهكذا مما لا يسوغ نقله وحكايته وإن كانت حكاية الكفر ليس كفر لكن هذا هو حصاد الدعوة المشؤمة التمرد على أحكام الشريعة فيما يتعلق بالأسرة والمرأة هذه

الحمولات مصدرها أعداء الدين قد يُدعم هذه الحملات سيطرة النزعة المادية على مواد الناس إشغال الناس بجلب الرزق والكسب وكنز الأموال.

وأيضاً يجعلهم لا يلتفتون إلى هذه الأشياء أيضاً لأنهم في شغل شاغل عن إدراك ما يحاك لهم وكل المشكلة أساساً أن هذه الأسرة المسلمة التي هي مستهدفة ومن قبل أعدائها الآن مهددة ومن قبل أصحابها المسؤولين عنها فنحن دائماً نلقي باللوم على الآخرين من أعداء الدين الذين بالفعل يجاربون الإسلام لكن في غمضة ننسى أن أصابع الاتهام تترد إلينا نحن أنفسنا في كثير من الأحيان فالنبي ﷺ حين قال «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ» وقال في الحديث نفسه «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قلنا من قبل أن كلمة مسئول أصبح لها معنى عرف في عند الناس ومسئول عندهم تعني موظف في مكان معين وننسى المعنى الحقيقي لكلمة مسئول وهي أنه مسئول أي "ستسأل أمام الله وهي معنى عظيم وخطير أمام الله ومحاسب" فحينما يقول النبي ﷺ «الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» لا يتصور الرجل والأب والأولاد لكنه يملكها كما يملك المتاع أو العبيد فهو حر في ملكيته يُقصر أو لا يُقصر يضرب يتصرف كيفما يشاء يسىء أو يفعل ما يشاء هذا شيء يملكه ولا يدرك أنه ممتحن ومبتلى بهذه الولاية وهذه المسؤولية ولا يدرك أنه راع في أهله ومسئول عن رعيته أنه سوف يحاسب أمام الله عن كل شيء عن كل سلوك مع أهل بيته وزوجه وأولاده فهذا المعنى مهم جداً استحضار كلمة مسئول وهذا لب القضية التي نتناولها لأننا بصفة أساسية نتخاطب الأب الوالد باعتبار أن الرجال قوامون على النساء كما بين الله ﷻ فمعنى مظاهر هذه القوامة بل أبرز مظاهر هذه القوامة أن يقوم الرجل بواجباته الأدبية والتربوية والمساوية إلى آخره نحو هذه الرعية التي يوليه الله ﷻ إياهم فمسئول عن رعيته معناها أنه يتوقف أمام الله ﷻ وكما يحاسب على الصلاة والزكاة والصيام وكذا وكذا سيحاسب على سلوكه وتصرفاته تجاه أهله وأولاده لم يهمل الإسلام الجناح الآخر في العملية التربوية خاصة المرأة تكاد تستبد بالعملية التربوية في بعض المراحل

الأولى في فترة الرضاعة وما بعدها وفترة الحضانه لأن الطفل يكون شديد الإلتصاق بها فدورها بلا شك في هذه المرحلة أخطر وهناك أحكام شرعية تشير إلى هذا المعنى تخصيص الأم بالحضانه مثلا عند انفصال الزوجين وغير ذلك من الأحكام التي كلها تركز في المرحلة الأولى على الأم كما قال الشاعر

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

فالنبي ﷺ لم يهمل ولم يغفل هذا الركن الرئيسي في التربية فقال ﷺ أيضا في نفس الحديث «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا» فالأم أيضا مسئولة أمام الله ﷻ عن هذه العبارة الخطيرة وهي حسن رعاية أولادها وزوجها وبيتها وكل أب وكل أم ينبغي أن يستشعر هذه المسئولية نحو الأسرة ونحن قلنا إن أهم شيء ويكون نجاحنا نجاحا كبيرا أو بتعبير أدق خطونا أولى الخطوات الناجمة في إزالة الأمية التربوية.

أول خطوة أن ينتقل هذا الموضوع إلى دائرة الأهتمام نلفت النظر إليه وننتبه إلى خطوة إلى عظيم بينما في مستقبل هؤلاء الأبناء بل في مستقبلنا نحن حينما نقف أمام الله ﷻ في الآخرة فلفت النظر إلى الأهتمام بهذه القضية وخطرها هي أول خطوة على الطريق الصحيح لاشك أننا الآن ينطبق علينا قول الشاعر.

تكاثرت الطباء على خراش

فالتيار العام في زمن الغربية الثانية كله يهدم ونادرا ما تجد شيئا يبني المدرس يهدم ويهدم والأبوان نفس الشيء ووسائل الإعلام وشلة الأصدقاء.

المجلات والجرائد والأجهزة المرئية والمسموعة وهكذا ومعظم العوامل عوامل هدامة وخاصة ونحن في زمن الغربية الثانية وقد رجع الإسلام غريبا كما بدأ قريبا فلاشك أنه هناك خطرا داهما ماحقا خطيرا يهدد كياننا والأسرة هي القلعة الأخيرة حتى المساجد تتخطف يبقى هذه القلعة الأخيرة التي يمكن أن تكون احتمالات نجاتها من هذه السهام وهذا التهديد آخر قلعة يمكن أن يتحصن بها المسلمون ويحافظوا على أولادهم نحن حين نرجع

بذاكرتنا إلى عقود كثيرة من الزمان مرت حوالي أكثر من خمسة وسبعين سنة مثلا في الحكم الشيوعي في الجمهوريات الإسلامية التي انتهبها وسرقها ما يسمى بالاتحاد السوفيتي الهالك المفكك نستغرب الآن حينما تحررت جمهوريات كثيرة من هذه الجمهوريات الإسلامية وتخلصا من هذا الدب الأحمر كيف في ظل هذه الحرب الإلحادية المركزة ليل نهار استطاع هؤلاء بأن يحافظوا على هويتهم وعقليتهم نجد أن الكيان الوحيد الذي صمد خلال هذه الفترة في فترات الحكم الشيوعي في هذه الجمهوريات الإسلامية السابقة أو في أوروبا البوسنة والمهرسك وكوسوفو المعقل الوحيد المتبقي على ضعفه كان هو الأسرة حتى كانوا يبنون غرفا تحت الأرض يخفون فيها دينهم يعلمون الأولاد الصلاة والقرآن تحت الأرض أم إذا أحس الشيوعيون بذلك فيكون جزاء الأبوين القتل وأي واحد يعلم الناس اللغة العربية القرآن ويتكلم عن الإسلام أو يضاد الدعوة إلى الإلحاد وإلى وجود الله كان جزاءه القتل في أشنع مجازر وجرائم شهدتها الإنسانية على أيدي هؤلاء الشيوعيين فكانت القلعة الحصينة هي الأسرة أكثر شعوب العالم الإسلامي غزيت بها يهدد وعقيدتها في عدة مجالات ولاشك أن أخطر المجالات على الإطلاق هي مناهج التعليم غزينا في الأسواق في المتاجر في المصانع في وسائل الإعلام في أدوات تكوين الرأي العام ليس هذا فحسب بل حيل في كثير من بلاد المسلمين بين الدعاة العاملين وبين الناس خاصة بعد تشويههم بل أنهم متطرفون ومهوسون ورجعيون إلى آخر هذه القائمة من المصطلحات التي ما أريد بها إلا أن يصد الناس عن دين الله ﷻ يبقى حتى هذه العناصر في كثير من البلاد إلا مجال الأسرة وبقيت المنطلق الوحيد لهؤلاء الدعاة لا ينبغي أن يلقي اللوم دائما على الأعداء ونرى أنفسنا لكن كثيرا منا يتحمل في هذا الأمر أكبر نصيب من المسؤولية لأننا باستطاعتنا في داخل الأسرة التي لا سلطان لأحد عليها لا يكره أحد أحدا مثلا على أن يقتني جهاز التلفاز أو الطبق أو غير هذه الأشياء فما زال حتى الآن إذا تبوأ الأب المسلم والأم المسلمة موقعهما

التربوي داخل الأسرة مازال قادرين على بناء سياج ليحمي أولادهم من الأخطار في خارج البيت وفي خارج الأسرة.

أما أهم الأمور التي تهدد الأسرة وتعرضها لهذا الخطر الماحق وتختص بالكلام الآن الأمور التي نحن السبب فيها وليس الأعداء فأول هذه الأمور التي تعرض الأسرة للخطر.

١- عدم تقدير المستقبل فكثيرا ما يتصرف الناس بعض التصرفات ثم لا يقدرون أثرها في المستقبل وهذا أمر خطير خاصة في التعامل مع الطفل بعد فترة الولادة مباشرة وسأين بالتفصيل ربما تمتد إلى سن متأخر فترة المرحلة الابتدائية نظرة الأب والأم للطفل كأنه لعبة ملهية يتلهى بها ينظر إليه باحتقار أو بإزدراء وأنه لا يأتي فيه شيء وأنه مازال صغيرا وبالتالي يحرم من كثير من الخير كأن يمكن أن يحصلها وتزرع فيه أيضا كثير من الأمور الهدامة أو المخزية لنفسية هذا الطفل مما يجعله لا يثق بنفسه أو لا ينشأ وهو مشوها فالآباء يتصرفون كثيرا من التصرفات دون أن يدركوا أن هذه التصرفات لها أثرها في المستقبل وطبعا حينما نقول الآباء ندرك ضمن هؤلاء أيضا المدرسين لأن المدرس الآن أصبح الطفل يقضي معه وقتا ليس بالهين الطفل في المدرسة أو الطالب في المدرسة يقضي ما تبقى على أيدي الأساتذة ثم يتشرب من رفاقته كثيرا من المفاهيم فمممكن حادث عابر جدا ونحن نتصوره شيئا هينا لكن هو يترك أثرا في نفسية هذا الطفل خاصة إذا تكرر.

مثلا الطفل الذي يرسم رسم معين ونرجو أن لا يكون فيه روح نظرا للشرع فيأتي للمدرس أو المدرسة وهو منبهرا أنه رسم في حصة الرسم الشيء المطلوب منه حديقة مثلا أو أي شيء آخر فدائما المدرسة ترد على كل طالب مهما كان مجيدا للرسم أي أنه قد يكون بارعا كما يقولون (يجي منه) وهذه كلمة تقال لأفضل طالب ولكن الطفل يصدم صدمة شديدة لأن الكلمة وهي يجي منه هي متصورة أنها كلمة عابرة لأن الطفل قد يفقد الثقة بنفسه في حين أن الطفل الذي ما دون ذلك يقال له الألفاظ المعروفة كيا خايب، أو يا بليد أو يا فاشل وهي كلمات عبارة عن فؤوس تحطم وهم يتصورون هذه الحوادث حوادث

عابرة ولا تترك تأثيراً لأن هذا بالنسبة لهم طفل لا يدرك هذه الأشياء فالجنين في بطن أمه يتأثر بكثير من الأشياء كما سنين وأيضاً كما يريد الولد والطفل كان يرد على الهاتف فيقول له الأب أنا لست موجوداً فهي تترك أثراً شيئاً على المدى البعيد في نفسية الطفل فأكبر خطر أننا لا ننظر إلى المستقبل وأكبر قلق أننا نتعامل مع الطفل بعقليتنا نحن فالشيء الذي نراه نحن قيماً نتيجة خبرة وتعلم ونضج نريد أن يكون عقل الطفل مساوياً تماماً لعقلنا ونعاقبه إذا قصر في هذا مع أنه لا يدلّه في ذلك وأنت لما كنت طفلاً كنت مثله أمكانياتك قليلة وخبرتك قليلة وإنما تتعلم عن طريق التجربة والخطأ والتلقين والقدوة وغير ذلك من الوسائل لكن الخطأ الشديد خاصة الذين يعذبون أولادهم بالضرب والإهانة والتحقير وهذه الأشياء كلها هو يريد خير أن يتصرف الولد تصرفاً سليماً وتصرفاً صحيحاً فيعاقبه للتشفي منه في حين أنه ليس جانياً إذا كان الشرع الشريف رفع عنه القلم ولم يؤخذ حتى على الصلاة ما دون السابعة وحتى بعد السابعة إلى العاشرة إنما يؤمر فقط للصلاة فما بالك بما دون ذلك فالشاهد أننا بهذا الملمح الخطير في ملامح التعامل مع الأبناء أو الأطفال وهم صغار أننا ننتهاون أمامهم في التعامل بتصرفات دون أن نقدر خطرنا عليهم في المستقبل فتتصور أن السكوت على أمر ما هين ويسير ولكن السكوت على هذا الشيء قد يهدم الأسرة هدماً تاماً قد يتصور الأب أن الأولاد الصغار لا يستحقون أن يخصصهم بجزء من وقته السمين فهو يضحك منهم ويسخر منهم ولا يؤمر واحداً منهم بخير ولا ينهاه أو يحذره من شر ولا يقدر المستقبل ولا يدري أن هذا الطفل الصغير سيكون بعد مدة وجيزة رجلاً كبيراً قد يكون له شأنه في البيت وفي المجتمع كله فهذا هو الأمر الأول الذي ينبغ من أنفسنا ونسبى به إلى أبنائنا وهو عدم تقدير المستقبل لا نحس بخطر أن الإهمال الذي نتهاذى فيه تجاه الأولاد هذا له ثمن فيما بد وهو يراك حينما تعق مثلاً أباك أو تعق أمك هذا درس عملي له سوف فيما بعد يتشرب نفسه هذا الشيء ويفعل نفس الشيء فيعقك أنت جزاء وفاقاً فالسلوكيات التي تمر بصورة عفوية ولا ندرك خطرنا في المستقبل تنزرع في أعماق هذا

الطفل حينما يشب وينشأ عليها هذا هو الأمر الأول عدم تقدير المستقبل والنظر إلى عواقب سلوكياتنا مع الأبناء

٢- روح المبالاه وهي روح منتشرة في كثير من الناس مع أن الشرع الشريف

يربي في المسلمين الشعور بالمسئولية ولا أدل على ذلك من قول الله تعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَالِظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦]

وقول النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ

بَيْتِهِ»^(١٢٤) فنحن نتكلم كثيرا عن الحكم بما أنزل الله ثم نقتصر فقط على دائرة الحدود

الحكم بما أنزل الله في كل الأمور الشرعية، ولو نظرت في أي كتاب من كتب أصول

افقه ستجد فصل كبير اسمه الحكم والحاكم والمحكوم فيه والمحكوم به والمحكوم عليه إلى آخره.

الحكم أعم بكثير جدا حكم الله في كل شيء فأنت مطالب بأن تحكم بما أنزل الله في

بيتك وأنت تدير هذا البيت وفق شريعة الله ﷻ فكثير من الآباء يوجد عنده روح اللامبالاه

وللأولاد وهذا مضاد للإسلام الذي خاطب الآباء بقوله «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ

رَعِيَّتِهِ».

وقال في نفس الحديث: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»

قال ﷺ بأن الله سائل كل راع عما سترعاه حتى ليسأل الرجل عن أهل بيته فلا تظن

أنك إذا أسأت إلى الأولاد أو إلى الزوجة أو أن الزوجة مثلا جبرت وأن الأولاد لجهلهم

بحقوقهم وأنهم مازالوا صغارا لا يدركون أنك مقصر أو يستحيون أن يحاسبوك لا تظن

أنك قد نجوت بهذا السؤال منتظر عند الله يوم القيامة عن سلوكياتك معهم فمعنى

(١٢٤) صحيح ابن حبان من حديث الحسن رضي الله عنه، (صححه الألباني).

الإسلام في المسلمين الشعور بالمسئولية نحو الأبناء فليس هناك أمر يحدث في المجتمع ولا يكون له تأثير وما أروع حديث السفينة الذي يجعل أي عمل لأي فرد له تأثير على المجتمع كلهم فهذا الحديث يبين لنا أن روح اللامبالاه تقضي على الأمة كلها فالمسلمون في بلادهم عبارة عن أناس يركبون هذه السفينة إذ لو أراد هذا الرجل أن يخرق في موضعه خرقا من السفينة خرقا ترك وشأنه حرية شخصية واحد يريد أن يخرق خرقا من السفينة ليشرب ولا يؤدي من فوقه لماذا نأخذ على يده أليست هي حرية شخصية فلو ترك هذا الرجل ولم يؤخذ على يده هلك وهلكوا وآل الأمر من أصغر خرق إلى أوسع خرق وهو هذا البحر الذي سوف يبتلعهم جميعا فإذا استسلمنا جميعا لروح اللامبالاه فلاشك أن ركاب السفينة جميعا يغرقون فالشعور باللامبالاة مظاهره كثيرة جدا ربما الكلام في هذا ينكأ كثيرا من الجراح عند بعض الناس لأن هناك آباء لا يعرفون أبناءهم في أي سنة دراسية يدرسون فهو متصور خلق لينفق المال فلو أتى بالمال يصبح عندهم كما يظن هو أنه غير مقصر فهناك لامبالاة يعكس فعلا الأمية التربوية في مجتمعنا

٣- الأمر الثالث سيطرة التقاليد الاجتماعية المتعفنة وقلة العلم بالدين فنرى كثيرا من هذه التقاليد التي لم يشرعها الله ﷻ تحل محل الدين في كثير من بلاد المسلمين ومما مكن لها السيطرة بالجهل وتخلف الوعي الإسلامي فالعادات والتقاليد متمكنة تمكنا راسخا وينضاف إليها تخلف الوعي الإسلامي والجهل بأحكام الإسلام هذه طبعا تختلف من مكان إلى مكان لكنها تسيء في بناء عملية الأسرة بناء متينا أو تؤثر في محاولة الإبقاء عليها أمام هذه الأعاصير فالتقاليد الاجتماعية المتعفنة طبعا راسخة ومظاهرها كثيرة ومعروفة مع الجهل بالدين فتعود السيطرة إلى التقاليد والأحوال الاجتماعية مع الجهل بالشريعة الإسلامية ومن هذه الأمور التي أحدثت هذا الإعوجاج في حياتنا الأسرية وأوضاعنا الاجتماعية وخاصة التربوية تسلط المرأة على التوجيه وإدارة البيت فالمرأة المتسلطة والمرأة المسترجلة التي تتسلط على التوجيه وإدارة البيت فمن النقص أن ينزل الرجل نفسه في غير

منزلتها اللائقة بها والله ﷻ "جعل الرجال قوامين على الناس) وإذا فسر القوام فسد جميع الأقسام.

فالرجل له مقام ربان السفينة فمن هو قائم على شيء فهو أفضل من هذا الشيء فما دام الرجل قواما على المرأة فبلاشك فهو أكمل من المرأة وأقدر على الإدارة من المرأة فشأنه أن يكون مطاعا مطيعا ومبتوعا لا تابعا وما المرء حيث يجعل نفسه فإن شاء أعلاها وإن شاء سفله. استشرى واء تسلط المرأة وطغيانها في أوساطنا يسبب التقليد وهو من أخطر الأمور وأكثرها إيذاء فموضوع تسلط المرأة على البيت هذا من الأشياء التي ينتج عنها كثير من الاضطرابات النفسية أو مما يزيد الاضطرابات النفسية إن كانت موجودة أن تستبد المرأة بقيادة البيت هذه من المصائب التي يدفع ثمنها غاليا فقد تقترح المرأة أن تلبس البنات لباسا لا يقره الإسلام بحجة أنهن صغيرات وأن الناس هكذا يعملون وأن المصلحة مسايرة الزمان ويُضعف الرجل ويوافق أو تصر على الإتيان بجهاز فيديو أو تليفزيون أو كذا أو تظل توسوس له كما توسوس الشياطين إلى أن ينهزم الرجل ويستسلم ويرضخ قد ترى المرأة تقوم بألوان من الاستقبالات التي لا يقرها الإسلام ويضعف الرجل ويوافق ويكون فيه هدم للأسرة فهذا انتكاس للأمر هذا قلب الأوضاع أن تبقى المرأة هي المسيطرة على الرجل يمكن أن نفهمه من قول النبي ﷺ عند الكلام على أمارات الساعة أن تلد الأمة ربتها يعني ينقلب المخدم خادما والخادم مخدوما ليس الكلام في القوامة معناه أن شخصية المرأة تلغى لكن القوامة جعلها الله للرجل في حدود شرعه فلا شك أن القوامة هي عملية تنظيمية وليس عملية استبدادية أو استعبادية كما يزعم أعداء الله وأعداء المرأة على الحقيقة الذين يزعمون أنهم أنصارها فمهما يكن من أمر فلا شك أن إلغاء شخصية الرجل أكبر خطرا وأعظم أثرا من جهة أخرى قد تطغى مشاعر الأمومة الحانية والأبوة المشفقة يعني إذا كان فالمشكلة أحيانا أن الموضوع اللامبالاه نجد مبالاه لكن بصورة مرضية خاصة فيما يسمونه بالحماية الزائدة أي قد تطغى على الأم مشاعر الأمومة الحانية وعلى الأب مشاعر الأبوة المشفقة وتتعدى حدودها وإزاء تجاه هذه العاطفة والسيل المتدفق من الحنان والميل الشديد باسترضاء الولد وإدخال السرور عليه.

وقف الإسلام وقفة المنبه المذكر الكابح يعني لكل شيء حدود فهذا الحنان وهاتيك العاطفة قد تنسيان الأب مهمته في التوجيه والتربية فينقلب عندئذ منفذ لأوامر الأطفال الصغار فالأب يفلت منه الزمام تماما بحيث يصبح منفذ لأوامر الأطفل الصغار فالولد ملك في البيت ما يأمر به أيا كان يُسمع ويطاع حتى لو ضرب ميزانية المنزل بأن يريد لعبا من المحل الفلاني أو يريد مثل قريبه أو مثل كذا فينقلب الأخ فينخلع عن التاج الذي وضعه الشرع على رأسه ويصبح التاج فوق رأس الطفل ويصبح وظيفة الأب هو أن ينفذ أوامر الأطفال الصغار ويسارع في تحقيق رغباتهم مع أنهم لا يعرفون من الحياة شيئا.

ولا يدرون ما ينفعهم ولا ما يضرهم فكثير من أجيال المسلمين اليوم لم يجدوا في والديهم إلا الحنان المحض أو الإهمال اللامبالاة يعني هذا هو التطرف الأخذ بأطراف الأمور إما إغراق بالحنان بصورة فيها تطرف أو غلو بحيث أنه أن الولد يمسك الأمام الأمور ويوجهه خاصة عند الأسرة المترفة مهما طلب عند هذه الأسرة التي عندها يسار فيظل مهما أمر يقوون سمعنا وأطعنا يا مولاي مع أن هذا طفل لا يدرك عواقب الأمور ولا هذه الأشياء لكن يحصل بهذا قلب الأوضاع المرؤوس يصير هو الرئيس.

على الجانب الآخر قلنا الإهمال واللامبالاة إما يكون أحيانا وغالبا من الأب بسبب إنشغاله بالرزق أو سفره إلى الخارج كي يجلب لهم المال أو أحيانا يسافر الأب والأم معا ويبقى الأطفال ضحية للضياع وأصدقاء السوء ولغير ذلك من المفاسد فلاشك أن التطرف في ناحية الجفاف المحض الزائد أو في الجهة الأخرى من الإهمال واللامبالاه المطلقة رأينا أجيالا فيها الميوعه والضعف والإنهزامية واللامبالاه.

كان للدكتور محمد الصباغ تعليق على هذه النقطة السابقة يقول ﷺ "سمعت من الاستاذ مالك بن نبي رحمته أن رجلا جاء يستر شدة لولد له، وبنت ولدت حديثا فسأله كم عمرها؟ قال شهر قال فاتك القطار فاتك القطار وقال كنت أظن في بادئ الأمر أي مبالغ ثم عندما نظرت وجدت أن ما قلته هو الحق وذلك لأن الولد عندما يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن

الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد ويكبر على هذا فإذا ضربه اليهود بكى في مجلس الأمن يظن أن البكاء والصراخ يوصله إلى حقه طبعاً بعض الناس تسمع هذا الكلام وتخطئ في تنفيذه وهذا الكلام له ضوابط نعم هو كلام صحيح بلا شك ولكن له ضوابط فأولاً يجب أن نعرف أن اللغة الوحيدة للطفل للتفاهم بها هي البكاء فبعض الناس يأخذ الكلام بطريقة عمياء فيترك رضاع الطفل لأنه يصرخ ولا يدري أن هذه هي لغته في التفاهم وبكاء الطفل أنواع:-

١- بكاء المغص.

٢- بكاء بسبب الجوع.

٣- بكاء بسبب الحر.

٤- بكاء يريد أ، ينظف وتزال عنه القاذورات.

فأسباب البكاء كثيرة فأى ألم عنده مستوحش فإذن اللغة الوحيدة هي البكاء لكن دلالتها تختلف طبعاً الأم التي عندها خبرة تربية عالية تستطيع أن تميز كل نوع من أنواع البكاء فتقول مثلاً هذا بكاء بسبب الجوع وهذا بسبب الحر وهكذا فالشاهد أننا نريد أن نلتقط جزء من سياق الكلام ثم نطبقه بطريق الخطأ لأن بعض الناس يريد أن يطبق هذا الكلام بهذه الطريقة فيمنع الأم من إرضاع الرضيع مع أنه جائع ويريد أن يأكل يمنعه من أجل ألا يتعود أنه كلما يبكي يصبح البكاء هو الوسيلة للوصول إلى الرضاعة فهذا ينبغي أن يفهم في الإطار الصحيح كما سنفصل ذلك بإذن الله تبارك وتعالى فيما بعد عندما كان الرجل في سابق الأيام مسيطراً على البيت كانت شدته وصلابته تخففان من لين الوالدة وتكفكفان من تدليلها للأولاد أما بعد أن استنوق الحمل في كثير من الأوساط استنوق أي صار الحمل ناقة وأصبح الرجل في كثير من هذه الأوساط لا مهمة له إلا القيام بالخدمات وجلب الأغراض والحاجيات ودفع الفلوس والنفقات ولم يعد يملك من أمر بيته إلا اليسير التافه كان هذا الجيل المائع المنهار وذلك لا بد من وظيفة أساسية للمرأة المسلمة أنها تحافظ على وضعية زوجها وأبو أولادها أمام هؤلاء الأولاد لا بد أن تحفظ له وضعيته لأنها إذا حاولت هدم هذه الوضعية فالكل سيدفع الثمن الزوج والزوجة والأولاد فالزوجة تريد

مثلا أن تنتقم مثلا من الأب أن تشوه صورته وتنقص قدره وتظن أنها سوف تفوز بحب الأولاد وإنحيازهم لها لا فهذا يفقدها سلاحا في غاية الأهمية وضروريا لصيانة هؤلاء الأولاد فلو غاب سلطان الأب وضعف سلطاته على الأولاد لاشك أن هذا ثمنه فادح. ومن هذه الأمور أيضا الشغل المتواصل فقد أصبح رب الأسرة في أغلب الأحيان عاجزا عن أن يجد الوقت الذي يهتم فيه بنفسية أو بإفراد أسرته يوجههم ويحدثهم ويستمع إليهم حتى أن زوجته لا يتاح لها أن تجلس معه وتتفاهم معه على الخطة الرشيدة التي يجب أن يسير بموجبها أفراد الأسرة كما قلنا من قبل لا بد من وجود سياسة تربوية موحدة بين الأبوين باتفاق على أمور أساسية جدا لمصلحة الأولاد حتى لو كان بينهما خلاف لا ينبغي أن يظهر أبدا أمام الأبناء لا بد أن يكون خلاف الأبوين سريرا ولا يطلع عليه الأولاد لا بد على الإنفاق على التكامل من الناحية التربوية.

فالأب لو أمر بشيء الأم تأمر بعكسه فيحترق الطفل بين الاثنين والأم تعاند مع الأب أمام الأولاد تحاول أن تكسر كلامه وتحرف توجيهاته هذا كله يدفع ثمنه الأولاد ولا متحرج منه إلا بالاتفاق على أساليب تربوية معينة تدور على التنسيق والتكامل بين الطرفين. الآن الرجل في الصباح يسارع إلى عمله الدنيوي ولا يعود إلا متأخرا ليأخذ قسطا من الراحة طبعاً خلال هذه الفترة تمنع الحركات والهمسات لا يستطيع أحد أن يتكلم معه ثم لا يعود في المساء إلا في ساعة متأخرة من الليل ليجد أهل البيت نياما والتعبير طبعاً كلكم تعرفونه بعض الآباء يستعملون البيت الفندق أو اللوكانده ثم في الصباح ينصرف ولا علاقة له بموضوع التربية فلاشك لو كان هذا الوضع مستنكرا من بعض الناس فإنه ضد المتدينين أشد واللوم لهم أكثر لماذا الآن هذا الأخ المتدين سيجد نفسه بعد فترة بمرور الزمن فالزوج في واد وزوجته في واد وأولاده في واد آخر فهو يحلم أن يكون أولاده ملتزمين فمن أين يأتي الإلتزام لا بد أن هناك تربية وتوجيه عخطيط وتعليم وإعداد ومعاونة أما مجرد الأمانى وهذا شيء طبيعي ويأتي بعد هذا الأب يشكو أن ابنه منحرف مع الأولاد ويفعل كذا وكذا أو لا يصلي وإلى آخر هذه الشكاوي طيب من أين تأتي هذه الاستقامة أم لا بد من

الأخذ بهذه الأسباب فيمرور الوقت تزداد الهوة والفجوة بين الطرفين لاشك أنه سيندم ولات ساعة مندم وهذا الشغل لم يقتصر على الرجل بل شمل في بعض الأسر المرأة التي تترك بيتها سحابة النهار وتكل تربية أولادها وإعداد بيتها إلى الخادمة فيكون من ذلك الضياع التام وأحيانا يكون الشارع وأحيانا ملاجئ الإيواء التي يسموها الحضانة وهي في الحقيقة أماكن إيواء مجرد أماكن للإيواء هل ممكن أن يقدم للطفل رعاية في هذه الأماكن عشر معشار ما تقدمه الأم في البيت لا يمكن أبدا فالشغل متنوع وأكثره في الدنيا وللحسب غير أن هناك نوعا غريبا جدا من أنواع الشغل كما يقول الاستاذ الدكتور الصباح رحمته الله يقول أشغال الناس كثيرة ومتنوعة وهي التي تلهيهم عن العملية التربوية وبالتالي تؤدي إلى اتساع الفجوة بين الآباء والأبناء يقول غير أن هناك نوعا غريبا جدا من أنواع هذا الشغل وهو ما يكون للدعوة وإصلاح الناس وذلك خطأ في تصور الدعوة والعمل فيها والمرء مطالب بأن يصلح أهله أشد المطالبة قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾** [التحریم: ٦٦] قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا لَنْ نَرْزُقَكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾** [طه: ١٣٢] هذا الإهمال لأهله سيوقعهم في الانحراف والمخالفة فالانشغال الكامل بوظائف الدعوة وهو باب من أبواب الخير لكن إذا كان في هذه المنطقة بالذات إذا كان على حساب الفروض العينية المتعينة عليه من توجيه أولاده والحفاظ على دينهم يدخل ضمن المشاغل المدمرة إذا كان على حساب الواجب العيني الذي إذا قصرت فيه لن يقوم به غيرك في حين أن الأكثرين الأبعد منك يمكن أن يقوم بدلا منك بواجب الكفاية في دعوتهم لكن حينما يحصل هذا الانفصال بين الأب والزوج والأولاد فقد لا يستمر في الدعوة إلى الله تعالى ويقال له إن كنت صادقا فأصلح بيتك ويكون هذا الوضع الخاص مضعفا لتأثيره في الناس الآن معنى القدوة يفوت بوجود مثل هذا الوضع ويكون ذلك سببا في أن يتعكر صفوه وتتنغص عليه لذاته وفي أن تتولد فيه

العقد وتواجهه مشكلات قد تحول في الاستمرار في الدعوة بينه وبين الله ﷻ فوصى الاستاذ الدكتور محمد الصباغ ﷺ الزوج الحديث أو العروس فيقول له لا تشتغل طويلا عن أهلك وأعلم يا أخي أن الجلوس إلى عروسك ومحادثتها ليس وقتا ضائعا لاسيما إذا كانت المحادثة تسير في طريق هادف وتسعى نحو قصد محدود، بعض الناس إما أنه خارج البيت خاصة في الدعوة مثلا مع أخوانه أو مع الناس الذين يتعاملون معه في الدعوة وأما إذا عاد إلى البيت يعود بهم إلى البيت وكل هذا على حساب رعيته التي رعايتها متعينة عليه وحتم لازم واجب بلا توازن بين الحقوق والواجبات هذا التوازن الذي أرسى قواعده النبي ﷺ في الحديث المعروف حينما قال فأعطي كل ذي حق حقه توازن بين الواجبات فالإنسان له عدة صفات فهو أب ومسلم مطالب بالصلاة والصيام والزكاة والحج وطلب علم إلى آخره وداعية مطالب بكذا وكذا وزوج فهناك حقوق للزوجة ومزور في حقوق لضيوفه وحقوق لأولاده وحقوق لربه ﷻ وحقوق لصحته وهكذا فأعطي كل ذي حق حقه ولا تعطي البعض وتترك البعض فأعطي كل ذي حق حقه.

فهناك مشكلة موجودة في مجتمعنا وفي تقاليدنا ويكمن وراءها كثير من المصائب الاجتماعية وهي مشكلة احتقار المرأة فبعض الناس تربى على أن المرأة كيان محتقر لا كرامة ولا شخصية ولا قيمة لها ويتداولون في ذلك بعض الأشياء لم تصح ليست من ديننا في شيء حكاوي موجودة في بعض كتب الأدب ليست آية ولا حديث انظر إلى قول النبي ﷺ «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ»^(١٢٥) فمع ذلك نجد الاحتقار العميق من المرأة وتكبر على المرأة والنظر لها نظر إزدراء فيما ينعكس في الاهتمام بها لأنها لا تستحق أصل الاحترام أو المعاملة الكريمة أو المجاملة أو غير ذلك نسمع كلمة فظيعة جدا من بعض الناس في معاملته لامراته يرى أن الإحسان للمرأة بالكلام الطيب أنه متنافي مع الرجولة أو المجاملة أو غير

(١٢٥) سنن أبي داود، سنن الترمذي من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، (صححه الألباني).

ذلك نسمع أشياء غريبة فكيف يكلم المرأة بلطف يظن أن هذا تذلل لها وهو المفروض أن يكون شامخاً في السحاب كيف ينزل لمستواها ونسى أن الرسول ﷺ رعى فطرة المرأة في هذا الجانب بالذات جعل الكلمة الطيبة صدقة يثاب عليها بل أعظم من ذلك وأكبر قاله خير مؤدب وخير معلم عرفته البشرية ﷺ حينما قال «لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ وَجَعَلَ مِنْهَا كَذِبَ الرَّجُلِ مَعَ امْرَأَتِهِ»^(١٢٦) بمعنى أنه يكذب عليها ويثاب مع الكذب هذا من الكبائر بل أكبر الكبائر وليس المقصود بالكذب أن تعد بشيء ولا تفني به لكن المقصود به المجاملة التي لا تكلفك شيئاً سوى أن تخرج كلمة طيبة فقط ماذا فسوف تخسر فالحقيقة الذي لا يمنع من الإحسان إلى المرأة بالألفاظ الحسنة إذا الكلام الطيب غالباً ما يكون الكبر وهذا الشعور الراسخ والكامن وهو احتقار المرأة وازدراءها الذي يكون ربما تشربه من تربيته أو من الجو المحيط به في تنشأته أو مصادر ثقافة معينة شوهدت عنده هذه المفاهيم أو كما قلنا أشياء تنسب إلى الإسلام وليست من الإسلام كمثلاً زعمهم الحديث الموضوع المزعوم شاورهن وخالفوهن كيف هذا وما أكثر ما تشاور المرأة بشيء فيزن قولها عشرات العقول من الرجال كما حصل حينما أخذ النبي ﷺ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها في قصة الحديبية. وللأسف كثير جداً من الأشياء المكذوبة موجودة في التراث كلها تحقير للمرأة وإهدار لحقوقها ولكرامتها وكأنها كقطعة أثاث مثل أي قطعة أثاث في البيت وأن ينبغي أن تتلقى الإهانة تلو الإهانة ولا تنفعل ولا تتأثر وكيف تشكلي وهي امرأة محتقرة ولا كرامة لها وكما قلنا في حديث الكذب ليس معناه أن يعد وعداً فيخلف أو يكذب في شيء خارج هذه الدائرة وهي دائرة المجاملات دائرة المجاملات يعني ممكن وكلمة المجاملات أحياناً نفهمها خطأ والناس تتصور أن المجاملة أقصى درجاته أن يكون مستحبا لكن المجاملة قد تكون واجبة فريضة في بعض الأحوال أليس رد السلام مجاملة وهو واجب قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ

(١٢٦) سنن الترمذي، مسند أحمد من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، (صححه الألباني).

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ [النساء: ٨٦] فهذه مجاملة لكنها حكم شرعي واجب، تسميت العاطس بمجاملة اجتماعية لكنها واجب عيني وهكذا يعني موضوع المجاملة لفظ واسع قد يكون من الواجبات وقد يكون من المستحبات وقد يكون من المباحات ومجاملة المرأة خاصة وهو أمر خطير جدا.

الرجل إذا كسب زوجته هذا في مصلحته هو لأنه سيستطيع أن يتعامل معها على تربية أولاده تربية حسنة ويستطيع أن يؤمن بيته من الزلازل التي تهدد الاستقرار فمن السياسة ومن الكياسة المداراه والتلطف والمجاملة حتى لمجرد المصلحة وإن كانت كلمة المجاملة تدخل في أشياء تدخل تحت إطار الكلمة الطيبة وفي نفس الوقت لا فيها إخلاف وعد ولا فيها تزوير ولا فيها أي شيء هادم وهي دائرة المدح كما

يقول الشاعر ضيعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

والفطرة في المرأة أنها تحب أن تمدح فالشرع راعى هذا الجانب والفطرة في المرأة أنها تحب أن تتزين فاستثنى لها الحرير واستثنى لها الذهب هذا كله مراعاة لهذه الفطرة فالحرير والذهب حرام على الرجال حلال للنساء هو مراعاتها لهذه الفطرة إباحة اللعب وهي مراعاة لفطرة الأمومة التي تبدأ أن تكتسبه منذ الطفولة المبكرة يباح للطفة أن تلعب بالعرائس واللعب حتى يُعْذِي فِيهَا هَذَا الشُّعُورُ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ أَوْ مَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ عَيْرٌ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ [الزخرف: ١٨] إشارة إلى طبيعة المرأة وهي طفلة صغيرة ممكن طفلة صغيرة لم تشاهد تليفزيون ولم تخالط أناس غير ملتزمين ولا كذا ولا كذا وتجد تلقائيا تحب تقف أمام المرأة بسرج وتغير الملابس وتلبس كذا وتريد أن تسمع أنها جميلة، وأنها تلبس ملابس جيدة وكذا وكذا فهذه مراعاة لهذه الفطرة والشرع أباح للرجل أن يكذب مجاملته امرأته كأنه يحبها كذا وكذا والعاشق الموله فما الذي سوف

يخسرهُ هو سوف يكسب كثيرا جدا لكن لن يخسر شيئا وإذا ركب رأسه وعاند يدفع هو الثمن لأن سوء العلاقة حتما سينعكس على تربية الأولاد.

كلما كسب زوجته كلما كانت الثمرة حسنة جدا في حق الأولاد فمثلا المجاملة في الطبخ أنه أحسن طبخ في العالم ومدح الملابس ومدح الشكل فهذا كله يباح، يباح الكذب فيه ويرجى أن تثاب في ذلك فهل هناك تقدير لنفسية المرأة أكثر من هذا ومع ذلك نجد هذه الحواجز بسبب ما ذكرناه من شعور الكبر ولما جاء في الحديث «الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١٢٧) فكيف ينزل المتكبر من عليائه لهذا المخلوق الحقير هو لا يقول بالحقارة لأبد سلوكياته تنبو عن شعور كامن تجاه المرأة بالاحتقار وإهدار كرامتها فالشاهد أن الرجل ينبغي أن يجتهد وأنتم تعرفون أن العلماء حينما تكلموا عن العض ذكروا أن هناك عشقا مباحا وهو عشق الرجل امرأته والعشق هو فرط المحبة لأن الزوجة يباح عشقها لأن السبيل إليها متيسر شرعا بخلاف الأجنبية فهذا يكون بلاء في الدين والدنيا وتلف للدين وللدنيا ولذلك قال ﷺ كم يرى للمتحابين مثل النكاح وهو أحسن حل إذا حصل محبة بينهما فأفضل هو الزواج فالشاهد من هذا كله أن قالوا أن عشق الزوجة هو العشق المباح لأنه لا ضرر فيه لا يوصل إلى حرام ولا إلى خلوة محرمة ولا إلى هذا ولا كذا ولا ريبة وإنما هو حلال والشريعة اتخذت كثيرا جدا من الإجراءات التي توطن من العلاقة بين الزوجين.

وقول دكتور الصباغ رحمته الله لا تنشغل طويلا عن أهلك وأعلم أن الجلوس طويلا مع عروسك ومحادثتها ليس وقتا ضائعا ولو تأملنا الحديث الحلات التي يبيح فيها السمر بعد العشاء "الطلب علم أو مؤانسة ضيف أو محادثة أهل" أن يؤنس زوجته بالحديث معها هذا من الاستثناءات أو السمر المباح أحيانا كذلك كما يأتي في الحديث أيضا "كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أشياء ذكر منها وملاعبة الرجل امرأته فجعل هذا ليس من

(١٢٧) صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

اللهو الباطل وإنما هو يعين على الحق ويعين على العفاف" ويقول دكتور الصباغ رحمته الله أعلم أن الجلوس طويلا مع عروسك ومحادثتها ليست وقتا ضائعا لاسيما إذا كانت تسير في طريق هادف وتسعى نحو قصد طيب بالذات حديث العهد بالزواج فهو يحتاج إلى وقت لحدوث الألفة والمودة في المراحل الأولى والشرع أيضا لم يهمل هذا.

ألم يخصص الشرع للمرأة أسبوعا كاملا يلازمها زوجها إذا كانت بكرًا فلا يذهب للزوجات الأخريات إذا كانت عنده أكثر من زوجة في الأسبوع الأول من الزواج لماذا ليحصل هذا الائتناس وزوال الوحشة منها في هذه الفترة حتى وصل الفهم إلى بعض الناس أنهم يغالون في هذا الحكم ويظنون أنه أيضا لا يخرج إلى صلاة الجماعة فهذا غلو فالمقصود أنه لا يخرج عن المبيت المقصود به المبيت يقول الدكتور إنك بذلك تفهم زوجك وتتيح لها أيضا أن تفهمك وهذا للفهم وهو الخطوة الأولى للمعاشرة الحسنة وكم رأينا في واقع الناس يقضون العشر والعشرين من السنين ولا يفهم أحدهما الآخر وكان ذلك سببا من أسباب النكد والشقاق.

ويقول الدكتور إنك يا أخي بجلوسك إلى أهلك ومحادثتك إياها تفسح المجال لك لتقنعها بكثير من آرائك التي تبدو غريبة عليها بادئ الأمر فمثلا يأتي الشخص يشتكي أنها لا تريد أن تلتزم أو تقصر في كذا وكذا حينها تسأله ما الدور الذي قمت به كي توجه وتحبب إليها الحق كي تنقاد إليك لا تجد شيئا أو تجد واحد يحتاج يعذر نفسه فيقول كلمتها ولم تستجب أما تلوين أساليب الدعوة الرفق والتلطف كلام بالمعروف وبالتي هي أحسن هي هنا لا أثر له ولا وجود له هو يريد البيت كما قلنا من قبل مثل السكنة العسكرية أوامر ضابط وجندي يريد أن يأمر وهي تسمع وتطيع وقد يمضي الزوجان مدة طويلة من السنين ولم يفهم أحدهما الآخر ويكون ذلك سببا من أسباب النكد والشقاق.

ويقول الكلام أول مرة لا يترك الأثر المطلوب ولا يلمس الإنسان نتيجته ولكن التكرار وحسن اختيار الوقت المناسب والأسلوب المناسب في عرض الفكرة وضرب الأمثلة

الكثيرة لا بد من أن يترك أثرا كبيرا في الإنسان وأعلم يا أخي أن الحديث الطويل المهادف غير الممل والمؤانسة المهذبة يمدان الحياة الزوجية بالقوة والنماء وأفضل الغذاء ولتضع نصب عينك ما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَيْسَ مِنَ اللّٰهُوَ إِلَّا ثَلَاثٌ تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ وَمَلَاعِبَتُهُ أَهْلَهُ وَرَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلُهُ»^(١٢٨) يعني المباح من اللهو هذه الثلاث وعن عطاء بن أبي رباح، قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري يرميان فملا أحدهما فجلس، فقال له الآخر: كسيت، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ فَهُوَ لُهُوٌ أَوْ سَهُوٌ إِلَّا أَرْبَعٌ خِصَالٍ: مَشِي الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ، وَمَلَاعِبَةُ أَهْلِهِ، وَتَعَلُّمُ السَّبَاحَةِ». واذكر قصة أبو الدرداء مع سلمان رضي الله عنه فقد روى البخاري رضي الله عنه عن وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال «آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكَ قَالَتْ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ كُلْ قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يُقُومُ قَالَ نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يُقُومُ فَقَالَ نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ فَمُ الْآنَ فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ»^(١٢٩).

(١٢٨) سنن أبي داود من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، (ضعفه الألباني).

(١٢٩) صحيح البخاري من حديث أبي جحيفة عن أبيه.

فالمسلم مطالب بأن يعطي كل ذي حق حقه فالموازنة بين هذه الحقوق أمر مطلوب ولا يقوى عليه إلا الواعون والتفريط في هذه الموازنة تفريط في الحياة المتكاملة.

هناك أناس يُشغلون عن زوجاتهم بكسب المال فترى الواحد منهم يكدح طوال النهار وطرفاً من الليل ولا يعود إلى داره إلا مكدود الجسم مهدود القوى قد استنفذ طاقته حتى لم يعد لديه استعداد لحديث ولا مؤانسة فيخلد إلى الفراش منهاراً مضعضعاً وقد يأتي فيجد أهله في نوم عميق بعد أن طال عكسها الانتظار قد يكسب من وراء هذا السلوك المال ولكنه يعرض نفسه لخسران الحياة الزوجية وهناك أناس يُشغلون عن زوجاتهم بمعشرة الأصدقاء وحضور الحفلات والسهرات والاشتغال في الرحلات فترى الواحد منهم بعيداً عن بيته وأهله في معظم الأوقات وإن لم يذهب إلى الدار جاء هؤلاء الأصدقاء إليه وكان مكلفاً بإكرامهم وخدمتهم وطبعاً ليس هو الذي يطبخ ولا يتعب ولكن يأمر به الزوجة بإعداد الطعام والضيافة والشراب إن هذا الإنسان قد يكسب ود عدد من الأصدقاء وقد يكسب سمعة اجتماعية يده ولكنه يعرض نفسه لخسران السعادة البيتية، وهناك أناس يشغلون عن زوجاتهم بأمور محمودة كما شغل أبو الدرداء عن زوجته لما شغل أبو الدرداء عن زوجته وكان مشغولاً بالعبادة بل الصيام والقيام وكذا وكذا فتراهم في ذكر وعبادة ونصح للناس ودعوة وقراءة وكتابة إن هؤلاء فقدوا القدرة على الموازنة بين الحقوق المتعددة وفقدان القدرة على الموازنة يُورث خللاً واضطراباً في الحياة الداخلية للفرد منه في حياته مع زوجته وأولاده.

إن الأهل والذرية من أحق الناس بالعناية ومن أحق الناس أن توجه الدعوة إليهم قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] إن الواحد من هؤلاء الذين فقدوا القدرة على تلك الموازنة لا يلبث أن يستيقظ من غفلته فإذا هو في واد وزوجته وأولاده في واد آخر أفكاره غير أفكارهم ومواقفه تختلف عن مواقفهم وسلوكه في الحياة بعيد عن سلوكهم وذلك لأنه ترك أهله خاضعين لمؤثرات أخرى من

وسائل الإعلام والصحافة ومن البيئة التي قد يسود فيها الانحراف والعلاقات والقرابات وربما كان كثير منها لا يتفق مع اتجاهه في الحياة ومن أصعب الأمور على النفس أن يرى المرء زوجة وأولاده يسيرون في طريق الزيف والانحراف والضلال ولذلك علمنا الله في الدعاء وذكر لنا أن الدعاء نفى عباد الرحمن قولهم قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان: ٧٤] بأن يكونوا صالحين مستقيمين على شرع الله تبارك وتعالى إن هؤلاء الذين يُشغلون عن أهلهم يجنون بعد حين الصبر والعلم ويتجرعون غصص العناء والشقاء والحياة اليوم معقدة الجوانب مفترعة بأسباب التأثير ويقول دكتور الصباغ في هذا أعرف رجلا متدينا أنصرف في أول حياته الزوجية إلى عمله فجهد واجتهد وكان لا يأتي إلى داره إلا إلى الطعام والنوم ثم يخرج ولا يعود إلا بعد منتصف الليل فإذا جاءت الأجازة ترك زوجته مع أهلها وسافر إلى البلاد الأجنبية في تحقيق أمور تختص بعمله فكان من جراء ذلك تدمير الأسرة وتشرد الأولاد وعانى هو من وراء ذلك أعظم الصعوبات إن الانشغال عن الأهل تفریط في حق الرجل والاسر وظلم بيّن إذ كيف يسوغ الإنسان أن يجبس زوجته وينطلق هو إلى عمله وزيارته وقراءته وعبادته وكتاتيبه ويترك شريكه حياته نهبا للوسواس والخطرات والوحشة والأزمات ويتركها للإنغماس في المجتمع الذي يسير في طريق آخر فعلى المرء أن يوازن بين الحقوق ومنها حتى الأهل وليكن له مع أهله وقت يملأه بالمؤانسة العذبة الهادفة والحديث المؤثر الجذاب يقول دكتور الصباغ رحمته الله إن كثيرا من الصالحين يشغلون عن أولادهم بأمور عامة تتصل بالدعوة ومحسبون أنهم بذلك يقومون بخدمة جليلة وذلك لعمر الله تقصير كبير.

إن أحق الناس بتوجيهك أولادك وزوجك الذين معهم تعيش وبهم تعرف وشهرهم وخيرهم مقرون بك وقد تضطرك الأيام إلى أن تكون بما فيه إلى برهم ورعايتهم وقد يفيدك أن تحظى بدعوة من أحدهم تخفيف عنك ما أنت فيه مل الضيق والكرب بعد موتك أو

تزيدك من الخير في آخرتك من أجل ذلك اقترح الدكتور الصباح بعض الاقتراحات يقول
 أولاً لا بد من أن تخصصهم بجلسة اسبوعية على أقل تقدير وإن استطعت أن تكون في مدة أقل
 كان أحسن يعني في الأسبوع مرتين كمدرس عائلي أو جلسة عائلية للأسرة والأهل.
 ثانياً: إقامة حلقات للأولاد يتولوها أناس ظلهم خفيف ودينهم جيد وبيانهم مشرق
 وإن كانت مستوياتها مختلفة للابتدائي والمتوسط والثانوي فهو أفضل فالمرء على دين خليله
 هذه الأمور بأيدينا هذه الأسباب في المحافظة على الأهل والأولاد وأداء واجب الرعاية لهم
 هذه الأمور في أيدينا ونستطيع بها أن نقاوم هذا المد الجارف من الضلال والانحراف الذي
 يكتسح المجتمع فلنتقي الله ﷻ فيها ولنصلح الفاسد ولنحذر غرق سفينة المجتمع للأسرة
 هي القلعة الأخيرة التي ينبغي أن نقف حياتنا وإمكانياتنا لحمايتها وحفظها وإن لمسؤولون
 كما قال النبي ﷺ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» وفي رواية «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ
 رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَتَّى لَيْسَ أَلِ الرَّجُلِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ».

التسريط الساوس

مقومات شخصية الأب

باعتبار أن الأب الذي يمارس كثيرا من الواجبات والمهام من وظائف الأسرة لاشك أن من أهم وظائفه رعاية هذا المولود الجديد وتربيته وتوجيهه لاشك أن الظل أن يكون حسب الظل الذي هو ظلا له بمعنى أن إذا كان العود أعوج فإن الظل يكون أعوج، والعكس فمن ثم تربية الأب لأبنائه تعكس شخصية الأب نفسه فلا بد أن تكون هناك مقومات في شخصية الأب حتى يصلح أو حتى يمارس العملية التربوية بطريقة سوية فستتناول أهم الجوانب والمقومات التي يجب أن يتحلى بها الأب في نفسه وشخصه حتى يتمكن من التأثير في أولاده وتوجيههم الوجهة السليمة التي تكفل لهم الاستقامة على منهج الله ﷻ.

فأول مقومات شخصية الأب أو المربي القدوة فالقدوة تعتبر من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي من أهم الوسائل على الإطلاق وذلك لوجود غريزة فطرية ملحة في كيان الإنسان تدفعه نحو التقليد والمحاكاة خاصة الأطفال الصغار الآن الأطفال أكثر تأثرا بالقدوة لماذا؟ أولا لأن الطفل يعتقد في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح وأن آباءهم هي أكمل الناس وأفضلهم لهذا فهم يقلدوهم ويقتدون بهم فهذه خصائص بالنسبة للأطفال تجعل أمر القدوة في غاية الأهمية بالنسبة إليه أن الطفل ينظر إلى بيته على أنه أكمل الناس وأنه أفضل الناس ويقتنع بكل ما يفعله ولو كان الأمر الفلاني غير صحيح لما فعله الأب لذلك تجد الأطفال يولعون بتقليد الآباء ومحاكتهم فتجد الأب يصلي فيحاول الطفل الصغير وعمره سنتين يحاول محاكيه دون أن يوجهه دون أن يطلب منه شيء ولا أن يأمره بالصلاة لأنه طبعا في هذا السن لا يأمر بالصلاة لكن تلقايا يحاول أن يحاكيه ويبدأ التقليد عند الأطفال عدة منذ السنة الثانية تقريبا ويبلغ غايته في سن الخامسة والسادسة ويستمر معتدلا حتى للطفولة المتأخرة لاشك أن التقليد يكون دليلا على محبة الأولاد لآبائهم لأن التقليد في هذا السن لا ينبع من خوف أو من خشية وإنما هو ميل حقيقي قد امتلك واستهوى قلوب الصغار نحو آباءهم ورضائهم أن يكونوا لهم قدوة وقلنا أن هذا منزع فطري وغريزة فطرية في هؤلاء الأطفال.

إذن هذا هو الصحيح الذي يصادم ويناقض ما قاله الملحد الخبيث فرويد الذي يقال أنه يهودي هو في الأصل يهودي لكنه ملحد أي زاد كفرا على كفره وانتقل من اليهودية إلى الإلحاد وهو الذي أرسى بذور الإلحاد في العلوم النفسية وأشار أن الديانات نبعت من الأرض ولم تنزل من السماء وأن الطاغوت والطمطم هذه الأشياء خرافات والحق جميع الديانات أنها نتاج العقل البشري وليست في الحقيقة صلة بين الخالق والمخلوق وإن كان بعض الناس يقولون ليس ملحدا في الحقيقة وإنما هو كان آله من آلات اليهود في تدمير الأمم الأخرى كي يسهل عليهم بعد ذلك استعباد الأمم وعلى أي الأحوال (فرويد) كان من ضمن ضلالاته وانحرافاتة وشذوذه في تفكيره ما يزعمه من عقدة أو ديب وفي الحقيقة كلام فرويد كلام بشع والإنسان يقشعر جلده إذا سمعه أو قرأه ولذلك لا نستطيع أن نصرح بكل كلامه لأنه في غاية الفظاعة حتى إنه ليأتي إلى الطفل الصغير الطفل البريء الذي هو حديث الولادة فيفسر تصرفاته بأنها كلها ومراحل نموه في ضوء خزعبلاته وانحرافاتة وضلالاته وانحرافاتة وهو يزعم أنه كان يتعامل كطبيب نفسي وأخصائي نفسي لكن في الحقيقة في منهج فرويد أصلا كثيرا جدا من العورات والضلالات وهو مدرسة من ضمن المدارس فقط إلا أنها مدرسة قد أحبطت ورر عليها ردود علمية من كفار مثله يعني من فقط المسلمين لن كثير من الباحثين رفضوا فروضه ونظرياته لتفسير تصرفات الطفل وأصلا هو لم يتعامل إلا مع العينات المرضية غير السوية وكل الدراسات التي فعلها إنما هي محصورة في فئة شاذة من الناس واستنتاجاته إنما هي ناشئة عن دراساته وبحوثه إنما عن هذه الفئات من الناس الغير سوية فعمم بعد ذلك النتائج على كل الناس بما فيهم الأسوياء وبلا شك أن هذا ظلم كبير للحقيقة والمهم حتى لا نخرج عن موضوعنا وإن كان الموضوع دحض ضلالات (فرويد) وغير من المنحرفين (كدارون) وغيرهم لأن لها تأثير لأنها تحارب الدين بهذه النظريات وفرويد مسئول من أوائل المسئولين عن إفساد المجتمع الغربي إلى الدرجة التي وصل إليها الآن أو الدرکه التي انحط إليها في هذا الزمان هو المسئول عن هذا وعلى فلسفته تقوم سلوكياتهم الضالة فهذا الاعتقاد في حب الأطفال لآبائهم واقتناعهم أن

آبائهم أفضل الناس هو الذي يجعله يقلد هذا الأب أو يحاكيه لشدة ثقته به ومحبته له وانجذابه لأبيه أما فرويد الخبيث فيزعم طبقاً لما يسميه هو عقدة أوديب ويزعم أن الطفل الصغير هذا المسكين الغض الطري هذا بيكن لأبيه البغض والحقد والكراهية لأنه ينافسه على أمه من الناحية الشهوانية هذا ما يسميه عقدة أوديب ولاشك أن هذا التخريف من الافتراء الباطل وإتهام عجيب لفطرة الأولاد والأبرياء بالنفاق والخداع منذ حداثة أسنانهم وقبل أن يكونوا مكلفين لاشك أن هذا النوع من الاتجاهات المنحرفة وما يشابهها يجب أن يحذر الأب منها غاية الحذر يعني هذه الكتب والدراسات المنحرفة ينبغي أن تجتنب ولا يخوض الإنسان فيها فضلاً عن الاعتقاد بها والعمل بموجبها خاصة وأن بعض الكتاب نتيجة عقد الخواجة أو عقدة الإنهزام أمام كل الحثالة والزبالة التي تأتي من الغرب فهم كما قال أحد غلاة الأتراك من قبل إننا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الأوروبيين حتى الالتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم وكما قال نفس الشيء طه حسين سنأخذ من الغرب كل شيء حلوة ومرة حسنة وقبيحة لأننا ارتضينا بالعالم الغربي أسوة وقدوة نتيجة إليها ونقتبس منها هذا معنى كلامه طبعاً ليس نصه فينبغي أن نحذر أسماء كثير من المسلمين كثير من المتخصصين في هذا الجانب مما يرددون البغباوات فرضيات فرويد الضالة والشاذة والمنحرفة ويحاولون أن يهدبوها أحياناً أو يحسنوها خطأً أو جهلاً في أعين الناس فينبغي الحذر لأن في الحقيقة مجرد سماع فرضيات فرضيات فرويد ونظرياته وضلالاته الغربية الشاذة فالإنسان يقشعر بدنه يكاد يتقيى من كلامه الذي ينسبه إلى الأطفال الأبرياء فالطفل البرئ الذي يقول فيه النبي ﷺ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ» فهذا الكلام يصادم هذه الفطرة وكيف يصف أن الطفل المسكين هذا الرضيع البرئ الذي يضرب المثل بنزاهته ونظافته وطهارته في الأعمال الصالحة فمن حج فلم يرفُثْ ولا يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه ويكفر الإنسان فإنه كفرت عنه السيئات بأنه عاد كيوم ولدته أمه فنحن في حيرة ما بين النص الذين يقولون أن

أسوأ يوم على الطفل اليوم الذي ولدته أمه باعتبار أنه يولد محملاً وملوثاً بخطيئة آدم عليه السلام المزعومة فآدم تاب وتاب الله عليه فهم يزعمون أن كل البشرية تولد ملوثة بالخطيئة ولا بد من الصلب المزعوم كي يفدي خطيئة البشرية ولا بد أيضاً من التعميد وإلا يدخل النار هذا الطفل لأنه لم يُعمد ولم يكنس منه أو يُغسل عنه أثر خطيئة آدم كيف يكون الطفل المسكين البرئ يكون متدنساً بخطيئة آدم مع أن آدم خطيئته قد غفرت ما وقع فيه آدم غفر له لكنهم لا يعتقدون أنها غفرت عموماً على أي الأحوال هذا موضوع آخر.

إذن الأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر بكثير مما يظن ويتصور الوالد من دون أن يشعر نغرس في أبنائنا كثيراً من التصرفات الخاطئة أو التطورات المنحرفة ونحن لا نشعر لأننا ننظر إليهم كلعبة ملهية أو قطعة لحم مضغعة ليس له أي إدراك ولما يكبر سوف يدرك عندما يبلغ ستة عشرة سنة أو عشرون سنة نبدأ تربيته في الحقيقة، طاقة الأطفال في الإلتقاط أعظم بكثير مما نتصور ومما ندرك ومما نتخيل فالطفل يتأثر بناءً يُقلد طريقتنا في معاملتنا وعلاقتنا بجارنا وحديثنا عن زملائنا في العمل دون أن نشعر نحن غالباً بهذا الأمر فاتجاهتنا النفسية تصبح كلها هي نفس اتجاهاته النفسية وتنطبع عليه وبناءً على هذا يكون التعود على الخير بالقدوة الصالحة فأول الأمر هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية يعني بناءً على هذه الحقيقة وهي أن كل ما نفعله ينطبع على الطفل ففي هذه الحالة يجب أن نكون في غاية الحذر ونحن نتصرف أمامه لا أقول لا بد أن نتكلف ولكن أقول لا بد أن نعيش حياة إسلامية عملية واقعية فيتشرب كل قيم المجتمع الإسلامي فالبنت تتعود عندما ترى أمها إذا دخل رجل أجنبي لا تخالط الرجال ولا تخرج إليهم مثلاً ستلتقط هذا الشيء الطفل الذي يرى أباه بمجرد أن يؤذن الأذان يتوضأ ثم ينزل يصلي صلاة الجماعة ثم يعود ينطبع في ذهنه الربط بين الصلاة وبين الأذان الطفلة التي ترى أمها تترك ما في يدها تتوضأ وتصلي فبمجرد أن تسمع هي النداء بعد ذلك تربط بين الأذان وبين الصلاة نوع من التعليم الشرطي رأيت طفلة عمها سنة وعدة شهور بمجرد أن يأذن المؤذن تقف وكأنها تضع يدها على صدرها كأنها تصلي وتقوم وتقعدها ما رأت أحد يصلي لكن سمعت الأذان يؤذن فكأنها تقول هذا

وقت أن نفعل هذه الأفعال فإذن المحاكاة لها تأثير في غاية الأهمية الطفل مثلا الذي يرى أخوته الكبار يستأذنون قبل أن يدخل بابا مغلقا في الحجرة أو البيت أو كذا أو كذا لاشك أنه مع تكرار هذا السلوك العملي لا ينهار لاشك أنه سيتعلم ويتعود على الإستيذان.

واضح الذي يرى من يعطس ثم قال يرحمكم الله إلى آخره كل هذه الأشياء هم يتطبعون بها ويستعملونها فالعقيدة الإسلامية لا يكفي أن تكون في قلب المسلم دون أن يكون لها واقعها العملي المترجم في السلوك الاسلامي الصحيح في جميع مجالات الحياة.

ذم الله ﷺ ومقت الذين تخالف أعمالهم أقوالهم قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف: ٢-٣] ، وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ » (١٣٠) إذن لعل من حكم الله ﷺ في هذا التحذير الشديد والوعيد الشديد من نتيجته مخالفة القول للعمل.

من حكمه هذا ما تسببه هذه المخالفة من ضرر نفسى فادح بالمقتدين خاصة الأطفال الذين لا يعقلون، الطفل هذا لو كان مكلفا وعاقلا سيقول لا أبى يفعل هذا الشيء الخطأ وهذا الشيء حرمه الله وأبى غير معصوم ولن أقلده في هذا لأنه عنده عقل وعنده بصيره أما الطفل البرئ كل ما يفعله أبوه هو الصبح حتى إذا سألته ماذا تريد أن تعمل في المستقبل فيقول نفس وظيفة أبى إذن المخالفة بين القول والعمل تحدث اضطرابا فادحا وضررا فادحا بمن يقتدون به خاصة الأطفال الذين لا يعقلون.

(١٣٠) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

و لذلك فإن بعض السلف رأى رجلا يسيء الصلاة فقال ما أرحمنى ما أرحمنى بعياله ما أرحمنى بعياله فقيل له يسيء هذا صلاته فتقول ما أرحمنى بعياله قال إنه إمامهم وبه يقتدون فإذا فسد القوام عم الفساد جميع الأقوام فمن يتعلمون الصلاة سيتعلمون من أبيهم، فإذا كان هو يسيء الصلاة فلا شك أنهم سيسئون الصلاة مثله.

إذن الطفل الذى ينشأ وهو يظن ان والده منافق مرائى فى عبادته وأمور دينه يكون أصعب الأطفال طورا فى اجتذابه واستمالته الى التدين فيما بعد.

قلنا من قبل ان الطفل لا يدرك الأمور المجردة لكنه يكون تفكيراً مادياً يعنى الطفل يتعلم عن طريق الحواس (الأمور الحسية) كأن يرى ويسمع فالأشياء التى يحسها هى القدوة العملية الأشياء التى يدركها بالحس.

هذه هى وسيلة تعلمه الاساسية أما التلقين النظرى فالطفل فى المراحل الأولى لا يدرك أبداً على الاطلاق المعانى المجردة فالمعانى المجردة مثل مثلاً طفل عنده ثلاث سنوات لا ينفذ ان تكلمه عن النزاهة والعدالة والجمال والتسامح والفكر والأمانه وكذا وكذا فالطفل لا يدرك المعانى المجردة لكنه يدرك الأشياء الحسية فلو جلست تعطى له درس على الصلاة وعقوبه تارك الصلاة وهو طفل ثلاث سنوات أو أربع سنوات حتى لو فهم الكلام فهو لا يدرك المعانى المجردة، تريد أن تعلمه تصلى أمامه النوافل أو تخرج صلاة جماعه وتصحبه فى صلاة الجماعه اذا كانت تتوفر فيه شروط هذه المصاحبه الى آخره.

إذن فالطفل فى حوالى السنه السادسة من عمره تقريبا يمكن أن يحدد مدى التزام اهله بالتوجيهات التى يأمرونه بها اذا بلغ ست سنين يستطيع أن يعرف هل أبوه منافق مرائى يخالف قوله فعلة أم أنه يلتزم بالفعل بكل ما يقوله هل يأمره مثلاً بالصدق وعدم الكذب فى حين أن أبوه نفسه يلقنه الكذب حينما يستأذن واحد فيقول له قل أبى ليس فى البيت فبمجرد التلقين لا يثمر مع الولد وإن استعملت معه جميع وسائل التوجيه والتربيه ان لم توجد القدوة الصالحه التى تكون بمثابة ترجمه عمليه للمعانى المجردة فالمعانى المجردة لا يمكن ان يتقبلها إلا إذا قُدمت اليه فى إطار محسوس يراه ويسمعه ويقتدى به وإن الناظر فى

أوضاع المجتمعات الاسلاميه اليوم يجد ان عقيدتنا و اخلاقنا و قيمنا تكاد تكون في ناحيه و حياتنا العمليه في ناحيه أخرى نقيضان لا يلتقيان فكيف ينشأ مع هذا الوضع أطفال صالحون يرون و يشاهدون المتناقضات في حياة الأمة إنهم مهما سمعوا من المرين فإنهم لن يحملوا سوى الصورة التي يرونه أمامهم من أنواع و أنماط السلوك إن خيرا فخير و إن شرا فشر و قد تنبه السلف الصالح رحمهم الله إلى هذا الأمر و أهميته فهذا عمرو بن عتبة ينبه معلم ولده إلى هذا الامر فيقول له ليكن أول إصلاحك للولد إصلاحك لنفسك تريد أن تصلح ولدي و تحسن تربيته فأصلح نفسك أولا فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت و القبيح عندهم ما تركت هكذا هي القاعدة مع هذا السن الحسن ما يفعله الأب المربي و القبيح ما يستقبحه أما الحسن هو الذي تشرح له و تقيم له أدله و كذا بأنه حسن أو القبيح بالعكس لا فبالكلام النظري المجرد لا يتأثر الطفل لا يدركون المعاني المجردة بسهولة و يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي بل لا بد من المثال الواقعي المشاهد إذن لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة الصالحة التي تمتثل الأوامر و تستجيب لها و تنزجر عن النواهي و تمتنع عنها فمثلا هو يرى أباه يدخن ليل نهار يسمم الأجواء في البيت بهذا السم القاتل مائة مرة نعطيه محاضرة في أضرار التدخين و التحذير من التدخين يعني في أي حيرة يقع هذا الطفل الغض الطري في أي حيرة و بلبلة و تناقض بين الكلام و الأفعال هذا فيما يتعلق بالوسيلة أو أول المقومات في شخصية الأب المربي أن يصلح نفسه يغير نفسه أولا يطبق و يوجد نموذجا عمليا أمام الأولاد و إن كان ولا بد عنده نوع من الهوى و التقصير في شيء معين و لا بد من أن يتورط فيه فلا يكون ذلك بعلم أولاده و لا بمرأى و مسمع منهم على الأقل هذا أدنى شيء لأن هذا سلوك غير سليم لكن إن كان ولا بد فليبرهم هؤلاء الأطفال و لا يظهر أمامهم لا الألفاظ البذيئة و لا الألفاظ السيئة من الغيبة و النميمة و لا التدخين و لا سماع المعازف و هكذا كل هذه الأشياء محرمة فينبغي أن يقدم القدوة الصحيحة أمام أولاده حفاظا عليهم.

المقوم الثاني من مقومات شخصية الأب (الرحمة والحب) فالتربويون يكاد يجمعون على الحب والعاطفة والحنان من أهم دعائم وأساسيات التربية فإن الحب يتمثل في الحنو على الولد وتقبيله واحتضانه وإظهار محبته والعطف عليه فنحن عندنا لغات متعددة ليس فقط الإنجليزي والعربي والفرنسي والألماني لا فهناك طرق أخرى نتخاطب بها فالإشارات الضوئية في السيارة هذه لغة ليس شرطاً أن تكون اللغة بالحروف فهي وسيلة تخاطب وتفاهم كذلك بالنسبة للطفل هناك وسائل أخرى توصل له هذه الوسائل الرسائل هو يوصل رسائله كما قلنا من قبل عن طريق البكاء أو عن طريق التفاعل الاجتماعي مع المربين أو مع من حوله كذلك الأم توصل له رسائل والأب يوصل له رسائل عن طريق إعطائه الجرعة الكافية من الحب والحنان من الأمور الأساسية جداً في تربية الطفل أن يشعر بأنه مقبول لا بد أن يزرع فيه أنه مقبول وأن الأسرة سعيدة بإنضمامه ووجوده معهم وأنهم يحبونه فالحب لا بد أن يكون مُأمناً عليه بالنسبة للطفل ولا يُهدد الإنسان أبداً مهما فعل فالطفل مهما فعل ينبغي ألا يهدد أبداً في عاطفة الحب فالأم وهي ترضع الطفل مطالبة بجانب جزء اللبن التي ترضعه إياها فلا بد من جرعة الحنان لذلك لا بد أن تمسكه بطريقة معينة ففطرة الله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ أن جعل للأم بجانب الغذاء أيضاً تحتضنه بطريقة تعطيه جرعة من الحب والحنان والعطف بجانب الجرعة الغذائية أما الأم التي تفزعه وتعلي من صوتها وربما تدفعه بشدة فهو يفهمها أو ربما يفهمها يدرك تماماً أنها غضبانه وأنها متأذية لأنه جوعان فيأخذ الجرعة مسممه بجانب جرعة الرضاع التي يتناولها فلا بد من الحذر في هذا والحقيقة أنا أريد أن نتذكروا جيداً ونحن نتكلم في هذا البحث نتذكروا وتسترجعوا عنوان كتاب ألفه أحد الباحثين التربويين عنوان مجرد جداً معبر ويُصلح أن يصلح لأن يعالج كثيراً جداً من الأمهات والآباء والمربين عنوان الكتاب (طفلك ليس أنت) فكل المشاكل والتقصير الذي يحدث إن أحياناً أنت تعامل الطفل حتى الطفل الرضيع أن عقله مثل عقلي تماماً وإدراكه مثل إدراكي وأحاسبه وأحكامه وأصدر أحكاماً عليه وأنا أتصور أنه مثلي فليس هناك إدراك على

الإطلاق للبعد الشاسع بين عقليتك أنت كإنسان ناضج وبين عقلية هذا الطفل الصغير الذي مازال ينمو لابد الإنسان يراعي البعد فنحن في معاملتنا مع الطفل نحن نعطيه دائما لا نأخذ منه وكل هدفنا أن يخرج إنسانا سويا راشدا صالحا وليس الهدف من كل ما سندرسه سوى مصلحة هذا الطفل الذي وضع له الشرع الإسلامي حرمه لم تضعها شريعة أخرى على الإطلاق كما سنبين إن شاء الله تعالى فهذا كيان محترم له قيمته وله وزنه وله حقوقه وهو مستضعف وأنت من قبل كنت طفلا رضيعا أيضا ونلت هذه الحقوق ولولاها لما نضجت وما صرت آدميا كاملا فإن هذه هي المشكلة كثير من تصرفات الآباء والأمهات أنه يجعل نفسه مع الطفل ند بالند فهناك نديه بين الإثنين وأن هذا الولد لأنه يصرخ كأنه متعمد أنه يزعج أمه أم أنه يتعمد أن يفعل كذا فترى أمه أن تمسكه ساعة الرضاعة وتُعلَى من صوتها وتفزعها وإذا كانت تتكرم عليه لابد من جرعة من السم النفسي مع جرعة الطعام فطبعا هذا ظلم ونوع من الظلم والتقصير وقصر العقل في التفكير فكيف تسوي بين طفلك وبينك.

فالشاهد الذي نريد أن نلفت النظر إليه أنه لابد من الاهتمام جدا بجرعة الحنان لابد بكل المظاهر تظهر للطفل أننا نحبه وأننا نتقبله أن هناك تقبل لهذا الطفل وأننا فرحون بوجوده معنا طبعا الوسائل كثيرة ومعروفة منها احتضان الطفل التربيط عليه والمسح على رأسه.

ألم ترى إلى قول النبي ﷺ إلى الرجل الذي اشتكى إلى النبي ﷺ قسوة قلبه وشكى إلى الرسول ﷺ قسوة قلبه فقال إذا أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم فيمسح رأس الطفل كما كان النبي ﷺ يؤتي بالصبي والأطفال فيمسح عليهم ويدعو لهم ﷺ.

فالطفل وإن كان صغيرا ضعيف الإدراك قليل الفهم إلا أنه يعرف البسمة الحانية ويدرك الغضب ويعرف الرضيع متى تكون أمه غضبه ومتى تكون مسرورة فلا يمكن أن يتعلم الطفل الرحمة والحنان والعطف إذا كان والده يقسو عليه ولا يرحمه.

فإن الآباء لا يمكن أن يربوا أبنائهم بأسلوب الرهبة فقط بل لابد من الحب الفياض الغامر المتدفق من قلوب الآباء إلى أبنائهم وهم بالتالي ينقلون هذا الحب إلى غيرهم.

استفاضت السنة المطهرة بروايات عديدة تظهر أهمية هذا الجانب في التوجيه والتربية فقد روى الحاكم في المستدرک بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا»^(١٣١) انظر إلى شناعة الوعيد هنا بلفظ ليس منا فظاهره أن الرسول يتبرأ منه وكان النبي ﷺ يُظهر حبه للأولاد فيقول عن أسامة بن زيد والحسن رضي الله عنهما أجمعين اللهم إني أحبهما فأحبهما وكان ﷺ ريحانتي حسنٌ وحسين رضي الله عنهما وقدّم عليه يوماً جماعة من الأعراب ينكرون تقبيل الصبيان فقال لهم ﷺ «وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ»^(١٣٢) فاعتبر هذا من الجفاء ومن القسوة والغلظة ألا يحنو الأب ويظهر هذه المحبة للأطفال والأولاد فلا شك أن هذا أحد مظاهر قول الله لرسوله ﷺ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أنظر إلى هذا الحص فليس فقط رحمه للمسلمين ولا رحمة للكفار أو الدواب والحيوانات والبهائم والعجماوات ولكنه للأطفال هو رحمه كما نرى رسول الرحمة ﷺ يعلمنا الرحمة بالأبناء.

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١٣٣) وورد في بعض الأحاديث أنه كان يخرج لسانه للحسين يداعبه ويلطفه رحمة منه فهذا الفعل من رسول الله ﷺ وإظهاره للحب للأطفال والأولاد والعطف عليهم أمام أصحابه وزواره يشيد إشارة واضحة جلييلة إلى أنه جانب مهم في التربية ولا بد للأب المسلم

(١٣١) سنن الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (صححه الألباني).

(١٣٢) صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٣٣) صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

بنهجه مقتديا برسول الله ﷺ فيفيض على أولاده من حبه وحنانه ولا يبخل عليهم بذلك وخاصة وأن هذه القضية فطرية في قلوب الآباء فليس في إظهارها تكلف يعني الفطرة أن الأب يجب أولاده فيسهل جدا بهذا التوجيه النبوي بل إن التكلف في كتبها وكتابتها وليس في امتثالهم.

فإن نزع هذه الرحمة الفطرية من قلب الأب فهو شقي منتكس الفطر ولا يصلح أن يكون أبا ولا ينبغي أن يقول تربية الأولاد فيحرفهم عن الجادة بقسوته وغلظته عليهم طبعاً تعرفون الأحاديث في هذا الحديث المرأة التي كانت في السبي وكانت تبحث عن ولد لها فقدته فأخذته وألصقته بها واحتضنته بشدة فقال النبي ﷺ «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» (١٣٤)

فهذا مظهر من مظاهر الحنو حتى من امرأة كانت في السبي وكانت كافرة وغير مسلمة فالطفل يبغض والده له بعدم إظهاره الحب والمودة فإنه ينحرف قاصدا إزعاج والده وإركاسه والإنقام منه إذ أنه يعرف أن انحرافه يقلق والده ويزعجه فيبادر هذا بالبغضاء ومتمرد وشراسة وشاكسه من أعجب ما يروى عن النبي ﷺ ورحمته بالأولاد ما رواه عن أبي ليل قال كنت عند النبي ﷺ وعلى صدره أو بطنه الحسن أو الحسين عليه فبال فرايت بوله أساريع معت طرائق فقلت إليه فقال ﷺ دعوا ابني لا تفرغوه حتى يقضي بوله ثم ابتعه الماء وفي روايه لا تستعجلوه طبعاً ممكن يصدر تصرف بخلاف هذه المعاملة لو الأم رأت الطفل على وشك أو شرع في الإخراج فممكن تصرخ فيه وتروعه ولا ترحمه في مثل هذا الأمر وكأنه شخص كبير ناضج فانظر إلى رحمة النبي ﷺ فأخبرهم ألا يفزعوا الطفل وإنما تريس حتى يفرغ وإذا كان رسول الله ﷺ قد فعل هذا مع رجل كبير وهو الأعرابي الذي أتى المسجد فبال فيه فقال لهم لا تزرموه ولا تقطعوا عليه بوله حتى فرغ قربه إليه

(١٣٤) متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال له إن هذه المساجد لا تصلح لكذا ولا لكذا إلى آخره فتعرفون الحديث في هذا فإذا فعل هذا مع رجل كبير لكنه جلف أتى إلى المسجد وبال في المسجد فوجهه والرجل تأثر بمعاملة الرسول ﷺ حتى قال اللهم أحمني وأرحم محمدا ولا ترحم أحدا معنا لأنه كان غصبان أن الصحابة ينكروا هذا عليه فقال له النبي ﷺ لقد حجرت واسعا فرحمة الله واسعة لما حجرت رحمة الله قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٠﴾ [الإسراء: ١٠٠].

فهذا نموذج تربويا فريد وقدوة واقعية لمن أراد أن تمثل المنهج النبوي التربوي في مجال تربية الأولاد والصبر عليهم ومراعاة حالهم من أصله هذه الرحمة القربية من هذا الموضوع أنه كان لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كان له ابن من فاطمة بنت عبد الملك فخرج يلعب مع الغلمان فشجه غلام فجرحه فاحتملوا ابن عمر والذي شجه أي جاءوا بابن عمر والطفل الذي شجه فادخلوهما على فاطمة فسمع عمر الجلبه وهو في بيت آخر فخرج وجاءت امرأة صغيرة فقال هو ابني وهو يتيم فرق لها عمر بن عبد العزيز قال لها هل له عطاء؟ قالت لا قال اكتبوه في الذرية أي سجلوه في الذريات التي تأخذ اجر شهري أو ثانوي من بيت المال لم يعجب التصرف ذلك فاطمة قالت فعل الله به وفعل إن لم يشجه مرة أخرى يعني ما معنى هذه الطريقة التي تعاملت بها معه ثم هو قد يشجه مرة أخرى فرد عليها عمر بن عبد العزيز قال لها أنكم أفزعتموه فعملية إفزاع الطفل ومحاسبته على الخطأ كأنه كبير يعني راشد وعاقل وننسى العنوان الذي سينذركم به مرارا فهو طفل وأنت رجل عاقل كبير (طفلك ليس أنت) أي لا يحاسب الطفل إلا بالمقدار الذي يفيدته هو في التعلم وفي المزيد من الخبرات على أي الأحوال.

فيما يتعلق بهذا الأمر الذي أشرنا إليه الرحمة والحب والتقبل لا بد من تقبل هذا الاصطلاح النفسي وهو اصطلاح شرعي وهو أجمل بكثير وهو الرضا بما قسمه الله ﷻ والإنسان ساعات لما كان يرى بعض النساء تعمل اختبار الحمل فكان الإنسان يعجب من

المسخ الذي حصل في فطرة الأمومة الأم التي أحيانا تكتشف أن في حمل فيعجب الإنسان للمسخ الذي حدث لفطرة الأمومة كأن مصيبة نزلت بها فيحصل مسخ للفطرة بطريقة غريبة فعدم تقبل الطفل به ينعكس في التعامل مع هذا الطفل لا بد أن تتقبله وترضى به عضوا يشاركك على مائدة الحياة وكما أشار إلى ذلك النبي ﷺ في وعيد ولده ليقتل ولده خشية أن يطعم معه وهذا من كبائر الذنوب ومن شأن الجاهلية في كراهية الأبناء خوف الفقر أو خوف العار إلى آخره ففي الإسلام قضى الإسلام تماما على هذه المشاعر السوداء وبين لنا كيف أن الذرية نعمة من الله ﷻ فلا بد من إظهار البهجة للطفل وأيضا ربما تظهر أشياء تنافي هذا التقبل وتجعل الطفل شخصا قادم ليس مرغوبا فيه.

بعض الأمهات يصل بها الجهل أنها تقول في حكايات النسوة والأقارب والصدقات تقول هذا الولد حاولت أن أجهضه بكل وسيلة بس هو أصر أنه لازم يولد والكلام أمام الطفل وهي تحسب أنه لا يعي وقد يكون يعي فضلا عن أن يكون كبير أكثر كلمة عابرة وربما تقولها في بعض المزاح ولكن كم تكون هذه الصدمة بالنسبة لهذا الطفل هل هذه ستمر عليه بسلام أنه إنسان غير مرغوب فيه وأنهم كانوا يتمنون موته وكانوا يتمنون كذا وكذا مثل هذه التصرفات دعاء على الطفل بالهلاك وأن تدهسه سيارة ولا تترك فيه جزء سليم.

هذه الدعوات التي تصدر من بعض الأمهات القاسيات هذا كله له إنعكاسه على نفسية الطفل أيضا ينبغي أن يدرك الأب والأم أن هذا الطفل بمجرد ما صار جنينا ونفخت فيه الروح فأصبح له حياة محترمة وليس شيء تملكه هذا خلق من خلق الله ﷻ وله حقوق فلا يجوز العدوان أبدا على هذه الحياة ولا إهدارها ثم إنك ترى أنك لك حق في الحياة وترفض أن يقتلك أحد بحيث يحول بينك وبين الحياة إذن فهو كذلك له حق في الحياة لما اشتكى رجل من أولاده أمام أحد الصالحين وتمنى موت هؤلاء الأولاد فقال له العالم أنت ترزقهم بل في الحقيقة حقيقة الأمر في التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية يأتيك الرزق بسبب هؤلاء الأولاد قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَزُّهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطْأًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ [الإسراء: ٣١] وكذلك في الآية الأخرى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٥٠﴾ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلِ تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمَلَقْتُمْ نَحْنُ نَزَّزْنَاكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١] قَالَ ﷺ: «أَبْغُونِي فِي الضُّعْفَاءِ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضِعْفَائِكُمْ»^(١٣٥) فالرزق يأتي من أجل الضعفاء اليتامى الفقراء المساكين الأطفال الرضع رحمة الله تنزل من أجلهم هم.

أنت ربما ذنوبك تحول بينك وبين الرزق ولكن الرزق يأتي من أجلهم هم إذن التضجر من الأولاد بسبب قلة الرزق هذا عدم فقه عن الله ﷻ حكمته في خلقه فلا بد أن ندرك أن هذا الإنسان إذا نفخت فيه الروح حتى وهو جنين في بطن أمه هذا له حياة محترمة مثلك تماما ليس هناك أي فرق لا من أجل أنه صغير وأنت كبير فتكون حرمة هيئة لا فله نفس حرمتك وله نفس الحق في الحياة الكريمة.

بعض الناس الذين فيهم بقايا من الجاهلية فيغضون البنات ويظهرون ذلك فيقول بعضهم لو كانت هذه البنت ولدا لساعدتني في كذا وكذا هذا نوع من عدم التقبل وفيه أذية شديدة وجرح نفسي لهذه البنت كذلك لو قدر الله أن ابنك معاقا ببعض الإعاقة تجد عياد بالله الجذع الشديد من التمرد على هذا الوضع أو رفضه من تقبل لوضعه والتقبل بأن نجعله يحيى في حدود الإمكانيات التي آتاه الله ﷻ.

آخر تنبيه للمقوم الثاني للمربي والأب من الرحمة والحنان والعطف والحنان لا بد أن يكون الطفل واثقا تماما أن الحب والعطف والحنان والعاطفة لا تهدد أبدا في كل الأحوال يجب أن يعرف أنك تحبه.

(١٣٥) المستدرک علی الصحیحین للحاکم من حدیث أبي الدرداء رضي الله عنه، (صححه الألباني).

فمن الخطأ الشديد أن تقول له لو عملت الشيء الفلاني لن أحبك وهذا غير مقبول على الإطلاق من الناحية التربوية هذا خطأ شديد جدا لا تقل أبدا لن أحبك إذا فعلت كذا وكذا بالعكس ولذلك الطفل يخاف جدا على موضوع الحب بمجرد ما يراك غضبان أو كذا وكذا أول ما يأتيك فأول ما يراك يقول لك أنت بتجنبي لأنه خائف هو يحتاج تأمين الأول أن الحب باق وثابت ما عدا ذلك فليس هناك مشكلة المهم أن لا يهدد أو لا يستعمل معه موضوع الحب كتهديد له فتقول له أنا أحبك لأنك أبني لكنني أحزن حينما اراك تتصرف تصرف خطأ أو تضر نفسك أو تضيع مصلحتك أو كذا وكذا لكن لا بد من تثبيت عنصر الحب، خطأ شديد جدا وتتساهل فيه حينما تهدد الأطفال بأننا لا نحبهم إذا فعلوا كذا أو لن نحبهم إذا فعلوا كذا.

أيضا من مقومات المربي صفة العدل فقد جاءت الشريعة الإسلامية المباركة بالأمر بالعدل بين الأولاد والتسوية بينهم وذلك تفاديا للتحاسد والتحاقد بينهم لأن الأولاد قد يحقدون أحيانا على أبيهم نفسه والأب مأمور بأن لا يتعاطى من الأسباب ما يثير شيطان العقوق في نفس ولده لأن هذا السلوك قد يستخرج العقوق من نفس الإبن استخراجا وجمهور علماء الأمة على استحباب العدل والتسوية بين الأولاد وكرهه التفضيل بينهم في العطفة ولذلك أمر ﷺ بالعدل بينهم في العطفة فقال ﷺ «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعُطْفَةِ» وكذلك كان يأمر بالعدل في القبل يعني إذا قبلت طفلا تقبل الآخر لا تهمل الطفل الآخر يعني أحيانا الأب يُظهر نوع من البشاشة لطفل معين لصغره مثلا أو لسبب من الأسباب ويهمل الثاني وطبعا هذا أيضا يتنافى مع مبدأ العدل وقال ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ»^(١٣٦) وطبعا ما كان النبي ﷺ يهتم بالقضية ويعطيها هذه الأهمية إلا لخطورتها في مجال التربية لأن الاهتمام بهذا الأمر يمنع

(١٣٦) سنن الدارقطني من حديث النعمان بن البشير رضي الله عنه وقال الألباني (ضعيف جداً).

الحسد والتباغض بين الأسرة الذي يؤول بعد ذلك إلى عقوق الوالدين وإلى قطعية الرحم فقد اتفق الباحثون على أن أشد العوامل إثارة للحسد في نفوس الأطفال هو تفضيل أخ على أخ أو أخت أو العكس والموازنة بين الواحد والآخر أمام عينه أو على مسمع منه.

فالخطأ الشائع حينها يصدر سلوك غير مرغوب من الأبناء فيقول الأب والأم يعني إيش معنى أنت فكل أخواتك طيبين طيب أخوك بيذاكر أخوك بينجز كذا إيش معنى أنت اللي مهمل في ملابسك وأخوك وأختك كذا فهذه المقارنة اللفظية بين الأشقاء فيها خطأ شديد وأحيانا يحصل مقارنة في الملامح إيش معنى أنت شكلك كذا وأخوك مخالف لك في الشكل مثلا أنت دميم وأخوك جميل طبعا هذه رسالة نحن نوصلها للطفل المفضل عليه بهذه الطريقة نحن نظهره على أنه ناقص وعلى أنه قاصرا أو فوضوي أو غبي أو قبيحا أو دميما أو كذا أو كذا من هذه النقاط التي نقارن فيها هذه الرسائل التي نرسلها للطفل دون أن نشعر في كلامنا وفي مواقفنا دون أن نلتفت إلى خطورتها معناها أنك لست إنسانا حسنا أو سويا أو وحيدا بدرجة كافية هذه مع تكررها تستقر داخل نفسه كعقيدة جوهرية وتساهم في إنشاء سلوكيات غري مرغوبة في المستقبل فهذه المقارنة تزيد التنافس والخصام بين الأشقاء في حين أن التنافس أصلا موجود بصورة طبيعية لكن هذه الأشياء تزيد التنافس والخصام بين الأشقاء في حين أن التنافس أصلا موجود بصورة طبيعية لكن هذه الأشياء تزيد التنافس والخصام بين الأولاد مما يسبب مشاحنات أكثر للوالدين فهذا النوع من المقارنة بين تدمير العلاقة بين الأشقاء عن طريق تغذية مشاعر الانفصال والإنعزال بينهم إذن ما الحل الصحيح في مثل هذا، الحل الصحيح أنك تقبل كل عضو من الأولاد في الأسرة تقبله وتميزه وتفرح به من أجل أن الله تعالى خصه وميزه بصفة هو متفرد بها كمثلا بأن الله فضله بخط جميل بصوت جميل في القرآن أو فضل بصفة أخرى إعطاها الله إياها في أي مجال.

فبدلاً من أن تقول له لما لست كأخيك فلان فهذا خطأ بل يجب أن تقبله وتميز بصفة هو متفرد بها وتقول له أن الله فضله مثلاً بالخط الجميل أو صوتك جميل في القرآن والآخر من أخوانه الله مثلاً فضله بصفة أخرى أو موهبة أخرى ولا يخلو الإنسان بلا شك من مجال يبرع فيه فندعم الصفات الإيجابية في كل واحد أننا نمتدحه بالصفة الموجودة فيه ونقبل كل اسم في الأسرة من أجل شخصيته المتفردة وكل له مواضع قوة خاصة به وإمكانات واحتياجات فنساعد الأطفال على أن يشاهدوا جمال الصفات الذي تفرد بها كل واحد منهم عن طريق التركيز على كل واحد على حده ننمي فيه الفخر والفرح والاعتزاز بالموهبة التي أعطاها الله إياها دون أن نعقد مقارنة بين هؤلاء الإخوة أو هؤلاء الأشقاء.

إذن على الأب المسلم أن يتجنب أسباب التباغض والتحاسد بين أولاده بإقامة العدل بينهم وتوزيع محبته وحنانه عليهم وإن كان ذلك صعباً في بعض الأحيان للغفلة أو النسيان أو الميل الفطري الذي يكون عند الأب نحو الطفل الصغير مثلاً أو إلى الطفل المطيع البار ولكن لا بد للوالد أن يلاحظ ذلك من نفسه وأن يتبته له فإن الأطفال يحسون ذلك ويعونه ويدركون مظاهر التفريق في المعاملة فإن لم يتدارك الوالد تحسين الوضع ورد الأمور إلى نصابها بإقامة العدل بينهم فإن الولد المظلوم ربما نهج للسلوك العدواني مع أخوانه انتقاماً لنفسه أو ربما أمر ذلك عليه وسبب له ضعفاً في التحكم في إفرزاته ويحصل مشاكل التبول اللا إرادي وهذه الأشياء إلى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق النفسي الذي يمكن يصاب به الطفل المنبوذ فلا تشعر أبداً أي طفل بأنه منبوذ لا بد أن تشعره بالتقبل والرضا والحنان وتغذي ذلك بالعدل بين جميع الأبناء فيه مقومات شخصية المربي الوالد المخالطه فيميل الأولاد خاصة بعد سن الثامنة من العمر إلى الجلوس والحديث إلى آباءهم ويحلمون بأن يكونوا على شاكلتهم ويرعبون في السماع إلى توجيهاتهم وينبغي للأب المسلم أن يستغل هذه الفرصة وهذا الميل من الولد فيوجهه التوجيه الصحيح المثمر ولا ينبغي الإنشغال عن الأولاد بالكلية بأي أمر كان فإن رسول الله ﷺ رغم إنشغاله بأمور المسلمين والجهاد وسياسة الدولة لم يمنع كل ذلك مني مخالطه الأولاد.

فقد استفاضت كتب الحديث والسير بذكر منهجه وأسلوب حياته عليه السلام في البيت مع الأولاد فقد روى عنه أصحابه رضي الله عنهم أنهم شاهدوه والحسن والحسين على بطنه أو صدره وربما بال أحدهم عليه أو ربما جلس هو عليه السلام لهما كالفرس يمتطيان ظهره الشريف وربما ركب على ظهره إبنه فأطال الصلاة من أجل ألا يزعجه وعلل هذا بعد الصلاة بقوله "إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله" تركه عليه السلام حتى يشبع من الركوب فانظر إلى أشرف خلق الله وسيد الأولين والآخرين عليه السلام يعني يطيل الصلاة حتى لا يتعجل الطفل فينهي اللعب حتى أن الصحابة من طول سجود النبي عليه السلام خشوا أن يكون النبي عليه السلام قبض لكنه علل لهم ذلك بقوله عليه السلام إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله، هل الرسول عليه السلام في تصرفاته هذه هل هذه تدخل في التصرفات الجبلية أما أنها في التصرفات التشريعية لاشك أن هذا تشريع وهذا تعليم للأمة أن يعاملوا الأطفال بهذه الرحمة وبهذا اللطف ومعلوم أيضا الحديث "لما كان النبي عليه السلام واقفا يخطب على المنبر فظهر له الحسن والحسين فضمه إليه وأجلسه معه على المنبر وتلى الآية قال تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ [التغابن: ١٤] وربما صلى عليه السلام وهو حامل أحد الأولاد أو البنات" ويروى أيضا كما قرأنا في الآثار أن النبي عليه السلام يقبلهم ويشمهم ويضمهم إليه وربما خرج على أصحابه وهو حامل الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقيه فكان عليه السلام مع جلالة قدره وعلو منزلته ليفعل ذلك لماذا ليقندي به الناس ولأنه يعلم وأنه يعلم أهمية هذه المخالطة في المجال التربوي للطفل يعني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو صبي صغير كان عمر يحضره في مجالس الأشراف والكبار من رجال قريش ومن وجهاء المسلمين فكان بعضهم وجد في نفسه قال يعني كأنهم قالوا في أنفسهم لما عبد الله بن عباس طيب ممكن نحن أيضا نأتي بأولادنا وتعرفون أن عمر رضي الله عنه اضطره يوما ليريه من هو عبد الله بن عباس الذي يستنكفون من وجوده بينهم وهم كبار وهو طفل صغير فسأل جميع الحاضرين قال لهم ما المقصود بقول الله

تعالى قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٢﴾ وَرَأَيْتَ
 النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٣﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
 تَوَّابًا ﴿٤﴾ [النصر: ١ - ٣] فكل واحد منهم قال يعني إذا فتح الله عليك البلاد وكذا
 وكذا فاستغفر وتب إليه ﷺ فقال ما تقول أنت يا بن عباس فقال هو أجل رسول الله ﷺ
 نعي إليه قال والله ما أعلم منها إلا ما قلته فانظر إلى فقهه أراد أن يبرز لهم من هو عبد الله بن
 عباس وما سر إبرازه على أي الأحوال كون طفل صغير. كعبد الله بن عباس يُبرز في مجلس
 كبار القوم هذا أيضا صورة من صور المخالطة بالنسبة للصغار وإدراك للسلف الصالح
 رحمهم الله تعالى وأهمية المخالطة مع الأطفال وتأثيرها من الناحية التربوية فالرسول
 ﷺ مع جلال قدره العظيم لم يغض الطرف عن هذا الأمر العظيم وهو مخالطته للأطفال
 وإحسانه إليهم كان يعلم جيدا أن الأطفال لا يدركون الدنيا بعقولهم وأفهامهم بل
 يدركونها بعيونهم بما يشاهدونه من الملائمة والحب والمخالطة.

كما أشرنا آنفا يعني الأطفال يدركون الدنيا بالعقول لم يتعلموا ولن يستفيدوا ولن يشبوا
 أسوياء وأصحاء ومشبعين باحتياجاتهم النفسية والحسية إلا أن يخاطبوا حتى يدركوا
 بعيونهم بطريق التعليم الحسي أما التعليم المعنوي الأمور المجردة والمعنوية لن يدركوها
 فيتولد الطفل بدون هذه المخالطة سوف تقل إمكاناته في التعلم والتدرج والخبرات ولا
 يدركها بعقله وفهمه وإنما يدركها بعينه وبجسده فإذا رأوا الملائمة في هذه المخالطة والحب
 وهذه الأمور يدركون هذه الدنيا ولذلك كان النبي ﷺ يَأْتِر قُلُوبَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ عَلَى
 حَدِّ سِوَاءِ فَلَأَبِ الْمُسْلِمِ مَدْعُو بِالْاِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْهَامِ فَإِنْ لَمْ يَتِمَّكَ مِنْ
 مَخَالَطَتِهِمْ دَائِمًا قِصَصَ لِدَلِكْ وَقْتًا مَعِينًا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ يَجْلِسُ فِيهِ مَعَ الْأَوْلَادِ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ
 وَيَتَبَسَّطُ مَعَهُمْ وَيَدَاعِبُهُمْ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ السَّرُورَ مُسْتَعْمِلًا فِي ذَلِكَ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ
 وَالنَّظَرَاتِ الْمَشْفُوقَةِ الْحَانِيَةِ وَالْعِنَاقِ وَالْقَبْلِ مَعَ الْإِهْتِمَامِ بِالسَّنَوَاتِ الْأُولَى فَإِنَّ السَّنَوَاتِ السِّتَةَ
 الْأُولَى مِنْ عَمْرِ الْوَلَدِ لَهَا أَهْمِيَّةٌ بِالْغَةِ بَلْ هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ عَلَيْهِ الْوَلَدُ بَعْدَ أَنْ

يكبر لهذا كان استغلالها وتوجيه الطفل فيها إلى الخير له دور هام في حياته المستقبلية فإن لم يتمكن الأب من الإشراف المباشر على أولاده ومشاركتهم نشاطاتهم فإنه يمكنه أن يساعدهم في بعض الأحيان على أن يبدأوا نشاطا ما مثلا يوجههم إلى قراءة كتاب معين يبدأ معهم ثم يتركهم يكملون ويذهب هو لمهامه أو يجلب لهم لعبة هادفة مسلية فيدرهم على طريقة استعمالها والاستفادة منها ويشاركهم بعض الوقت ثم يتركهم يكملون لعبهم منهمكين بلعبتهم الجديدة ويخرج هو من بينهم دون أن يشعروا به.

إذن يكون أدى المستطاع تجاه هذا الواجب التربوي الهام وهو واجب المخالطة لكن مع ملاحظة أن الأب هو صاحب السلطة والمهابة يخاطب نعم لكن لا بد في المخالطة وبخاصة مع الأولاد الكبار أن يخاطبهم مخالطه فيها قدر من التحفظ بحيث لا تزيل هذه المخالطة الكلفة تماما بينه وبينهم لأنه إذا زالت هيبه الأب من الأولاد فلن يحترموه ولن يهابوه وإذا حصل هذا فقد فقد الأب وسيلة من اعظم الوسائل التربوية مع أولاده وهي جانب سلطته الشخصية ومهابته فلا بد أن يلاحظ الأب من جانبهم يعني لا يتبسط إلى الحد الذي يهون فيه على الأولاد تماما بحيث يفقد قدرته على التأثير فيهم فيما بعد. فلا بد من التوسط دون إفراط أو تفريط.

من مقومات الأب كقدوة

الحكمة في التوجيه لا بد أن يكون حكيما في توجيهه وكما نعلم الشريعة الإسلامية مبنية على التيسير والتسهيل والمقاربة دون التعسير والتشديد قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥] وجاءت السنة المطهرة من التيسير والتسهيل ودم التنطع والتشدد والعبادات التي هي أعظم الأعمال وأجلها وأجلها إلى الله ﷻ

قال ﷺ «سَدُّوْا وَقَارِبُوْا وَاعْدُوْا وَرُوحُوْا وَشَيْءٌ مِّنَ الدُّجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلُّغُوا»^(١٣٧) أي الاعتدال والتوسط.

فالغدو هو السير أول النهار "الدجة" هو السير في الليل فهذا الحديث يفيد الرفق في العبادة وترك التشدد فيها واذم ﷺ المنتنعين فقال هلك المنتنعون" والمنتنعون هم المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم يقول الإمام ابن رجب رحمته "إن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه الثبات والاعتقاد واليسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير فإذا كان الأمر هكذا مع العبادات أن الإنسان مطالب بالرفق واليسير فكيف في غيرها من الأمور التي هي أهون منها وأحرى أن ينال من الرفق واللين واليسير والتسهيل أكثر مما نالته العبادات من هذا المنطلق كانت تربية الأولاد وتوجيههم بمنهج التوسط والمقاربة والثبات والسداد أولى وأحرى وأكثر جدوى من التشدد والتعسير.

فإن الله يحب الرفق ويمجزي عليه جزاءً كثيراً ويبغض العنف ويكرهه يقول النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١٣٨)، فإن رأى الوالد الوقت المناسب للوعظ اشتغل به دون إفراط أو إكثار منه.

من الخطأ الشديد الإكثار على الأولاد من المواعظ حتى يصل إلى درجة الملل ولولا أنه يستحي منك لقال لك كفاية الاسطوانة التي تعيدها عشرات المرات في اليوم فعملية الوعظ المستمر في كل صغيره وفي كل كبيرة وفي كل خطأ وفي كل لمحة وفي كل تصرف هذا من الإكثار ابد أن يتحين الوقت المناسب للوعظ ويشتغل به دون إفراط أو إكثار منه فإن كثرة المواعظ ممله وربما ضعيف تأثيرها وربما سببت رد فعل عند الأولاد كما أن أكثرتها تخالف السنة والمنهج النبوي في الوعظ إذا كان ﷺ يتحول أصحابه بالموعظه يعني أحيانا وأحيانا

(١٣٧) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣٨) صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولا يكثُر عليهم رغم محبتهم ورغبتهم لسماح مواعظه وإرشاداته ولم يوجد في الوجود متى هو أفصح لسانا من الرسول ﷺ ومع ذلك يقول «إِنَّ قِصْرَ خِطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولَ صَلَاتِهِ مُؤَانَةٌ مِنْ فَتْهٍ لَهُمْ عَلَامَةٌ عَلَى الْفِتْهِ» إن يقصر الخطبة ويطيل الصلاة.

فكان النبي ﷺ يقصر الخطبة ولا يطيل وهل يوجد من يريد أن يتكلم كلاما أفضل وأعلم من كلام رسول الله ﷺ.

ولذلك لا يملء الناس ويختصر في خطبه ومواعظه ﷺ وكذلك العقاب الكثير ضار بالولد فمراقبة الولد في كل تصرفاته وفي كل خطأ يوجهه وهذا أمر ينبغي الحذر منه كثرة العقاب يضر الولد فلا بد في بعض الأحيان من التغافل عن بعض أخطاء الطفل ليس في كل شيء تمسك له على الواحدة فمممكن تتركه مرة واثنين وفي المرة الثالثة تتكلم لكن على طول فمن المفترض والطبيعي أن يخطأ وتعتقد أنت كذلك أنه سيخطأ.

لكن ينبغي أن يتغافل الأب أحيانا عن بعض أخطاء الطفل خاصة الأخطاء العفوية الغير مقصودة فتمر دون تعليق أو توجيه أو توبيخ أو عقاب يقول الغزالي رحمه الله "وتكثر القول عليه من العتبا في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب للقبأ؛ ويقسط وقع الكلام من قلبه فيتعود أنك ستتكلم ولا يتأثر بالكلام وكما يقولون التوبيخ يهتك حجاب الهيبة وهناك وسائل أخرى في مناصحة هذا الأبن كعدم المواجهه يعني يكون أفضل أن تكون النصيحة غير مباشرة والبعض يستغرب كيف يكون غير مباشر مع أن النصيحة المباشرة أكثر فاعلية لنا في ذلك أسوة برسول الله ﷺ الذي كان لا يواجه الإنسان بما يكره وإنما يصعد المنبر ويقول ما بال أقوام يفعلون كذا ما بال أقوام يفعلون كذا أيضا في هذا خير الهدي هدي محمد ﷺ فإكثار العتاب يهون عليه الأمر بل يسهل عليه ركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه يقول الغزالي وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا أي في بعض الأحيان وليس دائما طبعاً حتى إذا احتاج الأب إلى التأديب والتوبيخ تتجنب الاستبداد في ذلك وتوسط وعلى الأب المسلم أن ينهج مع ولده منهجا قاصرا

متوسطا يحفظ فيه كرامته فلا يحدشها وهذا من أخطر الأشياء التي لا نلتفت إليها أحيانا تنظر في التصرفات تجد فيه نديه بين الأب الكبير الناضج وبين هذا الصغير فالتوبيخ لا بد أن يكون فيه شيء من الحذر لأن التوبيخ يرسل رسائل للطفل لأنك ليس من قصدك أن تنتقم من الطفل كل الهدف من موضوع التربية أن تخرجه سويا إنسانا ناضجا سويا خالي من العاهات والتشوهات النفسية بجانب البدني فهذا الذي يجب وهو الحفاظ على هذا الطفل ليخرج إنسانا سويا فأنت دائما تنظر في مصلحته هو حتى إذا حدث الضرب بشروطه كما سنين إن شاء الله تبارك وتعالى إياك أن تظن أن الضرب أن تخرج شحنة الغضب المتأججه في قلبك لأنك إذا ضربته وأنت غضبان لن ترفع يدك عنه إلا إذا أخرجت شحنة الغضب وحينئذ تهدأ فعملية التأديب ليس المقصود بها التنفيس عن الغضب الذي يمتلئ في صدر الأب أو الأم أبدا على الإطلاق لأنه ليس هناك ندية فأنت لست أمام واحد مصارع تلاكمه مثلا لا فهذا الطفل مسكين لا حول له ولا قوة إنما الضرب حيث أجازته الشرع إنما هو وسيلة إذا تعينت للعلاج وبشروط وضوابط وقيود فلا بد أن نلتفت إلى هذا الأمر من أخطر الجراح، الجراح التي تسببها الكلمات التي نطلقها بلا حذر وبلا وعي كأن تقول له أنت طول عمرك خايب أنت مفيش أمل فيك وهذا توبيخ مقترن بالتحقير تحقير الذات وهذا من أخطر الجراح النفسية تكون عميقة في نفسية الطفل أو المربي ذاري أن تعاقبه وتوبخه بهذه الألفاظ هذه الألفاظ في غاية الأذى أنت لا تصلحه ولكنك تفسده وأنت تحطمه وتجهز عليه فهذه العبارة وهي التأديب أو التوبيخ أو التوجيه المقترن بإحتقار الذات الحظ من قيمته وإحتقاره وتنقيص ذاته ودفعه دفعا إلى أن يشعر بالدونية وأنه إنسان لا قيمة له ولا أمل في إصلاحه لكن يصلح أن الإنسان يكون حذرا إذا عاقب ولا بد من التأديب ولا بد من الشدة أحيانا بتدرج بدون أن تجرحه هذه الجروح الغائرة كان تقول له أنت ولد مهذب ومتربي مثلا لكن لا يليق بك أن تفعل هذا التصرف، هذا التصرف يفعله الأولاد الغير مهذبين وغير متربين أو كذا وكذا.

أنت في هذه الحالة وجهته وعالجت الموقف وفي نفس الوقت لم تحقر ذاته أو أتى لك بنتيجة امتحانه والنتيجة مش طيبة وبعض الآباء يضرب أبنائه بالعصا أو بأي شيء فالرد أن تقول له لا بأس أو قدر الله وما شاء الله فعل لكن المرة القادمة ستذاكر جيدا وتكون النتيجة إن شاء الله أفضل أنك عليه بطريقة لطيفة ومقبولة وبدون أن تحدش كرامته وبدون أن تحقر ذاته فدائما تقول له أباي حصل حصل وأنت فعلا كنت تعبان ليلة الامتحان أو لم تأخذ فرصة كافية أنك لكن أنا واثق إن شاء الله أنك ستبذل أقصى جهد الشهر القادم وستذاكر ونستعين به وسفو تكون النتيجة أحسن وتستفيد من خطأك فلا بد من الحذر الشديد من خشد الكرامة لا تعدده على أنه يهان وأنه ممتهن فلا تكثر من التعنيف الذي يؤدي بالولد إلى عدم احترام الأب والجرأة عليه وأيضا تمنحه شيئا من الحرية دون إفراط أو تفريط أو عدم التشدد والصرامه في تطبيق القواعد في البيت فبعض الآباء يظن أن البيت ثكنة عسكرية أو قسم شرطة وليس للتراحم أو التعاطف فتجد التشدد والصرامة بصورة روتينية وهذا أيضا مما ينبغي الحذر منه هذه الصرامة تنعكس فيما بعد ممكن تسبب أشياء غير حميدة كوسوسة وغريها.

يعني يكون فيه نظام ولكن يمزح هذا النظام بالمرح والمداعبة والمحبة العطف وهذه الأشياء إذا أمرته يأمر فيا ليتك تقرر بالأمر وتشرح له السبب ما الحكمة من هذا الأمر وإذا فهم المصلحة من هذا الباب لاشك أن هذا يعينه على تنفيذه وامثاله مع مراعاة عدم تعليق هذا الأمر باقتناع من الولد وتنفيذه لاشك أن في أحيان كثيرة لا تستطيع أن تشرح له السبب لكن لا تتعامل معه بدكتاتورية مطلقة فهو مثلا يسألك ما السبب في الموضوع الفلاني فتقول له أنت لأنني قلت كده، فهذا هو السبب فهذه ألفاظ ولكنها تتضمن رسالة كأنك تقول له أنت كبير وأنت صغير أنا ذكي وأنت بليد أنا أملك القوة وأنت عاجز وظيفتي أنا أمرك وظيفتك أن تطيع وتمثل وهذا يمكن أن ينشأ عنده الإمتعاض أو الصراعات وأما الصحيح في مثل هذا الموقف أن ترد عليه بطريقة فيها احترام له فمثلا كأن تقول لما تكثر من السؤال

لماذا وأنا بصفتي أني أبوك في بعض المناسبات أو في بعض المواقف أنا الذي ينبغي أن أتخذ القرار وهذا الموقف الذي أمرك به من هذه المواقف.

ويجب على الأب أن يراعي فهم ولده وقدراته فلا يطالبه بمعايير الكبار ولا يأمره بما هو خارج قدراته ولا يزال طفلا صغيرا.

مثاله كأن يصحبه معه في صلاة الجمعة بمعنى صلاة الجماعة أخف فصلاة الجمعة تحميل للطفل فوق طاقته وبالذات الخطبة تطول والصلاة إذ أمكن ساعة مثلا كيف يتحمل أن يجلس ساعة بدون ما يتحرك ويجري وينفث شويه من هذا الكبت فصلاة الجمعة لو هناك مكان ملحق بالمسجد والأطفال يدخلون فيها ماشي ولكن أن تأتي به في صلاة الجمعة وتشق عليه بالحبس هذا فوق طاقة الطفل طبعاً هذا في السن الصغير أمه السن الكبير ممكن بأن يتمرن على هذا ولكن بالذات في الأخوة الذين يريدون أن يشربوا بأولادهم الإلتزام بالمعلقة مثل الدواء فيفرض عليه أشياء ولا يدرك أن طاقته محدودة هناك أشياء لا يستطيع أن يتحملها كذلك يوطن الأب نفسه على الإعتدال في معاملة الطفل فلا يدلله بإفراط فيشعر بالتسامي على غيره ولا يحتقره ويهينه ويذله فيعيش خاملاً ذليلاً ومن الأخطاء التي تقع فيها عملية الحماية الزائدة مع الطفل وبالتالي يتأثر تأثيراً سلبياً على الطفل تكثير من الخوف والفرع عليه من أقل شيء يصيبه في لعبة من أمور البيئة من حوله كل شيء حاسب هتقع وستخرج إلى آخر هذا الكلام هذا أيضاً من الأمور التي يجب أن نحذر منها بقدر المستطاع ينبغي أن نكون إيجابيين مع الطفل بقدر المستطاع فما دمت تستطيع أن توافق على طلب الطفل والاستجابة له أفعل ذلك ما استطعت وليس معنى هذا الكلام أن تقول له لا على الإطلاق لأنه بلاشك في بعض الأوقات وبعض الظروف تكون الإجابة الوحيدة الممكنة هي أن تقول له لا وترفض طلبه والمشكلة هي هل نحن فعلاً لنقصر كلمة لا في الأوقات والظروف التي تستحقها أما أننا نكون سلبيين كثيراً دون أن ننتبه لهذا فما في شك هناك أسباباً وراء الرفض والسلبية مع طلب الطفل بأن تقول له هذا الأمر غير مناسب على الإطلاق في الحقيقة أن في زحمة مسؤوليات الآباء نحن نضن على الطفل بالوقت والجهد

وننسى الأوليات الحقيقية في حياتنا يعني مثلاً نحن خارجين من البيت فالطفل يلبس الجزمة أو البوت فهو يريد أن يلبسه بنفسه وأنت مستعجل أو الأم مستعجلة فتقول له فعلى أربطة لك هذه المرة أو تعالى ألبسك لأنك ستعطلني فهذا تصرف غير صحيح لماذا لأن الطفل بفطرة الله ﷻ تأتي أوقات يحاول هو أن يثبت ذاته يحاول أن يتدرب ويتهيأ على أن يعتمد على نفسه في إنجاز احتياجاته فتجد أحياناً يصر على أنه يأكل بالملعقة والأم تصرخ تعاليل أنا هأكلك أنت هتهبدل نفسك هتهبدل السجادة فلما تأتي لتقيس الأمور تجد أننا نفكر بعقليتنا نحن وليس بعقليته هو، هو الآن في حالة جديدة من النمو يبدأ ينمو يريد أن يكشف طاقاته يريد أن يكتسب مهارات جديدة وللأسف تجد خطأ الأم أنه كلما أراد الطفل أن يذهب هنا وهناك تقول له حاسب سُتجرح فنحن ننظر ونضع الأمور في كفة واحدة دون أن ننظر إلى المصلحة في الناحية الأخرى هذا الطفل إذا أنا طواعته وتعاملت معه بإيجابية هيعطلني وممكن يوقظني من النوم لو استجبت له ممكن يقاطعك لو أنت في عمل معين وتتوقف كنت تفعله أعلم أن الطفل حينما يلجأ إليك لن يختار الوقت المناسب لأنه لا يقيس الأمور بنفس عقليتك أنت لأنه يفكر فقط أنه محتاج للمساعدة محتاج لشيء معين يطلبه منك فنحن ننهمك في الأمور ونعطيها أولويات في حيث قد يكون في بعض الظروف حسن تربية الطفل والتعامل معه بإيجابية هي هذه الأولوية وتستحق أن تقطع الشيء الذي تفعله وتعطيه قدر من الاهتمام يعني بدل من أن تستعجل الأم وتفزعها وتعلي من صوتها وتشبهه وتشده وتقول له تعالى أنا ألبسك الملابس أو الحذاء أو كذا لا فعلها أن تتركه يتعلم بقدر المستطاع ما دام هو راغب أن ينضج ويتقدم للأمام ويؤدي المهمة بنفسه أتركه ينجزها طيب إفرض حدث أضرار مثلاً لو أكل سيغرق نفسه أتركه يفعل ذلك لازم في الأول هياكل ملابسه يعني لا يأكله هو أتركه يفعل ذلك لأن مكسب أن تنمي قدرته أكبر بكثير من الملابس التي ستتسخ لأنها ستغسل فمكسب أن يُمرن نفسه على المشي ومحتاج يقوم يمشي فتقول له الأم لا يا حبيبي ستقع وهذه الأمور أو أنه سيحتاج يصعد على

الكرسي ولو وقع سيخرج فعليك أن تتركه يصعد واتركه يقع ولا تظهر الفزع وخالصتها أن الخبر شيء بسيط هو لن يصعد على سور البلكونه ويرمي بنفسه فهذه تستحق أن تخاف عليه أو يضع بأصبعه في كبس النور مثلا أو النار فهذه أشياء لاشك أن يقال فيها لا لخطورتها عليه وحمايته من هذه الأضرار الخطيرة فإن كان الضرر محتمل أنه سيقدر السجادة دعه يقدرها فعليك أن تفرشي شيء على الأرض حتى لو بهدل ملابسه فليس هناك مشكلة لأن هنا فيه إنجاز يريد أن يحققه لأنه يكتشف طاقته فلا تحطمه لا تدفعه إلى الوراثة فعقل الطفل لا يفرق بين الوقت المناسب والغير مناسب وبالتالي قلنا أنه لا يقرأ أفكارك وبالتالي سيتصرف طبقا لما هو يحتاجه هو فإذا قاطعك أو أراد منك شيء فحاول أن تكون إيجابيا معه بقدر المستطاع واستحضر في ذهنك أنك فعلا ممكن تتعطل وممكن يوقظك من النوم لكن في نفس الوقت الإيجابية مع هذا الطفل تعتبر لها الأولوية إذا استحضرت هذا المعنى أنه سيستفيد وأن هذه تربية وأنها مصلحته حينئذ يهون عليك أن تتعامل معه بإيجابية يمكن ترد رد دبلوماسي أحيانا بدلا أن تحبطه أيضا بالاعتذار أو قول لا ممكن توجد حلول وسطا يعني مشغول بشيء معين وهو يريد أن يأتي يكلمك في شيء أو يطلب منك مثلا أن تنزل تشتري معه شيئا معين فبدلا من أن تقول لا ألا ترى أي مشغول ها أنا فاضي لك وليس ورائي غيرك ممكن تقول حاضر سأعمل لك ما تطلب ولكن انتهى مما في يدي فأنت تعتذر ولكن بطريقة ليس فيها إحباط للطفل فالحلول الوسط والردود الدبلوماسية يمكن أن تعينك في هذا الأمر طبعا موضوع الحماية هو استجابة غريزية تلقائية أنت تخاف عليه من شيء فنقول له لا تفعل الشيء الفلاني وتحاول أن تحميه منه والصحيح كما قلنا أن تعقد موازنة من كفة عناصر المخاطرة فيما هو مقدم عليه وبين مصلحة تنفيذ حاجة للطفل لاكتشاف قدراته فالآباء الذين يتورطون في موضوع الحماية الزائدة ينظرون بعين واحدة وهو عنصر المخاطرة لكن لا بد أننا يكون عندنا نوع من الحكمة ونوزن المخاطرة هل المخاطرة عظيمة جدا كما قلنا كهرباء أو سيلقي بنفسه من الشرفة أو نار فهذه حاجة خطيرة تستحق لكن مادامت المحاطرة في دائرة الشيء المحتمل جرح صغير أو خربشة أو سحجه مثل هذه الأشياء أو

كبهدة الملابس أو التعطل بعض الشيء عن الخروج هذه الأشياء تعتبر أمر عادي ويمكن احتمالها فتقول له نعم تقدم اصعد فوق الكرسي حاول ففي رجله ممكن تسنده مرحلة أخرى تتركه يصعد بنفسه فتشجعه لينفذ الشيء الذي يريد ان ينجزه طبعاً لا شك أنه سيشعر بمتعه لأنه ينفذ هذه الأشياء أو بتجاوب معه ينمو على الإقدام وإثبات ذاته والخفة والحركة وهذه الأشياء أما الإصابات الصغرى فهذه محتملة لأنها تشفى بإذن الله تبارك وتعالى طبعاً الطفل الأكبر لما يكبر ويتجاوز مرحلة الصبي فطبيعة المغامرة أكبر بكثير جداً لأننا لا يمكن مع الكبير تشرف عليه في كل لحظة وللعواقب في هذه المرحلة أيضاً عواقب جادة وحقيقية وفي هذه الحالة مع الكبار لا بد أن ندرك أنهم لن يتعلموا إلا أن يرتكبوا أخطاء بأنفسهم لن يتعلم إلا إذا حركته بنفسه يخوض في المسؤوليات فلا بد أن توضع المسؤولية في عنقه يذهب يشتري الخبز مثلاً وتعلموا كيف يمر من الطريق والحماية الزائدة ألا تعلموا كيف يمرون الطريق وقد يصل الولد إلى الواحد والعشرين ولا يزال أبوه يعلمه كيف يمر من الطريق فهذه حماية زائدة.

فلا بد أن يتدرب على أن يتحمل المسؤولية بنفسه في هذه الأشياء لا بد من إعطائه الفرصة حتى يجرب هو عواقب تصرفاته ويتحمل نتائجها لسبب بسيط هو لأنك لن تعيش معه إلى الأبد ولن تبقى معه في كل مناسبة تحميه هذه الحماية وكما قلت من قبل فنظر الأخوة الشباب وهم ذاهبون للثانوية العامة منظر محزن وأنت ترى الأب يأخ بيد الشاب أو الأم تأخذ بين أبنيتها وهي تبكي أمام المدرسة لأن ابنتها ستمتحن فالأولاد على وشك دخول الجامعة ولا يزال الأب أو الأم توصله إلى المدرسة من أجل الامتحانات.

ومن الأخطاء التي تقع فيها عملية التردد في الجواب وهي تدل على أننا أصدرنا كلمة بدون تمنع وبدون تروي وبسرعه رأينا طبعاً الأبن في هذه الحالة يشعر بأن الأب غير منصف وعليه أن يبتلع هذا الإجحاف وأن الأب تسرع في الجواب بلا تروي وأنه تجاهله حتى لم يفكر بدليل أنه تردد فالأول قال لا وبعدين قال له طب خلاص ماشي فهذه ألفاظ ولكنه كيف يترجمها سوف يقول حتى أنه لم يفكر طيب هيقول لا من غير أن يفكر بدليل أنه

لما يفكر شوية وافق فهو يشعر أنه يعامله بغير إنصاف وأنه يتجاهله حتى أنه لم يفكر في طلبه طبعاً إذا أراد الأب أن يتصرف في مثل هذا التصرف فيقول لابنه طيب نتناقش في الأول ويعطي وجهة نظره والأسباب التي جعلته يتخذ هذا القرار وهنا يقول يوطن الأب نفسه على الاعتدال في معاملة الطفل فلا يدلله بإفراطه فيشعر بالتسامي على غيره وفي نفس الوقت لا يحتقره ولا يهينه ولا يذله فيعيش خاملاً ذليلاً كما يلاحظ عدم الإكثار من إظهار الخوف عليه والمهابة من أقل شيء يصيبه في لعبة من أمور البيئة من حوله هذا السلوك وكذلك الإهمال وعدم مراقبته هذا يضره أيضاً ويحدث له قلقاً واضطراباً نفسياً إذن التقيد بمنهج الاعتدال والتلطف والتدرج بتوجيه الولد وتربيته يقول الإمام بن الجوزي رحمته الله واعلم أن رياضة النفس تكون بالتلطف والتثقل من حال إلى حال ولا ينبغي أن يأخذ أولاً بالعنف ولكن بالتلطف ثم يمزج بالرغبة والرغبة بالنسبة لعملية الثناء على الطفل وتشجيعه وهذه الأشياء بالمديح مثلاً لا بد أن نلاحظ أيضاً أمراً مهماً إذا أردت أن تدعم احترام الطفل لنفسه وثقته بنفسه لا بد أن تكون صادقاً في مدحك أحياناً الأب يبالغ في مدحه ويجازف في الثناء والطفل يكتشف بسهولة جداً أن أباه عفوا منافق وحاسس أنه لم يسمع مثلاً أنت عبقرى من أي حد ثاني فلما يمدحه يقول له أنت عبقرى فالطفل عنده قدرة على التمييز بين المدح الصادق من المدح المزيف نعم يثني ولكن بالاعتدال فيقول له إجابة الحمد لله معقولة ولكن المرة القادمة تكون أفضل لو أن الطفل مثلاً عبر عن عدم الرضا أنه مثلاً قصر في الموضوع الفلاني فلا تقول له أنت عبقرى أنت عظيم لا اعترف معك بالحقيقة اعترف معك باحساسه لكن ساعده أنه في المرة القادمة ينجز إنجازاً أفضل فأفضل مدح أن تمدح حكمه أولاً على نفسه أنا مبسوط منك أنك معترف أنك قصرت لكن المرة القادمة تستثمر وقتك ولا تلعب كثيراً تمدح حكمه على نفسه وتدعمه كي ينهض بنفسه.

(الحقيقة النقطة الأخيرة أو المقوم الأخير) في شخصية الأب ومسئولية التربية نحو الأولاد هذا أمر مما تختص به الشريعة الإسلامية المطهرة هو الدعاء والتضرع لاشك أن

للدعاء واللجوء إلى الله تبارك وتعالى مفعولا عظيما في إصلاح الأولاد واستقامتهم على الدين والله ﷻ هو مالك الملك وأمور الخلق وأقدارهم بين يديه يصرفها كيف يشاء فإذا كان الله ﷻ صاحب الشأن ولا حول ولا قوة إلا بالله كان في اللازم ومن الضروري الطلب منه والابتغال إليه والالتجاء إليه رجاء إصلاح الذرية واستقامتها فإنه لا يوجد شيء في الدنيا أقر ولا أهدأ من صلاح أهله وولده مدح الله ﷻ عباد الرحمن بأنهم يدعونه وبأنهم يقولون قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان: ٧٤] لن تقر عين الأب بأولاده إلا إذا كانوا صالحين مستقيمين على صراط الله المستقيم فالدعاء أكرم شيء على الله وهو أشرف العبادات بل هو العبادة نفسها ومن المعروف أن دعوة الأب لولده مستجابة كما قال النبي ﷺ «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمُظْلَمِ»^(١٣٩) ولده هنا تشمل الأم والأب فهذا سلاح من أقوى الأسلحة وهذا مما تختص به شريعة الإسلام المطهره أما الملحدون فلهم شأن آخر أما المسلمون فهذا هو دينهم أن يدعوا الوالد لولده خاصة بعد أن أعطاه الرسول هذا الضمان الرسول ﷺ يقول «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمُظْلَمِ» فأى ضمان أقوى من هذا الضمان فمن لا ينطق عن الهوى ﷺ فلا نهمل أهمية الدعاء والنبي ﷺ «أَعْبَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»^(١٤٠) وهو مواظمة اللسان القلب أن تدعوا الله ﷻ بإخلاص أن يحقق لك رغبة معينة فهل هناك أسهل من هذا فإذا كنت تريد الفردوس الأعلى ليخلف الله فيك التوفيق وإرادة الأعمال الصالحة الدعاء وسيلة سهلة جدا للشفاء من الأمراض

(١٣٩) سنن أبي داود، سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، (حسنه الألباني).

(١٤٠) سبق تخريجه.

والغنى بعد الفقر للقوة بعد الضعف لدخول الجنة والنجاة من النار لحيازة ما شئت من الدين أو الدنيا يستجيب الله لك قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠] في كثير من الآيات يسألونك عن كذا قل كذا يسألونك عن كذا قل كذا أما في مسألة السؤال عن الله تولى الله بنفسه الرد كأنه هو سبحانه الذي يتقرب إلى العباد.

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦] ويا للعجب الله سبحانه هو المعطي ويقول فليستجيبوا لي أسألني تفوه كما يقول النبي ﷺ « مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ

يَغْضَبُ عَلَيْهِ »^(١٤١) وفي ذلك يقول الشاعر

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

إذن هذا الباب الكبير من أبواب الرحمة، الله ﷻ لا يعجزه شيء فأطلب منه صلاح الذرية وأن يقر الله سبحانه عينك بهم إذن ما أفضل ولا أحسن أن يستغل الوالد هذه المنزلة وهذه الكرامة من الله ﷻ بأن يدعو إلى ذريته ويرجو من الله صلاحها وهدايتها فيقتدي في ذلك بالأنبياء الكرام عليهم جميعا صلاة الله وسلامه فقد كانوا جميعا أكثر الناس إتجاءا إلى الله وطلبا منه بصلاح أولادهم وترجم القرآن الكريم لجميعهم دعوات وتضرعات عظيمة.

فهذا نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة ولتسليم قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ ﴿٣٥﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾

(١٤١) سنن الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (حسنه الألباني).

[إبراهيم: ٣٥] ولما رزقه الله الذرية كان يقول قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وهذا زكريا يدعو طالبا الذرية الصالحة قال قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل
عمران: ٣٨] وهكذا جميع الأنبياء كانوا يتضرعون إلى الله ﷻ بالدعاء راغبين خائفين كما قَالَ
تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَاصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَتَهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَرْعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا
خٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] فلا ينبغي للأب أن يهجر الدعاء أو أن يقصر فيه فإنه مأمور
كما قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ
قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَاللَّهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾
[الأعراف: ١٨٠].

هذا في جانب الإحسان أيضا على الأقل لن يدعو الأب أو يقصر في الدعاء لابنه بالخير
فلا أقل من أن يكف الأذى عن ولده فلا يدعو على ابنه لأن الرسول ﷺ نهى «لَا تَدْعُوا
عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ» (١٤٢) كما قَالَ تَعَالَى:

(١٤٢) صحيح مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١]

[١١] فربما دعوة بالشر تكون أبواب السماء مفتوحة وتقبل الدعوة بعد ذلك إذا استجيبت وضر ولدك لذلك ونقل عن ابن المبارك رحمته الله أن رجلا جاءه يشكو إليه عقوق ولده فسأله إن كان قد دعا عليه أم لا فأجابه بأنه قد دعا عليه فقال له ابن المبارك أنت أفسدته فلا يجوز أبدا الدعاء على الأولاد والذي لا يريد الدعاء ويريد أن يحرم نفسه وابنه من بركة الدعاء فلا أقل من أن يكف الأذى عن ابنه فعلى الأب من أن يحذر من الدعاء على أولاده ويستبدل الدعاء بالدعاء لهم ولا بأس أن يجمعهم في بعض الأوقات ويدعوا لهم كما كان يفعل أنس بن مالك رضي الله عنه وكان أنس رضي الله عنه إذا ختم القرآن الكريم يدعو له ولهم.

التسريط السابع

التسجيع والأثره في التريية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد: فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا فَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّتْ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقْصَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُرِّ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أَنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ قَالَ فَلَقِينَا مَلَكًا آخَرَ فَقَالَ لِي لَمْ تُرْعَ فَقَصَصْتَهَا عَلَيَّ حَفْصَةَ فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ»^(١٤٣). الشاهد هنا من رواية هذا الحديث: ثناء رسول الله ﷺ على ذلك الغلام ابن عمر، وتشجيعه عن طريق هذا الثناء، وهذا التشجيع أثمر استقامته على قيام الليل بعد ذلك، فيقول: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فرغبه في قيام الليل، وأنه يكون سبباً للنجاة من عذاب النار الذي أريه في منامه، فكان عبد الله بن عمر منذ أن قال النبي ﷺ هذه المقالة لا ينام من الليل إلا قليلاً.

التشجيع في طلب العلم

من أسوأ الأشياء أن يصاحب الطالب شخص دائماً يأخذه إلى أسفل إما من أصحاب السوء الكسالى، أو من المثبتين الذين يحاولون تحطيم طاقاته وتحقيره وتعجيزه،

(١٤٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

يقول ابن عباس رضي الله عنه لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: قد قبض الرسول عليه الصلاة والسلام، فهيا نذهب إلى مجالس علماء الصحابة وفقهائهم كي نستفيد ونتعلم؛ لأن هذا هو المتاح الآن بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فقال له صاحبه هذا: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم، يعني: أنت غلام صبي صغير تذهب تتعلم لكي تحمل العلم للناس، هل الناس يحتاجون إلى مثلك، وأنت صبي صغير، وأنت ترى في القوم عمر وأبا بكر ومعاذاً وغيرهم من الصحابة. فقال له صاحبه: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم، قال: فتركت ذلك، أي: أهملت هذا الكلام ولم أرعه، ولم يبال بهذه الكلمة المثبطة، انظر كيف التعامل مع التشيط، قال: فتركت ذلك وأقبلت على أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل يأتي بابه، وهو قائل - نائم في وقت القيلولة - فأتوسد ردائي على بابه يسف الريح عليّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟! هلا أرسلت إليّ فأتيك، فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع الناس حولي يسألونني! صاحبه الأول الذي كان يشبطه رآه قد صار إماماً، والناس ملتفون حوله يتعلمون منه، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع الناس حولي يسألونني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني، يقول الشاعر: فحي هلا إن كنت ذا هممة فقد حدا بك حادي الشوق تطوي المراحلا ولا تنتظر في السير رفقة قاعد ودعه فإن العزم يكفيك حاملا وهذا ابن شهاب رضي الله عنه كان يشجع الأولاد الصغار فيقول: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة سنكم؛ فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم. وكان الخليفة هارون الرشيد رضي الله عنه يصدق العطايا والصلوات لطلبة العلم والعلماء حتى قال ابن المبارك: فما رأيت عالماً، ولا قارئاً للقرآن، ولا سابقاً للخيرات، ولا حافظاً للمحرمات في أيام بعد أيام رسول الله ﷺ وأيام الخلفاء والصحابة

أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه، لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين، ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم، ويروي الحديث، ويجمع الدواوين، وينظر المعلمين وهو ابن إحدى عشرة سنة، كل هذا بسبب تشجيع الخليفة هارون الرشيد للعلم ولطلبة العلم. وبلغ حب بعض الأمراء للعلم والعلماء إلى الحد الذي جعله يعتبر العلماء في رعايته الخاصة، ومن هؤلاء الأمراء: المعز بن باديس، أحد أمراء دولة الصنهاجيين في المغرب الإسلامي، كان لا يسمع بعالم جليل إلا أحضره إلى حضرته وجعله من خاصته، وبالغ في إكرامه، وعول على آرائه، ومنحه أسمى الرواتب. كذلك فعل الخليفة الموحد الثالث المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذي أنشأ بيت الطلبة، وأشرف عليه بنفسه، وعندما بلغه حسد بعض حاشيته على موضع الطلبة النابغين منهم، أي: سمع أن بعض الناس في الحاشية يتداولون كلامًا بينهم مفاده: كيف يغدق هذا الإغداق والعطاء على طلبة العلم النابغين؟ ففرغ منهم وخاطبهم قائلاً: يا معشر الموحدين! أنتم قبائل، فمن نابه منكم أمر فرغ إلى قبيلته -أي: من احتاج منكم رجع إلى قبيلته- وهؤلاء الطلبة لا قبيلة لهم إلا أنا، فمهما نابهم من أمر فأنا ملجأهم، إليّ فرعهم وإليّ ينسبون. وبلغت عناية المنصور بالطبيب أبي بكر بن زهر حدًا عجيبيًا، فقد كان أبو بكر يقيم عند الخليفة مددًا طويلة، ولا يرخص له بالسفر إلى أهله، حتى قال شعرًا في شوقه إلى ولده الصغير، فلما سمع المنصور هذا الشعر أرسل المهندسين إلى إشبيلية وأمرهم بدراسة بيت أبي بكر وحرارته، وتشديد مثله في مراکش، ففعلوا ما أمرهم به، وبنى له شارعًا، وفيه بيوت مشابهة للشارع الذي كان هو ساكن فيه، وبنى له بيتًا مثل بيته تمامًا، فنقلوا عيال أبي بكر إليه، فلما رآه ابن زهر اندهش وحصل عنده من السرور ما لا مزيد عليه، ولا يستطيع التعبير عنه! فهل سمع بمثل هذا في إكرام العلم والعلماء؟! فالإسلام حليف العلم في كل العصور، ليس فقط علوم الشرع الشريف لكن حتى العلوم الحديثة، فإن العلم -بالذات في هذا العصر- أقوى مؤيد لدين الإسلام؛ لأن العلم منحاز بكل قوته إلى الإسلام، وقد تكلمنا مرارًا على كتاب موريس بوكاي الذي فصل فيه الكلام على هذه الحقيقة. في القرن السادس عشر قامت محاولة ناجحة في عهد

الخلافة العثمانية لتجميع النابغين من جميع الأمصار والقرى، وتوفير الرعاية التي جعلت كل نابغة يعطي ما عنده من فن وعلم، مما ساعد على ازدهار الدولة العثمانية حضارياً وعسكرياً حتى صارت تهدد بغزو أوروبا. يحكي الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله قصة يقول: قرأت مرة أن مجلة إنكليزية كبيرة سألت الأدباء عن الأمر الذي يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب؟ وجعلت لمن يجسن الجواب جائزة قيمة، فكانت الجائزة لكاتبة مشهورة قالت: إنه التشجيع، وقالت: إنها في تلك السن - بعد تلك الشهرة والمكانة - تدفعها كلمة التشجيع لتمضي إلى الأمام، وتقعدها كلمة التشيط عن المسير، أي: مهما بلغ الإنسان من مكانة في علم أو عمل أو نحو ذلك، فإن كلمة التشجيع لها أثر طيب جداً، فليس التشجيع فقط مع الصغار، ولذلك كان من الذوق إذا أحسن إليك شخص لا بد أن تعبر عن شكرك له، وقد وصل الأمر إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ»^(١٤٤)، ومن لم يشكر الله فقد كفر بالنعمة. فالإنسان يشكر لمن يعلم أنه أحسن إليه، نجد بعض الناس عنده هواية إذا قرأ كتاباً، وكان الكتاب حافلاً بالفوائد، وربما تكون فيه غلطة أو خطأ أو تقصير أو مسألة فيها نظر في أثناء الكتاب قام يشنع عليه، وهذه مدرسة قد ابتلينا بها في هذا العصر، أصحابها كالذباب لا يقع إلا على تلك الأشياء، فهو يترك كل الأشياء النظيفة وكل الفوائد ويركز اهتمامه فقط على الأخطاء، وكأن هذا الشخص لا يساوي إلا هذا الخطأ. هذا من الجحود، وهذا ليس من الإنصاف، كيف والله سبحانه حتى مع أهل الكتاب قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧٥﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ [آل عمران: ٧٥] فحتى مع هؤلاء لا بد من الإنصاف. الشاهد: أن هذا الجحود صار الآن ظاهراً في مدارس معينة أو

(١٤٤) سنن الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رحمته الله (صححه الألباني).

مدرسة محددة كل وظيفتها النظر فقط إلى القمامة، والبحث فقط في القمامة، لكن كل الحقائق الخضراء والبساتين والزهور والرياحين والأشياء الجميلة يتركونها، لا يعمدون إلا إلى القمامة، يتقصدون أخطاء الناس ويتصيدون الزلات، قال السلف قديماً: (إن المناق يطلب الزلات، والمؤمن يطلب المعاذير)، لن أفصل في هذا حتى لا نخرج عن موضوعنا، لكن لعلها عبرة لهواة التفتيش في القمامة. إذا وجدت هفوة في كتاب فينبغي أن تقول: لقد استفدت من كتابك في كذا وكذا، لكن هناك نظر في المسألة الفلانية حبذا لو راجعتها، ربما يكون فاتك تحقيقها، أو نحو هذا الكلام اللطيف، لكن، الغلظة والشدة منهج وأسلوب حياة طغي - للأسف الشديد - على كثير من هؤلاء الناس.

التشجيع في الإسلام

إن التشجيع رفع الإسلام شأنه إلى حد أنه جعله فريضة على غير القادر على إقامة فروض الكفاية، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد، طلب العلم، الولاية، الإمامة، فأمثال هذه الفروض من فروض الكفاية يقول فيها العلماء: إنها واجبة على الكفاية، إن قام بها البعض سقط الوجوب عن الآخرين، وإن لم يقم بها أحد أثموا جميعاً، يأثم القادر لأنه قصر، ويأثم غير القادر لأنه قصر فيما يستطيعه، وغير القادر على أداء هذه الفروض الكفائية يأثم أيضاً، لماذا؟ لأنه قصر فيما يستطيعه، وما الذي يستطيعه؟! يستطيع التفتيش عن القادر، وحمله على العمل، وحثه وتشجيعه وإعانتته على القيام به، بل إجباره على ذلك. فإذا: إذا لم يقم الفرض الكفائي يأثم القادر وغير القادر؛ يأثم القادر لأنه قادر ولم يفعل، وغير القادر لأنه لم يشجع القادر، قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿١﴾ فَقَنْيَلُ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ لَا تَكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا

وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ [النساء: ٨٤]، والتحريض هو نوع من الأنواع وأسلوب من الأساليب. حتى عمر بن عبد العزيز رحمته الله كان يعطي بعض الموظفين أموالاً ويعطيهم أشياء

من الدنيا كي ينصاعوا للإصلاحات التي كان عزم عليها في ذلك الوقت. وسأذكر أسلوب التربية عند عمرو بن العاص الذي كل أهل الأرض في كفة، وأهل مصر في موقفهم مع عمرو بن العاص في كفة أخرى، لماذا؟ لأن لعمرو بن العاص دين في أعناق مصر لا يستطيعون سداه، ولو عملوا عليه ليلاً ونهاراً؛ فعمرو بن العاص هو الذي بسببه أشرق نور الإسلام في مصر بعد الوثنية والنصرانية والفساد كله، أشرقت هذه البلاد بنور الإسلام، ومنها انطلق غرباً وجنوباً ببركة جهاد عمرو بن العاص رضي الله عنه ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. ولما فتحت مصر كانت العاصمة الإسكندرية، ولا تزال آثار سور عمرو بن العاص موجودة، حتى السور الذي كان بناه للإحاطة بالإسكندرية ما زال موجوداً. الشاهد: أن عمرو بن العاص له منة أخرى علينا فوق أنه كان سبباً في دخول أهل مصر إلى الإسلام؛ فقد صبغ لساننا باللسان العربي والله الحمد، وفتح الله على يديه على أهل مصر بلغة القرآن الكريم، لكن عمرو بن العاص كان عالماً بشخصية الموظفين المصريين، فمنع تعيين أي موظف في الدولة الإسلامية لما فتحها -حتى من الأقباط- إلا إذا كان يتقن اللغة العربية، فبالتالي في سنوات معدودات تم -والله الحمد- تعليم أهل مصر لغة القرآن الكريم، بينما نرى تقصير الدولة العثمانية عندما حكمت العالم الإسلامي قرابة سبعة قرون، وما عربت نفسها وللأسف الشديد، بل كانت الكتب تترجم بلغة تركيا. فالشاهد: أسلوب التربية الذي سلكه عمرو بن العاص رضي الله عنه. وقد سلك المسلمون في شتى العصور أسلوب تشجيع المهويين وكبيرى الهمة بكافة صور التشجيع، وكانوا ينفقون الأموال الجزيلة لنفقة النابغين من طلاب العلم الذين أوقفوا أنفسهم على طلب العلم؛ كي يغنوهم عن سؤال الناس أو الاشتغال عن العلم بطلب المعاش. الإمام أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي يقول فيه الصفدي: لم أره قط إلا يصنع أو يكتب أو ينظر في كتاب، ولم أره على غير ذلك،

وكان له إقبال على أذكىاء الطلبة يعظمهم وينوه بقدرهم، وكان المعلمون في الكتاتيب والمساجد وفي الأزهر الشريف إذا لمسوا في طفل النجابة وسرعة التعلم احتضنوه، وساعده على طلب العلم، وزودوه بالمال من ماله الخاص أو من أموال الأوقاف. وفي طليعة المشجعين لطلبة العلم الخلفاء والأمراء، روى البخاري في صحيحه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدخل ابن عباس رضي الله عنه وهو غلام حدث مع أشياخ بدر، قال ابن عباس: فكأن بعضهم وجد في نفسه، وقالوا: لم لآت بأولادنا الصغار ونجلسهم معك؟ فلماذا تدخل ابن عباس وهو صغير في مجلس الكبار من الأشياخ الذين حضروا غزوة بدر؟ فقال بعضهم: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، أي: أنه من أهل البيت، وابن عم النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللَّهُمَّ فَكَّهُهُ فِي الدِّينِ وَعَلَّمَهُ التَّوِيلَ»^(١٥٠)، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، يقول ابن عباس: فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم، فهم ابن عباس وتفطن إلى أنه هذه المرة استدعاه خصيصاً كي يري هؤلاء القوم منزلة ابن عباس، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ [النصر: ١]، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، أي: هذه السورة فيها نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذاته الشريفة، قال: قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ [النصر: ١] وذلك علامة أجلك، فقد أدبت الرسالة، قَالَ تَعَالَى: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ﴿١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

(١٤٥) مسند أحمد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

وَأَسْتَغْفِرُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾ [النصر: ٣] أي: تاهب للقاء الله ﷻ، واختتم حياتك بالتسبيح بحمد الله والاستغفار، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول. فانظروا عمر رضي الله عنه كيف أراد أن يقوي ثقته، وينمي همته، ويربأ فيها عن احتقار الذات، أو الشعور بالدونية والنقص. وروى البخاري في الصحيح أيضًا أن عمر رضي الله عنه قال يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ «فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ قَالُوا اللَّهُ أَعْلَمُ فَعَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عُمَرُ يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ أَيُّ عَمَلٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ﷻ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ»، فانظر عبارة: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ»^(١٤٦). هذه من الأسس التربوية المهمة جدًا، فبعض الناس يتصور أن عمر بن الخطاب بالقوة والشدة في الدين والبأس سوف يتعامل مع الطفل بما يرضه، لكن لا، انظر كيف كانوا كلهم أساتذة في التربية رضي الله عنه؟! قال عمر: يا ابن أخي! قل، ولا تحقر نفسك، فمن ثم سار ابن عباس على هذه السنن منذ طفولته غير مبال بتثييط من هو أقصر منه همة.

تشجيع النفس عند تثبييط الآخرين

الناس يختلفون في التأثير بالتشجيع والتثبييط والتخذيل، فأحيانًا يتعرض الإنسان لتخذيل أو تثبييط ربما يتفاعل معه بطريقة سلبية أو يتفاعل معه بطريقة إيجابية، قد يكون الشخص ضعيف الشخصية جدًا بحيث إنه ينهار تمامًا، وربما غير مسار حياته كله؛ بسبب عبارة تخذيل، أو مدرس حط من قدره أو احتقره، وهذه طريقة سلبية في التفاعل مع

(١٤٦) صحيح البخاري من حديث عبيد بن عمير عن عمر رضي الله عنه.

التخذيل، وهناك طريقة إيجابية يكون فيها ارتقاء الإنسان بسبب التخذيل، ويتفاعل معه بالعكس بتحدي. أذكر أن مدرسة كانت تنتقد إحدى الطالبات في الثانوية، وكلما تقابلها تقول لها العبارة المعروفة: قابليني لو أفلحت بنفس هذه الأساليب الشيطانية المدمرة، حتى أنها كانت متربصة بها وهي داخلة الامتحان، وتتوعدها وتقول لها: تعالي قابليني لو نجحت حتى من الثانوية العامة، فكيف تفاعلت تلك الطالبة مع هذا التخذيل والتحطيم من المدرسة الجاهلة التي تحتاج إلى تربية؟ أخذت الموضوع بتحدي، فاجتهدت جدًّا في الدراسة، ودخلت نفس الكلية ونفس التخصص والمادة التي كانت المدرسة تتحداها فيها، وتفوقت إلى أعلى ما يمكن من المراتب في هذا العلم، وكان السبب التفاعل الإيجابي مع الشيطان، بتحدي وليس بخضوع واستسلام وتخاذل، فالإنسان يحاول دائمًا أنه يحول الظروف إلى صالحه، هذا هو الإنسان العاقل؛ لأن الظروف لا تستطيع أنت تغييرها، فحاول أن تحولها إلى صالحك. كان بعض الأكابر له مملوك سيئ الخلق فض غليظ لا يناسبه طبعه، فقيل له: لم لا تتخلص منه فإنه مؤذ وسيئ الطبع، وفيه نفور شديد؟ لماذا أنت متمسك به، ويمكن أن تبعه وتتخلص من هذا العبد الغليظ؟ فقال: إني أدرس عليه مكارم الأخلاق؛ فأنا أروض أخلاقي وأتدرب على الصبر والتحمل، وكيف أحسن خلقي حتى مع من يؤذوني أو أبغضهم أو يبغضونني؛ فانظر كيف حول الظروف إلى صالحه! وهذا شيء حقيقي فعلاً؛ فإن الإنسان لولا المخالطة لن يتعلم ولن يستفيد، والإنسان المعزول تمامًا عن الناس لا يكون عنده كفاءة في التعامل مع المسئوليات أو إدارة الأمور أو التكيف مع المحيطين به، فالاختلاط بالناس فيه فوائد مع ما فيهم من الأذى؛ فلا بد أن يعود الاختلاط بهم على الإنسان بفائدة؛ لأنه يرى الأخلاق السيئة في صورتها السيئة، فحينما يتمرن على مصاحبة مثل هذا المملوك السيئ الخلق، ومعاشرته والصبر عليه والتحمل، لا شك أن هذا سوف يقوي من إمكاناته الشخصية. يقول الإمام ابن حزم رحمته: ولكل شيء فائدة، ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة، يقول: احتكاكي بالجهال استفدت منه، وتعرفون أنه

عانى من هؤلاء الناس معاناة شديدة حتى أحرقوا كتبه، وأذوه أذى شديداً، يقول: احتكاكي بالجهال والباغين نفعني منفعة عظيمة، ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي، واحتدم خاطري، وحي فطري، وتهيج نشاطي؛ فكان ذلك سبباً إلى تواليف لي عظيمة، ولولا استثارتهم نشاطي واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف، يعني: الصراعات الفكرية، وصراعه مع المقلدين وغيرهم جعله يقرأ ويصنف مما أنتج هذه التصانيف الرائعة التي صنفها، ودائماً الحسود أو المؤذي إذا تفاعل معه الشخص المبغي عليه أو المجني عليه بالحسد أو الأذى تفاعلاً إيجابياً تحصل له الثمرة الإيجابية، فهناك بعض الأشعار في شأن الحسد لها نفس هذا المعنى، يقول بعضهم: يقابلني السفيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيباً يزيد سفاهة وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيباً عود البخور كلما ازداد إحراقه كلما شاعت رائحته أكثر وأكثر، فكذلك الإنسان عليه أن يحول التخذيل أو التثييط أو العوامل البيئية من حوله إلى عوامل إيجابية. أذكر قصة للأديب المعروف عباس محمود العقاد، وكلما ذكرت اسم العقاد أتخسر في الحقيقة على العقاد، فقد كان من الأذكياء، ولكنه للأسف الشديد ضيع عمره في أنواع من المعارف والعلوم غير المثمرة إلا قليلاً مما خدم به المصنفات الإسلامية كالعبريات ونحوها. لكن على أي الأحوال هو أنموذج من نماذج التعامل مع التثييط بطريقة إيجابية، فالذي يثبطك ادخل معه في التحدي، وتحذاه وحول النتيجة التي يريدونها منك إلى نتيجة إيجابية. يقول العقاد: استفدت في مرحلة التعليم الابتدائي من أستاذين اثنين على اختلاف بينهما في طريق الإفادة؛ فإن الأستاذ الأول كان يقصد أن يفيدني لأنه كان يشجعني، والآخر أفادني على غير قصد منه، فحمدت العاقبة على الحالين، وكان أحد الأستاذين هو الشيخ فخر الدين محمد التشناوي، وكان يميل إلى التجديد والابتكار في التعبير، ويمنح أحسن الدرجات للتلميذ المتصرف في مناحي الكلام، وأقلها للتعبير الذي يؤخذ من نماذج الكتب، والذي يكتب موضوع إنشاء يعطيه أقل، والذي يبتكر من عنده تعبيرات وإنشاءات فهذا يعطيه درجة أعلى، وكانت دروسه تلتهب حماسة ووطنية، ولها تأثيرها البالغ في نفوس التلاميذ خصوصاً في زمن كانت تن فيها البلاد

من وطأة الاحتلال. أما الأستاذ الثاني فمدرس الحساب، فقد كان يؤمن بالخرافات وشفاعات الأولياء، وكان محدود الفهم في دروسه، ولاسيما المسائل العقلية في دروس الحساب، وبعد أن ذكر بعض المواقف مع ذلك الأستاذ قال: ولكن الدرس الأكبر الذي أحسبه أكبر ما استفدته من جميع الدروس في صباي كان بسبب مسألة حسابية من تلك المسائل العقلية، كنت شديد الولع بهذه المسائل، لا أدع مسألة منها دون حل مهما يبلغ إعضالها، وكان الأستاذ يحفظ منها عددًا كبيرًا محلولاً في دفتره، يعيده على التلاميذ في كل سنة، والمدرس كان يحفظ المسائل مثل اسمه، وقلما يزيد عليها شيئاً من عنده، وعرضت في بعض الحصص مسألة ليست موجودة في دفتر المدرس، فعانينا حلها في الحصة على غير جدوى، ووجب في هذه الحالة أن يحلها الأستاذ لتلاميذه فلم يفعل، وقال على سبيل التخلص: إنما عرضتها عليكم امتحاناً لكم؛ لتعرفوا الفرق بين مسائل الحساب ومسائل الجبر؛ لأنها تشتمل على مجهولين، لم أصدق صاحبنا، ولم أكف عن المحاولة في بيتي، فقضيت ليلة ليلاء حتى الفجر، وأنا أقوم وأقعد عند اللوحة السوداء حتى امتلأت من الجانين بالأرقام، وجاء الفرج قبل مطلع النهار، فإذا بالمسألة محلولة، وإذا بالمراجعة تثبت لي صحة الحل، فأحفظ سلسلة النتائج وأعيدها لأستطيع بيانها في المدرسة دون ارتباك أو نسيان، فقلت: لقد حللت المسألة، قال الأستاذ: أي مسألة؟ قلت: المسألة التي عجزنا عن حلها في الحصة الماضية، قال: أو صحيح؟! تفضل أرنا همتك يا شاطر، وحاول أن يقاطعني مرة بعد مرة، ولكن سلسلة النتائج قد انطبعت في ذهني لشدة ما شغلتنني، ومن طول ما راجعتها، وكررت مراجعتها وانتظرت ما يقول، فإذا الأستاذ ينظر إليّ شزراً وهو يقول: لقد أضعت وقتك على غير طائل؛ لأنها مسألة لن تعرض لكم في امتحان، وإذا بالتلاميذ على نفحة الأستاذ قائلين: ضيعت وقتنا، ما الفائدة من كل هذا العناء؟ ثم عقب العقاد على هذا الحدث بقوله: كانت هذه الصدمة خليقة بأن تكسرنني كسرًا لو أن اجتهادي كان محل شك عندي، أو عند الأستاذ أو عند الزملاء، أما وهو حقيقة لا شك فيها، فإن الصدمة لم تكسرنني، بل نفعتنني أكبر نفع حمدته في حياتي، وصح قول القائل: كل ما لم يقتلني يزيدني

قوة؛ لأنني لم أحفل بعدها بإنكار زميل ولا رئيس، وعلمت أن الفضل قيمته فيه لا فيما يقال عنه أيًا كان القائلون. فلا شك أن هذا درس وعبرة فيها فوائد جمّة، فهو نموذج من نماذج التعامل مع التثيبت بطريقة إيجابية؛ لأنه واثق من موقفه، ولا يشك في أنه اجتهد وأنجز إنجازًا له قيمة، وأن زملاءه كانوا منافقين يدهنون المدرس، وأن المدرس لم يكن منصفًا في رده وما قصده، لكن مع ذلك انظر كيف تفاعل مع هذه المسألة؟! يحضرنى أيضًا قصة العلامة الألباني رحمته الله، وهي: أنه لما كان في مقتبل صباه نشط لتحقيق مسألة حكم بناء المساجد على القبور، وحكم الصلاة في المساجد المبنية على القبور، خاصة أضرحة الأولياء، فالعلامة الألباني رحمته الله جمع الأقوال من مكتبة أبيه في البيت، وأبوه كان حنفياً، فرجع إلى كثير من مراجع الأحناف وعمل بحثًا قيمًا انتهى به إلى أن الصلاة في هذه الأماكن مكروهة كراهة تحريرية، ثم ذهب وكره نشاط وهمة وأمل في سماع كلمة ثناء من شيخه الشيخ البرهاني، فعرض عليه البحث، وكان ذلك في الأيام الأخيرة من رمضان في تلك السنة، فقال له: بعد العيد إن شاء الله نتقابل وأكون قد قرأت البحث فلما قابله بعد العيد سأله عن البحث، فقال: لقد أضعت وقتك في غير فائدة، فإنك ما رجعت للمراجع المعتبرة عند أهل العلم، فيقول الشيخ الألباني رحمته الله: فاستنكرت هذا التعليق، وأيقنت أن هذا الشيخ لم يقرأ البحث أصلاً؛ لأنه سرد أسماء كثيرة من المراجع أكثر بكثير مما ذكره شيخه، قال: فدفعني هذا إلى المزيد من البحث، ومن التحري في المسألة إلى أن خرج الكتاب المشهور المبارك: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، فالشاهد: أن الموقف كان تفاعلاً مع المثبط بطريقة إيجابية، فالذي يثبطك تحداه؛ لأن المثبط واحد من اثنين: إما أنه جاهل في التربية، وإما أنه حاقد يريد أن يحطم نفسية هذا الطالب، ويسيء إليه، وللأسف الشديد، ففي الحالتين لا يمكن أن يكون مستحقاً بأن يتأثر من كلامه؛ لأنه لا يقبل موقف الحاسد أو الحاقد أو الذي يريد به سوء، وأيضاً الجاهل لا يؤخذ منه ولا يبني على موقفه.

أثر ثناء النبي صلوات الله عليه على ابن عمر

عامّة الخلق جبلوا على حب التشجيع

حديثنا اليوم عن التشجيع والثناء والتحفيز بالنسبة للأطفال أو طلبة العلم أو الناس عموماً، فللمدح والثناء أثر فعال في استنهاض الهمم والإنجاز العظيم، فكلمات الثناء والامتنان، والتعبير عن الشكر تقوم بالإشعاع بالطاقة وإطلاقها، بوسعك أن تمدح جسداً ضعيفاً ليتحول بمديحك أو ثنائك أو تشجيعك إلى قوة، وأن تمدح قلباً يملؤه الخوف ليتحول إلى السكينة والاطمئنان والثقة، وتتحول الأعصاب المحطمة إلى ثبات وقوة، والمشروع الفاشل إلى نجاح وازدهار. إن عامة الخلق جبلوا على حب الثناء والتأثر والسعادة به، حتى إن مدربي الحيوانات يقومون بتدليل ومكافئة الحيوانات التي يرعونها بتقديم الحلوى أو أي شيء تحبه اعترافاً وثناءً على طاعتها لهم، كذلك الأطفال يشعرون بالمرح والسرور عندما يثنى عليهم ويمدحون، حتى يقال: إن القدرة نفسها تنمو بصورة أفضل لأولئك الذين يعشقونها، فالثناء والتشجيع يعطي المرء طاقة وحيوية، خاصة إذا تلقى هذا الثناء من إنسان يعرفه أو يعبر له عن شكره بما قام به من عمل؛ فيشعر بالرضا والانسباط. نحن الآن على مشارف العام الدراسي الجديد، وتبيننا للمدرسين على وجه الخصوص، ثم للمربين عموماً وفي مقدمتهم الآباء والأمهات، فينبغي أن نتعامل مع أطفالنا من منطلق هذا التحفيز والتشجيع والمديح والثناء الصادق الذي يرفع معنوياتهم، ويشحن الطاقة الجسمية والمعنوية لديهم كي تتحول إلى سلوك وعمل، وتنمي فيهم القدرة على تحمل المسؤوليات. شخص يدعى الدكتور هنري بوذرد كان يعمل مدرساً في إحدى المدارس في (نيوجرسي)، فاخترع جهازاً لقياس الإعياء والتعب، وكان الأطفال هم موضع الاختبار، وعندما كانوا يتلقون كلمات الثناء والإعجاب والتشجيع كان يظهر الجهاز ارتفاعاً مفاجئاً يعبر عنه بوجود طاقة إضافية، وكانت طاقتهم تزداد بمجرد أن يسمعوا هذه الكلمات، وعندما كانوا يتعرضون للنقد واللوم والتوبيخ كانت تندفع طاقتهم الجسمية إلى الهبوط بصورة مفاجئة، ورغم عجز العلم عن تفسير قوة الثناء بدليل مادي أو حسي إلا أنه استطاع أن يقوم بقياس أثر الثناء والتشجيع على طاقة الإنتاج. بعض الأطفال كان يوماً يقول وهو محبط وحزين: إنني إذا ارتكبت أخطاء أرى الجميع ينتقدونني، وإذا أنجزت إنجازاً قيماً لا أسمع كلمة ثناء

من أحد! فكان هذا سبباً من أسباب إحباطه، وكثير من الناس يعتمد هذه الطريقة ويقول: لكي نربيه ويصير رجلاً يتحمل المسؤولية؛ لا نمدحه، لكن فقط نوبخه ونعنفه، فبعض الناس يركزون فقط على السلبيات والنقد، ويطلقون على الأطفال أحياناً وابلًا من السباب والشتائم، وينبغي أن نشبع جوع هؤلاء الأطفال إلى المديح وإلى الثناء، وأن نحفظ لهم كرامتهم، ونعطيهم المزيد من الاحترام والثقة، والفرصة للعطاء والإنتاج لما يناط بهم من مسؤوليات؛ فيصبحون بذلك أكثر إيجابية وتعاونًا مع الآخرين.

شروط التشجيع

أهم شرط في المديح: أن يكون صادقاً بدون مداهنة أو كذب، وهذا هو الذي يترك أثراً إيجابياً في نفس الطفل، وإذا مدح الطفل بمجازفة وبكذب فإنه يكتشف ذلك، ويعرف أن هذا كذب، فالثناء ينبغي أن ينصب على الفعل، لا أن تمدح الطفل نفسه كما سنبين إن شاء الله تعالى، لا تقل له مثلاً: أنت أبرع طفل في العالم، أنت أجمل طفلة في العالم.. أو نحو هذه الأشياء، وإنما تقول له: أداؤك في هذا الامتحان كان أداءً جيداً وموفقاً، وتحسنت كثيراً، فتمدح السلوك وليس الشخص نفسه، حتى يحصل الربط الإيجابي، ويكون أقوى وأقدر على التغيير في سلوكه، وقد رأينا في حديث ابن عمر رضي الله عنهما كيف مدحه النبي ﷺ بهذه الطريقة الرائعة: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»^(١٤٧)، فتأثر ابن عمر بهذه العبارة جداً إلى حد أنه كان بعدها لا ينام من الليل إلا قليلاً ينبغي أن ينصب الثناء على الفعل، وعلى السلوك الحسن الإيجابي، وليس على الشخص نفسه، فمثلاً بدل أن تقول له: أنت طالب مجتهد يا فلان، قل له: الامتحان الأخير الذي حصلت فيه على هذه الدرجة في اللغة العربية كان ممتازاً، أو النتيجة كانت ممتازة، أو أداؤك كان ممتازاً، ولا تقل له: أنت ممتاز؛ لماذا؟ حتى نلفت نظره دائماً إلى السلوك نفسه، وليس إلى شخصه. مثلاً: بنت ساعدت

(١٤٧) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أمها في ترتيب غرفة من غرف البيت، فالصواب أن يقال لها: كان عملك في إنجاز هذا الأمر رائعا، ويشجعها بكلام ينصب على مدح السلوك، لكن لا نقول لها: أنت أفضل البنات يا فلانة، أو أنت أفضل بنت في العالم.. إلى آخر هذا، فنركز على السلوك نفسه لنلفت نظره، وليربط بين المديح والثناء، وبين السلوك الإيجابي كي يحدث تغييرا في سلوكه؛ لأن الثناء المطلق لا يؤثر نفس التأثير، فينبغي أن يكون محددا لكي يعرف أنه لما عمل الشيء الفلاني مدح، وشيء محدد هو الذي استجلب له المدح والثناء؛ ولذلك ينبغي أن تكون المكافئة أو التشجيع عقب الفعل مباشرة، فعندما يحفظ السورة ويسمعا تسميعا جيدا؛ فوراً يعطى الجائزة، والجائزة لا يشترط أن تكون مادية بل يمكن أن تكون مدحا وثناء أو أن يحتضنه، أو يلعب معه، أو أي شيء آخر. ولا يشترط أن الجائزة دائما تكون جزاء ماديا، كذلك العقاب يكون عقب الفعل مباشرة، ولا يؤجل ولا يسوف؛ لأنه إذا عوقب بعد فترة، أو بعد مضي يوم أو يومين مثلاً، أو إذا جوزي بعد مضي يوم سيختلط الأمر، والمفروض أن يعاقب عليه مباشرة، وهو في أثناء أو هذه المهلة يمكن يكون قد ارتكب سلوكيات خاطئة أخرى، فهو لا يعرف على ماذا يعاتب؟ إذا: العقوبة لا بد أن تكون عقب الفعل مباشرة، وكذلك الجزاء والثواب والتشجيع، وعندها سنجد أن الطفل سوف يحاول الإكثار من هذا السلوك الذي جلب له المديح أو الثناء والإعجاب والتقدير، ولو أننا ركزنا على مدح ذاته هو وليس إنجازاته أو سلوكياته فهذا سوف يزيد من أنانيته، ويزيد من حبه لنفسه، وربما أشعره بالغرور والتعالي؛ ولذلك نرى كثيرا من المتفوقين يتراجعون في مستواهم الدراسي، أو ينحرفون عن السلوك القويم بسبب المبالغة في مدحهم بمدح عام مطلق يملؤهم غرورا وكبرا، فلا بد أن يتسم الثناء والمدح بالموضوعية، ولا يبالغ المربي فيه، حتى لا يفقد قيمته؛ لأنه إذا كان مبالغا فيه، أو فيه كذب، فإن الطفل سوف يدرك جيدا هل كان المدح صادقا ومعقولا وموضوعيا أم فيه مجازفة وغلو ومبالغة، فيستخدم المربي الاعتدال وفي ظروف ملائمة، تشجعه على الأداء وتنمي لديه الحافز الداخلي، وتساهم في بناء شخصيته وتطويرها نحو الأفضل. نذكر كلاما متعلقا بنفس هذا الموضوع من كتاب: (مبدأ الرفق في التعامل مع

المتعلمين) لمؤلفه صالح بن سليمان البقعاوي يقول: إن من الأسس النافعة في التعليم والتربية: الثناء على الطالب ومدحه ليزداد اهتمامًا ونشاطًا في الخير والإقبال على العلم والتزود منه، والمدح والثناء الحسن لا يكلف المعلم شيئًا، ولا يحقر بسببه شيئًا، بل الفائدة متحققة من استعماله، وحينما نقرأ سير علماء الأمة وصلحائها نجد المدح والثناء والتشجيع للطلبة على كسب العلم وتحصيله.

أمثلة من التشجيع الفعال

كان الإمام أحمد دائمًا يمدح بقي بن مخلد أمام باقي الحاضرين، ويقول: هذا يقع عليه اسم طالب العلم، أي أنه يستحق أن يتشرف بلقب طالب علم؛ لأن قصة بقي بن مخلد في غاية الروعة، رحل من الأندلس إلى بغداد ليسمع مباشرة من الإمام أحمد رحمته الله، وكان الإمام أحمد محددة إقامته في تلك الفترة، وممنوع من مخالطة الناس، فاحتال بعد الاتفاق مع الإمام أحمد على أن يرتدي ملابس المتسولين، ويأتي كل ليلة لیسأل الصدقة، ثم يدخل في الممر كأنه ينتظر أن يؤتى له بالطعام أو الصدقة، ففي أثناء تلك الفترة يخرج إليه الإمام أحمد ويحدثه كل يوم بحديث، فلما انقشعت المحنة كان الإمام أحمد يعظمه جدًا، وكان يقول في مجلسه: هذا يقع عليه اسم طالب العلم. وكان الإمام البخاري رحمته الله يفعل ذلك -أي: التشجيع- مع الوراق، فقد كان يملي عليه الإمام الأحاديث وهو يكتب في الوراق، فكان يكثر جدًا من الإملاء، فيخشى أن يمل الرجل رغم أنه كان يأخذ أجرًا على هذا، فكان يلاطفه ويواسيه ويشجعه بالاستمرار كي لا يمل، يقول الوراق: (فأمل عليّ يومًا -أي: الإمام البخاري - أحاديث كثيرة فخاف مللي، فقال: طب نفسًا فإن أهل الملاهي مع ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجارتهم، وأنت مع النبي صلوات الله عليه وأصحابه)، يقول له: طب نفسًا، وهذا تشجيع وثناء عليه، وتسلية له ومواساة على هذه المشقة التي يتحملها، طب نفسًا، فإن أهل الملاهي مع ملاهيهم، ذهب كل مع من يحب، أهل الملاهي يجلسون مع الملاهي، وأهل الصناعات في صناعاتهم في طلب الدنيا، والتجار في تجارتهم، وأنت لست مع الملاهي ولا مع الصناع ولا مع التجار، وإنما أنت مع النبي

عليه السلام وأصحابه. أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا فالبخاري علم أن التشجيع والثناء والمواساة والمدح يجعل هذا الرجل ينجو من الملل أو الضجر، ويتلقى هذه التكاليف بصدر رحب. الإمام مالك رحمته الله كتب رسالة إلى إمام مصر الليث بن سعد، فيها الثناء والمدح له، ومما قال فيها: وأنت في إمامتك، وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاءهم منك. فالإمام مالك يهيب الليث بالثناء عليه ومدحه قبل أن ينصحه؛ لأنه نصحه بعد ذلك، وبقصد النصيحة دخل من هذا المدخل. الإمام أبو حنيفة رحمته الله دخل في يوم مطير على تلاميذه، وكان يخشى عليهم من خوف الملل أو الضجر من طول الوقت، فأقبل أبو حنيفة رحمته الله عليهم بوجه بشوش وقال لهم: أنتم مسار قلبي وجلاء حزني. ودخل الإمام الشافعي يوماً على الإمام أحمد بن حنبل فقال: يا أبا عبد الله! كنت اليوم مع أهل العراق في مسألة كذا وكذا، كنت أناقشهم أو أناظرهم في مسألة فقهية فلو كان معي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفع إليه أحمد ثلاثة أحاديث، فقال: جزاك الله خيراً، مع أن الشافعي شيخ الإمام أحمد، لكنه مع ذلك أتاه وطلب منه هذه الأحاديث، وأظهر الافتقار لما معه من العلم والحديث. حتى أهل الخير من أهل المهمة مهما بلغ أحدهم من المنزلة يحتاجون إلى التشجيع ليفعل فيهم أثره. مر رجل مع صاحب له بجوار بيت أبي حنيفة ليلاً، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: هذا أبو حنيفة لا يكاد ينام من الليل، يعني: يقوم الليل كله، فقال أبو حنيفة لنفسه: والله لا يتحدث عني بما لا أفعل، فمن ساعتها بدأ يواظب على قيام معظم الليل رحمته الله. كان رجل من أهل الأذى للناس، وكان له منصب معين يتمكن منه من أذية الناس، فقابله شخص بالثناء عليه، وبأنه سمع شكره مستفيضاً، ووصفه بالجميل، ومدحه بالرفق؛ فكان ذلك سبباً إلى أن منع ذلك الفاسق عن كثير من شره وأذاه للناس، فممكّن أن تمدح الظالم للحد من شره، لكن تمدحه بصدق دون أن تغره بما هو فيه من ظلم فيتأدى في ظلم الناس، ودون أن تدهنه وتكذب في مدحه، لكن ممكّن أن تأتي بشيء من الخير الذي تراه فيه، كأن تقول له: أنت من أسرة طيبة،

وأناست أفاضل معروفون بحب الخير، فهذا ليس كذباً، إن كان هو بالفعل هكذا، لكن هو الفرع الخبيث في هذه الشجرة، فالشر ينقمع في نفسه، ويكف عن أذية الناس. فالبيئة المشجعة حول الإنسان دائماً ما تحفزه على المزيد من الإنتاج.

أثر التثبيط في خنق المواهب

تكلم الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله عن أثر التثبيط في خنق المواهب، وحرمان الأمة من عبقرية أصحابها وإبداعهم، وهو يقصد بالمتبطين هنا بعض أبناء العائلات التي احتكرت الوظائف العلمية، فكانوا يخشون أن تتحول عنهم إلى غيرهم، فكلما رأوا طالب علم مجد ونابعة من غير هذه العائلات يخذلونه ويثبطونه إلى أن يترك طلب العلم، لكي يبقى العلم حكراً على هذه العائلات وهذه الأسر. يقول الشيخ: إن الشيخ محمد أمين بن عابدين لما نشأ، وأنس المتبطين منه الميل إلى العلم، وعرفوا فيه الذكاء المتوقد، والعقل الراجح؛ خافوا منه، فذهبوا يقنعون أباه - وكان أبوه تاجرًا - ليسلك به سبيل التجارة، ويتنكب به طريق العلم، وجعلوا يكلمونه ويرسلون إليه الرسل، ويكتبون إليه الكتب، ويستعينون عليه بأصحابه وخلطائه، ولكن الله أراد بالمسلمين خيراً، فثبت الوالد، فكان من هذا الولد المبارك ابن عابدين صاحب الحاشية، وهو أوسع كتاب في فروع الفقه الحنفي. يقول الشيخ: بل أرادوا أن يصرفوا عن العلم أستاذنا العلامة محمد بن كرد علي - وهذا إمام من أئمة السلفية الكبار - فبعثوا إليه بشقيقين من آل فلان، شقيقان قد ماتا فلست أسميهما، على رغم أنهما قطعاً عن العلم أكثر من أربعين طالباً، صرفوهم عن العلم إلى الاشتغال بالدنيا لهذا السبب، فما زال أبويه ينصحانه أن يقطع عن العلم، ويعلمه مهنة يتكسب منها، فما في العلم نفع ولا منه فائدة، يلحان عليه ويلازمانه حتى ضجر فصرفهما، فنبتغ ولده هذا الأستاذ كرد علي حتى صار صاحب النهضة الفكرية في الشام، وقائدها، ووزير معارف سوريا الأسبق، ومفخرتها، والذي من مصنفاته: خطب الشام، وغرائب الغرب، والقديم والحديث، والمحاضرات، وغابر الأندلس وحاضرها، والإدارة الإسلامية، والإسلام والحضارة العربية، والمقتبس، ومن مصنفاته: المجمع العلمي العربي بدمشق، ومن مصنفاته: هؤلاء

الشعراء والكتاب من الشباب. ولعل في الناس كثير كانوا -لولا الاحتقار والتشيط- كابن عابدين وكکرد علي. وها هو العلامة الشيخ سليم البخاري رحمته الله مات وما له مصنف على جلاله قدره، وكثرة علمه، وقوة قلمه، وشدة بيانه، وسبب ذلك: أنه صنف لأول عهده بالطلب رسالة صغيرة في المنطق، كتبها بلغة سهلة عذبة، تنفي عن هذا العلم تعقيد العبارة، وصعوبة الفهم، وعرضها على شيخه؛ فسخر منه، وأنبه، وقال له: أيها المغرور! أبلغ من قدرك أن تصنف؟ وأنت وأنت -يعيره- ثم أخذ الرسالة فسجر بها المدفئة، فكانت هي أول مصنفات العلامة سليم البخاري وآخرها! يقول: وأول من سن سنة التشجيع في بلدنا هو العلامة مربي الجيل الشيخ طاهر الجزائري رحمته الله، نسبة إلى الجزائر في العراق، الفيلسوف المؤرخ الجدلي الذي من آثاره المدارس الابتدائية النظامية في الشام، والمكتبة الظاهرية، والأستاذ محمد كردي علي بيك كان من تلامذته، وخالي الأستاذ محب الدين الخطيب -محب الدين الخطيب خال الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله- ومما كتب الشيخ طاهر الجزائري في ذم التشيط رحمته الله يقول: وقد عجبت من أولئك الذين يسعون في تشيط المهمم في هذا الوقت الذي يتنبه فيه الغافل، وكان الأجدر بهم أن يشفقوا على أنفسهم، ويشغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع، ولم ير أحدًا من المبطين قديمًا أو حديثًا أتى بأمر مهم، فينبغي للجرائد الكبيرة أن تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة، والتحذير منها؛ ليخلص منها من لم تستحكم فيه، وينتبه الناس لأربابها ليخلصوا من ضررهم. وكان الشيخ في حياته يشجع كل عامل، وهذا من السنة، فالرسول عليه الصلاة والسلام لما رآهم عند بئر زمزم يصبون الماء قال لهم: «هَكَذَا فَأَعْمَلُوا بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، وَجَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا» أو كما قال، والشاهد التشجيع والثناء على من يفعل خيرًا بالخير، وكان الشيخ لا يثني أحدًا عن غاية صالحة؛ حتى لقد أخبرني أحد المقربين منه أنه قال له: إذا جاءك من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام فلا تقل له: إن هذا غير ممكن -انظر إلى هذا الأسلوب التربوي- لا تقل له: هذا غير ممكن؛

فتفل عزيمة، وتكسر همته، ولكن أقرئه، وحبب إليه النحو، فلعله إذا أنس به واطب على قراءته.

أثر التشجيع في ولادة المواهب والعبقريات

إن التشجيع يفتح الطريق للعبقريات المخبوءة حتى تظهر وتثمر ثمارها، وتوتى أكلها، ورب ولد من أولاد الصناعات أو التجار يكون إذا شجع وأخذ بيده عالماً من أكابر العلماء، أو أديباً من أعظم الأدباء، وفي علماء القرن الماضي في الشام من ارتقى بالجد والدأب والتشجيع من منوال الحياكة إلى منصب الإفتاء وكرسي التدريس تحت القبة. نشأ الشيخ محمد بن إسماعيل الحائك خياطاً عامياً، ولكنه كان محباً للعلم وللعلماء، فكان يحضر مجالسهم، ويجلس في حلقتهم للتبرك والسماع، وكان يواظب على الدرس، ولا يفوته الجلوس في الصف الأول، فجعل الشيخ يؤنسه ويلطف به لما يرى من دوامه وتبكيره، ويسأل عنه إذا غاب، فشد ذلك من عزمه، فالشيخ يؤنسه لأنه يأتي مبكراً، ويجلس في أول الصف، حتى إذا غاب يسأل عنه الشيخ، فهذا أثر فيه تأثيراً شديداً؛ لأنه صار محل اهتمام هذا الشيخ، فاشترى الكتب وصار يجيئ ليله في مطالعة الدرس، ويستعين على ذلك بالناهين من الطلبة، واستمر على ذلك دهرًا حتى أتقن علوم الآلة، وصار واحد زمانه في الفقه والأصول، وهو عاكف على مهنته لم يتركها، وصار الناس يأتونه في محله يسألونه عن مشكلات المسائل والوقائع فيجيبهم بما يعجز عنه فحول العلماء، فانقطع الناس عن المفتي من آل العمادي، فساء ذلك العماديين وآلمهم، فتربصوا بالشيخ وأضمروا له الشر، ولكنهم لم يجدوا إليه سبيلاً، فقد كان يجيئ من عمله، ويجيئ الناس بعلمه، كان يشتغل بالخياطة وفي نفس الوقت يفيد الناس، وكان يمر كل يوم في دار العماديين الذين كانوا محتكرين الفتوى في القيصرية وهو على أتان - وهي الحمارة - له بيضاء، فيسلم فيردون عليه السلام، فمر يوماً كما كان يمر فوجد على الباب أخاً للمفتي فرد عليه السلام، وقال له ساخراً: إلى أين يا شيخ؟ أذهب أنت إلى اسطنبول لتأتي بولاية الإفتاء؟! يسخر منه، لأنه في السابق كان يعين المفتي بمرسوم من اسطنبول، وضحك من حوله، أما الشيخ فلم يزد على أن قال: إن شاء الله،

وسار في طريقه حتى إذا ابتعد عنه سار في الأزقة، حتى عاد إلى داره فودع أهله وأعطاهم نفقتهم، وسافر إلى مكان مجهول، وما زال يفارق بلدًا ويستقبل بلدًا، حتى دخل القسطنطينية، فنزل في خان قريب من دار المشيخة، وكان يجلس على الباب يطالع في كتاب أو يكتب في صحيفة، فيعرف الناس من زيه أنه عربي، فيحترمونه ويحلون به، ولم يكن الترك قد جنوا اللجنة الكبرى بعد، فكانوا يعظمون العربي؛ لأنه من أمة الرسول الأعظم ﷺ الذي اهتموا به، وصاروا به وبقومه ناسًا، واتصلت أسباب الشيخ بأسباب طائفة منهم، فكانوا يجلسون إليه يحدثونه، فقال له يومًا رجل منهم: إن السلطان سأل دار المشيخة عن قضية حيرت علماءها ولم يدروا لها جوابًا، والسلطان يستحثهم وهم حائرون، فهل لك في أن تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب، قال: نعم، قال: سر معي إلى المشيخة، قال: باسم الله، ودخلوا على ناموس المشيخة -الذي يسمى الآن السكرتير- فسأله الشيخ إسماعيل عن المسألة، فرفع رأسه فقلب بصره فيه بازدراء؛ لأنه يلبس ملابس رثة، وكأنه يقول: هذا الفقير جاء يريد الجواب عن السؤال الذي عجز عنه شيوخ الإسلام في دار الخلافة! ولم تكن هيئة الشيخ بالتي ترضي، ثم ألقاها إليه الموظف وانصرف إلى عمله، فأخرج الشيخ نظارته، فوضعها على عينه، فقرأ المسألة، ثم أخرج من منطقتة الدواة النحاسية الطويلة التي كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة، والدفاع عن النفس -القلم كان كبيرًا قويًا يستعمل في الكتابة وفي الدفاع عن النفس- فاستخرج منها قصبه فبرأها، وأخذ المقطع فقطعها، وجلس يكتب الجواب بخط نسخي جميل، حتى سود عشر صفحات ما رجع في كلمة منها إلى كتاب، بل من ذاكرته، ودفعها إلى الناموس، ودفع إليه عنوان منزله وذهب، فلما حملها الناموس إلى شيخ الإسلام وقرأها كاد يقضي دهشة وسرورًا، وقال له: ويحك! من كتب هذا الجواب؟ قال: شيخ شامي من صفته كيت وكيت، قال: علي به، فدعوه وجعلوا يعلمونه كيف يسلم على شيخ الإسلام، وأن عليه أن يشير بالتحية واضعًا يده على صدره منحنيًا، ثم يمشي متباطئًا حتى يقوم بين يديه، إلى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة التي نسيها الشيخ ولم يحفظ منها شيئًا، ودخل على شيخ الإسلام فقال له: السلام عليكم ورحمة

الله، وذهب فجلس في أقرب المجالس إليه، وعجب الحاضرون من عمله! ولكن شيخ الإسلام سر بهذه التحية الإسلامية، وأقبل عليه يسأله، حتى قال له: سألني حاجتك؟ قال: إفتاء الشام وتدریس القبة، قال: هما لك، فاغد علي غداً، فلما كان من الغد ذهب إليه وأعطاه فرمان التولية، ومعه ألف دينار، وعاد الشيخ إلى دمشق، فركب أتانة وسار حتى مر بدار العماديين، فإذا بأخي المفتي الذي كان يسخر منه على الباب فسخر منه كما سخر، وقال: من أين يا شيخ؟ فقال الشيخ: من اسطنبول، أتيت بتولية الإفتاء كما أمرتني، ثم ذهب إلى القصر فقابل الوالي بالفرمان، وسلم الشيخ عمله في حفلة حافلة. همم الرجال إذا مضت لم يثنها خدع الشناء ولا عواد الذام أي: أن الهمم العالية لا يثنها ولا يثبطها ولا يجبطها خدع الشناء، فالمدح لا يغيرها، حتى تصل مرحلة الانتفاع، (ولا عواد الذام)، يعني: ولا نوائب الذي يعيب ويحتقر. ومن هذا الباب: قصة الشيخ علي كزبر! وقد كان خياطاً في سوق المسكية على باب الجامع الأموي، فكان إذا فرغ من عمله ذهب فجلس في الحلقة التي تحت القبة فاستمع إلى الشيخ حتى يقوم فيلحق به ويخدمه، وكان الشيخ يعطف عليه لما يرى من خدمته إياه، فيشجعه ويحثه على القراءة، فقرأ ودأب على المطالعة حتى صار يقرأ بين يدي الشيخ في الحلقة، ولبت على ذلك أمداً وهو لا يفارق دكانه ولا يدع عمله، حتى صار مقدماً في كافة العلوم، فلما مات الشيخ حضر في الحلقة الوالي والأعيان والكبراء ليحضروا أول درس للمدرس الجديد؛ فافتقدوا المعيد فلم يجدوه، ففتشوا عليه فإذا هو في دكانه يخيط، فجاءوا به فقرأ الدرس وشرحه شرحاً أعجب الحاضرون وطربوا له، فعين مدرساً، ولبت خمسة عشر عاماً يدرس تحت قبة النسر، وبقيت الخطبة في أحفاده إلى اليوم. وكان هذا مروراً عابراً مختصراً؛ لأن الكلام في هذا الموضوع أوسع من هذا بكثير، لكن أردت أن أعجل بهذه الوصية قبل أن يبدأ العام الدراسي؛ لأننا نسمع بمذابح ومجازر لهمة الأطفال، وبالتحقير والتشنيع، وإن شاء الله عما قريب أرجو أن نصل بهذه النصيحة إلى المدرسين حتى يتقوا الله في مستقبل المسلمين المتمثل في أبنائهم وطلابهم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

التسريط التامس

رفقاً لأبيها المرزبي

التربية الإسلامية وأهميتها للأمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد: فإن التربية الإسلامية ربانية المصدر، عالمية الشمول، ثابتة الأصول، مرنة التطبيق، تشمل ميادين الحياة الدنيا وكذلك الحياة الآخرة في توازن واعتدال، فهي تُعد الإنسان لعبادة الله تبارك وتعالى حق عبادته، وعمارة الأرض وخلافتها، وفق منهج رضيه الله لعباده، واختاره لهم، تلك التربية التي تؤصل العقيدة في النفوس، وترسخ الإيمان في القلوب، وتحبب شرع الله ﷻ إلى عباد الله. إلا أن الأمة الإسلامية لما بدأت تتطفل على غير المصادر الإسلامية، أو تطلب الخير من غير ما أنزل الله ﷻ، وابتعدت عما أوحاه الله إلى نبيه ﷺ؛ انهمكت في تقليد ومحاكاة الأمم الكافرة، فبقدر ما عبت ونهلت من هذه المنابع الأجنبية بقدر ما حصل من الخلل في التربية الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي. وهذا الأمر انعكس بلا شك في العمليات التربوية، ونرى آثاره واضحة في بعض المؤسسات التربوية في العلاقة بين المعلمين والمتعلمين، حيث نرى عدم التوافق وعدم الانسجام، نرى عدم الاحترام، نرى أن الصغير لا يحترم الكبير، وأن الكبير لا يرفق ولا يرحم الصغير، فصارت التربية في مجتمعنا -خاصة في هذا الزمان- تسير باتجاه مخالف لذلك الاتجاه الذي كان عليه سلف الأمة الصالحون، فالتربية صارت عديمة الجذور، تنزوي بسرعة، وتجتاحها أخف الرياح وأقل الأمطار، مثل البناء المقام على أرضية رخوة ينهار لأدنى عامل مضاد؛ وذلك لأن المناهج التربوية الغربية في قسم كبير منها غير موصولة بخالق هذا الإنسان الذي قال تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٤]، فالله ﷻ هو الذي خلق هذا الإنسان، وهو الذي يعلم ما يصلحه وما يفسده كي يجتنبه، فإذا طالعنا الصحف كم نرى من الأخبار المؤذية والسيئة

التي تعكس انهيار الجانب التربوي في المجتمع.. حوادث مؤسفة يصل فيها الأمر إلى اعتداء الابن على أبويه، أو قتل الأب لابنه، أو مدرس يضربه التلاميذ... إلخ، ونحو ذلك من الحوادث الأليمة المؤسفة، وما ذاك إلا لبعدها عن هدي منهجه ﷺ الذي هو خير الهدي، وبسبب بعدنا عن الاستفادة منه في معالجة تجاوزات الطلاب.

مبدأ الرفق في التربية وأثره

مبدأ الثواب والعقاب مبدأ أساسي جدًّا، ومبدأ في غاية الأهمية، ولا يمكن أن تتم أي تربية بغير الثواب والعقاب، أو بغير الترغيب والترهيب، لكن بعض الناس يسيء فهم بعض النصوص، خاصة مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام: «وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ»^(١٤٨)، فيتصرف في تطبيق هذا الحديث، فنجد الضرب منذ الثلاث سنوات والأربع، وعلى أمور في غاية البساطة، إن أهم أمر في الدين بعد التوحيد هو الصلاة، فإذا كان لا يضرب على الصلاة حتى سن العاشرة، فما بالك بما دون الصلاة؟! وما بالك بدون ذلك السن بكثير؟! فنجد الضرب أول وسيلة، ولا يشعر الأب أو المربي بالتقصير لأنه يستند إلى فهمه المنحرف لحديث النبي ﷺ! الرفق في العملية التربوية مفيد جدًّا لكثير من الناس، سواء في المساجد أو المنازل أو المدارس؛ ولذلك فإن المربي لا يمكن أن يندم أبدًا إذا ترك الرفق بخلاف ما إذا سلك طرقًا أخرى، فكثيرًا ما يندم بسبب عواقبها السيئة. إننا نشبه موضوع الرفق مع المربي بحزام الأمان في السيارة، فسائق السيارة يحزم به نفسه حتى إذا ما اصطدمت السيارة فجأة بشيء أو وقع حادث مفاجئ، فإنه لا يخرج منها بدافع القصور الذاتي، وإذا وقفت السيارة بسبب صدمة شديدة فالمفروض أن الجزء الأعلى من السائق ينصدم في الزجاج، كما يحدث في الحوادث المعروفة، فأخذ هذا الإجراء الوقائي مطلوب، حتى إذا ما حصل حادث مفاجئ فإن الحزام من طبيعته أنه يحجز الإنسان عن الاندفاع

(١٤٨) سنن أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، (حسنه الألباني).

للأمام، وتجد أن هذا الحزام إذا سحبته برفق فإنه يسير معك، أما إذا سحبته بشدة فإنه يعاند ويشاكس ولا يتحرك، وهكذا إذا أردت ثمرة جيدة للتربية فلا تعدل عن الرفق أبداً، ولا تستبدل به أي وسيلة أخرى. الرفق هو البداية وهو الأصل، فلذلك تجد الطفل -في الغالب- تكسبه إذا رفقت به، أما الشدة فإنها تستخرج منه العناد استخراجاً، وتوجد كثيراً من الآثار السلبية فيما بعد.

الآثار السلبية للعقاب البدني في التربية

إن القفز من التدرج المعروف في العلمية التربوية أو التوجيهية إلى عملية المعاقبة والضرب أو العنف هو اعتراف بالفشل، ولذلك نجد الكاتب سلمان العمري له مقالة في المجلة العربية عنوانها: العقاب البدني، هل هو أبغض الحلال إلى المربين؟ عنوان يحمل معان جميلة جداً في الحقيقة، فالطلاق حلال، ويباح في كثير من الأحوال، لكن هل معنى ذلك أن أي مشكلة يواجهها الزوج مع زوجته يفزع إلى الطلاق؟! الطلاق حلال، لكن هل يفزع إليه كأول حل؟ لا، آخر العلاج الكي والبت، لكن لا بد أن يواجه الإنسان المشاكل بطريقة متدرجة، حتى الضرب الذي ورد في القرآن له عملية تدرج وشروط وضوابط.. إلى آخره. فما بال بعض الناس يقصدون مباشرة إلى العنف والشدة مع ما لذلك من آثار جسيمة وخطيرة تنعكس على الأسرة والأبناء؟! يقول أحد الباحثين: إن لجوء الوالد أو المدرس إلى العقاب يعتبر اعترافاً بالهزيمة، لماذا يلجأ إليها فوراً من أول خطوة؟ لأنه في الحقيقة ينسى أن العقاب هو عملية تربوية، فيحول العملية التربوية إلى عملية انتقام وتشفي، وإهدار للقاعدة التي دائماً نكررها: (طفلك ليس أنت). معظم الأخطاء التربوية التي تحصل، وكثرة النقد والعنف والشدة التي تنشأ، هي بسبب أنه يجعل عقله مثل عقل الطفل سواء بسواء، ويوازي خبرته بخبرة الطفل، وفهمه بفهمه، وكأنها أمام ند، لو أنه تفكر قليلاً سيجد أنه ليس ندًا! هذا المسكين هو طفل صغير وليس شخصاً كبيراً، حتى لا يوجد هناك تكافؤ عضلي أو جسدي، فهل من المروءة والقوة أن تضرب طفلاً أو تلميذاً بهذا العنف لأنك أكبر منه؟! ولذلك تجد الطالب المراهق إذا عومل بهذه المعاملة، وعنده عضلات وهو قوي،

ربما يضرب المدرس؛ لأنه يجد لديه إحساسًا بالكفاءة، وأن له القدرة على ضربه، أما الطفل المسكين فماذا يعمل؟ وكيف يدافع عن نفسه؟ وهكذا رجل يضرب امرأة، فهل هذه مروءة؟! عندما يضرب إنسان امرأة بغاية العنف وغاية القسوة، كأنه يصارع ملاكمًا؛ هذه دناءة وخفة عقل وقلة مروءة، لماذا تستعرض عضلاتك على امرأة؟! هل هذا هو الضرب الذي ورد ذكره في القرآن؟! هذه قضية ناقشناها من قبل بالتفصيل، وإذا كانت هناك فرصة ناقشناها أيضًا، وهذه قضية مهمة، وينبغي أن نفهم هذا الموضوع بطريقة صحيحة، لكن لا يمكن أن الشرع يبيح أن تضرب المرأة ضرب غرائب الإبل، أو ضرب العبيد، بهذه الطريقة التي يتصورها بعض الناس. فالشاهد أن العقاب عند بعضهم يتحول من عملية تربوية إلى عملية تشفي، صدره يغلي من خطأ ارتكبه هذا الطفل، أو هذا الصبي، فيفزع إلى الضرب وهو في غاية العصبية لأجل الضرب وليس التربية، هدفه أن يشفي غليله، ويطفى نار الثورة في قلبه، فيظل يضرب إلى أن تهدأ ناره، ويهدأ هو؛ فيطلق هذه الشحنة في جسد هذا الصبي بالضرب والتعذيب الذي يحصل! وبالتالي يمكن أن يكسر له عظمًا، أو يسبب له العمى كبعض الحوادث، أو يكسر له بعض أطرافه كيداه كما حصل في حوادث كثيرة جدًا نتيجة إيذاء الأطفال، وبسبب أن الهدف ليس الهدف التربوي، هو لا يضرب لمصلحة الطفل، ولكنه يضرب لكي يشفي غليله. الشرع الشريف يمنع المربي أن يعاقب بالضرب وهو غضبان، وهذا أهم شرط: أنه لا بد أن يكون المربي في غاية الاتزان والرزانة والهدوء بحيث يوقن أن الطفل سوف ينتفع بالعقاب، وأن الهدف هو معالجته ومداواته، وتحسين خلقه أو أدائه، ليس الهدف الانتقام، هناك فرق كبير، فلا نحتج بالنصوص الشرعية ونحن منحرفون عن الشرع في تطبيق هذا الأمر؛ لذلك كان عمر بن عبد العزيز رحمته الله إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه وتوقف ثلاثة أيام، إلى أن تهدأ أعصابه ثم يصدر الحكم عليه وهو خال من الغضب والثورة، وحتى يضمن أن عنصر التشفي وشفاء الغليل غير موجود عند إصداره هذا الحكم. فلماذا نفزع إلى اختصار الطريق بالضرب؟ لأننا نفشل في الأساليب

الحقيقية في مواجهة المشاكل، ولا نسلك المسالك التربوية الصحيحة؛ لذلك يقول بعض الباحثين في بحث بعنوان: (الحب أولى من العقاب): إنك تستطيع أن تعالج اعوجاج الطفل بالمحبة والعطف والحنان، ويأتيك بثمار أعظم بكثير جداً مما تتوقعه من العقاب الذي ربما يأتي بأضرار كثيرة يقول: إن لجوء الوالد أو المدرس إلى العقاب يعتبر اعترافاً بالهزيمة، مؤداه: أنه لم يتمكن من تحقيق أغراضه باستعماله أي وسيلة أخرى، أي: أنه عجز عن توجيهه وجهة حسنة، أو معاونته على تنفيذ ما يتوقع منه بأي طريقة أخرى. لذلك فإن استخدام العقاب ما هو إلا مبرر للفشل، وعدم وجود ما يقوم مقامه لدى المربي معناه: أن جعبة هذا المربي خاوية، وليس عنده علم، ولا خبرة، ولا حكمة، لا بشرع، ولا بآداب شرعية، ولا حتى بآداب تربوية يتفق عليها العقلاء أجمعون؛ ولذلك لجأ إلى آخر وسيلة وهي العنف والشدة؛ لأنه عاجز عن أن يستخدم الوسائل التربوية الأصلية.

الآثار النفسية للعقاب البدني

يوضح بعض المربين أن استخدام العقاب له آثار خطيرة في نفسية الطالب فيقول: ولا يمكن أن يؤدي معه هذا العقاب إلى نتيجة ما. هذه هي طريقة العقاب التي يسلكها بعض المربين أو المدرسين، وكان فيما مضى -للأسف الشديد- يستعملها محفظو القرآن الكريم، ونسمع عن بعض المشايخ أنه كان يضرب بعنف، وبعض المشايخ الكبار عندما يقصون علينا مثل هذه الذكريات يقول: ربنا لطف، وكانت سليمة! ثم يأتي الأب ويقول: نحن تربينا بالطريقة هذه، وكنا على خير خلق. هذا خطأ كبير، لطف الله ﷻ أن نجى ابنك من عواقب هذا الأمر، أو أنك نجوت منه، وليس معنى أنك تعرضت لنفس الأسلوب من آباءك أنه أسلوب صحيح. وهذه من أخطر المزالق في الناحية التربوية: أن الإنسان دائماً يقدس ما كان عليه الأبوان، بما أن أبي رباني بهذه الطريقة لا بد أن تكون هذه هي أفضل طريقة على الإطلاق؛ فيكررها مع أبنائه! فالشاهد أن الكثير من المشايخ في تحفيظ القرآن كان يضرب ضرباً شديداً، ويحكي بعضهم كيف ضربه الشيخ حتى سال الدم على وجهه وثيابه؛ لأن الشيخ ضربه بعصا غليظة على رأسه، ويفخر بوسام شرف موجود في رأسه من

أثر هذا الضرب! وهناك أناس من ضحايا هذا الأسلوب التربوي الذين اتجهوا بعد ذلك الاتجاه العلماني، وكتبوا عن هذه الذكريات الأليمة، وأنها كانت السبب في انحرافهم، مثل: طه حسين، حتى سيد قطب رحمته الله كان في (كُتَاب) في القرية، وحكى عن نفسه بنفس طريقة طه حسين، وذلك قبل أن يتجه الاتجاه إسلامي، فكان يحكي الذكريات، وما كان يفعله الشيخ، ويتندر من تصرفات بعض المحفظين فيما مضى. وأنا أركز على هذه الوقفة لأني أسمع أن بعض المحفظين ما زال يستعمل نفس الأساليب مع بعض الأطفال، وأطفال اليوم في حاجة إلى معاملة دقيقة جداً؛ لأنهم يختلفون اختلافاً شديداً عن الأجيال الماضية. يقول بعض الباحثين: ولا يمكن أن يؤدي معه هذا العقاب إلى نتيجة ما؛ سوى أن يجعله يحقد على المدرسة، ويتمرد على أهله في سبيل الحضور إليها، ويكره الذهاب إلى المدرسة، وهذه نراها بالذات في الأطفال الصغار في سن الحضانة أو بعدها بقليل، لا يريد أن يذهب إلى المدرسة، ويعاند، وفي كل يوم يصنع مشكلة كبيرة من أجل ألا يذهب إليها؛ وعندما تبحث في الأسباب تجد أن مدرساً يسيء معاملته أو يضربه أو يهينه... إلى آخره؛ فيكره الذهاب إلى المدرسة، وهذا بلا شك مما يحطم مستقبله، ويؤدي به في النهاية إلى حياة التشرذم، فهذا خلل في التربية، ويسبب أن الأم تحرم من أعز ما تملك من طاقتها؛ لأن عزتها مرهونة بتربية أبنائها التربية السليمة. فركنا العملية التعليمية هما: المربي والمربي، المدرس والتلميذ، الأب والابن، أو الأم والابن، فإذا ساءت العلاقة بين الركنين الأساسيين في العملية التربوية فإن هذا بلا شك سوف يحدث لها الفتور والتوتر والتمزق؛ وبالتالي تنتهي العملية التربوية. الآن الطلبة في المدارس الثانوية -لما زال الاحترام بين المدرس والطالب- نسمع عنهم أشياء تشيب لها الرءوس، ويشيب لها الشعر مما يفعله الطلبة مع المدرسين، وأحياناً يكون المدرس هو المسئول؛ لأنه لم يجعله يحترمه، نتيجة عدد من التصرفات المعروفة، في الأجيال الماضية التلميذ كان إذا رأى المدرس في الشارع يجري حتى لا يجتمع معه في الشارع، أو يهرب أو يدخل في بيت إلى أن يمر المدرس. الآن الله المستعان! نسمع أشياء لا

تكاد تصدق أنه وصل التدهور في العلاقة بين هذين الركنين الأساسيين في العملية التربوية إلى هذا المستوى. فمن أسوأ آثار العنف: الهروب من المدرسة أو التغيب عنها، ومن الممكن أن تكون هناك صدمات نفسية للأطفال تسبب لهم عقداً في حياتهم، أو بسبب حدوث مصادمات مع المدرسين. أيضاً: إذلال الطفل وإحساسه بالذل والهوان والحقارة، وتعريض شخصيته لكثير من الانحراف الخطير، والاضطراب الأليم، فالعقوبة البدنية بالصورة التي تحصل لا تجدي شيئاً، وتضر بالطالب، وتكون النتيجة بغض الطالب لمعلمه، ولو بغير إرادته وشعوره. يمكن ألا يعبر صراحة عن هذا البغض، إلا أنه يظهره في صورة مقاومة التعليم وكراهية المدرسة، وبالتالي تنهدم علاقة الثقة والمحبة التي ينبغي أن تكون بين المعلم وبين طلابه، فالعقاب يؤدي إلى أن الطالب يشعر بفقدان الأمن. أعرف بعض المدرسين كان مميّزاً جداً، كان يأتي إلى الطالب وهو يتسّم، وبمنتهى الهدوء، وفجأة يصفعه صفقة شديدة على وجهه إلى أن يسقط على الأرض من هذه الصفعة! ويصبح حينها كل طالب متوتر يرى أنه سيفاجئ بنفس العمل في المرة القادمة، لأن هذا السلوك فيه من العدوان ما يذهب الشعور بالأمان، فيتكون عند من حضر عدم الأمن وكراهية الآخرين، وينمو فيه شعور بالمقاومة والكذب والخاوف.. إلى غير ذلك من العادات الذميمة. فالجو المشحون دائماً بالانفعال والتوتر له أسوأ الأثر على الشخصية في سنوات الطفولة والمراهقة؛ لأن هذه المرحلة في غاية الحساسية. المرحلة التي يوضع فيها أساس الشخصية من سن الطفولة الباكرة إلى سن الثامنة عشرة تقريباً، وبعدها يصعب جداً أي تعديل إلا إذا شاء الله، لكن هذه هي فترة التكوين، بعض الناس يقول: إن في الخمس السنوات الأولى تكون النسبة العظمى من تكوين الشخصية ووضع أساسها والباقي يكون إلى هذا السن الذي أشرنا إليه، فإذا حصل خلل في هذه الفترة فسيؤدي إلى الاضطراب النفسي والانفعالي والاجتماعي، ويمكن أن يؤدي إلى معاناة وليست معاناة على المستوى الفردي بل يمكن أن يكون هذا الشخص عدواً للمجتمع بعد ذلك، أو مضاداً للمجتمع، ويبدأ يؤذي الآخرين بارتكاب الجرائم مثلاً.

علاقة التربية بالعبادة

من أجل الأشياء في التربية الإسلامية: أن هذه الأمور تدخل في حيز العبادة، أي: أن المنهج التربوي الإسلامي عبادة، وليس مجرد منهج فكري نظري أو منحني من المناحي، بل هي عبادة، والإنسان مطالب بأدائها على أكمل وجه كما سنين ذلك من القرآن الكريم، ومن سنة النبي ﷺ. يقول ابن خلدون رحمه الله في مقدمته: فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، وذلك أن إرهاق الجسد في التعليم مضر بالتعليم، سيما في أصغر الولد؛ لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر، وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له. هذه الخبرة التربوية الموجودة في كتابات المؤلفين من المسلمين، تعكس توترهم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية، وخبرتهم ودرايتهم بالأساليب التربوية الملائمة في التعامل مع المتعلمين. وهذا أبو حامد الغزالي رحمه الله يقول في وظائف المعلم: أن يزرع المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ. وهذا مأخوذ من السنة النبوية الشريفة، فإن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يواجه أحداً في وجهه بالنقد المباشر، إنما كان يقول: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذًا وَكَذًا»^(١٤٩)، دون أن يجرج الذي فعل هذا الشيء، فهذه من الأساليب التربوية الرائعة، وهي التعريض؛ لأن التوبيخ المباشر يهتك حجاب الهيبة، ولن تبقى هناك هيبة بين المربي وبين الطالب أو الابن، ومتى هتك حجاب الهيبة فسيكون الأثر في المرة الأولى فقط، وبعد ذلك يصبح الولد مثلاً يدخن، وانتهى الموضوع بمرور الصدمة الأولى، ثم يتطور الأمر، ويصبح التدخين أمام أبيه أو نحو ذلك من هذه

(١٤٩) سنن أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها (صححه الألباني).

السلوكيات أمراً عادياً، فدائماً ما أمكن الوصول إليه عن طريق التعريض وعدم التصريح والمواجهة المباشرة كلما كان أفضل وأعون للابن على عدم العناد، وبالذات المراهق؛ لأن المراهق لا بد من الحساسية الشديدة في التعامل معه، وأقرب طريق هو الإقناع والحوار، مع الحب والحزم والعطف، فالإقناع والحوار ضروري، ولا تلغي شخصيته، ولا تعامله دائماً على أنه هو الطفل الذي كان بالأمس، لا، هو الآن في مرحلة يريد أن يحقق ذاته، ويعترف له بالرجولة، ولو كانت فتاة فيعترف بأنها صارت ناضجة ولم تعد طفلة، فبالتالي لا بد أن تتغير المعاملة، وتواكب المعاملة التغيرات التي تحصل فيه؛ لأنه سينمو غضباً عنك، وسيظل ينمو نفسياً واجتماعياً وعقلياً شئت أم أبيت، فبالتالي لا بد أن تتغير المعاملة حتى لا تحصل عواقب غير حميدة. إذًا: الغزالي يرى أن من وظائف ودقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ؛ لأن التوبيخ المستمر والنقد اللاذع الذي لا يتوقف على كل سلوك وكل تصرف يرشح الصغير بعد ذلك بكثير من الأمراض النفسية الخطيرة، والتي تنشأ غالباً بسبب عائلة نقادة، كل تصرف منه ينتقد ويعلق عليه، ويوبخ، ويحقر، فيكون الحصاد: أن تدفع كل الأسرة الثمن، وتحصل أمراض ليست بالهينة.

تربية الأنبياء لأقوامهم

إن النبي ﷺ ترك هذه الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا وحذرنا منه ﷺ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في كل شيء من الأمور، سيما هذه القضية التي نتناولها، وهي قضية الرفق بمن يربيه الإنسان، وليس هذا فحسب، بل هذا طريق سلكه من قبل النبي ﷺ إخوانه الأنبياء والمرسلون، فهذا نوح عليه وعلى نبينا عليه الصلاة والسلام يقول لقومه: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٢﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ [الأعراف: ٥٩] انظر بماذا بدأ؟ ﴿١﴾ يَتَقَوْمِ ﴿٢﴾، أصلها: يا

قومي، فهو ينتمي إليهم، ويبين لهم أنه منهم، وأنه حريص عليهم ومشفق بهم، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩] انظر الشفقة! إني أخاف عليكم، وأنت لا تخاف إلا على من تحبه وترجو له الخير، وهذا من رفق نوح عليه السلام في الدعوة؛ حيث خاف عليهم من العذاب الأليم، والشقاء السرمدي. وكذلك أيضًا نلاحظ موسى وهارون عليها وعلى نبينا الصلاة والسلام كيف واجها أعتى وأشد جبابرة الأرض، وهو فرعون الذي طغى وتجبر حتى وصل به الأمر إلى ادعاء الألوهية، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨]، وهذه الآية يستدل بها على مسألة من مسائل العقيدة وهي: أن الله فوق خلقه، عالٍ عليهم؛ لأن موسى عليه السلام لا بد أنه أخبر فرعون أن الله في السماء، فرد على ذلك بقوله لوزيره: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨] ابن لي بناءً عاليًا جدًا ﴿٥﴾ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَأَنْظُرْ، هل موسى صادق أن هناك إلهًا في السماء ﴿٦﴾ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾. الشاهد: مع عظم الجرم الذي ارتكبه فرعون، وما واجه به موسى وهارون عليها السلام، ومع ذلك فإن الله ﷻ أمر موسى وهارون إذا أتيا فرعون أن يخاطباه باللين وأن يترفقا به. إذًا: الشدة والغلظة سلوك مناف للسلوك الإسلامي القويم، وبعض الناس يظن أن هذا من الحماس للدين، ومن النصرة لله ورسوله، لا، أنت لا تتنازل عن الحق، لكن عامل هذا الإنسان بشفقة وبرحمة كي ينجو من عذاب الله تبارك وتعالى، كالطبيب الذي يعالج الناس بالدواء، والدواء قد يكون في غاية المرارة، لكن

يخلط بأشياء حلوة المذاق حتى يستسيغ المريض الدواء وينفعه، ونفس الشيء التلطف في العبارة، مع عدم التنازل عن الحق، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٣: ٤٤] هل هناك دليل أعظم من طغى ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٣: ٤٤] هل هناك دليل أعظم من هذا في أهمية الرفق؟! فرعون الذي قال: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا أَمْلًا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي الْفَيْسَ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨] وقال: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٤﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ [النازعات: ٢٤] والذي فعل ما فعل؛ يرسل الله إليه نبين كريمين ويقول لهما: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٤﴾ فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ [طه: ٤٤]. يقول القرطبي رحمته: فإذا كان موسى عليه السلام أمر بأن يقول لفرعون قولاً لينا فمن دونه أخرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف. يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حصل له الكيد والأذى من أعز الناس وأقربهم إليه، من إخوته، إلى أن وضعوه في البئر، ثم بيع بعد ذلك، وهذا البيع اقترن به نفي إلى مصر، وابتعد عن أبيه، ولحق أباه الحزن الشديد حتى كف بصره عليه السلام، وسجن يوسف عليه السلام بضع سنين، وحصل له الأذى، وكان المتسبب في ذلك إخوته، مع ذلك ضرب أسمى الأمثلة في الإحسان وحسن الخلق، وكمال العفو والصفح، حيث قال لإخوته قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٩٢] لا لوم ولا عتاب، ولا توبيخ، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ [يوسف: ٩٢] أي: (قال لهم يوسف كرماً وجوداً): ﴿٩٢﴾ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿٩٢﴾، أي: لا أثرب عليكم ولا ألومكم؛ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فسمح لهم سراحاً تاماً من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا في

نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين. وجميع الأنبياء إذا استعرضنا سيرهم سوف نجد أن جانب الرفق واللين والرحمة استعملوه بكثرة مع قومهم، وهذا سيد الأولين والآخرين ﷺ يضرب أروع الأمثلة في تربية أصحابه رضي الله عنهم، يقول الله سبحانه تعالى في وصف رسوله: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فِيمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فَبِمَا رَحْمَةٍ أَي: رحمة عظيمة لهم كائنة من الله، ﴿ لَئِن لَّهُمْ ﴾ كنت معهم لين الجانب، وعاملتهم بالرفق والتلطف، حيث لنت لهم بعدما حصل من مخالفة أمرك، وإسلامك للعدو، وكان هذا في غزوة أحد ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾. وقال تعالى في بيان صفات النبي ﷺ: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال صلوات الله وسلامته عليه لعائشة رضي الله عنها: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»^(١٥٠) وقال صلواته عليه: «مَنْ أُعْطِيَ الرَّفْقَ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ الرَّفْقَ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»؛ فانظر كيف ربط الحصول على الخير بمبدأ الرفق؛ لأن من أراد الخير فلن يحصل عليه إلا بالرفق، فهذا من مكارم الأخلاق ومن معالي الأمور. ولذلك بلغ تعظيم أمر الرفق إلى أن قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا

(١٥٠) سبق تخريجه.

فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ وَمَنْ وَليِّ مِنْ أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفُقْ بِهِ»^(١٥١) أي شخص يلي أمر أحد من الأمة سواء كان مدير مدرسة.. مدرّساً.. أباً مع أبنائه.. حاكماً مع رعيته.. وهكذا أي إنسان استرعاه الله ﷺ على أحد من أمة محمد ﷺ ينبغي أن يرفق بالمسلمين، حتى يدخل تحت دعوته ﷺ، وينجو من الدعوة عليه على لسان خير البشر ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَليِّ مِنْ أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ وَمَنْ وَليِّ مِنْ أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفُقْ بِهِ» وعن عمر بن أبي سلمة قال: «كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ بِيَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»^(١٥٢)، فلم ينهره ولم يعنفه ولم يزره، بل أمره برفق ولين وعطف مستخدماً أسلوب النداء «يَا غُلَامُ»، ففيه ألفة وقرب ورحمة مع أنه أخطأ، مع أنه حاد عن آداب المائدة وآداب الطعام، لكن مع ذلك انظر كيف رفق به وعلمه ﷺ، وقد بوب الإمام مسلم ﷺ فقال: باب: جواز قوله لغير ابنه: يا بني. واستحبابه للملاطفة، يجوز للإنسان أن يقول لمن ليس ابناً له من صلبه. يا بني. تلطفاً به وتودداً، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا بُنَيَّ»، وهذا هو الشاهد، وقال النووي ﷺ: في هذين الحديثين جواز قول الإنسان لغير ابنه ممن هو أصغر منه سنّاً منه: يا بُنَيَّ ويا ولدي. وهذا معناه: التلطف كأنه عندك بمنزلة ولدك في الشفقة، ويقول لمن هو في مثل سن المتكلم: يا أخي! وهذا نوع من التلطف والتودد لنفس هذا المعنى.

مواقف من رفق النبي بأمته

نذكر قصة النبي ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد أمام الرسول ﷺ وأمام أصحابه ظناً منه أن أرض المسجد مثل أرض الصحراء والفضة التي عاش فيها، ويعمل فيها

(١٥١) صحيح مسلم، مسند أحمد من حديث عائشة ﷺ.

(١٥٢) متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة ﷺ.

ما يشاء، فبال في المسجد، فقام عليه الصحابة رضي الله عنهم ليزجروه ويمنعوه، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم نهاهم ومنعهم وقال: «لَا تُزْرِمُوهُ»^(١٥٣) أي: لا تقطعوا عليه هذا الذي يفعله، وحال بينهم وبين أذية هذا الأعراي، وتركه حتى فرغ من قضاء حاجته في المسجد، وعالج الموقف الطارئ بأحسن علاج وأكمل منهج كما سنينه إن شاء الله تعالى. كذلك ضاقت عليه صلى الله عليه وآله وسلم مكة بأوديتها وسهولها وجبالها؛ بسبب سفهاء قريش الذين أسرفوا في إيذائه والصد عن دعوته، ولم يجد بداً إلا أن يخرج إلى الطائف لعله يجد من ينصره؛ لكي يبلغ رسالة ربه، ويجد المؤازرة والدفاع، فلم يظفر بشيء من هذا، بل وجد الأذى والتهكم والطرده بالحصى والحجارة، حتى دميت عقباه صلى الله عليه وآله وسلم، وتلطخت نعلاه بالدم، وسال دمه الزكي على أرض الطائف صلى الله عليه وآله وسلم، لقي كل هذا من سفهاء الطائف وعبيدهم وعلماهم وأطفالهم، ثم غادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطائف وهو مهموم النفس مكلوم الفؤاد؛ فلم يستفق إلا وهو في قرن الثعالب، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة، فرفع رأسه فإذا هو بسحابة قد أظلتهم، يقول عليه الصلاة والسلام: «فَنظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلِكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ» الأخشبان جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله، ولو أطبقا عليهم لهلك أهل مكة أجمعون «إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١٥٤). تأمل هنا: هل توجد القدرة على الانتقام أم لا توجد؟ توجد حتى أنه ضامن أن الله تعالى راض عما يفعل؛ لأن الله أجاز له ذلك لما أرسل جبريل وملك الجبال معه، فبلا شك أنه يباح له الانتقام، بعض الناس ينتقم

(١٥٣) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١٥٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

شفاء لغليلة، ويعرف أن الانتقام محرم عليه، لكن هنا هو مطمئن تماماً أنه لا وزر عليه أبداً في الانتقام، وقادر على الانتقام، وأمره لا يرد؛ لأنه من الله ﷻ بتسخير الملائكة، كان يقدر أن يرد اعتباره عن هذه الأذية التي تعرض لها من العبيد والغلمان في الطائف والأشرف حتى ضربه بالحجارة حتى دميت قدماه، وأصابه ما أصابه ﷺ، فالأسباب والدوافع للانتقام موجودة، ووسيلة الانتقام مضمونة تماماً، وهناك حاجة موجودة إلى رد الاعتبار وإلى شفاء الصدر من الكفار، ولكن الرحمة والشفقة في صدر نبي الله ﷺ للناس عموماً، ورفقه حتى بالذين يعاندونه موجود حتى أنه غلب جانب الانتقام والبطش ﷺ. إذاً: الأذية موجودة، للنبي عليه الصلاة والسلام وهو من هو، والاستحقاق للانتقام يشتد كلما كان الشخص الذي أخطأت في حقه أشرف وأعظم، فمن في البشرية كلها أشرف وأعظم وأجل من رسول الله ﷺ، ومع وجود كل الدوافع والقدرة على الانتقام إلا أنه أثر جانب الرحمة، وتمنى أن يخرج الله من أصلاهم من يعبده وحده لا شريك له، فبلا شك أن الصغار هم أولى بهذه الرحمة، وأولى بالرفق، وأولى بأن تتحرر من الدافع للانتقام، تتشفى من من؟ من ابنك الذي هو فلذة كبلك، تتشفى فيه وتضره أبلغ الضرر، وتؤذيه أشد الأذية! فلا شك أننا محتاجون إلى إعادة التذكير بسيرة النبي ﷺ وسيرة الأنبياء ومن تبعهم في هذه الناحية التربوية؛ لأن أسلوب التشدد والغللو والعنف والتنطع والقسوة كلها أساليب حذرت منها شريعة الإسلام، قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] هذا عموم يدخل فيه أي سلوك نسلكه، ولذلك ورد: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ فِي

أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَحَدًا أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِتْمًا»^(١٥٥)، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس منه ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام: «هَلِكُ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا»^(١٥٦) رواه مسلم، وهم المتعمقون الضالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. وقال عليه الصلاة والسلام أيضا كما رواه البخاري: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَّةِ»^(١٥٧) لم يقل: إن الدين يسير، لكن جعل الدين هو اليسر، «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَّةِ»، فأمر باليسر، وأمر بالأخذ بالأسهل والأرفق في الأمور كلها؛ لأن الرفق - كما قال ﷺ - «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»^(١٥٨). إذا: المربي المسلم سواء كان مدرسا أو مدرسة أو أباً أو أمّاً ينبغي أن يكون عطوفاً شفوفاً ودوداً محبباً لمن يربيهم، مترفقاً بهم، صبوراً عليهم، متأنياً في تعليمهم، حريصاً على نفعهم، وهو في ذلك يقتدي بأسوته وقدوته الذي كان نموذجاً يحتذى وأسوة يقتدى به في هذا الخلق القويم ﷺ، حيث كان قمة في الرحمة والشفقة والعطف والرفق واللين لأُمَّته. كانت هذه مقدمة لاستعراض هذا البحث، وهو بحث تربوي، وهو عبارة عن رسالة ماجستير، أعدها الشيخ صالح بن سليمان المطلق البقعاوي بعنوان: مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، وسوف نأخذ بعض المقدمات من الكتاب ثم نكملة إن شاء الله تعالى فيما بعد.

(١٥٥) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٥٦) صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١٥٧) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٥٨) صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

الرفق في اللغة ومعانيه التربوية

الرفق يتضمن عدة معانٍ، وكل ما فيه مادة رفق فهو يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف، فالرفق خلاف العنف، وضد العنف، والرفق لين الجانب، أرفق بي، وترفق، ورفق، وفيه رفق، أي: هو لين الجانب، لطيف القول والفعل، واسترفقته فأرفقني بكذا، يعني: نصحني بكذا، وارتفعت به أي: انتفعت، مثل المرافق، سميت بذلك لأننا ننتفع بها، الارتفاق الانتفاع؛ لأن الرفق يؤدي إلى المنفعة، والرفق ما استعين به، واللطف هو الرفق أيضاً، رفق به وعليه رفقاً ومرفقاً، والرفيق ضد الأخرق، ورفق فلان أي: نفعه، يقال: الله رفيق بعباده، من الرفق والرأفة، فهو فاعيل بمعنى فاعل، والرفق لين الجانب وهو خلاف العنف. إذاً: خلاصة الكلام في تعريف اللغة والمعاني اللغوية لمادة الرفق: أن الرفق نفع الآخرين، والرحمة والرأفة بهم، والأخذ بالأيسر والأسهل، وعدم التشديد ولين الجانب، واللطف بالقول والفعل، والرفق ضد العنف وضد الخرق. وحينما نطبق معنى الرفق على هذا البحث نقول: إن الرفق بالمعلم وبالذي نربيه هو: إرادة نفع المتعلم ومعاملته بالسهولة وعدم التشديد عليه في مادة الدراسة وأعمالها، بحيث لا يحمله المربي ما يشق عليه، ويكون رحيماً به، لين الجانب، لطيف القول والفعل معه، ولا يوقع العقوبة عليه ابتداءً، ولا يكون عنيفاً في التأديب بل في حالة وسط بين العنف وبين الضعف متحماً ما يصدر من المتعلم برحابة صدر وصبر، غير مكترث لعتابه.

مواضع ذكر الرفق في القرآن

ورد في القرآن الكريم لفظ الرفق ومشتقاته في خمس آيات كريمة: الأولى: قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩] فرفيقاً معناه: صاحباً، لماذا سمي صاحب رفقاً؟ لانتفاعك في صحبته؛ وسبق أن الارتفاق: هو الانتفاع؛ لأنك إذا صاحبته هؤلاء تنتفع بصحبتهم، فيسمى صاحب رفقاً لارتفاقك

بصحبه، ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض؛ لأن الصحبة التي تكون رفقة ينفع بعضهم بعضاً. الثانية: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَتُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَيْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهَا مِمَّا عَلَّمْتُمْ اللَّهَ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٦﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة: ١ - ٦]. الثالثة: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْثُوا إِلَى الْكَهْفِ يَشْرِكُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ

أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ [الكهف: ١٦] فمرفقاً يعني: يهيبى لكم ما تنتفعون به، قال المهاميمي: يرفق بنفوسكم فيعطيهما من لذات عبادته ما ينسيها سائر اللذات، على أن لذاتها لم تخل من أذية، وهذه خالية عن الأذيات كلها. ولماذا جزموا بهذا الأمر فقالوا: ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ﴾؟ هذا جواب الأمر، يعني: أن العقاب إن أوتيم إلى الكهف وهجرتم الكفرة الوثنيين ستكون هي الرفق؛ فمن أين جاء هذا الجزم؟ جاء من يقينهم وقوة رسوخهم بفضل الله تبارك وتعالى، وأنه لن يضيعهم، ومن قوة وشدة توكلهم على الله ﷻ. إذا: هذه الآية توضح أحد معاني الرفق: ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ المرفق هنا: النفع الذي لا أذية فيه، وهذا من كرم الله ﷻ لهؤلاء الفتية المؤمنات، ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾ الذي أنتم فيه ما ترتفقون به وتنتفعون بحصوله، فهم لجئوا إلى الكهف فراراً من هؤلاء المشركين الذين قد يجبرونهم على الكفر، فنشر الله لهم من رحمته، ووسع عليهم، وسهل لهم الأمر، وجعل لهم الانتفاع والفائدة من هذا اللجوء إلى الكهف حيث أبعدهم عن أعين الكفار، وسلموا من القتل والبطش والفتنة في الدين. الرابعة: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٩﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا أَسْرَادُهُمْ وَإِنْ يَسْتَعِثُوا يَعْاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: ساءت النار منزلاً ومقيلاً ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق، وهذا ذم لحالة النار نفسها، أنها ساءت المحل الذي يرتفق به؛ لأنه ليس فيها ارتفاق، وإذا كانت النار بهذه الوصفة، هل فيها ارتفاق أو منفعة؟ لا، ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ بمعنى: ليس فيها ارتفاق، وإنما فيها العذاب العظيم الشاق الذي لا يفتر عنهم ساعة، فهذا يجمل ما ورد في الآيات الأخرى من التهكم حيث يقول: (بشر) وكأن البشرى ستكون بخبر عظيم، إلا أنه يفاجأ السامع بأنه عذاب أليم، ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يعني: ليس فيها ارتفاق وإنما فيها العذاب العظيم الشاق الذي لا يفتر عنهم ساعة ولا نفع فيها على الإطلاق. الخامسة والأخيرة: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ [الكهف: ٣١] فهذه الدار الجليلة، هي نعم الثواب للعاملين، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: يرتفقون بها، ويتمتعون بها فيها مما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، من الخبرة والسرور والفرح الدائم واللذات المتواترة والنعم المتوافرة، وهذا بلا شك أحد معاني الرفق. إذاً: من هذه الآيات القرآنية الخمس يتضح لنا بعض معاني الرفق ومرادفاته: الآية الأولى هي قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٦] الرفق بمعنى: لين الجانب والصحبة. الآية الثانية قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [المائدة: ٦] المرافق جمع مرفق، وهو ما يتكى عليه ويستفاد منه وينتفع به؛ لأن المرافق يتكى عليها الإنسان، فينتفع بهذا الاتكاء. الآية الثالثة: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ [الكهف: ١٦] فالمرق هنا بمعنى: الانتفاع وسهولة الأمر وتأثيره. أما الآيتان الرابعة والخامسة التي فيها: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩] قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ

جَنَّتْ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ
وَأِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ [الكهف: ٣١] فالمعنى اختلف
بحسب فعل الّدم أو المدح، ف (ساءت مرتفقًا) يعني: ساء المحل والمقام الذي يسكنون فيه،
ولا يوجد فيه نفع ولا فائدة، والآخر: (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) المراد حسن التمتع والفائدة
وحصول النفع لغيره، وهذا أحد معاني الرفق. نكتفي بهذا القدر، وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

التسريح التاسع

أطفالنا والصلوة

ما كانت الصلاة عماد الدين حث الشرع على أن يتعلمها الأطفال منذ صغرهم، بل يضربوا عليها وهم لم يبلغوا بعد سن التكليف، وهو آخر أسلوب يستخدم معهم كي يصلوا، وإنما يستخدم للتوجيه والتربية لا من أجل الانتقام والعقاب. ولكن قبل العقاب هناك التعليم عن طريق التوجيه بالقدوة الحسنة من الوالدين، والترغيب في الصلاة بالثواب عليها والتشجيع، فيتحرى الأب أن يغرس في الطفل معانيها الجميلة، ويربط المسجد والصلاة بكل ما يحبه الطفل ويهواه.

طرق وأساليب تربية الأطفال على الصلاة

برمجة حياة الطفل ومواعيده بأوقات الصلاة وربطها بما يحبه

كذلك على الأب أن يقرن الأمور المحببة بالصلاة حتى يتعود الطفل ويرمج حياته على مواعيد الصلاة، مثلاً: بعد صلاة العصر نزهة، أو يشتري له هدية أو لعبة يحبها، فلا تقول له مثلاً: الساعة السادسة سأخذك وسأعمل كذا، إنما تقول له: بعدما نصلي العصر أو بعدما نصلي المغرب سنعمل كذا، اربط -دائماً- وحدد المواعيد، واضبطها بالصلاة لكي تكون جزءاً أساسياً في الجدول اليومي بالنسبة إليه؛ لأنه إذا عرف أنه بعد الصلاة سيخرج يتنزه فسيحفز لذلك ويستعد للصلاة في وقتها لاقترائها بأمر محبوب لديه. كذلك يرتب جميع مواعيده مع أولاده بأوقات الصلاة؛ فيتعلمون تنظيم الوقت بناء على أوقات الصلاة. كذلك يذكرهم بين الحين والحين بفضائل الصلاة من القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ حتى يكتمل تصورهم الفكري عن الصلاة ومنزلتها في الدين. يعود الصبي خاصة بعد سن العاشرة على أداء السنن الرواتب مع الصلوات المفروضة، ويحرص على قيام الليل ولو جزءاً يسيراً، فيعلن الأب لأولاده أنه سيقوم ليصلي في الليل وقت كذا وكذا، ثم يتركهم يتنافسون في الاستيقاظ في ذلك الوقت، دون أن يوقظهم الأب لتقوى إرادتهم ويعتادوا من قبل أنفسهم، ويخفف بهم في الصلاة، ومن نعس منهم أمره بالنوم رفقاً به.

متابعة انتظام الطفل في الصلاة وتشجيعه

كذلك ينبغي متابعتة في مدى انتظامه للصلاة، وتكرار الأمر بها دون ملل، فإذا شغل الأب أو غاب وكُل من يقوم بمتابعتة. مثاله: لو أن الطفل له لعبة محببة إليه جدًا وتريد أن تأمره بالصلاة، فكيف تأمره؟! قل له: صل لكي تلعب. وعلى كل حال: في هذه الحالة لو شددته من اللعب إلى الصلاة فقد يشعر أنه حرم مما كان يفضله، أو ربما يعاندك، وهو لا يعاندك لأنه لا يريد أن يصلي، لكن لأنه يتمتع باللعب، فالحل في هذه الحالة أن تعمل حسابك قبل موعد الصلاة بعشر دقائق، وتخبّره بأن الصلاة ما بقي على وقتها إلا عشر دقائق. فأنت لا تحرمه من اللعب أو تقطعه عن اللعب إلى الصلاة، لكن تأتي إليه قبل موعد الصلاة، وتقول له: بقي على الأذان ربع ساعة أو عشر دقائق؛ أي: فاللعب في هذه الفترة حتى إذا سمعنا الأذان فعليك أن تقوم وتتوضأ وتصلي، فنراعي مثل هذه الأمور. فإذا شغل الأب أو غاب لأي سبب من الأسباب فإنه يوكل من يقوم بمتابعتة من الذين في المنزل ويأمرون الطفل بالصلاة خلال فترة غيابه أو شغله، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «حَافِظُوا عَلَيَّ أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَعَوِّدُوهُمْ الْخَيْرَ فَإِنَّ الْخَيْرَ عَادَةٌ»^(١٥٩)، الحل هو التربية بالعادة، ولا نبخل بمكافئته أحيانًا لانتظامه في الصلاة، لكن لا يواظب على ذلك حتى لا نعلمه على أن التعامل تعامل مادي حتى في العبادة، بل نربطه بالثواب له من عند الله تعالى. وأيضًا المديح له والثناء والتشجيع من الأبوين مثلاً، فلا بأس بمكافئته أحيانًا لانتظامه في الصلاة، وإذا حصل منه خطأ فقل له: كنت سوف أحاسبك على هذا الخطأ، لكن لأنك تحافظ على الصلاة فسوف أعفو عنك هذه المرة. هذا نوع أيضًا من المكافئة. على كل الأحوال بالنسبة للمكافئات المادية لا يواظب المرابي على ذلك، وفي نفس الوقت إذا أعطى هدية مادية من وقت إلى آخر ينوعها.

(١٥٩) المعجم الكبير للطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

التساهل مع الطفل في شروط الصلاة

كذلك لا يشتد الأب مع الطفل قبل سن التمييز في أمر الطهارة للصلاة وستر العورة، بمعنى: يمكن أن الطفل يأتي إلى الصلاة حتى في سن السابعة أو فما فوق وهو مقصر في بعض أركان وشروط الصلاة خصوصاً في ستر العورة؛ لأن صلاته تصح، ومعلوم حديث الصبي الذي كان يصلي بالناس، فاشتكى النساء وقلن: استروا عنا عورة صاحبكم. فقد كان أثناء الصلاة ينكشف منه شيء، فالشاهد أن صلاته كانت صحيحة. فإذا: لا بأس بالتساهل في تحصيل شروط الصلاة في مراحل التدريب الأولى، كأن يسجد في أي الأحوال أو في أي الأوضاع، فهذا فيه نوع من التدريب، يعني: لا تتشدد معه قبل سن التمييز في أمر الطهارة للصلاة وستر العورة، بل اتركه يقلدك كيفما كان، ولا تكفه عن التقليد؛ لأن زجره في هذه السن وهو غير مكلف ينفره من الصلاة.

عدم تصيد الأخطاء للطفل الذي يواظب على الصلاة

الأمر الآخر: الطفل الذي يصلي لا تصيد له الأخطاء، وكلما غلط غلطاً تقول له: أنت تصلي وتعمل كذا، أو: أنت تصلي ولا تسمع كلام أمك... إلى آخره. هذا سوف يكرهه في الصلاة، وسيحتسب الصلاة عبئاً شديداً عليه فينفر منها، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْكُمْ لِمُنْفَرِينَ، بَشْرُوا وَلَا تُنْفَرُوا». فبالعكس.. نتغاضى عن أخطائه؛ لأنه من حقه أن يخطئ في هذا السن، ويتعلم من التجربة والخطأ، ويمكن تحويل العبارة بطريقة أكثر إيجابية، واستبدال هذا التوبيخ المباشر الذي قد يشعره بأن الصلاة عبء عليه، وأنه إذا تخلص من الصلاة سوف يتخلص من كل هذا التوبيخ؛ لأن الذي لا يصلي لا يعاتب. وهذا يحدث أيضاً مع البنات في موضوع الحجاب فيقولون لها: أنت محجبة وتفعلين كذا. والصحيح أن يقال لها: أنت محجبة ومؤدبة ومهذبة، والذي يليق بك أن تفعلي كذا وكذا، بدون إظهار النقد الهدام.

تهيئة الطفل لاستقبال الصلاة بعد سن السابعة

هناك مناسبة: وهي بلوغ الطفل سن السابعة من العمر في التقويم الهجري، وهنا يجب على الأب أن يأمره بالصلاة، لقول النبي ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ»^(١٦٠)، وأيضاً يأمره بتحصيل شروطها كالطهارة وستر العورة. مع العلم أن التدريب المبكر على الصلاة بلطف وبرفق مع الاستمرار يجعل الصلاة في حياة هذا الطفل جزءاً من كيانه لا يمكن أن يفصل عنه أبداً، فإذا أحكمنا غرس الشعور بأن الصلاة جزء من شخصيته وهويته وكيانه؛ كان هذا أدمى إلى أن يتمسك بها حينما تجب عليه ولا يضيعها. وعند إكمال سن السابعة لا ينبغي أن يمر هذا التاريخ مروراً عابراً، ونحن وإن كنا ضد الاحتفال بعيد الميلاد؛ لأن هذه بدعة ليس لها علاقة بالإسلام، لكن سن السابعة نحن لا نسميه عيد ميلاد، لأن سن السابعة له مناسبة شرعية مهمة جداً، وهي أنه سوف يبدأ بأمره بالصلاة، فيجب على الأب أن يأمره بالصلاة، وهي غير واجبة على الطفل، فبالتالي يجب أن يسلط الضوء على هذا التاريخ، ويعد للطفل مقدمات؛ كأن يقول له: بقي لك أربعة أشهر وتبدأ تصلي مثل الكبار، فتضع له في الكلام شيئاً مغرياً، وأن أملاً كبيراً سيتحقق، وأن فلاناً إذا أكمل السابعة سيحافظ على الصلاة باستمرار ويواظب عليها. فالمطلوب تعميق هذا الحدث الهام، لأننا نريده أن يعلم أن ما قبله مفصول عما بعده، وأنه الآن يستقبل مرحلة جديدة؛ فلا بد أن يهيئ نفسه لها مسبقاً، ولكن ليس على أنها مسئولية ستلقى على كتفه وعبء عليه، ولكن لأنه سيكبر، فتقول له: كم سنك الآن؟ فيقول لك: ست سنوات! فتقول: عندما تبلغ سبعا ستصبح رجلاً إن شاء الله، فنربطها بشيء يكون له أمل وطموح هو متطلع إليه بلهف. فإذا: لا ينبغي أن يمر تاريخ إتمامه سن السابعة مروراً عابراً، بل لابد أن يعمق هذا الحدث الهام من خلال إعلامه قبلها بأنه مقبل على أمر عظيم، وهو اقتراب نوعي لأمره بالصلاة، فإذا بلغ السابعة فصلى أول فرض جمع له أبوه بعض أصدقائه وإخوته

(١٦٠) سبق تخريجه.

في حفل صغير ابتهاجاً بهذه المناسبة الطيبة، وكذلك يأتي له والده بمنبه لمواعيد الصلاة، أو تقويم حتى يعرف مواعيد الأذان، أو يأتي بأي نوع من أنواع الهدايا لمثل هذه المناسبة، أو حلوى يجلبها، وكل صديق يحضر له هدية بسيطة، فيحس أن المناسبة عظيمة جداً، لا احتفال بعيد ميلاد، لأن هذا تضخيم للأمر العظيم، والمهم الذي هو مقبل عليه، وهو بداية التحول إلى أداء الصلاة، أو مثلاً يقدم له ساعة لكي يعلم بها مواعيد الصلاة.

أسلوب التعليم النظري والعملي للصلاة

على الأب أن يعلم ولده الوضوء والطهارة بالشرح النظري، ثم بالتدريب العملي المتكرر، مع تبسيط الأمر بقدر المستطاع، فلا تكثر عليه من الأدعية أو السنن في المراحل الأولى، ولكن بنوع من التبسيط الشديد في العبارة، فيعلمه الوضوء والطهارة بالشرح النظري، ثم بعد ذلك بالتدريب العملي المتكرر، فيمثل نموذجاً للوضوء أمامه ويجعله يكرر ذلك خطوة خطوة كما يفعل هو في الوضوء، ويسمح له بالتطبيق أمامه، فإن أخطأ في عمله علمه ووجهه بلطف وبدون تعنيف، فإذا أتقن الوضوء مدحه واحتضنه وقبله مشعراً إياه برضاه عنه، وهذا نوع من المثوبة المعنوية (المدح بالثناء عليه)، ولا يشترط أن يكون الثواب دائماً بالحلوى والنقود، لكن ممكن بأن يظهر الرضا عنه وتقديره لما صنع غيرها. كذلك يعلمه فضائل الوضوء ويحفزه على الحرص على تحصيل ثوابه. ويلاحظ أننا نهتم كثيراً بأمور الترهيب مع الطفل، وإن كان ولا بد من الترهيب فيكون الترهيب بصورة عامة دون أن تقول له مثلاً: إذا لم تصل فسوف تدخل النار، وسوف يعذبك الله بكذا وكذا، لكن قل: من لا يصلي يعاقبه الله؛ لأن الأول كذب، والطفل إذا لم يصل فلن يدخل النار، لأنه غير مكلف، فلينتبه إلى مثل هذا.

أسلوب التربية بالعادة

كذلك يتم تعليمه الصلاة منذ السن البكرة دون توجيه مباشر، بل يكرر الأب صلاة النوافل في المنزل على مشهد من أولاده، وهم سوف يتأثرون بما يرونه أعمق الأثر، إذا رأوا أباهم يمرغ وجهه لله ﷻ ساجداً، قائماً خاشعاً، قد استغرقت الصلاة وصرفته تماماً عما

حوله؛ لأن الطفل مع الوقت يلاحظ ويستنتج أن الذي يدخل في الصلاة لا يجوز أن يكلمه أحد، ولا أن يأكل أو يشرب؛ لأن الصلاة قد استحوذت على كل كيانه. الشاهد: أن الطفل سوف يعلم من هذا المشهد أن أباه متى ما دخل في الصلاة فإنه لن يستجيب له، وكذلك أمه. وكذلك صلاة الأب خاشعاً لله ﷻ وهذا مما يؤثر فيه أعمق الأثر، ومن شأنه أن يغرس في نفوس الأطفال عظمة الله ﷻ. وهذه هي التربية بالعادة، فهم يتعرفون على أعمال الصلاة ويجونها بالعادة. مثلاً: حينما ينام تلقنه بعض أذكار المساء، وحينما يأتي الصباح تلقنه بعض أذكار الصباح، ومن ثم تتحول إلى عادة يواظب عليها، وهذا مما يعينه فيما بعد على الاستقامة على هذه الأمور الشرعية.

الدعاء من وسائل التربية على الصلاة

كذلك من الأسباب التي ينبغي أن لا نغفل عنها عند تربية الأطفال على المحافظة على الصلاة: أن يستعين الإنسان بدعاء الله ﷻ، وأن يتأسى بإبراهيم عليه السلام لما كان يقول في دعائه: قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤٠﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ينبغي للإنسان أن يلهج بهذا الدعاء في كل مناسبة، ويتحرى أوقات الإجابة؛ لأن الدعاء بلا شك من أنجح وأقوى أسباب حصول المقاصد.

استخدام العقاب في الحث على الصلاة

على الأب أو المربي أن يعلم أن العقاب البدني بشروطه هو الوسيلة الأخيرة للتربية، كي لا يتعود عليه الطفل، وبالتالي لا يجدي استعماله فيما بعد، فمسألة العقاب البدني بالنسبة للطفل موضوع شائك للغاية، ويساء فهمه، وبالتالي تطبيقه عند كثير من الناس، وله ضوابط إن شاء الله ستتكلم عنها فيما بعد، وأرجو أن يكون ذلك في أقرب وقت ممكن، ونحاول أن نفرده من بعد ضمن الموضوعات التربوية المهمة؛ لأن دفع المضار مقدم على جلب المنافع، فموضوع الضرب يحصل نتيجة الجهل الواقع في الناس بموضوع التربية، ومن الناس من يتصور أنه إذا لم يضرب أنه من الممكن أن يضيع سنة ويقع منه تقصير،

حيث لم يضرب الأطفال؟! نعم. ليس هناك نزاع على الإطلاق في أهمية وضرورة مبدأ الثواب والعقاب في التربية، أي أن مبدأ الثواب والعقاب مبدأ أساسي مهم، لكن أنواع الثواب أو أنواع العقاب تعتبر مسألة أخرى؛ إذ ليس من شرط العقاب أن يكون بالضرب. والضرب له شروط كثيرة، لكن متى شرع الضرب؟ قال عليه الصلاة والسلام: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ»^(١٦١)، فإذا كانت الصلاة التي مقامها في الإسلام عالٍ، وشأنها هذا الشأن العظيم، لا يضرب عليها الطفل إلا بعد بلوغ العاشرة، فكيف بغيرها؟ وهل هناك شيء أهم من الصلاة؟ سنرى بعض الآباء القساة الغلاظ القلوب يضربون الأطفال ضربًا مبرحًا على أتفه الأشياء، والشيء الغريب والخطيئة المتكررة في التربية أن كثيرًا من المربين لا يتفطن إلى حقيقة هي: أن طفلك ليس أنت، فلا يجعل الإنسان عقله بعقل الطفل، وإلا فإنه إنما يضرب بعنف لأنه خرج الضرب عن كونه نوعًا من أنواع العلاج.. الضرب شرع بشروط كعلاج، لكن إذا كان سيتحول إلى داء لا دواء فلا داعي له، لأنه له هدف تربوي؛ ولذلك لا يجوز للإنسان أن يضرب وهو غضبان، والشرع الشريف والآداب الشرعية لا تبيح لك ضرب الطفل وأنت غضبان، بل عليك أن تترث حتى تذهب سورة غضبك، وتقرر الضرب وأنت هادئ؛ لأنك عند الهدوء سيكون الهدف من الضرب هو التقويم والعلاج، لكن في حالة الغضب سيكون الهدف هو إفراغ شحنة الغضب في ضرب الطفل، ولن يتوقف الضرب حتى تهدأ النفس وتخرج شحنة الغضب، فبالتالي ليس هذا هو الضرب المشروع أو المقصود بتربية الطفل. إذاً: فقد خرج إلى كونه وسيلة عقاب وانتقام للنفس وإخراج شحنة الغضب، وليس هناك تكافؤ بين الطفل الصغير والإنسان الضخم كبير العضلات والقوة، لذلك فإن الضرب لا بد أن يصدر من الإنسان وهو في غاية الهدوء والاتزان، ثم يقرر أن الضرب في

(١٦١) سبق تخريجه.

مصلحة، وبالتالي سيكون ضرباً رقيقاً لا كضرب العبيد، كما يحصل من بعض الجفاة. فعلى كل الأحوال قضية الثواب والعقاب لا مناص منها في العملية التربوية؛ لأنها وسيلة من وسائل التربية، لكن معنى العقاب أشمل من أن يكون بالضرب، ووسائل العقاب كثيرة متعددة، كما أن العقاب لا بد وأن يكون متناسباً مع حجم الخطأ، فلا يكون عقاباً شديداً على خطأ تافه. كما أنه لا بد أن يعرف المربي أن العقاب البدني إنما هو الوسيلة الأخيرة للعقاب، وآخر مرحلة من مراحل العقاب؛ لأن الطفل إذا ما اعتاد أن الأب دائماً يستعمل ضده سلاح الضرب فسوف يفقد هذا السلاح تأثيره، ويفقد الطفل الإحساس بالضرب، ويشعر أن كرامته قد أهدرت منذ زمن، ومن المؤكد أن الضرب عند الناس المهثورين يرتبط بالتحقير والشتم والسب ونحو هذه الألفاظ، والطفل إذا ما تأثر بهذه الأشياء فلن يفيد حينها استعمال الضرب معه فيما بعد وسيفقد تأثيره معه، لكن كلما كان نادراً ومنضباً كلما أتى بالتأثير.

تعليم الأطفال الصلاة عن طريق القدوة الحسنة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على محمد رسوله وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده. ثم أما بعد: فمن أنواع البناء التربوي للأطفال: البناء العبادي، أي: بناؤهم في ناحية العبادة، وأهم العبادة بلا شك هو ركن الصلاة، فالأطفال يعتقدون أن كل ما يفعله الكبار صحيح، ويرون آباءهم أكمل الناس وأفضلهم، ولذلك يحاكونهم ويقتدون بهم، ففي السن المبكرة لا يكتفي الأطفال بمجرد تلقين معلومات لا يكون لها أثر مثلما يكون الأثر عن طريق القدوة العملية؛ لأن الفترات الأولى للطفل يتأثر فيها بالتفكير المادي أو الحسي، فهو يتأثر بالأمور المحسوسة ويعيها جيداً. مثال: إذا حدثت طفلاً عمره ثلاث سنين لا تستطيع أن تكلمه عن المعاني المجردة: الجمال والعدل والسماحة والكرم وهكذا؛ لأن هذه لا يدركها الطفل لأنها معاني مجردة، لكنه يدرك الأمور المحسوسة ويتأثر بها جداً. فموضوع القدوة في حياة الطفل يعتبر من أخطر وسائل التربية وأشدّها أثراً على الإطلاق؛ ففي السن المبكرة لا يتأثر الأطفال بالتلقين -الكلام الشفوي- إذا لم توجد أمامهم القدوة الصالحة التي تترجم

بصورة عملية المعاني المجربة، ولذلك فإن أفضل وأعمق طريقة تؤثر في حفر قيمة الصلاة في نفوس الأبناء، هي أن يروا أبويهم يحافظان على الصلاة أمامهم باستمرار، أما الأب فبصلاة النافلة في البيت، وأما الأم فالفريضة، وإذا صلى الوالد دون أن يأمر الأطفال الصغار -ممن دون السابعة بالتحديد- فسوف يجد الأب أن الطفلة تذهب بجوار الذي يصلي وتقوم بتقليده، وتقلده في الحركات بطريقة سائدة معروفة، تنظر إليه وهو يسجد وتنظر كيف يصلي حتى تقلده في الحركات، فهو لم يدعوها أصلاً للصلاة لكن الطفل يتقمص فعل الأب، والتقمص يعتبر من أعلى مراتب التقليد، بل أعمق وأقوى صور التقليد والمحاكاة هي التقمص، فهو يتوحد مع أبيه أو يتقمصه ويفعل ما يراه بطريقة عملية. وكما تكلمنا من قبل مراراً أن موضوع التربية لا يكون بأن يقول الأب لأولاده: تعالوا معنا الآن إلى حصة تربية، ثم يعطيهم محاضرات! لأن التربية عملية مستمرة خلال الأربع والعشرين ساعة في كل سلوك يفعله الآباء بالذات، فعندما يقول الأب مثلاً لابنه: إذا اتصل أحد يريدني فقل: أبي غير موجود. فهذه تربية على الكذب واستباحة له، وأن الكذب يعتبر طريقة مقبولة للتخلص من الحرج، أو واحد يطرق الباب فتقول: قل له أبي غير موجود، فيقول: أبي يقول لك إنه غير موجود، فالطفل بهذه الطريقة يتشرب الكذب، وأنت بهذا تعلمه كيف يستطيع التخلص من المواقف بالكذب، أو إذا كان الأب يخون الأمانة، أو يكيد لزملائه ثم يحكي ذلك في البيت والطفل يسمعه.. كل هذه وسائل تربية تترك بصمات عميقة الأثر مدى الحياة في ذلك الطفل. فإذا: مجرد التلقين بالكلام والوعظ الشفهي بالنسبة للأطفال لا يؤثر فيهم ما لم توجد أمامهم صورة عملية، يسمونها: (كونتريك سنجل)، أي: تفكير متحجر، ليس هو تفكير المعاني المجردة، وإنما هو التفكير الحسي، ولا بد من وجود شيء حسي وليس شيئاً معنوياً فقط مثل قيم الجمال، والتسامح والعدالة والنزاهة، لأن الطفل في غفلة عن مثل هذه المعاني، لكنه لا بد أن يوجه بشيء حسي، فإنه يجسد الصورة التي يتوحد معها هذا الطفل. إذاً: محافظة الأب أو الأم على الصلاة تؤثر في الأطفال أعمق الأثر، وتحفر الصلاة في وجدانهم حفرًا.

علاج تقصير الطفل في الصلاة

إذا قصر الولد في الصلاة بعد العاشرة وجب على الأب وعظه وتذكيره بالنصوص الشرعية في الصلاة، فإذا استمر في تهاونه أغلظ له في القول وعنفه، ولا يكلمه ولا يخالطه ولا ييازحه، ويحرمه من بعض الأشياء المحببة لديه؛ فإذا فشل العقاب النفسي يلجأ الأب إلى العقاب البدني بشروطه؛ لقول النبي ﷺ: «وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ». فالمرابي يقدم أسلوب الترغيب والإثابة والتشجيع، ويتجاهل تقصير الطفل في بعض الأوقات، مع حسن الإشارة والتلميح دون التصريح، فإن أصر عاتبه سرًا، ويعبس في وجهه، فإن أصر عاتبه جهراً أمام أسرته أو رفاقه بدون شتم أو سب أو تحقير، وهذا شيء غير مسموح به على الإطلاق، فإذا انتقدت فانتقد الموقف أو التصرف، لكن لا تحتّم على الطفل بأنه فاشل مثلاً ولا أمل فيه، فهذا تحقير للذات، وتحطيم لقدرات الطفل، لكن تنتقد التصرف فقط لا أن تنتقد ذاته هو، أو تحقرها وتوبخها بصورة عامة. فإن تهادى رغم ذلك يهدده بالضرب ويعلق عصاً صغيرة بحيث يراها، فإن لم تنفع هذه الوسائل يلجأ إلى الضرب لكن بالشروط الآتية: أولاً: لا يضرب بأي حال قبل سن العاشرة. ثانياً: أن يعلم المرابي أن الضرب وسيلة علاج وإصلاح، وليست لإهانته وتحقيره وتشويه نفسيته، وليس الضرب وسيلة انتقامية يقصد بها تفرغ شحنه غضب المرابي وإراحة نفسه، ولكنه ضرورة تربوية استثنائية لمصلحة الطفل، وعليه فلا يقدم المرابي على عقوبة الضرب وهو غضبان ناثراً. ثالثاً: أن لا يكون الضرب شديداً مبرحاً، ويستعمل فيه عصا معتدلة الحجم والرطوبة، ولا يزيد على ثلاث ضربات، وللوالد أن يزيد إلى عشر كحد أقصى، وأن يتوقى ضرب الوجه والمواضع الحساسة من البدن، ولا يكرره في الموضع الواحد بل يفرقه، ويترك بين الضربتين زمناً يذهب فيه ألم الأولى. كذلك يكون الضرب على تقصير حقيقي لا على شبهة أو سوء ظن، وأن يتناسب العقاب مع حجم الخطأ ونوعه، وأن يتوقف عن الضرب إذا ذكر الغلام الله ﷻ واستغاث به. أحد الإخوة أراه اليوم شاباً يافعاً، لما كان صغيراً جداً في بداية نطقه حصل

أن ضربه والده، وكنت ذكرت في محاضرة حضرها هذا الأب مع ابنه: أن الطفل لا يضرب إذا ذكر الله، فأتاني الوالد بعد المحاضرة وقال لي: جزاك الله خيرًا يا شيخ، فسمع هذا الأمر الأولاد معه، وهو يظن أنهم لا يفهمون وهم يفهمون جيدًا، فكان كلما ضربه أبوه يذكر الله أثناء الضرب، فكان يستغل هذه الأشياء، فجاء أبوه يشتكي إليّ أنه من حين سمع قولي: إذا ذكر الله يوقف الضرب فيذكر الله ويستغيث بالله أثناء الضرب لكي أتوقف. وهنا لا بد أن نزرع في الطفل تعظيم اسم الله ﷻ، فمن تعظيم اسم الله أنه إذا ذكر اسم الله يتوقف الأب عن الضرب؛ فيرتبط ذكر اسم الله بالرحمة، والعتو وتوقف الأذية؛ فهذا شيء سيحجب إليه ذكر الله ﷻ. كذلك لا يكرر العقاب؛ لأن العقاب الذي يتكرر سيفقد فاعليته كسلاح، فلا يكرر العقاب بقدر الإمكان حتى لا تفقد العقوبة قيمتها فلا يبالي بها الطفل، لكن القاعدة: أن الإنسان متى استطاع أن ينجز ما يريد بالرفق فلا يعدل عن الرفق تمامًا. وهذا شيء مطلوب، فإن الطفل الراقي المحافظ على كرامته يكون الكلام أشد عليه من الضرب، فنتركه يحافظ على كرامته ولا نهدرها، فالضرب شيء استثنائي، وبشروط كثيرة سنفصل فيها إن شاء الله فيما بعد. لنفترض أيضًا أن الأب قصر في أمره بالصلاة في سن السابعة وتجاوز السابعة والثامنة والتاسعة وجاءت العاشرة؛ فإذا بلغ عشر سنين ولم يكن قد أمره بالصلاة هل يبدأ بالضرب؟ لا يبدأ بالضرب، فإذا كان قد قصر في أمره بالصلاة بعد السابعة، فلا يستعمل معه العقاب البدني مباشرة بعد العاشرة وقد قصر في تعويده.. بل يتدرج معه ويمرنه ويعوده عليها من جديد.

آداب إدخال الأطفال المساجد وتحبيبها إليهم

لا بد من تعويد الطفل على صلاة الجماعة منذ الصغر لكي يتعلق قلبه بالمساجد، وهناك يتعرف على العلماء ويمارس عمليًا آداب الإصغاء في مجالس العلم. هذا وإن الحرص على مشاركة الكبار في أفعالهم ميل طبيعي عند الطفل؛ فليستثمر في هذا الموضوع، لكن ينبغي أن يكون الطفل عارفًا بآداب المسجد، ويحافظ على المسجد من التلوين أو النجاسة أو اللغو

والتراب ونحو هذه الأشياء. نعم هناك أحاديث تدل على أن الأطفال كانوا يتواجدون في المسجد، لكن أطفال الصحابة ما أظن أنهم كانوا مثل أطفالنا، فالذي يعرف آداب المسجد هو الذي يأتي إلا لضرورة استثنائية، لكن لا يجوز أن نحول المسجد إلى دار حضانة، نسمع فيه الصراخ والصياح وصور لا تنتهي من القذارة وتلويث المسجد، وهذا نوع من التعسف في استعمال حق إدخال الأطفال في المساجد، فنكون بهذا قد بدأنا من حيث انتهى الشرع. أعني أن الرخصة تتوقف عند حد معين، ونحن نأتي عند الحد الأقصى ونجعلها نقطة انطلاق إلى الإفراط في استعمال هذا الحق، فالأطفال يجب أن يكونوا معروفين بعدم اللعب أو من النوع الذي يسبب ضوضاء وأذية للمصلين، أو يعثب في أجهزة المسجد أو نحو ذلك، فلا بد أن يلحقن أولاً آداب المسجد؛ فإن اطمأن إلى ذلك أحضره إلى المسجد. كذلك قبل أن يحضره إلى المسجد يهيئه؛ لأن الطفل يظل عنده نوع من الخوف الاجتماعي، ويخاف أن يلاقي الناس بمكان واسع مثل المسجد، فربما يحصل له نوع من الخوف ويبكي ويصرخ، فلا بد أن يحصل نوع من التهيئة قبل أن نذهب به إلى المسجد، ويوصف له المسجد على أنه بيت الله ﷻ، ومكان واسع وجميل، ونظيف وله رائحة طيبة، وفيه كذا وكذا.. تصف له المسجد، وتقرن لون المسجد بكل شيء جميل، وبأشياء محببة إليه، مثلاً: اشتر حلوى من جنب المسجد، فأدخل كلمة المسجد واقربها بالحاجات التي يحبها. مثلاً: وأنت تمشي تقول له: انظر إلى هذا المبنى الجميل، هذا هو المسجد، وأنا قريباً سوف آخذك معي لتصلي فيه، هذا نوع من التدرج قبل أن يأتي إلى المسجد. كذلك يمكن تهيئة جو المسجد قبل اصطحابه، فلا مانع أبداً أن يتفق مع الإمام والمؤذن وبعض المصلين من الجيران لترتيب الوضع؛ لأنهم أطفال اليوم ورجال الغد، ويبدأ التربية من هذه السن الباكرة؛ فهي أعمق أنواع التربية، فما دما محتاجين إليهم فتتدلل إليهم ونتحايل عليهم ونحاول أن نكسبهم، لأنهم هم المستقبل، فصغار اليوم سيصبحون كبار الغد؛ لأن الأمة محتاجة إلى هؤلاء الأطفال، لأنهم هم المستقبل حقيقة، فبالتالي ما المانع أن يحصل هذا التواطؤ بين الأب والإمام والمؤذنين وبعض

المصلين أنه إذا حضر معي هذا الطفل فإنهم يحتفون به، ويلطفوه، وكذا بعض الناس من كبار السن نلاحظ أن عندهم ذوقًا، فدائمًا يكون معهم (شكولاته أو حلويات) للأطفال، فعندما يرى أحدهم الطفل في المسجد يعطيه حلوى، فهذا نوع من التلطف المراد في أهل المسجد، فيتواصوا أنه إذا حضر الطفل لاطفوه ليحس بالأنس فيطمئن إلى أهل المسجد ورواده؛ لأن الاهتمام به في أول مرة يدخل فيها المسجد سوف يوقع في نفسه شأن تعظيم الصلاة. كذلك إذا كان الإمام ممن يطيل الصلاة إطالة تخالف السنة ينبه على عدم الإطالة. كذلك يربط الطفل في المسجد بحلق تحفيظ القرآن الكريم، وتجويده بالتعاون مع إمام المسجد؛ لأن المساجد الآن هي الحصن الأخير الذي حفظه الله من كل سوء، والذي يمكن أن نصحح فيه الأخطاء التربوية في السهام الموجهة للأطفال والأبناء في المدارس والإعلام والمجتمع... إلى آخره. كذلك يهتم بترسيخ ارتباطه بالمسجد وأهله عن طريق ممارسة أنشطة نافعة ومسلية للأطفال. كذلك يعظم دائمًا أمامه صلاة الجمعة ويحدثه عن آدابها، وأحكامها، وضرورة احترامها وتوقيرها، لكن لا يحملها ما لا يطيق من أمر صلاة الجمعة؛ لأن صلاة الجمعة تطول فيها الخطبة والصلاة؛ فممكّن مع الوقت أن يمل الطفل، وقد يصعب عليه أن يحافظ على الطهارة فهو يريد أن يلعب. وللأسف الشديد في هذا الزمان يندر جدًّا أن نرى من يتمسك بالسنة، حتى الذين ينتمون إلى السنة والسلفية فالسنة ينبغي احترامها، ومن السنة تقصير الخطبة وإطالة الصلاة، والذي يحصل الآن للأسف الشديد أن تتحول الخطبة وكأنها محاضرة طويلة فيها مشقة فعلاً على الناس، فخطبة الجمعة لا بد أن يشتهر ويتميز الخطيب بأنه يقصر الخطبة ويطيل الصلاة، فإذا فعل ذلك عرف الناس أن هذه هي السنة، وليست السنة أن تطيل الخطبة كما يحصل ويشق على المصلين. روي أن أبا هريرة رضي الله عنه دخل مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلامًا، فقال له: يا غلام! اذهب للعب، قال: إنما جئت إلى المسجد، قال: يا غلام اذهب للعب! قال: إنما جئت إلى المسجد، قال: فتتعد حتى يخرج الإمام قال: نعم، يعني: بدأ بالتخفيف لكيلا يكلفه بصلاة الجمعة دون سن العاشرة بل يرغبه ولا يرهبه، فإن أقبل عليها وإلا تركه وشأنه مرفهًا حتى يبلغ العاشرة أو ما قبلها

بقليل فيبدأ معه بالإلزام. كذلك يتحرى الأب اختيار الخطيب؛ لأنه بخطبته ومسلكه عميق التأثير في أخلاق الأولاد خاصة إذا فهموا الخطبة وعقلوها، ولا بأس أن يسألهم بعد الخطبة عن موضوع الخطبة، وما استخلصوه من الفوائد، ويحثهم قبل الدخول على حسن الإنصات، ويبين لهم أنه سوف يسألهم عن مضمون الخطبة بعد الصلاة؛ لاستدعاء تركيزهم أثناء الخطبة. إذًا: هذا فيما يتعلق بتبنيها بشأن تربية الأبناء على المحافظة على الصلاة؛ لأن الأطفال كما ذكرنا هم مستقبل الأمة المتمثل في هؤلاء الأبناء وأفلاذ الأكباد. يقول الشاعر:

لا بد من صنع الرجال	ومثله صنع السلاح
وصناعة الأطفال علم	قد تكفله أولو الصلاح
من لم يلحق أصله من أهله	فقد النجاس
لا يصنع الأطفال إلا في	مساجدنا الفساح
في روضة القرآن	في ظل الأحاديث الصحاح
شعب بغير عقيدة	ورق يذريه الرياح
من خان حي على الصلاة	يخون حي على الكفاح

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

كيفية الصلح بين الزوجين ونصحهما

السؤال: شخص يعيش مع زوجته وهو في حالة خصام معها أكثر من عام، فماذا نقدم لها من نصح، وهل هناك آثار تترتب على هذا الخصام؟

الجواب: لا شك أن هذا وضع لا يرضاه شرعنا الشريف بحال من الأحوال، وهذا نوع من الطلاق يسمى الطلاق النفسي، وهذا ليس تعبيراً شرعياً لكنه تعبير طبي، فالطلاق النفسي بين الزوجين يحصل أحياناً بأن تبقى المرأة على ذمته وبينهما هذا الانفصام. الشرع

الشريف لا يمكن أن يقر هذا الحال؛ لأن الله ﷻ قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٢٦﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧] فهذه الآية الكريمة في حق من يولي أي: يحلف أنه لا يقرب امرأته أبداً، ويهجرها. فالشرع الشريف حكم في مثل هذا: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾، فليس في الشريعة ما يجوز لك أن تترك المرأة معلقة بهذه الطريقة، وإنما ينظر أربعة أشهر من حين حلفه، فإن رجع وفاء وكفر عن يمينه انتهى الأمر، لكن إن أصر على التهادي لا يسمح له، ولكن: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٢٧﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧]. لكن الإنسان في مثل هذه الحالات لا يبادر بالكلام، لأنه لا يجوز لإنسان أن يعطي نصيحة في خصومة بين طرفين دون أن يسمع حقيقة الأمور؛ لأن البيوت أسرار، فمهما بذل الناس فهم لا يعرفون الغيب، أو لا يطلعون على أسرار البيت، فالإنسان إذا تعجل وانتقد موقف أحد الطرفين دون أن يسمع التفاصيل؛ فربما يفاجأ بأشياء لم تكن في الحسبان، فمثل هذه الأحوال الخاصة التي تخص الأسر ينبغي أن تكتفم أسرارها وتلحق جراحها، فلا يتكلم أحد بما لا يعنيه ولا يخوض في حقوق الناس، ولا يظلم هذا ولا ذاك حتى يسمع كل الحقيقة، ثم يتحدث إن كان أهلاً لذلك أو إذا طلب منه أن يحكم، لكن خلاف ذلك لا يجوز للإنسان، لأنه يخوض فيما لا يعنيه، وحل هذه المسألة هو الحكم فيها أمام القاضي الشرعي أو من يصلح بين الناس، والله أعلم.

كيفية حماية الزوجين من السحر

السؤال: سؤال عن حماية الزوجين من السحر؛ خصوصاً في أول ليلة زواج؟

الجواب: الإنسان عموماً يواجه أمثال هذه الأمور بالأذكار والمعوذات والأدعية والرقى الشرعية المعروفة، وأذكار الصباح والمساء أيضاً، وأيضاً التصبح بأكل سبع تمرات، ويفضل أن تكون من عجو المدينة. والحقيقة أن الكثير من الحالات المشار إليها هي في

الحقيقة ليست عن سحر، ونحن نستسهل جدًا اتهام الناس بالسحر، وكل شيء نرجعه إلى السحر، وهذا نوع من الغلو موجود في كثير من الإخوة. المقصود من أي مشكلة تعرض أن نتعامل معها بالأسباب العادية؛ فأحيانًا يكون الداء هو الوهم والشك، أو عوامل نفسية أخرى، فينبغي الأخذ بالأسباب الطبيعية في جانب، والمضي في الرقى الشرعية؛ لأنه لا سبيل إلى التعاون مع السحر فهو كفر وضلال مبین، فلا يواجه السحر إلا بالأذكار والأدعية الشرعية، وبجانب ذلك الأخذ بالأسباب: بأن يتوجه إلى الطبيب النفسي، والغالب أنها تحل إن شاء الله تعالى بالأسباب العادية، والذي يحصل هو غلو وتنطع كبير في اتهام الناس بأنهم صنعوا سحرًا ونحو ذلك. ومن ذلك أنه كلما خطبت فتاة تفشل الخطبة، ثم يقال: هذا سحر لكي تفشل الخطبة، فنسبوا المشكلة إلى فعل الآخرين، وهذا يجعل الإنسان لا يمشي في الطريق الصحيح للعلاج، فلا بد أن يفتش الإنسان في نفسه لينظر ما الذي يجعل الخطبة تنفسخ، أو ربما هي تقوم بأفعال معينة كي لا يتم الزواج، وهناك قصص كثيرة في مثل هذا، فقد يكون هناك شيء من صنعها هي، أو ربما هي تخرج في كل شخص علة معينة، أو أهلها يتصرفون تصرفات معينة فبالتالي ينفر عنهم الناس، وكلما أخطأنا في التشخيص فإننا نمضي بعيدًا جدًا عن طريق العلاج الحقيقي، لكن عندما نواجه المشاكل بطريقة موضوعية نستطيع أن نختصر الطريق، ونحل المشكلة بالفعل، والله تعالى أعلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سن الزواج للذكر والأنثى

السؤال: هل لا بد من بلوغ سن معين للشباب والفتاة كي يتم الزواج، أم يكفي بلوغها؟

الجواب: لا يكفي البلوغ، وإنما لا بد معه من النضج؛ لأن في الزواج تحمل مسؤولية كبيرة بالنسبة للطرفين، وفي نفس الوقت موضوع النضج الاجتماعي يتفاوت أحيانًا من مجتمع إلى مجتمع، من ثقافة إلى ثقافة، ومن شرط إلى شرط، فمن الناس من يتسم بنضج اجتماعي مبكر جدًا فهذا لا بأس بزواجه، وفي بعض المجتمعات يربى الأولاد من الطفولة

الباكرة على تحمل المسؤولية في الصحارى والمزارع ونحو ذلك، ويكون منتجاً من صغره بحيث إنه لا توجد عنده فترة الطفولة الاقتصادية الموجودة في المدن حيث تطول فترة التعليم في الطفولة الاقتصادية، ويظل عبئاً من الناحية المادية، والبنت تؤخر الزواج. والثقافة لها أثر على النضج والاستقلالية فهذه مسألة نسبية، لكن على أي الأحوال ما قلته ليس من عندي ولكن من القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَأَبْنُوا الْيَمَانَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَأَسْتُم مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ [النساء: ٦] فتأمل كلمة: ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ والتي تعبر عن القدرة على الإنجاب، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ ثم قال: ﴿فَإِنْ ءَأَسْتُم مِّنْهُمْ رُّشْدًا﴾، فهذا يدل على أن ليس كل من بلغ ونما جسده يكون قد تم عقله وشخصيته ونضجه الاجتماعي؛ بحيث يتحمل مسؤولية خطيرة مثل مسألة الزواج، فالقدرة على الإنجاب والنضج الانفعالي والعاطفي والعقلي والشخصية شيء آخر، إذ لا بد من التأكد منه كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَأَسْتُم مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ لكن قد يبلغ النكاح ولكنه ما زال متأخرًا في النضج، وبالتالي لا يزوج حتى لا يسفه إذا مكن من هذا المال. والنبى ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ»^(١٦٢) ولم يقل: من احتاج إلى الزواج فليتزوج؛ لأن كل الناس محتاجون إليه، لكنه قال: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ»، فالزواج لا ينظر إليه على أنه حل لمشكلة. إذًا: لا بد أن يكون قادرًا ومستطيعًا لكل أنواع الاستطاعة، فهو دلالة على الاستطاعة كما قلت من قبل: مثل رسالة (الدكتوراه) لا تعطى لمن يرغب فيها؛ لأن كل

(١٦٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الناس ترغب فيها، لكن تعطي لمن يستحقها، فالزواج له ارتباط شديد بكل أنواع الاستطاعة.

وجوب بر الوالدين

السؤال: شخص ملتزم ومتعبد ويفعل الخير، لكنه يكره أبويه ويجب موتها، ولا يعرف هل يدعو عليها أم لا، ويذكر بعض الأخطاء التربوية التي ارتكبتها الأبوان في الصغر من تمييز إخوته عليه... إلى آخره، وأن أباه وأمه لم يربوهم كما ينبغي؟

الجواب: هذا نوع من العقوق؛ لأن بر الوالدين واجب بالعقل، ثم جاءت الشريعة بنصوص قاطعة في وجوب بر الوالدين، وأجل ما يؤكد ذلك قال تعالى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٤﴾** وَوَضَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ بَوَالِدَيْهِ حَمَلَتُهُ أُمَّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلُّهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ [لقمان: ١٤] إلى قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٥﴾** وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [لقمان: ١٥].

فقوله تعالى: **﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾** وارد مع هذين الأبوين اللذين يدعوانه إلى الشرك، بل يجاهدانه على أن يشرك بالله، ومع ذلك قال: **﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾**، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله، لكن مع ذلك أمر بمصاحبة أمثال هذين الوالدين بالمعروف؛ فهل ما فعله أبواك يصل إلى حد أن يجاهدك على الشرك، حتى تصل إلى هذه الدرجة من العقوق؟ هذا أولاً. ثانياً: صحيح أنك تتحدث على النواحي التربوية كثيراً لأهميتها وفائدتها، فحتى لو كان قد أخطأ الأب أو الأم في أسلوب تربية الطفل فإنه لا يسقط حقه في البر؛ لأنه أحسن إليك الإحسان الذي لا يمكن أن تجازيه عليه، وهو أنه تسبب في وجودك في هذه الحياة، فهذه نعمة وإحسان لا تقدر على الوفاء به مع ما فعل. ثالثاً: الإنسان لا يعيش تأثير الماضي دائماً، وهناك من يحصر نفسه في الماضي، ويجب تحويل مآسي الماضي إلى حاضر يؤرقه ليل نهار، وأنه ضحية الماضي، فنقول له: دعنا في الحاضر وفي

المكان الذي نحن فيه، لا ترجع إلى الوراء، وما مضى فات ومات، واندفن واندثر، فلا تتفرج إلى الماضي وأن أباك فعل كذا، وأمك فعلت كذا، وأنت ناغم عليهما، ففي الغالب أن الأب والأم اللذين يسيئان إلى طفلها لا يقصدان أي نوع من أنواع الإساءة فعلاً، وهو صادر عن جهل، ولعل جهلهما يشفع لهما، لذا لا تتسرع بالانتقام ممن أحسن إليك أعظم الإحسان وهو أنه كان سيئاً في وجودك، فهذا شعور غير سوي، فالأب والأم لا يأخذ الإنسان حقه منهما، أو يرفع قضية على أبيه ويقاضيه. وهناك حدود للتعامل مع الأبوين؛ إذ ينبغي مراعاتهما، ولا داعي أن ينجر الإنسان وراء الماضي ويعيش أسيراً لأخطاء الماضي، بحيث يعجز عن أن يواجه مسؤوليات الحياة الآن. ويبدو أن هذا السائل خائف من شؤم عقوق الوالدين، فإنه يقول في سؤاله: إنه يتمنى أن لا ينجب أطفالاً. وسأل أكثر من مرة عن حكم منع الحمل نهائياً، لماذا؟ لأنك خائف أن هذا السلوك يتكرر منه بعد ذلك، إذًا: فأحسن إلى والديك تجد عاقبة ذلك في ذريتك، والله تعالى أعلم.

أحلام اليقظة

السؤال: شخص يسأل عن موضوع أحلام اليقظة؟

الجواب: أحلام اليقظة ظاهرة وواضحة جداً في سن المراهقة، وأحلام اليقظة في حد ذاتها ليست ضارة، لكن الغلو فيها هو الضار؛ لأنه يستهلك الوقت، وسن المراهقة من الثانية عشرة وحتى الثامنة عشرة أو العشرين، وذلك شيء طبيعي، لأن الإنسان مقبل على الحياة وفي شبابه، وجسمه وعقله ينمو، وإمكانياته تنمو، ويتطلع دائماً للمستقبل، فهو دائماً يخطط للمستقبل، يقول: سوف أفعل كذا ثم بعد كذا أفعل كذا إلى آخره. فكون الإنسان يحلم أحلام يقظة ويؤمل في المستقبل في أمور حسنة لكي يفعلها في أمر دين أو دنيا، لا بأس بذلك، وهذا شيء طبيعي، وشيء مستحسن لو أن هذه الآمال تحفزك على الإنتاج، وتعطيك طاقة على أن تنجح وتتخرج وتدخل كلية كذا. لكن إن كانت الأحلام هروباً من تحمل المسؤولية، والغرق في الأوهام، ففي هذه الحالة تكون القصة قريبة من قصة ذلك الرجل الذي أتى بجرة العسل وعلقها على الحائط وهو ممسك بالعصا ويقول: أبيع هذا العسل

وأكسب منه كذا، ثم آتى بالمال وأشتري منه كذا وكذا إلى مشروعات متسلسلة يلد بعضها بعضاً، إلى أن قال: ثم أتزوج، ويرزقني الله ولدًا، ثم هذا الولد آخذه بالأدب وأكون حازمًا في تربيته، فإذا عصاني قلت له كذا، وأضربه بهذه العصا، ورفع العصا فكسر جرة العسل وسال العسل على الأرض. فالاستغراق في أحلام اليقظة صفة غير حميدة أو وضع غير حسن؛ لأنه استهلاك للوقت بصورة غير سوية، لكن إذا كان المستقبل يحفزك على العمل، وبالمعدل المعقول فلا بأس، أما إضاعة ساعات أو ساعة في أحلام يقظة. فهذا هروب من الواقع فليراجع نفسه.

التسريط العائلي

مشاكل الأطفال النفسية

السرقعة عند الأطفال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد: فقد وردت عدة أسئلة من بعض الإخوة، وفيها شكوى في انتشار صورة من صور خيانة الأمانة بالنسبة لبعض الأطفال، وهي: ظاهرة السرقعة عندهم، فرأينا أن نلقي الدرس حول هذه الظاهرة؛ لأن معرفتها مهمة للجميع في الحقيقة، سواء من كان عنده أطفال يعانون من هذا الوصف -السرقعة- أو من عنده أطفال عوفوا من ذلك أو لما يكبروا، حتى يفهم كيف يمكنه وقاية أطفاله من تلبسهم بهذه الصفة. فالسرقعة بالنسبة للأطفال هي: امتلاك الطفل شيئاً ليس من حقه بعيداً عن عيون أصحاب هذا الشيء وبدون إذنه، لكن أهم شيء ولا بد أن نلتفت إليه في هذا الموضوع منذ البداية: أن السرقعة صفة مكتسبة، فليس هناك طفل يولد مائلاً إلى السرقعة، لكن البيئة التي يتربى فيها ويتفاعل معها هي التي تُرسخ فيه هذا النوع من الخيانة أو هذا النوع من تضييع الأمانة عن طريق السرقعة، فلا بد أن ننظر في الأسباب والدوافع التي تؤدي بالأطفال إلى التلطف بظاهرة السرقعة.

أسباب وجود ظاهرة السرقعة عند الأطفال

الأسباب المباشرة للسرقعة لدى الأطفال

هناك أحياناً أسباب مباشرة تدفع الطفل إلى السرقعة، فيمكن أن يكون الطفل فقيراً، وتنقصه الاحتياجات الأساسية.. جائع.. عطشان.. يحتاج إلى شيء من هذه الاحتياجات، فهو يسرق ليأكل، بالذات إذا كان هذا الطفل الفقير يخالط أطفالاً من أبناء الأثرياء، فيشعر بالحرمان إذا قرن حاله بحالهم، وهو لا يجد الأكل أو الشراب أو الأشياء الأساسية، فيرى

أن السرقة في هذه الحالة تشيع احتياجًا أساسيًا، إذًا: السرقة هنا لسبب مباشر كما ذكرنا. قد يكون من دوافع السرقة إشباع رغبة أو عاطفة أو هواية عند الطفل، فمثلاً: يريد أن يلعب وليس عنده لعبة، أو عنده رغبة في اللعبة التي في يد الطفل الفلاني فيسرقها ليشبع رغبة اللعب، أو يكون الدافع عاطفياً كأن يكون ارتكب خطأً تافهًا فعاقبه أحد الوالدين عقوبة شديدة لا تتناسب مع حجم هذا الخطأ، فيبدأ يسرق كوسيلة من وسائل الانتقام من الوالدين، أو الانتقام من المدرس إن كان هو الذي عاقبه بأكثر مما يستحق. ومن الدوافع: فقدان حب الأسرة؛ لأن الأسرة قد تخل في إشباع هذا الطفل من الناحية العاطفية بالحب والحنان ونحو ذلك، كأن تكون الأسرة لا تتمنى وجود هذا الطفل في الحياة لسبب أو لآخر، فإذا كان الطفل غير مرغوب فيه فهذا ينعكس على سلوكيات الآباء نحو هذا الطفل بالذات، وبالتالي لا يبذلون له الحب أو الحنان أو العاطفة التي هي من حقه، فيشعر الطفل بأنه منبوذ. قد يكون من الدوافع: شعوره بأنه قادر على النيل من أعدائه، أو الأولاد الذين يغيظونه أو يعادونه، فعندما يسرقهم يشعر بالانتصار؛ لأنه استطاع أن ينال منهم، ويدعم توكيد ذاته، وخاصة إذا كان غير محبوب من زملائه. كذلك عندما يكون زملاؤه لا يحبونه ويؤذونه وهو مستضعف بينهم، فربما يسرق ليهدي إليهم الهدايا، فيحصل على حبهم أو على عطفهم، فيمكن أن يكون الدافع: أن يرغب في كسب زملائه، فيسرق كي يعطيهم الهدايا. ويمكن أن يكون هذا الطفل فاشلاً من الناحية الدراسية، فيبدأ يسرق كنوع من التعويض عن هذا الفشل. قد يكون هناك نوع من سوء التوافق الاجتماعي؛ لأن سلوك (الشلة) المحيطة به من أصدقائه منحرف، فيأخذ منهم هذه الأخلاق.

العوامل المساعدة على تفشي السرقة لدى الأطفال

هناك عوامل مساعدة على تفشي السرقة إلى جانب هذه العوامل التي أشرنا إليها، ومنها: نقص شعور الطفل بالأمن والاستقرار، وهذا طبعاً يكون بسبب وجود تغير في معاملة الوالدين أو تفكك الروابط الأسرية، كأن يولد أخ أو أخت لهذا الطفل، فيرى أن الاهتمام كله انتقل منه إلى هذا الأخ الجديد المولود حديثاً؛ فيبدأ يغار منه بسبب ما يلحظه

من التغير في معاملة الوالدين مما يؤثر في شعوره بالأمن والاستقرار. كذلك أيضًا: تفكك روابط الأسرة التي تجعل الطفل يبدأ يشك في حب الوالدين له، وبالتالي تحصل السرقة كرد فعل لهذا الحرمان، أو يفعل ذلك محاولاً استعادة الشعور بالأمان الذي فقده في هذه الأم أو هذا الأب. كذلك من العوامل المساعدة على سلوك السرقة: التدليل الزائد، كأن يكون الطفل الأول أو يكون هو الطفل الوحيد فيتعود بسبب التدليل الزائد على أن كل طلباته تجاب، فيصبح الطفل الصغير هذا ملكاً غير متوج، فيبقى هو الأمر النهائي، وكأن من علامات الحب له أن تكون كل طلباته مجابة، والتدليل لا بد منه لكننا نتكلم عن الغلو فيه أو الإفراط فيه، طبعاً الطفل في هذه الحالة يصل إلى مفهوم معين فيفهم أن كل شيء يطلبه يناله، ففي هذه الحالة يفهم أن الحياة والتعامل مع الناس قائم على الأخذ فقط، فإذا كبر يصطدم بأن الحياة هي في الحقيقة أخذ وعطاء، وربما كان العطاء أكثر من الأخذ. ونلفت النظر إلى شيء مهم جداً، بالذات حينما توجد المشاكل بين الزوجين، وتكون العلاقات متوترة، والنزاعات مستمرة، ولا يوجد تفاهم بين الزوجين، وبالذات عندما تظهر هذه الأشياء أمام الأطفال، ويدفع الجميع الثمن، وأولهم الطفل الذي هو ضحية النزاعات بين الأبوين، أو التضارب في القيادة التربوية، الأب يقول له: اعمل كذا، والأم -لكي تعاند الأب- تقول: لا تعمل، فيحصل الخلاف ويشعر الطفل بهذه الأوضاع، فنقول: إن هؤلاء الآباء أحياناً إذا طلب من أحدهم أن يضحى بأي شيء مادي في سبيل إسعاد هذا الطفل البائس فهو يقول: أنا مستعد أن أدفع أموال الدنيا! فنقول له: حتى لا يشقى ابنك ويصبح ضحية لن يكلفك الأمر أموال الدنيا، ولن يكلفك أموالاً على الإطلاق، وإنما يكلفك أن تتغلب على المشاكل التي بينك وبين زوجتك لمصلحة هؤلاء الأولاد، قد يصل العناد أحياناً ببعض الآباء إلى أنه لا يكون مستعداً لفعل مثل هذه الخطوة، ولا يدرك خطورة الثمن الفادح الذي سوف يدفعه هؤلاء الأولاد. إذا كان الأبوان مستعدين للتضحية بأي شيء في سبيل إسعاد الابن والابنة، فالأولى لهما أن يضحيا بعلاج هذه المشاكل بسلوك مسلك سليم في التعامل أمام الأولاد، وإصلاح ما بينهما من التفكك حتى لا ينعكس على نفسية هؤلاء الأولاد، فهذا هو

لب العلاج، بالذات في الأسرة التي توجد فيها مشاكل بين الأبوين، وبالتالي يكون الأولاد هم الضحية!

أنواع السرقة

عند الكلام عن السرقة من المهم أن نتكلم عن أنواعها؛ لأن السرقة لها أنواع كثيرة، فهناك سرقة ذكية، وهناك سرقة غبية، فالذكية يصعب كشفها، لكن السرقة الغبية: تكون نتيجة عن كون الطفل مبتدئاً في هذا الموضوع وصغيراً، فيبدأ السرق بطريقة غبية بحيث تكتشف السرقة بسهولة. كذلك يجب أن نفرق بين السرقة العارضة والسرقة المعتادة، فالسرقة العارضة: تنشأ نتيجة التحريض على السرقة أو قليل من الإغراء، فيقدم على هذا السلوك ثم يرجع عنه؛ لأن هذا نتيجة شيء عارض، لكن السرقة المعتادة: أن تصبح السرقة لديه عادة متكررة لا يرجع عنها. فإذا: نحتاج إلى أن نعرف نوع السرقة، هل يسرق الطفل لإشباع حاجة أساسية كأن يكون جائعاً وليس معه مال ليأتي بطعامه، فيدخل محلاً -مثلاً- ويسرق شيئاً يأكله؟ فهل السرقة للحاجة أم أنها للمباهاة؟ فعندما نعرف السبب فإن ذلك يساعدنا على علاج هذه الظاهرة، فإذا كانت السرقة نتيجة أنه لا يعطى المصروف مثلاً أو لا يأخذ طعاماً فلا بد إذاً أن توفر له الاحتياجات الأساسية؛ حتى لا يسلك هذا المسلك، فهناك سرقة للحاجة، وهناك سرقة للمباهاة، أي: أنه يريد أن يفتخر أمام أصدقائه فقط، فهذا نوع من حب الظهور عند الطفل في أن يظهر عند زملائه أنه استطاع أن يفعل هذه السرقة. وهناك سرقة فردية وسرقة جماعية، فالجماعية: أن يشترك مجموعة في السرقة، والفردية: أن يسرق بمفرده، لكن السرقة الجماعية هي جزء من عصابة من الأطفال السراق، فهذا معه عصابة وعمل جماعي، وكل واحد له دور محدد يؤديه. أيضاً: هناك فرق بين السارق المحترف والسارق الماهر، فالسارق الماهر يتميز بالذكاء والمهارة واللباقة وسرعة البديهة، أما السارق المحترف فهو يكون عنده مهارات مميزة جداً في الناحية العقلية والجسمية والحركية، كخفة اليد والأصابع وسرعة حركتها... إلى آخره. كذلك يكون عنده هدوء أعصاب،

وهذه الحالة تكشف أنه محترف و متمكن جداً في السرقة، بل ربما يتظاهر بالأدب والتأنق والمودة والاحتشام ومساعدة الغير؛ حتى يسهل وقوع الفريسة في الفخ!

أسباب نشوء ظاهرة السرقة عند الطفل

السرقة كسلوك منحرف تبدأ في سنوات الطفولة المبكرة، لكن ذروتها تكون في سن خمس إلى ثمان سنوات، ففي الخمس السنوات الأولى من الخطأ الشديد أن تعامل الطفل بعقليتك أنت؛ لأنه في البداية لا يدرك أنها سرقة، وأيضاً من الخطر الشديد أن تدعو الطفل بلقب أو تعلق له شارة: حرامي، لص، وتناديه: يا حرامي! يا لص! فإن إخوانه سيعبرونه به، وهذا الأمر له أضرار في غاية الشدة.

عدم فهم الطفل في سنه المبكرة لمفهوم الملكية الخاصة

وننبه هنا على نقطة مهمة جداً، وهي: أن طفلك ليس مثلك، عقلك ليس كعقله، أي: أن المفاهيم التي عندك ليست نفس المفاهيم التي عنده، ففي الخمس السنوات الأولى من عمر الطفل تسمى السرقة سرقة بريئة فهو يستحوذ على الأشياء التي لا تخصه بصورة تلقائية، يرى اللعبة في يد واحد آخر، أو يعجبه شيء فيريد أن يكون بحوزته، وهذا نوع من التلقائية في التصرف، هو ليس قاصداً السرقة، ولا يعرف أن هذه سرقة ولا شيء من ذلك فهو يستحوذ على ما لا يخصه تلقائياً؛ بسبب أنه لم يحقق النضج العقلي والاجتماعي الذي وصله إلى عملية التمييز بين ملكيته الخاصة وبين ملكية غيره، ففي الخمس السنوات الأولى أصلاً لم يقف على هذا المفهوم، وهو: معرفة حدود الملكية، وأن هناك شيئاً يخصني وشيئاً يخص غيري، وعليّ أن أحترم ملكيته بحيث لا أخذه قسراً، وإن كان لا بد أن أخذه فأستأذن صاحبه. المشكلة تكمن فيما لو بدأ بالسرقة بعد سن خمس سنوات؛ لأن هذا يعد سلوكاً مرضياً ولا بد من مواجهته. إذا استمرت بعد خمس سنوات حتى امتدت إلى سن العاشرة فغالباً يكون هناك اضطراب انفعالي، ولا بد أن يعالج هذا الطفل.

جهل الطفل بمعنى الملكية الخاصة

من أسباب السرقة: هو جهل الطفل بمعنى الملكية الخاصة، وبالتالي أنه ما دام ليس عنده مفهوم الملكية الخاصة، فإنه لن يستطيع أن يميز بين ما يملكه وبين ما لا يملكه.

عدم اهتمام الطفل في سنه المبكرة بنظرة المجتمع إليه

كذلك هو لا يدرك أن هذا أمر سوف يحاسب عليه. كذلك لا يكون عنده نضج بحيث لا يهتم بنظرة المجتمع لسلوكه، وهذا السبب حينما نفهمه نستطيع أن نعالجه بطريقة صحيحة؛ لأننا ننمي فيه أنه سيحاسب على السرقة، وأنه آثم، والأمانة فضيلتها كذا وكذا، فنبداً بالعلاج فنغرس فيه خلق الأمانة، والترغيب فيها، والترهيب من الخيانة والسرقة، وإيقاظ الشعور بأن الإنسان محاسب على تصرفاته. كذلك نغرس فيه العناية بنظرة المجتمع إليه؛ حتى ينمو اجتماعياً بطريقة سليمة، ويضع في اعتباره أيضاً رد فعل الناس من هذا السلوك، بحيث لا يتبجح بالخروج على المعايير الصحيحة في المجتمع. أحياناً تكون السرقة عملية رمزية يعوض فيها عن حرمانه من الحب أو الحنان الأبوي؛ لأنه لا يحس أن أحداً يهتم به أو يحترمه أو يوده.

أثر الوالدين وعلاقتهم بالطفل على نشوء ظاهرة السرقة عنده

قد يكون أحد الأسباب التي تدفع الطفل إلى عملية تعويض الحرمان غياب أحد الأبوين؛ كأن يسافر مثلاً فترة طويلة أو يُسجن، أو يتوفى أحد الوالدين أو نحو ذلك. أيضاً: قد يكون السبب الحاجة أو الفقر أو الحرمان، فيسرق ليسد رمقه، وفي هذه الحالة الدافع يكون قوياً بحيث لا يدعه يفكر في عاقبة السرقة، فهو يريد أن يأكل فقط؛ لأنه جائع وليس مستعداً لأن يفكر في العاقبة. أحياناً تكون السرقة علامة تكشف عن وجود توتر داخلي في هذا الطفل، غالباً يكون اكتئاباً من شيء معين، كأن يكون ناتجاً عن كثرة الصراع بين الأبوين، واستمرار المشاكل بينهما، واطلاع الطفل على هذه الأشياء، وهو لو لم يطلع فإنه يُحس بها على الأقل.

الجو الأسري المتقلب والمضطرب

أيضاً من هذه الأسباب: الجو الأسري المتقلب والمضطرب؛ لأن جو الأسرة حين يكون متقلباً ومضطرباً نتيجة العلاقة السيئة بين الوالدين؛ فمن المتوقع أن الرقابة الأسرية تنعدم، ويحصل فيه تساهل من النواحي التربوية، وبالتالي فلا يستطيع الطفل في ظل هذه البيئة المريضة أن يتعلم التحكم في رغباته، وبالتالي يفقد الأمن والحنان.

سلبية الأبوين وأثرها في تكريس ظاهرة السرقة عند الطفل

أحياناً يكون هناك إقرار من الوالدين أو أحدهما على سلوك السرقة، كأن تعرف الأم أن الولد سرق شيئاً فلا تبالي - علماً بأن سلوك السرقة عند الطفل يبدأ من داخل البيت، قبل أن يخرج للمجتمع - وتقول: ما دام أنه يسرق في البيت فليست مشكلة، المهم ألا يفضحنا أمام الناس، ولا يشوه سمعة الأسرة، فعدم المبالاة هذه تدعم فيه هذا السلوك المنحرف. أحياناً يأتي الطفل وقد سرق شيئاً من زميله: كقلم، أو مسطرة، أو كراسة، فيقابل في البيت بنوع من الدعابة والمزاح والاستحسان أحياناً، فهذا الفعل سيدعم فيه هذا السلوك، فهو في أول الأمر يؤخذ بصورة الدعابة ثم ينتهي بأنه يصبح عادة متأصلة في هذا الطفل.

أثر الممارسات الخاطئة عند الأبوين على نمو ظاهرة السرقة عند الطفل

من هذه الأسباب: البيئة المتصدعة، فبعض الأسر يكون فيها نوع من التصدع واهتزاز القيم، فالأب مدمن منحرف السلوك، أو محترف للسرقة، فهذه البيئة يتشرب منها استحسان هذا الفعل، وأنه إذا نجح في السرقة سيشعر بلذة القوة ونشوة الانتصار.

المبالغة في الاحتياطات الأمنية لحفظ الأشياء مما يثير حب الاستطلاع لدى الطفل

من الأسباب أيضاً: سلوك الوالدين - وكلمة الوالد تطلق على الأب وعلى الأم على حد سواء - فإذا بالغ الوالد في الاحتياطات الأمنية لحفظ الأشياء سواء كانت غالية أو رخيصة، فإن ذلك سيثير عند الطفل حب الاستطلاع والحرص على اكتشاف السر، فالتكتم الشديد أو الاحتياطات الشديدة حتى في الأشياء التافهة يعطي الطفل دافعاً على أنه استطاع أن يصل إلى الشيء المخبأ سواء كان طعاماً أو غيره، ويجد في ذلك نوعاً من اللذة الكبيرة،

وبالتالي تزرع فيه نواة (أيدلوجية) السرقة بدون قصد، لأنه إذا حرص على حب الاستطلاع والاستكشاف والاجتهاد في كشف هذا السر.. وإذا استطاع أن يسرق هذا الشيء سيعاقب، فإذا عوقب يعود من جديد للسرقة، لكن هذه المرة بدافع الانتقام والتشفي، ولسان حاله يقول: سأثبت لكم أنني أستطيع أن أسرق مرة ثانية.

القدوة السيئة وأثرها في ممارسة الطفل للسرقة

كذلك القدوة السيئة كالأب أو الأصدقاء أو الإخوة كأنموذج مستحسن، ويكون أحدهم سارقاً، ثم يجيء فيحكى أمام الأولاد كيف أنه خدع صاحبه، أو كيف أنه أخذ منه شيئاً من غير أن يحس، ففي هذه الحالة سيقدم أنموذجاً يحتذى به، كذلك رد فعل الأسرة حينما يسرق الطفل شيئاً من أحد زملائه في المدرسة فمن المفترض أن يقوم الوالدان بالتحري عن هذا الأمر، واغتنام تلك الفرصة لتفهيمه حدود ملكيته وملكية غيره، وتحريضه على إعادة هذا الشيء إلى صاحبه. قد يكون أحياناً من أسباب السرقة الابتزاز، خاصة إذا كان للطفل قدرات عقلية فوق المتوسط، فبعض الناس قد يبتزونه حتى يقوم بالسرقة ويؤدي إليهم ما يسرقه.

إسراف الوالدين في العقوبة دون النظر إلى دافع السرقة

كذلك إسراف المرء في العقوبة دون النظر إلى الدوافع التي دفعت هذا الطفل إلى السرقة، وفضيخته أمام الناس وأمام الآخرين: هذا حرامي.. هذا لص.. هذا سارق فإذا كان هذا الطفل عنيداً سيستمر في التحدي، ويتماهى في هذا السلوك. إذا: السرقة أو خيانة الأمانة هي في الحقيقة سلوك اجتماعي مكتسب لا يمكن أبداً أن يظهر بدون سبب! هذه فطرة سليمة، صعب جداً أن يصدر منها شيء تلقائي مثل هذا، لكن هي ستكتسب من الجو المحيط بهذا الطفل والذي ينشأ فيه.

وسائل علاج ظاهرة السرقة عند الأطفال

ترسيخ مفهوم الملكية الخاصة والعامة في محيط الطفل

من أهم العلاجات في هذه الحالة: تكوين اتجاه إيجابي واتجاه سلبي، اتجاه إيجابي من ناحية الأمانة، وترسيخ فيه مفهوم الأمانة وندعمه، وفي نفس الوقت ننشئ عنده اتجاهًا سلبيًا من ناحية السرقة، وذلك يكون باحترام حقوق الطفل فيما يملكه من لعب ومن أدوات خاصة. ومن الخطأ التربوي أن تكون الأشياء مشاعة للجميع في البيت، فلا نقول للطفل: اللعب أنت وإخوانك، وهذه اللعبة لكم كلكم، بل يجب أن نخصه بلعبة حتى ننمي فيه احترام الملكية الخاصة وملكية الآخرين، وبالمقابل يمكن أن تكون هناك أشياء مشتركة لا يستطيع أن يلعبها إلا بمشاركة الآخرين، فمثلاً: الأرجوحة التي يلعب فيها اثنان لن يقدر أن يلعب بها إذا كانت بمشاركة آخرين، وهذه اللعبة تعتبر تربوية؛ لأنها تنمي الروح الجماعية عند الطفل. فمن الأمور المهمة جداً: أن نحترم حقوقه فيما يملكه، سواء كانت لعباً أو أدوات خاصة، أو فرشاة أسنان أو ملابس خاصة به. كذلك عندما يأتي الأب ويفتح حصالة ابنه، ويأخذ منها المال بدون إذنه، وبدون أن يردها إليه، ففي هذه الحالة هذا الطفل أتوقع أنه سيكره الأمانة، ويمكن أن يفهم أن السرقة شيء مشروع إذا كان أبوه أخذ منه ماله، ففي هذه الحالة إن كان ولا بد فعلى الوالد أن يستأذن الولد أولاً كنوع من التدريب، ويعده أنه سوف يرد إليه هذا المال، ثم يرده بالفعل؛ حتى يشعره أن هذه ملكيته الخاصة، وأنه ليس هناك من سيعتدي عليه.

وجود القدوة الحسنة في حياة الطفل والمتمثلة في الوالدين

كما أشرنا إلى أن الوالدين هما قدوة حسنة وأسوة يحتذي بها الطفل، فهو يمتص من الوالدين مواقفهما، إذ ليس هناك شيء اسمه حصة التربية، ولن يحضر الوالد في وقت معين ويقول لولده: تعال لكي أريك، فهو في الليل والنهار يتربى بسلوكيات الأب وسلوكيات الأصدقاء، وسلوكيات الإخوة، والإعلام فهذه كلها تصنع الطفل، فالتربية ليست وظيفة لها وقت دون وقت آخر، وإنما في كل السلوكيات هو يتربى؛ لذلك ينبغي للأب والمربي أن

يكون في غاية الحذر من تصرفاته أمام الأطفال؛ لأنهم يتلقون منه سلوكياته شاء أم أبى، فعندما يأتي شخص يتصل بالهاتف يسأل عن الأب فيقول الوالد لابنه: قل له: إنه ليس هنا، فيقول: إنه ليس هنا، فنكون حذرين جدًا من هذا السلوك!! إن الطفل يمتص من خلال السلوكيات التي يراها أمامه أسوة، فيرى موقف الأب والأم من احترام حقوق الآخرين ويقلد ذلك السلوك، فلو سمع مثلاً أن أباه استولى على أموال إخوانه الصغار بعدما مات جده مثلاً، وأنه تمكن من نهب هذه الأموال، ويحكيها كذكاء أو مكسب، فهذا يعتبر درساً، والوالد هنا قدوة، فلا يعاتبه بعد ذلك إذا فعل نفس الشيء.

إشاعة روح التعاون والتضحية في حياة الطفل

كذلك إلى جانب تنمية الشعور بالملكية الخاصة لا بد أن ينمى في الطفل روح التعاون، والأخذ والعطاء مع الآخرين، صحيح أن تقول له: هذه الأشياء ملكك أنت، هذه لعبك.. هذه ملابسك.. هذه أدواتك، لكن في نفس الوقت تقول له: عندما يحتاج أخوك منك شيئاً ويستأذنك عليك أن تعطيه، أو تقول له: حين تجد صاحبك محتاجاً إلى شيء قطعاً مثلاً أو أدوات فعليك أن تعطيه. كل هذا الفعل حتى ننمي فيه روح التعاون مع الآخرين، بحيث لا يتطور موضوع الملكية الخاصة إلى درجة من درجات الأنانية، فلا بد أن يتدرب على التمييز بين الشيء الذي يملكه، والشيء الذي يملكه غيره، ونحن نعرف أن هناك غريزة حب التملك، وهي غريزة من غرائز البشر، فهذه الغريزة قوية في كثير من الأطفال، بل لديهم ميل إلى ادعاء ملكية أي شيء يحبونه، يقول: هذا لي، بالرغم من أنه ليس ملكه، لكن لأنه أحبه فهو يريد أن يستحوذ عليه، لكن يجب أن نضع له الحدود ونقول له: ليس كل ما تحبه يكون ملكك، بل لا بد أن تنظر هو ملك من؟ وكيف يمكنك امتلاك هذا الشيء؟ وهذا مثال في إشاعة روح التعاون بدلاً من الأنانية: إذا أراد الطفل أن يلعب بلعب أخيه، نقول: استأذن أخاك أولاً؛ لأنها ملكه هو، فإن أذن لك اللعب معه، وبالمقابل شجع أخاه وقل له: أعطه اللعبة؛ لأنكم إخوة وأنت كذا... إلى آخره، فهو لن يتنازل عن ملكيته الخاصة قهراً، وإنما سيتعود على الأخذ والعطاء بالتراضي بين الاثنين، لكن لو أن كل

الأشياء ملكيتها مشاعة بين الأولاد كلهم فسيحصل اختلاط الأدنى والأقصى، وسيختلط عليه الأصل، وبالتالي السلوك الذي تعلمه داخل البيت: أنه ليس هناك شيء اسمه ملكية خاصة، سينقله إلى خارج المنزل في المجتمع، فيكون كلما أراد شيئاً يأخذه، حتى لو لم يكن ملكاً له؛ لأنه لم يتعود في البيت على احترام الحدود بين ما يملكه هو وما يملكه الآخرون.

عدم التعجل في اتهام الطفل بالسرقة وتقصي ملابسات قيامه بهذا الفعل

الأمر المهم ألا نتعجل في وصم طفل بالسرقة، ولا ينفذ أن تعلق عليه وتصفه بالكذب، وتقول: تعال يا كذاب، اذهب يا كذاب! فأنت بهذا تحطمه، فكل طفل يخطئ، أنت عندما كنت في نفس سنه أكيد أنك كنت ترتكب نفس الأخطاء، فكوننا نصم الطفل بالسرقة وهو في مرحلة التكوين هذا فيه نوع من الظلم، وزيادة المشكلة وليس حلها، فالسرقة عندما تحصل من الأطفال قبل سن الخامسة لا تكون سرقة بالمعنى المفهوم عندنا، فإذا حصل عندنا شك في أن هذا الطفل يسرق فلا بد أولاً: أن يحصل نوع من المراقبة لسلوكه لبضعة أيام؛ حتى نحدد متى يسرق؟ وماذا يسرق؟ وهل يأخذ الشيء معه عندما يسرق أم يتركه؟ هل يحتفظ به أم يجلس بجانبه؟ عندما يسرق هل ينظر إن كان أحد يراه أم لا؟ هل يضع الشيء المسروق في جيبه أم يمسكه في يده؟ هل يخفي الشيء المسروق في مكان معين؟ هل يعترف بالسرقة عندما يستجوب أم أنه ينزعج؟ هل يقول: هذا ملكي يخصني، أم أنه يقول: إنها أخذته بالصدفة؟ وهل عندما يأخذ شيئاً يعيده إلى صاحبه أم أنه يرفض؟ وهل يسرق أشياء صغيرة تدخل في الجيب أم أشياء كبيرة، أم يسرق أجزاء من أشياء كبيرة؟ هل يسرق ممتلكات زملائه أم أدواتهم المدرسية أم يسرق طعاماً أم نقوداً؟! وكما أشرنا لا بد أن نعرف هل السرقة عارضة أم أنها متكررة؟ لأنها لو كانت متكررة فستكون بداية احتراف، ويكون هذا مشروع مجرم في المستقبل. هل هو في سلوك السرقة يقلد أشخاصاً آخرين أم لا يقلد؟ هل السرقة تؤدي وظيفة نفسية معينة أم تسد بعض احتياجاته التي أشرنا إليها من قبل؟

عدم المبالغة في ترك المال في متناول الطفل

بعض الناس يجعل المال متاحًا للطفل ليسهل عليه الوصول إليه، حتى إن بعض الآباء -جهلاً منهم- يقول: أنا أرمي المال تحت قدميه؛ كي يتحصن من السرقة ولا يفكر فيها. طبعًا هذا خطأ، والمثل العامي يقول: (المال السائب يعلم السرقة) فالمال المتاح يكون فيه نوع من الإغراء، والطفل ليس عنده النضج الكافي ليقاوم إغراء المال خاصة إذا كان محتاجًا إليه، ففي هذه الحالة المال يوضع في مكان محفوظ. وهذا لا يتعارض مع ما قررناه سابقًا من خطأ بعض الآباء عندما يبالغون في حفظ كل شيء حتى الأشياء التافهة؛ لأن ذلك يغرس فيه حب الاستطلاع ليستكشف هذا الشيء، لكن كلامنا هنا على أن المال يكون متاحًا بصورة سهلة جدًا، والذي يقول: أنا أرمي المال تحت رجليه؛ حتى يتحصن من السرقة، فهذا سوف يؤدي إلى انعدام الدافعية لتحصيل المال عندما يكبر؛ لأن المال تحت رجليه طوال العمر، فإذا كبر سينعدم الدافع لكي يجتهد في تحصيل المال، ويؤدي أيضًا إلى أنه يستهين بصرف المال في الأوجه المفيدة، والطفل إذا رأى المال أمامه طوال الوقت فإنه في هذه الحالة ستدخل عليه الوسوسة ليقدّم على السرقة بطريقة تدريجية. في بعض الأحيان يحصل نوع من التدعيم للسلوكيات المنحرفة، فمثلًا: يعود الطفل على الغش في حياته اليومية، كما حصل من بعض المدرسين: حيث قام الأولاد يغشون في الامتحان، ويتناقلون الأوراق مع بعضهم البعض، والمراقب يقول لهم: لا بأس! لا بأس! فنحن كنا نعمل مثلكم، فطبعًا هذا تدعيم للسلوك المنحرف، فالولد يرجع إلى البيت ويقول: كان هناك غش في اللجنة، فيستحسن الوالدان ذلك باعتبار أنه فك الأزمة التي هو فيها عن طريق الغش، فهذا تحطيم للطفل، بل بالعكس! يجب أن تقول له: إذا سقطت في الامتحان أهون عندي من أن تغش؛ لأنك ستحترم نفسك وأنت كذا وكذا!! فمن وسائل تدعيم سلوك التعود على الغش في الحياة اليومية أن يقوم الأب بمدح ابنه لمهارته في الغش في الامتحان أو ما شابه ذلك. فتكوين صفة الأمانة يتم في السنوات الأولى من حياة الطفل، فنستغل دائمًا أي فرصة يعتدي فيها الطفل على ملكيات الآخرين ونوجهه إلى ما يجب عمله في مثل هذه المناسبات: هذه ليست

ملكك، هذا ملكه هو، ولا بد أن تذهب إلى زميلك وترجع إليه المسطرة أو ترجع إليه القلم... إلى آخره.

معرفة أسباب نشوء ظاهرة السرقة عند الطفل تساعد على منع تفاقمها

بالنسبة لعلاج السرقة إذا كان السبب واضحاً فعلاجه يكون سهلاً جداً، كأن تكون السرقة ناشئة عن وجود خلاف بين الأبوين، فيحصل عند الطفل اكتئاب، وكثير من الآباء يظنون أن هذا الطفل لا يفهم شيئاً، بل بالعكس فإن الطفل يدرك وجود خلاف بين الوالدين، وكذلك فإن وجود الخلاف بين الوالدين وبين الطفل وسوء معاملته يعد من الأسباب، فإذا حددنا السبب سهل العلاج عن طريق علاج السبب نفسه. طبعاً إذا استمرت السرقة بعد سن العاشرة فهذه مصيبة كبيرة؛ لأن هذا سلوك مرضي منحرف، فالطفل بعد سن العاشرة المفروض أنه يبدأ عنده نمو الوازع الخلقى، أما قبل ذلك فإن موضوع الوازع لا يكون قوياً عنده، وفي نفس الوقت الطفل يبدأ بالابتعاد عن أن يتمركز حول نفسه، ويبدأ يمتنع عن الإشباع الفوري للدوافع إذا وصل إلى مرحلة النضج، وبالتالي: فيفترض أن تقل السرقة بعد سن العاشرة أو تنعدم، لكن إذا استمرت السرقة مع نمو الوازع في نفسه ومع القدرة على الامتناع عن الإشباع الفوري للدوافع، وعدم التمركز حول الذات، فهذا مؤشر في غاية الخطورة كما ذكرنا سابقاً. فمن الأمور المهمة جداً غرس القيم الإسلامية والخلقية والتفريق بين الحلال والحرام وتنمية هذا الوازع.

ملخص لوسائل علاج ظاهرة السرقة عند الأطفال

نلخص باختصار شديد العلاجات المفروضة لمن لاحظ موضوع السرقة في الطفل: .

معالجة الحرمان المادي وترسيخ مفهوم الملكية الخاصة والعامة

معالجة الحرمان المادي بتوفير الضروريات اللازمة لهذا الطفل؛ كالأكل والشرب والملابس، وغيرها من الاحتياجات الأساسية التي لا بد من توفيرها له. أيضاً: إشباع ميله إلى التملك والاستحواذ، وهذه يسمونها: (غريزة حب التملك) وهي فطرة في الإنسان، فيجب أن تشبع عنده غريزة حب التملك، بأن تبين له أن هذا الشيء ملكه، وأنه ليس

مشاعاً بينه وبين إخوانه، فكما أنه يوجد أشياء مشاعة فأيضاً لابد أن يكون له أشياء خاصة به، فلا بد من علاج الحرمان المادي بتوفير الضروريات اللازمة للطفل وإشباع ميله إلى التملك والاستحواذ. أيضاً: احترام ملكية الطفل، وتعليمه احترام ملكية الغير، فإذا ظهرت ظاهرة السرقة لا بد من التعامل الحازم والمباشر والسريع معها، فإذا أحضر شيئاً من صاحبه ليس ملكه، أو أحضر معه شيئاً من المحل رغم أنه ليس معه مال، فلا بد من تنبيهه إلى الخطأ الذي عمله، فنقول له: هذا خطأ، ولا بد أن تعيد هذا الشيء إلى صاحبه، وإن أخذ شيئاً من المحل وأكله مثلاً، فلا بد أن يأخذ المال بنفسه ويعطيه لصاحب المحل. أيضاً: يمكن أن نعلمه الاحترام للملكية الآخرين بأن نأخذ شيئاً من خصوصياته - لعبة مثلاً - ونعطيها لطفل آخر، طبعاً هو سيثور، فعندها نفهمه ذلك قائلين: إنك غضبت لأننا أعطينا غيرك ما هو ملكك من غير أن نستأذنك، فنفس الشيء بالنسبة لك: إذا أخذت من أحد من الناس أو من أحد أصحابك أو من أحد إخوانك شيئاً يملكه هو فتكون بذلك أخذت ما لا تملكه، لكن هناك طريقة للحصول على الأشياء: إما أن يعمل الإنسان عندما يكبر ويحصل على المال، ويبدأ يشتري الذي يريده، أو أنه يستأذن صاحب هذا الشيء في استعماله. في نفس الوقت يمكن أن تكافئه إذا أنجز عملاً ما، كأن تقول: أنت عملت الشيء الفلاني، أنا أكافئك بأن أشتري لك هذه اللعبة؛ حتى تحسسه أن هناك مقابلاً، ليس مجرد أخذ.. وأخذ.. وأخذ، بل هناك أخذ وعطاء، فيمكن أن تطلب منه فعل شيء كأن تقول له: ساعد والدتك في الشيء الفلاني، أو اقض الأعمال الفلانية، وتذكر له مهمة بسيطة لمجرد أن تفهمه أن هناك مقابلاً، يعني: الإنسان عندما يجب أن يحصل على شيء فليس بمجرد أنه يتمناه يحصل عليه، أو يستولي عليه، لابد أن يتعب للحصول عليه. أيضاً: لا بد من ممارسته للملكية الفردية والعطاء لأقربائه، فمثلاً: نقول له: (السندويتش) ملكك، لكن إذا وجدت صديقك جائعاً، أو يريد أن يأكل معك أعطه منها، أو أعطه شيئاً من الحلوى، وتقول: هذه لأجل أن تعطي صديقك، وهذا الفعل من الوالد يعود الطفل على العطاء، فلا بد من أن يمارس الطفل الخصوصية في الأكل، والملابس، واللعب، لكن لا تصل الخصوصية إلى حد الأنانية

والجشع. كذلك نعوده أنه إذا أراد شيئاً من خصوصيات الآخرين أنه يستأذن صاحبه، فهناك طفل أحياناً تكون الأنانية متمكنة منه بحيث إنه يأخذ أشياء الآخرين، فتقول: لا بد أن ترجعها لصاحبها، فيغضب وينفعل ويبيكي فلا تبال، وإنما تصر على موقفك وتقول: هذه ملكه هو، وليست ملكك، وأنت أخذتها، كنت معتدياً وظالماً في هذا، فالمفروض أن تستأذنه، فيذهب يستأذنه، وهو عندما يستأذن فإنما يريد من صاحب الشيء أن يوافق، وإذا لم يوافق يعمل نفس المشكلة، فنفهمه أن الاستئذان ليس من شرطه أن يقول صاحب الحق: نعم، أو أن يقول: لا، وكذلك هو أيضاً إذا استؤذن إن شاء يمكن أن يقول: نعم، أو يقول: لا.

الجمع بين الحب والحزم في التعامل مع الطفل وتنمية مفهوم الأمانة عنده

عموماً التعامل مع الطفل لا بد فيه من أمرين: الحب والحزم، لا بد في هذه القضية أن يكون هناك اتصاف بالحزم الممزوج بالعاطفة والتفهم. أيضاً: عندما تكلم الطفل لا بد أن تكون هادئاً، ويكون كلامك واضحاً جداً، ولا يكون فيه نوع من الغموض، ودون عنف وإثارة، ودون تردد وضعف أمام بكائه أو دموعه؛ لأنه سيفهم أنه لو صرخ ورمى بنفسه على الأرض فستكون هذه وسيلة للحصول على ما يطلبه. أيضاً: من المهم تنمية سلوك الأمانة عند الطفل، فيمكن أن تعلق له في حجرته حديث: (لا دين لمن لا أمانة له) أو تشرح له حديثاً في الأمانة، كذلك تمارس أنت الأمانة أمامه قولاً وفعلاً، أو تحكي له حكايات عن أناس أنت لا تكذب عليه، هذه قصص أناس كانوا عندهم أمانات فردوها طواعية، ولم يخضعوا لإغراء الأشياء التي وجدوها، ولا رقيب عليهم إلا الله ﷻ، فلا بد من ممارسة الأمانة أمام الطفل قولاً وفعلاً، وكلما كان كلامنا غير مباشر كان أفضل، وله تأثيره في الطفل، فمثلاً في الجلسة العائلية العادية ينتهز الأب أي فرصة ويحكي قصة واحد أمين على سبيل الاستحسان: ما أجمل هذا! انظر كيف الالتزام! انظر مراقبة الله ﷻ! فقد حصل كذا.. وكذا.. وكذا، فالطريقة غير المباشرة تكون أوقع مع الأطفال.

تفعيل مبدأ الثواب والعقاب في التعامل مع الطفل

كذلك ممارسة مبدأ الثواب والعقاب، فإذا عمل عملاً يدل على الأمانة تشبیه عليه، وإذا ارتكب خيانة يعاقبه عليها، ولا بد أن يكون الثواب والعقاب فورياً، فإذا رأت الأم من طفلها عملاً جيداً فلا تقول: حين يأتي والدك بالليل سأجعله يشتري لك كذا. وإنما لا بد أن تكون المكافأة فورية؛ حتى يربط الطفل بين إتيانه السلوك الجيد، وأخذه للمقابل الجيد، لكن عندما تؤجلها تفقد معناها، فيجب أن يكون الربط مباشراً بين العمل وبين الثواب أو العقاب. الكلام عن السرقة، وبيان أنه لا يليق بالمسلم أن يسرق، وأضرار السرقة على المجتمع، ولو أبيع لكل الناس أخذ ممتلكات الآخرين فكيف يعيش الناس؟! وكيف تستقيم أمورهم؟! فبين له أن هذا السلوك مرفوض من الناحية الدينية الإسلامية والأخلاقية والاجتماعية، ونفهمه أن المجتمع يرفض هذا السلوك، وهذا شيء مهم.

توفير الجو الأسري الملائم للطفل وعدم التمييز بين الإخوة

كذلك من العلاجات: الدفء العاطفي بين الآباء والأبناء، وذلك بأن تشعر الطفل بأنك تحبه، إذ لا بد أن يشعر بالأمن والطمأنينة والاحترام؛ لأن الطفل إذا أحب شخصاً فإنه غالباً لا يسرق منه، خاصة إذا فهم أن هذه سرقة. لا بد أن نزرع الثقة في نفس الطفل ولا نشعره بالنقص، لا نقول له في لحظة الانفعال: يا حرامي! أتجرؤ على الكلام بعد فعلتك التي فعلت؟! هذا أسلوب يحطم الطفل، فالوالد يتصور أنه بهذا يؤديه، لكن في الحقيقة هذا يفقده الثقة بالنفس ويشعره بالنقص والدونية، وأنه غير قادر على التماسك، وأنه غير أهل للاحترام أو الحب أو نحو ذلك. أيضاً: عدم التمييز بين الإخوة، بحيث يميز ابناً على أبنائه الآخرين؛ فيحس الآخر أنه محروم؛ لأن هذا يمكن أن يشجع على سلوك الانحراف. أيضاً: يفضل أن يندمج الطفل في جماعات سوية من الأطفال المهذبين الأمان؛ ليتعلم من خلال الجماعة نفس القيم. من الأمور المهمة جداً: عدم الضعف أمام رغباته الأنانية، بل أيجاب إلى كل ما يطلبه، فنزيل الأنانية بعدم الاستجابة لكل طلباته.

التصرف بحكمة عند اكتشاف سرقة الطفل أول مرة

إذا حصل شك في أن الطفل يسرق لا بد أن نتجنب الإلحاح عليه؛ كي يعترف بالسرقة، لأنك إذا ألححت عليه فإنك ستفتح له باب الكذب، فإذا كذب ونجا من العقاب فإنه سيظن أنه نجح في تضليلك، ونجى نفسه من العقاب، وبالتالي فسيتمرن على السرقة والكذب معاً، فكلما سرق سيكذب. كذلك أيضاً: لو أن الاعتراف استخدم معه العنف فهذا سيؤدي به إلى التماهي في السرقة، بالإضافة إلى أنه كل مرة خبرته ستزيد، وسيبدأ يأخذ خبرات، ويعرف ما هي نقاط الضعف التي كشفتها في المرة التي فاتت، وسيحكم الخطة كي لا يكتشف في المرة التالية. كذلك من الأمور المهمة: عدم تأنيبه على السرقة أمام الآخرين، فلا ينبغي أن تفضح الطفل وتصفه بأنه حرامي ولص أمام الآخرين، وإلا سيشعره ذلك بالنقص، وشعوره بالنقص سيؤدي إلى الانزواء من البيئة الاجتماعية، وليس هذا فحسب، بل قد يتعود على هذا اللقب، ولسان حاله: ما دام أن الجميع يصفني بأني حرامي ولص فليكن ذلك، وربما أنه يرى هذا اللقب رمز للانتصار على الآخرين، وعلى الكبار خاصة، لكن الصحيح أن نعامله بحب وصدقة مع حزم، أي: بحزم فيه نوع من المرونة، وإذا لم نعامل هذه المشكلة بهدوء واتزان فنحن نضع منه فعلاً لَصاً حقيقياً. أيضاً: نجتنب العبارات التي تضر بالطفل، كأن نقول له: أنت ألحقت بنا العار.. لوّث سمعة الأسرة أو العائلة.. إن كان ولا بد فاسرق من البيت، وليس من بيوت الآخرين، فمثل هذه العبارات تضر بالطفل! أيضاً: توافر القدوة الحسنة أمامه في سلوك الراشدين نحو الأمانة. أيضاً: نختار له ما يقرؤه وما يشاهده، والإعلام الذي يمكن أن يتعرض له، والكتب التي يمكن أن يقرأها بحيث تغذي فيه هذه المفاهيم.

مراقبة مصروف الطفل والمساعدة في معالجة ظاهرة السرقة في بداية ظهورها عنده

ولو أنه يأخذ مصروفاً فإنه في هذه الحالة لا بد أن يكون هناك نوع من المراقبة على المصروف، ولا بد أن يتناسب مع سنه، والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ومع البيئة المدرسية، وتكون هذه المراقبة عفوية، يعني: تكون المراقبة دون التسلط عليه، ودون أن

يشعر. ولا بد أن تعالج هذه الظاهرة في سن مبكرة قبل أن تتفاقم؛ لأن محترفي الإجرام والسرقة بالإكراه و(البلطجة) والتزييف والنشل وكل هذه الأشياء غالبهم بدأ في هذا السلوك منذ طفولته، فلا يجوز أبدًا تجاهل المشكلة، لا بد من التشديد من الناحية التربوية، بحيث تكون هناك خطوات حاسمة لعلاج هذه الظاهرة؛ لأن القاعدة تقول: الذي يسرق البيضة سيسرق بعد ذلك الجمل، ومن سرق مال أخيه بعد ذلك سوف يسرق مال الناس أجمعين. أما التساهل في هذا الموضوع فإنه يؤدي إلى التشجيع على امتداد السرقة إلى خارج الأسرة، لا بد من إجراءات فورية لعلاج السرقة إذا حصلت، وأول خطوة هي: أن يفهم الأبوان هذا السلوك، وأن يواجهوا مواجهة صحيحة، لا بد من إشباع احتياجات الطفل المتعددة عن طريق مصروف منتظم يعطى له مع الإشراف المباشر عليه دون تسلط.

حماية الطفل من وسائل الإعلام التي تفيض في وصف حوادث السرقة

وسائل الإعلام لها دور كبير في توجيه سلوك الطفل، فيجب حجبها عن الوسائل الإعلامية التي تفيض في وصف حوادث السرقة والنصب والاحتيال، وقد قرأت في بعض الكتب أن التلفاز أتى بإعلان مفاده: أن رجلاً أعطى الطفل زجاجة شراب ليحافظ عليها، فالتفت الرجل فرأى الزجاجة فارغة، فقال: أين الشراب؟ قال الطفل: تبخرت، بينما في الحقيقة أنه قد شربها، فهذا الإعلان يلحق مبدًا هدامًا، وهو أن السرقة حل، والكذب حل سهل جدًا، وحل ظريف، ومقابل هذا كان المتفرجون يشاهدون هذا المشهد ويضحكون، وكأنهم يستحسنون هذا السلوك، وجاء هذا التصرف بعفوية وتلقائية من قبلهم، فعندما يجد الطفل أن ذلك الولد ظريف، والناس يستحسنون سلوكه، فإن ذلك يمثل بالنسبة له نوعًا من القدوة!! فلنحذر من وسائل الإعلام التي تفيض في وصف السرقة سواء من خلال المجلات والكتب والأفلام والتلفزيونات.. إلى آخر هذه الأشياء التي قد تبرز البطل في صورة نصّاب ومحتال وتاجر مخدرات.. إلى آخر هذه الأشياء. إن هذه الأشياء لا تستنكر اجتماعيًا، فبالتالي: لماذا هو لا يسرق؟ الذي ينصب على الناس ويسرق ويكون مجرمًا هو الذي يصبح غنيًا ويحقق أغراضه.. إلى آخر هذه الأشياء.

الحديث عن الأمانة وذكر القصص المتعلقة بها أمام الطفل

علينا أن نربط الطفل دائماً بالقصص التي فيها تعظيم للأمانة، وتنمية الوازع الديني في قلبه، والترهيب من السرقة من جهة أخرى، بأن نبين له عقوبة السارق في القرآن الكريم، وأن الله ﷻ يبغض هذا الخلق وأهله؛ ولذلك قال في القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ [المائدة: ٣٨] ونقص عليه قصة المرأة المخزومية التي قطعت يدها، ونفهمه أن الناس كلهم أمام الله سواء، وكلهم لهم حرمة في أموالهم وممتلكاتهم فلا نعتدي عليها، وأن الناس لو لم يلتزموا بهذا الأمر ولم تقم حدود الله على السارق فهذا سيؤدي إلى الخيانة في ممتلكات الآخرين. فالكلام عن الأمانة - كما أشرنا من قبل - من الوسائل الرائعة جداً في التأثير على الأطفال؛ لأن الطفل في مرحلة معينة مفهومه مادي، تلقيه للمفاهيم يكون من الناحية المادية، فلو جئت إلى طفل عمره أربع سنين وكلمته عن النزاهة والعدالة والأمانة والتسامح وغير ذلك من المعاني المجردة فإنه لن يستوعبها، فلو قلت له: الصلاة ركن الدين وكذا وكذا، فلن يستوعب، لكن صلّ أمامه فإنه عندئذ سيستوعب ذلك؛ لأنه إنها يستوعب الأمور التي يدركها بالحواس - المشاهدة والسمع - وهي تؤثر فيه جداً، إذا رآك تصلي يقلدك تماماً في الصلاة، هو لا يعرف ما هي الصلاة، لكن هو يمتص منك السلوكيات عن طريق المحاكاة. فهذه هي الوسيلة البدائية الأولى عن طريق المحاكاة الحسية والتفكير المادي، فإذا رأى منك سلوكاً فيه أمانة، أو حكيت أمامه قصصاً عن الأمانة فلا شك أنه سوف يمتص هذه الأشياء، ويمتص هذه المسائل.

فإذا؛ القدوة من أهم وأخطر وسائل التربية وتنمية الطفل، وكذلك التخويف من مراقبة الله ﷻ وأنه مطلع علينا في كل مكان. كذلك سرد القصص التي تجسد مبدأ الأمانة، كقصة الرجل الذي استدان من رجل ديناً، ووضع المال في لوح خشب، واستودعه الله؛ لأنه لم يستطع أن يسافر، وهي قصة موجودة في القصص النبوي، فهذه من أفضل الوسائل؛ لأنك تعطيه أنموذجاً حياً أمامه. وعامة الناس والحمد لله يستطيعون أن يدركوا بعض السلوكيات التي بتفاديها يكتسب الأطفال نوعاً من الوقاية من الوقوع في السرقة.

الأسئلة

الكلام على كتاب تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان

السؤال: هل تنصحنا باقتناء كتاب: تربية الأولاد، للدكتور عبد الله بن ناصح علوان رحمته الله؟ الجواب: بعض الإخوة قدح فيه وخاصة في باب العقيدة، فأقول: قَالَ تَعَالَى: **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨٢] أي كتاب غير الوحي الشريف لا بد أن يكون عليه مؤاخذات، فلا عصمة إلا للرسول صلى الله عليه وسلم، لكن أريد أن أنبه إلى أن كتاب: (تربية الأولاد في الإسلام) هو في مجلدين، والدكتور عبد الله بن ناصح علوان من الأفاضل، وله إسهامات كبيرة جداً في الدعوة، ولا نجحد أبداً أن هذا الرجل له دور ريادي في هذا المجال، فهو تقريباً من أوائل الكتب المنهجية التي صدرت في موضوع تربية الأولاد، فريادته في هذا المجال لا يجوز أبداً أن نجحدها؛ لأن هذا الكتاب في وقته كان هو الشيء المتاح، فلا نأتي الآن وقد أنعم الله علينا بكتب أحسن منه وأكثر تخصصاً وأكثر تنقيحاً ونقول: إن هذا كتاب سيئ ويشطب عليه، مثل ما حصل مع كتاب (فقه السنة) -للأسف الشديد- الذي كان في وقت من الأوقات أفضل كتاب يدرس في فنه، إذ لم يكن هناك غيره، وأثر في أجيال كثيرة جداً، ثم إذا بنا لما تعاملنا مع الكتاب بطريقة فيها نوع من الجور والجحود لفضل هذه الريادة بدأنا نقارن بينه وبين غيره من الكتب. فالشاهد: يجب أن نتعامل بإنصاف، بحيث نعترف أن الجهد البشري لا بد فيه من القصور ثم ننتفع بما فيه من الخير، وإذا كان عند بعض الناس انتقادات فعليهم طرحها بطريقة مهذبة، مع التحذير من الخطأ بأدب وإنصاف مع الاعتراف لصاحبه بموضوع الريادة، فالشيخ عبد الله بن ناصح علوان رحمته الله هو أول من كتب دراسة علمية حول موضوع تربية الأطفال فيما نعلم، ثم بعد ذلك جاءت كتب أخرى مثل: (المنهج النبوي لتربية الطفل) لمحمد نور سويد، وهذا الكتاب أيضاً أشبع نقداً، وكان الناقد محققاً؛ لأن الكتاب حافل بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ثم بعد ذلك استفاد المؤلف من هذا

النقد وصدرت طبعة في مجلدين أفضل من السابقة، فالذي أريد أن أقوله: لا ينبغي انتقاص العالم لمجرد وجود بعض الأخطاء في كتاب له، هذا من الغلو في التعامل مع العلماء، والخطأ ينه عليه، وينصح باجتنابه، وإن وجد بديل صاف ١٠٠٪ فأهلاً وسهلاً، أما إن لم يوجد بديل فلا ينبغي أن نهدم ونحطم بدون أن نوجد البديل فهذا ليس من الإنصاف.

عادة مص الأصابع عند الأطفال

السؤال: كيف يمكن منع الطفل من إدمان عادة مص الأصابع؟

الجواب: المشكلة في الحقيقة تكثر عند بعض الأسر في بعض أطفالهم، فنلقي الضوء عليها في دقائق معدودة. أولاً: بالنسبة لعادة مص الأصابع عند الأطفال تكون في فترة معينة سلوكاً عادياً ينبغي تقبله، لكن هذه العادة تنتهي ما بين ١٨-٢٤ شهراً في الوضع الطبيعي العادي، أي: إلى سنة ونصف أو إلى سنتين، وقد لا تختفي تماماً إلا عند ثلاث سنوات. وإذا استمر الطفل في مص إصبعه بعد السنة الرابعة ولكن عند اقتراب وقت النوم فهذه ليست مشكلة ولا تستدعي القلق على الإطلاق. مما ينبغي أن ندركه أن موضوع مص الأصابع بالنسبة للأطفال علاجه ينبغي على معرفة السبب؛ لأن بعض الأطفال يمص أصابعه بطريقة تنتهي بتشويه الإصبع، فالعلاج أساسه هو معرفة سبب هذه العادة، وبالتالي إذا عرفنا السبب نزيله دون اضطراب أو قلق. أحد الأسباب لوجود هذه الظاهرة عند الطفل هو سلوك الوالدين، وظروف البيئة المحيطة بالطفل، وسلوك الوالدين يشمل سلوكها مع أشقائه، وسلوكها مع الطفل نفسه، كأن يحصل تمييز بين الأولاد والبنات، بحيث يفضل الولد على البنت، فتبدأ البنت تبالغ في مص الإصبع نتيجة التوتر الذي تعانيه، فسلوك الأبوين أو ظروف البيئة تكون هي السبب في هذا الأمر. لكن لا بد أن نفهم أن مص الطفل لأصابعه هي وسيلة لتخفيف حالة توتر يعيشه، فقد يكون عنده نوع من التوتر والقلق، وجوعه لمص الأصابع هو وسيلة ليخفف حالة التوتر التي يعيشها إما مؤقتاً أو دائماً. ويوجد شيء يشبهه عند الكبار وهو السجائر، فبعض الناس إذا تضايق فزع إلى السجائر حتى يذهب التوتر الذي عنده، أو يكون لتخفيف حالة إحباط، يعني: هذا الطفل يشعر أنه لا

يستطيع أن يحقق ما يريده، فيمكن أن يحصل له إحباط، فيبدأ يفزع إلى هذه العادة، أو يكون بسبب الغيرة؛ كأن يكون له أخ جديد أو أخت جديدة فينصرف عنه الاهتمام، ويصير الطفل المولود الجديد هو بؤرة الاهتمام، فيبدأ يفزع إلى هذه العادة، أو يمكن أن يكون بسبب التعب أو شعور الطفل بالوحدة فيلجئه إلى هذا الشيء. كيف نتعامل مع هذه الحالة؟ أهم شيء أن نتجنب مسالك معينة يسلكها الآباء أو المربون، أولها: التوبيخ، فيجب أن يتجنب توبيخه بكثرة على هذه العادة؛ لأن ذلك غير مجدٍ، بل يزيد الحالة سوءاً. كذلك من الخطأ أننا كلما رأيناه يضع إصبعه في فمه نشد يده، ونبعد إصبعه عن فمه، هذا علاج غير صحيح، أو بعض الناس يلفون يدي الطفل بشاش، أو يلبسونه قفازاً، أو يربطون يديه، وللأسف هناك سلوكيات أخرى وحشية، فبعض الناس يضعون على إصبعه مادة مقززة كالفلفل أو الشطة أو الصبر المر جداً، وهذا سلوك غير صحيح، فعملية التوبيخ أو إبعاد الإصبع عن الفم أو ربطها أو وضع قفاز أو مادة منفرة عليها؛ كل هذه الأشياء تدفعه إلى الاستمرار، وتزيد شعوره بالإحباط. كذلك من الوسائل التي ينبغي سلوكها في هذه الحالة: أن يوفر لهذا الطفل نشاط حر محبب إلى نفسه، يعني: اشغله بنشاط حر هو يحبه، كنوع معين من الألعاب أو الترفيه؛ لأن هذا النشاط الحر سوف يمتص طاقته، أو تمكنه من مخالطة أطفال آخرين مثله حتى تنمو شخصيته. كذلك ينبغي ألا يظهر المربي القلق الشديد أمام الطفل بسبب هذا الموضوع، وكلما حضر عنده ضيف حكى قصته، فيقوم هذا الضيف بالتعليق، فالطفل يشعر عندها بأنه ينظر إليه نظرة توبيخية، فالإنسان لا يظهر القلق الشديد بسبب هذا الموضوع أمام الطفل؛ لأنك إذا أشعرت بالقلق والتوتر فسوف يزيد من هذه العادة ولن يتوقف! والطفل عامة كلما زادت ثقته بنفسه وشعر بالاطمئنان قل عدد مرات مص الأصابع. ومن السلوكيات الخاطئة مقارنته بغيره: سواء أكان هذا الغير أصدقاؤه أو زملاءه أو إخوانه كأن يقال له: كل إخوانك جيّدون، ولا أحد منهم يعمل هذا العمل، لماذا أنت فقط تمص أصابعك؟! إلى آخره، فهذه المقارنة سلوك غير صحيح؛ لأنها تسبب إحباطاً، بينما أنت قصدك الخير عندما تقول له: إخوانك جيّدون فكن جيّداً مثلهم، لكن هذا يسبب له

إحباطًا، فالصحيح أن يبرز للطفل الجوانب المشرقة في شخصيته، يعني: كل واحد يختصه الله بشيء دون الآخر، ففلان اختصه الله بكذا، فتأتي للصفة الجيدة، وتدعم هذا الطفل وتشيد بها؛ حتى تدعم ثقته بنفسه. كذلك النقد المستمر والمتواصل - وبالذات إذا اقترن بعبارات التحقير - هذا سلوك خطير، يعني: أنت عندما تتعامل مع الطفل فإنك لا تتعامل مع نذل، وذكرت من قبل أن رجلاً ألف كتاباً مفيداً جداً اسمه: (طفلك ليس أنت)، مع العلم أن هذا الرجل ليس مسلماً، فمشكلة كثير من الآباء أنه عندما يتعامل مع الطفل يتصور أنه عنده نفس العقل والتجارب والخبرات والمقاييس، فعندما يأتي يضربه بعنف شديد، وكأنه أمام شخص مكافئ له، وحتى الضرب تكلمنا بالتفصيل عنه قبل هذا، وبيننا أنه لا يكون إلا بشروط منها: ألا تضرب الطفل وأنت تريد أن تتشفى منه؛ لأن هذا من الظلم، أن تأتي إلى طفل صغير فتضربه هذا الضرب الوحشي، كما يحصل أحياناً من بعض الناس، فهذا الفعل يدل على وجود خلل في تفكير هذا الرجل الذي يتشفى، فهو يخرج شحنة الغضب عن طريق الضرب، ولا يهدأ حتى يشفي صدره تماماً من غلّه من هذا الطفل، طبعاً هذا السلوك من الجاهلية - في الحقيقة - وليس من الإسلام. الشاهد: لا تتعامل معه كأنه مثلك تماماً، بل انظر إليه كما كان ينظر إليك أبوك أو أمك وأنت في تلك السن، فأنت في تلك السن لم تكن تفهم أن هذا الشيء غلط. إذًا: لا بد من تجنب النقد المستمر والتحقير، وكل العبارات العامة التي فيها حكم بالإعدام للشخصية، كأن تقول: أنت لست نافعاً.. لا أمل فيك.. ستظل طوال عمرك غيباً... إلى آخر هذه العبارات، أو كما نسمع أشياء عجيبة عن بعض المدرسين الذين ليس لهم مكان في التربية على الإطلاق، فيقول بعضهم لبعض تلاميذه: (لما تفلح تعال قابلني) إلى آخر هذه العبارات الفظيعة. فكونك تصدر حكماً عاماً على الطفل هذه إساءة شديدة له، وتوجد عنده شعوراً بالمرارة والعجز وعدم الكفاءة. وكذلك ينبغي أن تحمي الطفل من سخرية أقرانه الآخرين، بحيث لا يهزءون به بسبب هذه العادة، لأن هذه السخرية سوف تعمق العادة عنده أكثر فأكثر. يمكن كذلك أن تطلب من الطفل أن يساعدك في عمل شيء معين، ويكون هذا الشيء

محتاجًا إلى أن يستعمل يديه كليهما، فتحاول أن تلهيه عن عادة المص بأن تشغل يديه، أو تحضر له ألعابًا معينة لا تعمل إلا باليدين. كذلك يفضل أن يهمل هذا الموضوع، ولا يتكلم فيه أمامه، ولا ينبهه إلى شيء يذكره بإصعبه، ومع ذلك فيمكن للإنسان -بصورة عرضية عابرة- أن يذكره بلطف: أنه سوف يكبر، ويُقلع عن هذه العادة، ولا يلفت نظره إليها ليزيد من انتباهه نحوها. من أهم الأسباب التي تلجئ الطفل إلى مص الأصابع بعد السن المذكورة -التي تصل إلى خمس أو ست سنوات- شعوره بالحرمان العاطفي، فيحتاج عندها إلى جرعة زائدة من حب وحنان الأبوين، والطفل بطبيعته يكتشف إذا كان محبوبًا أم لا، أو كان مرغوبًا فيه أم لا، ويعرف من يحبه ومن يتظاهر أنه يحبه، فلا بد أن يؤمن شعور الطفل بالحب والأمان، وقد ذكرنا من قبل أنه ليس من الحكمة أبدًا أن تقول له: إذا فعلت الشيء الفلاني أنا لن أحبك، لكن قل: لن أعطيك المصروف، هذا عقاب لكن لا تهدده بالحب، ولا تجعل الحب موضوع تهديد، بل لا بد أن تقول: أنا أحبك، لكن لا أحب التصرفات الفلانية، أو لو عمل الشيء الفلاني فلا تهدده بأنك لن تحبه إذا فعل كذا، لا بد أن يؤمن له الشعور بالحب والشعور بالأمان، بعض الناس طفله لا يريد أن يصعد في (المصعد الكهربائي) فيقول له: هل ستأتي أم أذهب وأفضل عليك الباب؟ هذا خطر، فهذا يفقده الشعور بالأمان، أو إذا أخذه معه إلى السوق أو إلى محل معين فقام الطفل بتصرف غير مرغوب، فيقول: إذا لم تسمع كلامي سأتركك هنا وأذهب، وهذا خطأ كبير؛ لأنك هكذا ستهدد شعوره بالأمان، فهو سيتسائل: لو تركني وحدي ماذا أفعل؟ لكن يمكن تقول له: إذا لم تترك هذا السلوك سنلغي هذه الفسحة ونعود إلى البيت، فهكذا لم تهدد شعوره بالأمان، وفي نفس الوقت تزجره عن التماهي في هذا السلوك. أحيانًا يقوم الأب أو الأم بالحديث عن الأزمة المادية والفقر والديون والهجوم أمام الطفل، بينما ينبغي أن يعزل الطفل عن الشعور بهم مبكرًا بقدر المستطاع؛ لأن هذا يمثل عبئًا عليه، وكذلك معاشة المشاكل والصراعات بين الأبوين والتي تهدد بقاءه في الأسرة... إلى آخر هذه الأشياء، إذا شهد الطفل مثل هذه الصراعات فإن ذلك يهدد شعوره بالأمان، وهذه طبعًا لها عواقبها الوخيمة

فيما بعد. فلا بد أن يشعر الطفل أنه محبوب ومرغوب فيه، وأن الذين حوله يحبونه، هذا أمر مهم جداً، وسبق أن قلت من قبل: إن الرضاعة ليس المقصود منها أن يغذى بدن الطفل فقط، لكن حكمة الله ﷻ اقتضت أن الرضاعة الطبيعية تتم بطريقة فيها جرعة من الحنان بجانب جرعة الطعام الذي ينشأ عليه، فنفسه تحتاج إلى الحنان، والمفروض على الأم أن تضمه إليها عند الرضاعة، ولا تأتي إليه وهو يبكي وتعطيه ثديها فقط؛ لأنه حينها سيشعر بأنه قد أخطأ عندما بكى، وهذا نوع من الحرمان من وجبة الحنان التي كان يأخذها كل فترة أو كل مرة يرضع فيها. الطفل لا بد أن يشعر أن الذين حوله يرغبون فيه ويحبونه، فلا تأتي الأم - كما يحصل من بعض الأمهات الجاهلات - وتقول: حاولت بكل الطرق والوسائل إجهاض هذا الطفل والتخلص منه، لكن جاء غضباً عني، فماذا يكون شعور الطفل إذا علم أنه غير مرغوب فيه؟! هل يكون عنده إدراك ويعرف أن هؤلاء الأبناء رزق من عند الله، وأنه هو الذي خلقهم؟ لن يفهم ذلك، بل سيفهم أنه فرض عليهم فرضاً، وأنهم غير راغبين فيه، حتى لو جدلاً وجد هذا الشعور السيئ فلا ينبغي إظهاره أبداً، بل بالعكس يجب أن يؤمن الطفل، فإذا وفرت جرعة الحنان الكافية طبعاً هذا سيؤثر في استقراره فيما بعد، وفي عافيته من الآفات النفسية والسلوكية، ويوفر كثيراً من العناء.

كيفية التعامل مع نوبات الغضب عند الطفل في سنواته الأولى

السؤال: ما هي أسباب حصول نوبات من الغضب عند الطفل؟ وكيف يتم التعامل معها؟ الجواب: الموضوع الذي نتكلم عنه، وهو: ما يسمى بنوبات الغضب، وبالذات في السن التي هي بين سنة إلى سنة ونصف تقريباً، هذه النوبات تكون ناتجة عن أن الطفل يريد شيئاً معيناً، فإذا لم يحقق له هذا الشيء يصرخ ويرمي بنفسه على الأرض، ويغضب وتستمر هذه النوبة مدة معينة، فمن المظاهر الشائعة عند الأطفال في هذه السن - ما بين سنة إلى سنة ونصف أو ما بعد ذلك - نوبات الغضب، وهذه النوبات ليس شرطاً أن الطفل الصغير يستطيع أن يتحكم بها، حتى إن طفلاً يقول لأمه: يا أمي! أنا حينما أظل أبكي وأصرخ، أريد أن أوقف بكائي لكن لا أستطيع، فهذه النوبات شيء طبيعي وعام عند جميع الأطفال في

هذه السن، ولا تعتبر ذات صفة مرضية إلا إذا كانت عنيفة متكررة بشكل زائد، يعني: معدلها كبير وشديد، وتمتد فترة طويلة نسبيًا، في هذه الحالة فقط تعتبر غير طبيعية، لكن في فترة السنة والسنة ونصف يمكن أن تكون نوبات الغضب شيئًا طبيعيًا في بداية هذه المرحلة؛ بسبب ظروف تتعلق بشخصية الطفل من ناحية، وتتعلق بعلاقته بالأبوين من ناحية أخرى، فأما ما يتعلق بالطفل فإن هناك ظروفًا تدفعه إلى هذا السلوك الذي نعهده في الأصل طبيعيًا، حيث تدفع الطفل في هذه المرحلة دوافع بدائية قوية، وأقول: بدائية لأنه لم يتعلم بعد كيف يتحكم بهذه الدوافع، وبالتالي تزداد حساسيته لأي شيء يعوقه عن إشباع حاجاته ورغباته التي يرغب فيها، فنجد أبسط المواقف يمكن أن تثير لدى الطفل نوبات الغضب، فطفل الستين -مثلًا- الذي يعجز عن الوصول إلى رف مرتفع قليلًا، والذي يوجد عليه الحلوى أو الأشياء التي يحبها، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يعبر عن احتياجاته في كلمات، أو أمه لا تدرك بالضبط ماذا يريد، فمثل هذا الطفل يواجه موقفًا لا قبَل له بتحملة، فهو كل شيء يريده لا بد أن يتحقق، وهو لا يستطيع أن يعبر عن حاجته بالكلام، أو الذين حوله لا يفهمون ماذا يريد، لكن أحسَّ بالعجز عن إشباع إحدى هذه الحاجات. فمثل هذا الطفل لا يكون قادرًا على ضبط انفعالاته، فلذلك تجد الاستجابة المباشرة لمثل هذا الموقف هي نوبة من الغضب الشديد، والأمثلة كثيرة ومتكررة بين الأطفال في هذه السن، وقد يكون هذا الشيء تافهًا بالنسبة للكبير وعقليته ونضجه، لكن الطفل لا ينظر له على أنه تافه، فمثلًا: الأكل الذي يقدم له هو يريد أن يكون أول واحد يوضع له الأكل، فلا بد أن يكون هو أول واحد يأكل هذا الطعام، فإذا وضع الطعام لشخص آخر يرمي بنفسه على الأرض ويصرخ ويبكي.. إلى آخره، أو مثلًا: يريد هو أن يتناول الطعام بنفسه ولا يريد أن يساعده أحد، أو يريد أن يفتح الباب بنفسه، فالوالدان إذا لم يتفهما حقيقة مشاعر الطفل في هذه المواقف فقد يزيدان الطين بلة، يعني: يساعدان في تدعيم هذه المشكلة إذا لم يتفهما الأسباب التي تدفع الطفل إلى هذه الأفعال. وفي الحقيقة مهما حاول الأبوان أن يتفهما الظروف التي تعرض الطفل للضيق، ومهما حاولا أن يساعداه

على الاستقلال، أو القيام بأعمال جديدة، ومهما ساعده على أن يعبر عن رغباته، لكن في الواقع يصعب عليها أن يتقبلا منه الغضب والعدوانية، حينئذ يواجهان بواجب تربوي هام، وهو كيف يمكن تحويل هذه المشاعر العدوانية من الطفل إلى قنوات أكثر تقبلاً؟ وكيف يساعده على ضبط نفسه؟ هنا أمور لا بد من الانتباه الشديد إليها: أولها: أن العقاب قد يؤدي إلى عكس المطلوب، وبالذات العقاب البدني في مثل هذه الحالة قد يزيد المشكلة، ولا يحلها، فمحاولات إسكات الطفل في أثناء النوبة لا جدوى منها؛ لأنها عبارة عن نوبة مثل نوبة المصدوع، فتستمر هذه الثورة إلى أن تأخذ وقتها، فلا بد لك أيها الوالد أن تستسلم له، فالشدة والعنف لا يفيدان على الإطلاق في مثل هذه الحالة، بل يؤديان إلى عكس المطلوب، والشدة معه في أثناء النوبة تجعل مدتها تطول أكثر؛ لأن الطفل أثناء هذه النوبة ليس عنده أي استعداد للاقتناع، بل ليس عنده استعداد للاستماع لوجهة نظر أو نصيحة أو تهديد، فلا يمكن أن يفيد العقاب أو التهديد أو العنف في أثناء النوبة!! أيضًا إذا صرخت في وجه الطفل أو ضربته لإسكاته، فإن العنف والضرب يزيد من سوء الحالة، وستطول مدة النوبة، ويكون الطفل غير مستعد لأن يسمع نصائح ولا نقدًا ولا أي شيء، هو دخل فيها فلا بد أن يكملها. بعض الناس قد يصرخ في الطفل، أو يشتد عليه لغرض أن يسكت، وهذا ليس فقط لا يفيد، لكنه يأتي بضرر إضافي، حيث إنه يجعل من الوالدين قدوة سيئة سيتعلم منها الطفل عكس المطلوب، فالشدة والعنف مع الطفل تأتي بعكس المطلوب؛ لأننا قلنا: ليس هناك حصة اسمها التربية، فالطفل يتعلم الذي يراه.. طريقة الكلام.. طريقة الأكل.. طريقة التعامل مع الآخرين.. طريقة الرد على الهاتف.. طريقة التفاعل مع الأحداث، فهو ينظر إلى فعلك ويفعل مثلك، حتى الصلاة يتعلمها بالتقليد والمحاكاة، فالأب والأم هما أسوة وقدوة، وأي خلل في سلوكهما ينغرس في الطفل! وأذكر طفلاً كان في أثناء النوم يصرخ ويبكي ويقول: رأيت أسدًا ضخمًا جدًا مثل الذي رأيته في حديقة الحيوانات، والأسد هذا فتح فمه وأسنانه ظاهرة ويريد أن يأكلني!! فقال له والده: كيف عرفت أن صوته مثل صوت الأسد الحقيقي؟ قال: لأن صوته مثل صوتك يا بابا لما

تصرخ، فانظر كيف ترجم عملية الانفعال أمامه، فأنت تعطيه القدوة في كيفية التصرف إذا غضب، فهو يعلم أن الحل أنه يصرخ ويشتد ويغلط؛ لأنه يتعلم نفس السلوك من القدوة. فإذا: مواجهة نوبة الغضب بنفس الأسلوب من العنف والشتيمة والتهديد هذا لن يأتي بفائدة تذكر، فالطفل يكون غير مستعد لأن يسمع أي شيء يحجزه عن هذا السلوك، وفي نفس الوقت يعطيه نموذجاً للقدوة السيئة التي يتطبع بها ويتمصها. كذلك: لا يجب فرض القيود الكثيرة على حركة الطفل وتصرفاته وانفعالاته، يعني: أعطه شيئاً من الحرية والانطلاق، بعيداً عن الكبت والتقييد والتعليقات المشددة في كل شيء. كذلك: وجود التنافس بين الإخوة، وتفضيل بعض الأولاد على بعض، فهذه الظروف المنزلية تتسبب في أن يعاقب الطفل عن إشباع احتياجاته الأساسية، وعدم إشباع هذه الأساسيات يؤدي إلى حالة توتر، وحالة التوتر تؤدي إلى وقوع نوبات الغضب التي تحدثنا عنها. إذاً: كيف يكون التصرف دون ضرب ولا شتم ولا كذا وكذا؟ في هذه الحالة الكبار لا بد أن يواجهوا نوبات الغضب، بأن يظلوا هادئين بقدر الإمكان، لا تغضب أنت أيضاً وتزيد المشكلة، الأب لا بد أن يكون هادئاً جداً بقدر ما يستطيع، ويقرب من الطفل ويتحدث إليه بصوت رقيق هادئ جداً - لأن هذا الصوت يمكن أن يكون له أثر في تهدئة هذا الطفل - ثم يحمل الطفل بحزم وحنان معاً حتى لو كان يقاوم ويرفس يديه ورجليه، فيمكن أن يحمل بحزم، بحيث تقيد حركة يديه، وفي نفس الوقت يمكن أن ينقل إلى حجرة أخرى ويوضع فيها، يبقى هناك حتى تنتهي نوبة الغضب؛ لأنه قد تكون نظرات من هم السبب في أن يتهادى؛ لأنه يريد أن يثبت الاحتجاج، لكن لو أنهم تظاهروا بأنهم لم يلاحظوا أنه وقع فإنه سيسكت، أما إذا لاحظ اهتمامهم فإنه يتهادى في البكاء. يمكن أن ينقل إلى حجرة أخرى ويبقى فيها حتى تنتهي هذه النوبة، لكن لا بد أن يفهم أن هذا الإجراء ليس عقاباً، لا تقل له: سأحبسك في الغرفة، بل خذه - بعدما تكلمه بهدوء - إلى غرفة أخرى، لكن ليس على سبيل العقاب. ولو تساءلت: لماذا يجب علي أن أتبع معه هذا الإجراء؟ فأجيبك ببساطة: لأنه لا يوجد شيء آخر تقدر على فعله، ولا يوجد حل آخر غير أنك تأخذه إلى حجرة أخرى يبقى فيها حتى تنتهي

هذه النوبة. فإذا: نوبات الغضب لا يصح أن تواجه بغضب مماثل ولا تواجه بعقاب. أيضًا: هناك أمر مهم جدًا، وهو: أنه لا يسمح للطفل أبدًا بأن يحصل على أي مطلب عن طريق نوبات الغضب، لا بد أن يفهم أن هذه النوبات لا تكون إنجازًا، وليست ميزة له، يعني: حين بكى وعمل ضجة، وحصل على ما يريد، فإن ذلك سيجعله يتهادى في هذه الأشياء، فلا بد أن نحسسه أن هذا الفعل لا يؤدي إلى حصوله على ما يريد، وأنه لو أراد شيئًا فإن عليه أن يطلبه بهدوء وأدب، وعندها يمكن أن يحصل على ذلك الشيء، فضروري جدًا ألا يحصل على أي مطالب عن طريق نوبات الغضب، فالنوبات التي تكون قابلة للعلاج بسرعة هي النوبات التي تمر دون مكافأة إلى أن تزول تدريجيًا. فالمهم أن يطيل الآباء صبرهم، وإن شاء الله يصلون في النهاية إلى نتيجة محققة وكما قلنا: هذه فترة وستمر بسلام. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.

التسريط الحادي عشر

الطفل العنيد

فطر الله ﷻ الخلق على أمور عدة هم متفقون فيها، ومن تلك الفطر العناد، وهي مرحلة يمر بها كل الأطفال في مراحل عمرهم الأولى، وهي ناشئة عن حب الاستطلاع والمعرفة وأمور أخرى، ومع كونها فطرة إلا أنها إذا رشدت ووجهت أثمرت، والعكس بالعكس.

علاقة العناد بفطرة الأطفال

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد: فشكوى ذكرت من بعض إخواننا الأفاضل سواء الآباء أو الأمهات تتعلق بمشكلة من مشاكل الأطفال، وهي العناد، وسوف نتكلم في شيء من هذه، وأرجو من الله تعالى أن يكون في الحديث عنها فائدة سواء لمن كان يعاني من هذه المشكلة، أو لمن يمكن أن تكون عنده فيما بعد. فالشكوى هي من الطفل العنيد، وكيف نتصرف مع الطفل العنيد؟ الإنسان إذا لم يفهم لماذا يعاند الطفل فسوف يؤدي به ذلك إلى أن يسلك مسالك تزيد من هذا العناد، وتشوه صحة الطفل النفسية، فالطفل الذي لا يسمع الكلام، أو الذي لا يطيع، أو العنيد إذا لم يتحقق له طلبه فإنه يرمي بنفسه على الأرض ويصرخ ويضرب رأسه بالحائط، ويفعل مثل هذه الأشياء المعروفة عنه؛ حتى إنه قد يرفض الدخول للامتحان، وإن دخل فإنه يترك الورقة فارغة مع أنه مذاكر ويعلم الحل الصحيح، وكل ذلك عناداً! فما تفسير هذا السلوك؟ وكيف نتعامل مع الطفل العنيد؟ نقول: إن عدم الطاعة من الطفل، أو العناد في السنوات الأولى من العمر -قبل سن الخامسة- يعتبر سلوكاً طبيعياً؛ لأن الطفل في هذه المرحلة مدفوعاً بغريزة أو فطرة حب الاستطلاع واكتشاف البيئة من حوله، فقد لا يستمع لأوامرك أو نواهيك ويتحدى فيما يريد هو أن يفعله، فهنا لا ينبغي أن نفسر هذا على أنه عناد بمعنى العناد كما يكون من الكبير؛ لأن الطفل في هذه المرحلة

يكون مدفوعاً دائماً في تصرفاته بحب الاستطلاع، وهذه من فطرة الله ﷻ، فالطفل مغروس فيه حب الاستطلاع، وهي فترة حساب المعلومات، وفهم البيئة من حوله، واكتشاف نفسه والآخرين من حوله. وربما كان الأبوان هما السبب في استخراج العناد من الطفل؛ لأن القاعدة تقول: (إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع) فلا بد أن يحصل اعتدال من الأبوين حينما يأمران الطفل بأمر معين؛ لأنها ربما يضطرانه إلى التمرد والعصيان إذا كانت أوامرهما غير معقولة. كذلك لا بد أن يتسم سلوك الأبوين بالحزم المرن، لا بد أن يكون هناك حزم لكنه حزم فيه نوع من المرونة، ومقترن بالحب والحنان.

معنى حرية الطفل

حرية الطفل أمر مهم جداً، فلا بد أن تترك مساحة حرية للطفل، وبعض الناس يكون عنده نوع من الهوس في التربية بطريقة جاهلة؛ فنجد الأم بحجة أنها تريد أن تربي الطفل أو الطفلة ليس عندها همٌّ غير إحصاء الأخطاء، والتعليق على كل صغيرة وكبيرة تصدر من الطفل، ومتابعته في كل تصرف، فينشأ بعد ذلك اضطرابات في هذا الطفل؛ لأنه شيء فوق طاقته، ولأنها أم غير خبيرة بالتربية، فتحمل الطفل عبئاً شديداً، وتزن عقلها بعقل الولد. ولذا دائماً أكرر بأن هناك مشاكل في التربية، ونحن ننسى القاعدة المهمة جداً في عملية التربية التي أرساها بعض المؤلفين في كتاب بعنوان: طفلك ليس أنت، أي: من يضرب الطفل الضرب المبرح ولا يتوقف عن الضرب حتى يشفي غليله فإن هذا لا يربيه، كما أن الشرع لا يميز مثل هذا السلوك؛ لأن الضرب إنما يجوز بشروط كثيرة جداً.

شروط ضرب الأولاد

ضرب الأولاد الذي أجازته الشرع يكون دواءً؛ لكن إذا كان الضرب نفسه داءً وضرراً ومشكلة، فلا، فبعض الناس كأنه يشعر بالإثم إذا لم يضرب ولده، وكذلك بعض الناس حاله هكذا مع النساء، كلا، الضرب إنما أبيض لضرورة تربوية، إذا أتت بعاقبة حسنة، ولم توجد وسيلة لتقويم هذا الطفل إلا هي. ثم متى يكون الضرب؟ بعد عشر سنين، يقول النبي ﷺ: «وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ». فنجد بعض الذين يتمسكون بالسنة من

الآباء والأمهات يتركون الاهتداء بهدي الشرع في التربية، فيضربون من كان عمره خمس أو أربع سنين أو سبع أو ثمان سنين! كما أننا نجد غلوًا في بعض الآباء عندما يضرب الطفل بعد البلوغ، فالمكلف لا يضرب، وإلا فما معنى التكليف؟ أنت تنمي فيه شعور المسؤولية، فقل له: الملائكة تكتب عليك الآن كل تصرفاتك، فبالتالي أنت مسئول أمام الله ﷻ عن تصرفاتك فعليك أن تنصحه وتوجهه وتجتهد في نصحه، لكن الضرب مع شخص طويل عريض ربما لا يجدي، وكيف تضرب من أصبح رجلاً؟! إن الذي قادنا لهذا الكلام هو: موضوع مساحة الحرية التي تعطى للطفل، فموضوع الغلو في الاهتمام بالتربية قد يوصل إلى مستوى الوسوسة من بعض الآباء، ويجعل كل همهم طوال النهار هذا الطفل؛ بحجة أنه يريد أن يحسن تربيته، وإذا تكلم فإنه يعلق عليه ويوبخه، وإذا تصرف كان وراءه مثل الظل، فهذا كيف يتحملة ولده؟! فالشاهد أنه لا بد من وجود مساحة حرية للطفل، وأحياناً كثيراً نتغاضى عن الأخطاء، بدون التعليق على كل خطأ والنقد لكل شيء؛ لأنك بهذا تفقده الثقة بنفسه، فلا بد من مساحة حرية للطفل تتيح لشخصيته أن تتبلور وتتكون. فالكبت والقهر الدائم له آثاره كما قال الشاعر:

وإذا ملكت نفوساً فابتنغي رضاها فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش في الوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء

و من شروط ضرب الأولاد أن الإنسان لا يضرب ولده وهو غضبان، ولا يجوز للمربي أن يضرب وهو غضبان أبداً. ويكون الهدف من الضرب التأديب، لا كما يحصل من الذين يدعون أنهم يتبعون السنة في الضرب، وعندما يضرب وهو غضبان يفرغ شحنة الانفعال التي أوجدها تصرف الطفل في قلبه، فهو من غيظه وشدة غضبه وانفعاله من تصرف الطفل يلجأ للضرب، فعليه أن يعالج نفسه لا الطفل، فهو يدمر الطفل؛ لأنه إذا ابتدأ بالضرب لا يرفع يديه حتى تنتهي الشحنة كلها! وهذا انحراف في الهدف التربوي؛ فلا يضرب الإنسان وهو غضبان. من آداب الضرب أن الطفل إذا ذكر الله تتوقف عن ضربه؛

حتى تغرس فيه أنك تخضع لاسم الله ﷻ وتعظمه. أذكر مرة أي كنت في أحد الدروس، وكنت أتحدث عن موضوع الضرب وضوابطه، ولما انتهيت من الحديث أتاني طفل صغير وصافحني، وقال لي: جزاك الله خيرًا يا شيخ! ثم قال لأبيه بلغته: شايف الشيخ يقول إيه؟! فالشاهد: أن اتباع السنة والافتداء بهدي الشرع الشريف لا يتجزأ، لا نأخذ البعض ونهمل البعض، ونخالف ونتعلل بالسنة، فالضرب شيء له قواعده عند الضرورة، وبعد سن معينة، وإذا كان لا يضرب على الصلاة، فهل هناك أهم من الصلاة؟! كيف تضربه لأنه كسر كوبًا، أو سكب اللبن، أو ضرب أخاه؟ هذه لا تصل لمستوى ترك الصلاة، وإذا كانت الصلاة لا يضرب عليها قبل العاشرة، فكيف يضرب على ما سواها قبل العاشرة؟! بعض الناس بتربيته السيئة فتح الباب لبعض العلمانيين والملاحدة من أعداء الإسلام فشنعوا على المسلمين عملية ضرب الأطفال. الشاهد: لا بد أن تعلم أن طفلك ليس أنت، وكل الخطورة أنك تقيس تصرفاته بعقلك أنت، فأنت وأنت صغير كنت ترتكب نفس الأخطاء، وهنا قاعدة مهمة: وهي أن الابن الذي يُضرب لا بد أن يضرب أولاده حتى لو كان ساخطًا على سلوك أبيه، ويحصل هناك نوع من التقمص والتوحد مع المعتدي، فيسلك نفس السلوك فيما بعد لأن هذا شيء مضطرد بالاستقراء، فغالبًا يصدر منه نفس الشيء، ويجني على أولاده بنفس هذا السلوك.

كيفية التعامل مع تعبيرات الطفل السلوكية الغاضبة

إن سلوك الوالدين مع الطفل العنيد لا بد أن يتسم بالحزم المرن المغلف بالحنان والحب والعاطفة، مع ترك مساحة حرية للطفل حتى تتكون شخصيته وينمو كما هي سنة الحياة. ضابط آخر عند غضب الوالدين من سلوك معين من الطفل كالعناد أو التحدي أو نحو ذلك: لا ينفع أن تظهر غضبك للطفل دون أن تشرح له الأسباب التي أدت إلى غضبك، أو تشيح عنه بوجهك، وتعرض عنه، أو تعاقبه وهو يقول لك: ماذا عملت؟ فتقول له: هكذا فقط! لا، الصواب أنك عندما تغضب من فعل أنك تعلمه بسبب هذا الغضب؛ لأنه لا يستطيع أن يقرأ أفكارك، ولم يصل بعد لمرحلة من النضج تؤهله لأن يفهم ما الخطأ الذي

صدر منه؛ ففي هذه الحالة يجب أن يتفهم الطفل الأسباب التي أدت إلى غضب الوالدين. هناك نقطة مهمة وهي: أن الغضب أو العناد في السنوات الأولى من سنتين إلى خمس سنوات مثلاً يعتبر سلوكاً عادياً؛ لأن الطفل كلما وقع في مشكلة حاول أن يحلها أو يتفاعل معها بطريقة بدائية تتناسب مع عقله وإمكاناته، وما هذه الطريقة البدائية؟ إنها البكاء والصراخ، هذه هي اللغة التي يستطيع أن يعبر بها؛ لأنه توجد لغات معقدة ولغات بسيطة تعتبر طريقة للتواصل مع الذين يحيطون بك، مثلاً: إشارات الكهرباء في السيارات (اللمبات) لغة سهلة جداً، ولغة بسيطة، إذا كنت ستتحرف يميناً تعطي الضوء لليمين، أو شمالاً تعطي الضوء للشمال، أو سوف تنتظر تعطي ضوءاً معيناً، وهكذا. الشاهد: أنها لغة سهلة للتواصل، والطفل عنده أيضاً لغة بدائية هي البكاء، وهو إعلان عن العجز عن حل المشكلة؛ فيطالب بالمعونة عن طريق البكاء، كأنه يقول: تعالوا ساعدوني في هذه المهمة التي أنا عاجز عن حلها، فالغضب في هذا العمر - من سنتين إلى خمس سنوات - يعتبر شيئاً عادياً؛ لأن الطفل يحاول حل مشاكله بالبكاء ليعلن أنه غير قادر على حل مشكلته بنفسه فيطلب المعونة بالبكاء. بعد الخمس السنوات إذا وجد الغضب، والعناد، والتمرد، والتحدي من الطفل فهو يعكس أحد أمرين: إما أنه غير متكيف مع الأسرة في جو البيئة الأسرية، وبالتالي فإن هذا يعتبر النواة لحصول اضطرابات نفسية بعد ذلك، والله أعلم. وإما أنه يعكس شعوره أحياناً بالقهر أو الظلم أو العدوان. وبالنسبة لعدم التكيف مع الأسرة والبيئة، فهناك نوعان من التكيف: عدم تكيف، وسوء تكيف. أما عدم التكيف فبسبب صدمة نفسية، مثلاً: وجود طفل آخر، ولد له أخ أو أخت فجأة، والاهتمام تحول للثاني، فهذه تعتبر صدمة له، فلا يتكيف مع هذه الحالة، أو تكون هناك مؤشرات على أمور غير سليمة مر بها في الأسرة أو المدرسة أو البيئة. أما سوء التكيف فينتج عن استمرار الرفض والغضب والعناد والمشاجرة، ويظهر دائماً أن ردود أفعاله انفعالية، ويتفاعل مع الأحداث. لا بد أن نفهم أن غضب الطفل بعد سن الخامسة يأخذ صورتين: الصورة الأولى: إما أن يستخدم المخزون اللفظي، ويعبر بالكلام عن الغضب أحياناً؛ لأنه في الخامسة من عمره أصبحت لديه

مفردات لغوية كثيرة يستطيع أن يعبر من خلالها عن مشاعره أو احتياجاته، فيعبر عن الغضب بالألفاظ: يشتتم، يهدد، يتوعد، يخرب، يتلف حاجات معينة، يكسر، والتريون ينظرون إلى هذا على أنه أسلوب سليم، أي: بالنسبة لسلوك آخر في غاية الخطورة، فالطفل الذي يعبر عن مشاعره بهذه ظاهرة شبه صحية وسليمة، لماذا؟ لأنها دليل على وجود طاقة فاعلية بداخل الطفل يفرغها من خلال السب أو الشتم أو الانفعال، والمراد بالشتيم بغير الألفاظ البذيئة غير المقبولة منه مع الكبار مثلاً، فاتركه يطلق طاقة الغضب، وحذره من الشعور بالقهر أو الكبت. فإذا كان الطفل يعبر عن غضبه بأن يكسر شيئاً أو يتكلم بالألفاظ معينة لكي يعبر بها عن الغضب، فهذه تعتبر فرصة جيدة كي يقيم المرء جسوراً من التفاهم والتواصل مع هذا الطفل، ويعلمه أن هذه ليست الطريقة السوية التي تعبر بها عن غضبك، وأن هناك طرق أخرى كالتفاهم والشرح ونحو هذه الأمور. الصورة الثانية: وتكون بعد العاشرة، فإذا استمرت هذه الصفة بعد هذا السن فهذه مشكلة، وصار لا يعبر بالألفاظ عن الغضب والتذمر، بل يقاوم مقاومة سلبية، وهذا في غاية الضرر؛ لأن الطفل يغضب وينفعل لكن تظهر عليه الكآبة السلبية، والانطواء، والانعزالية، وهذا خطر جداً؛ لأنه بعد ذلك لما يكبر يركز على ذاته ويرفض الحياة، ويصبح العناد وسيلة لإثبات الذات إذا لم يستطع إثباتها في هذا السن، فيتخذ وسيلة يحقق بها ذاته من باب: خالف تعرف، وهؤلاء معرضون للأمراض العصبية، وهو سلوك يقوم على الكبت الذي لم يخرج ولم يتحرر، فيهرب دائماً من الحقيقة، أو يهرب من مواجهة الواقع ويتفوق، وربما هرب إلى أحلام اليقظة ويعيش في الخيالات، ويتعد دائماً عن الحقيقة، ولا يستطيع أن يواجهها ويتمحور حول نفسه. فلا بد أن يعبر الطفل عن انفعاله بالغضب بوضوح أو بالكلام أو بالأفعال، ويهدب هذا السلوك ويقوم، ونعدل له وسائله في التعبير عما في داخله، فأنت عندما تكون لك حاجة تتكلم عنها بصراحة، ونحن ندرس الموضوع، وما نقدر أن نعمله لك نعمله... إلى آخره. فلا بد من وجود نوع من التواصل مع الطفل بحيث يعبر عن انفعالاته ولا يكتبها، ولا يحس بالقهر

والكبت والظلم، وفي نفس الوقت نعدل له طريقة التعبير، فنقول: هذه طريقة غير لائقة وغير مهذبة للتعبير عن الغضب الذي في داخلك.

علاج العناد الزائد وكبح جماح الطلبات

أحياناً يحدث التدليل الزائد للطفل، فالأم تريد أن تبين له أنها حنونة وعطوفة، وهي كذلك حقيقة، لكن ليس عندها فقه التربية، فكل ما يطلبه ينفذ له مهما كان، وبغض النظر عن أي اعتبار! فالطفل الذي يدلل هذا التدليل الزائد يظهر عنده أيضاً العناد والغضب ونحو هذه الأشياء، لماذا؟ لأنه تعود على أن طلباته تلبى ولا ترفض أبداً، ولم يوجد عنده شعور بضرورة ضبط النزعات، وتعود أن كل ما يشتهي يناله بسبب التدليل الزائد عن الحد، وبالتالي إذا حصل له حرمان - حتى لما يكبر - من شيء معين، فإنه تظهر منه أفعال بدائية طفلية؛ لأنه إذا ظل طوال ثمان سنوات يغرس فيه التدليل الزائد، وكل ما يشتهي يشتره ويناله، ولا يعرف الرفض على الإطلاق، فكيف يتعود على مقاومة رغباته حينما يكبر؟! ومن الأمور المهمة في حل هذه المشكلة: المناخ الأسري داخل البيت؛ لأنه توجد أشياء كثيراً ما تؤثر على الطفل وتصنعه، والتربية العملية لا تتوقف، فهي تحدث ليلاً ونهاراً، وكل سلوك من الأب أو الأم وتعامل من قبل الأب أو الأم مع الأولاد في طريقة الأكل والنوم وغير ذلك من التصرفات فهي تربية، ولذلك لا بد أن يقدم الأبوان قدوة حسنة للأطفال؛ لأن هذه هي التربية الحقيقية الفعالة المعيشة؛ فيتشربان القيم والمعايير والسلوكيات من الأبوين. وأخطر شيء ينعكس على نفسية الأطفال: هو علاقة الأب والأم، وهذا أمر مهم جداً، إذ لا بد من حصول توافق بين الأب والأم، لا بد أن يوجد الاحترام المتبادل، فلا يرى أباه يضرب أمه أو يشتمها أو يهينها، وإذا ما وجد هذا النموذج فإنه ينعكس انعكاساً سيئاً جداً على سلوك الطفل، وعلى طريقته في التفكير، وعلى علاقته بزوجته بعد ذلك في الحياة، ولا بد أن يصنع نفس ما رأى من والده، وبالتالي لا بد من حصول الانضباط في سلوك الكبار. نحن نشك في تصرفات الصغار، وأنتم -أيها الكبار- هلا قدرتم على ضبط سلوككم أمامهم على الأقل، وإن كان ولا بد من المشاكل

والشجار فيكون في غرفة مغلقة بصوت خفيف لا يسمعه الأطفال، أو في مكان خارج البيت، لكن إذا عاين الأطفال القلاقل والمشاكل والإهانة والاحتقار ونحو ذلك؛ فإن هذا بلا شك سوف ينعكس انعكاسًا سلبيًا على سلوكهم وتفكيرهم. الطفل يشعر بالأمان بين أب وأم متوافقين، بينهما احترام ودفء عاطفي، ولا شك أن هذا يهيئ مناخًا يساعد على الصحة النفسية للطفل. أحيانًا يحدث نتيجة لعدم توحيد السياسة التربوية، من كون أحد الأبوين يحب هذا الابن أو يميل إليه أكثر من إخوته الآخرين مثلاً، فنجد طفلاً رغم أنه صغير لكنه ماكر، فيعمل عملية استفزاز، أو سوء استغلال لهذا الميل، فلو كان الأب هو الذي يدلله، ويحقق له كل رغباته، ويبالغ في إظهار المحبة له، فالطفل قد يستعمل سلاح أبيه ضد أمه أو إخوته. مثلاً: إذا طلب من الأب شيئاً فرفض، فرمى بنفسه في الأرض، وصرخ وضرب رأسه بالحائط... إلى آخره، فجاءت الأم لما رأته غضباناً وقالت: يا حبيبي! تعال، وتحقق له طلبه، فهذا السلوك والتناقض في الموقف الواحد يوصل رسالة للطفل مضمونها: إن هذه الطريقة هي الطريقة السليمة لتلبية رغباتي، فيغضب ويعاند ويرمي بنفسه في الأرض، فالأم تخضع بعاطفة الأمومة، رغم أن أباه قد رفض أن يعطيه ما يريد، فهو يستغل عدم توحيد السياسة التربوية. قلت لكم: الطفل مكار ولئيم، وقد يستعمل سلاح الغضب والعناد والتحدي والصراخ والبكاء مع من أثبتت تجاربه السابقة نجاحها معه، وبعضهم فهم أنه لا أمل، ورأى أن أباه حازم وصارم ولا فائدة منه، إلا أنه يستعملها مع أمه؛ لأنه يعلم النتيجة، فهذا يدل على أنه يفهم الطفل عن طريق التجارب، وينبغي للأبوين أن يوحدوا السياسة التربوية، ويعلموا الطفل أن البكاء والصراخ والعناد والتكسير ليست طريقة يمكنه من خلالها الحصول على رغباته، وأنه لا بد أن يتعلم الطفل التحكم في رغباته، ويتعود أنها قد لا تحقق، ومن فترة لأخرى يوجد إحباط صغير محدود، فتقول له: أنا الآن لا أقدر أن أشتريها لك، لكن في أول الشهر سأشتريها لك، وهذا فيه تدريب له على ضبط نزعاته، حتى لو كان درساً مؤقتاً لكنه مفيد. وأحياناً تحرمه نهائياً، وتأتي له بسبب معقول، وتدربه على أن يحد من مطالبه، ويقف من المطالبة إلا إذا حصلت القدرة على ذلك.

خلاصة الحديث: أن التضارب في الموقف التربوي الواحد بين الأب والأم خطأ؛ فالأب يبيح، والأم تحرم، الأب يقول: نعم، والأم تقول: لا، الأم قد تظن أنها سوف تكسب ابنها عندما تدلله تدليلاً زائداً، ولا تعلم أنها تخسره وتفسده، وتوجد قاعدة في سلوكياته: أنه يلجأ إلى الطرف الآخر من أجل حمايته واستجابته تحت تهديد سلاح الغضب والعناد، طبقاً للوقت والملائم ومع الشخص المناسب؛ لخبرته السابقة. وليست هذه هي المشكلة، إنما المشكلة أنه عندما يخرج إلى المجتمع الخارجي سيعمم نفس سلوكياته، والمجتمع الواسع في المدرسة أو البيئة لن يرحمه بالطريقة التي كانت أمه تدلله بها، فيأتي ليحقق رغباته فيصدم بحقيقة المجتمع؛ فيحصل له إحباط، وينزوي في نفسه، وتحصل له مشاكل. على أي الأحوال الحق دائماً وسط بين طرفين: الغلو والجفاء، أو الإفراط والتفريط.

وسطية التربية بين التدليل والقسوة

الإفراط في التدليل خطر، والإفراط في القسوة والحرمان أيضاً خطير على الطفل، الإفراط في التدليل يصنع من الطفل طاغية صغيراً، فالتعود على أن تشبع حاجاته حتى الحاجات الثانوية والتافهة خطأ، نعم هو طفل، وله احتياجاته الأساسية ولا بد من شيء من التدليل والحنان وتحقيق رغباته؛ لكن بقدر متوسط، فتشبع احتياجاته الأساسية: الأكل والشرب والملابس... إلى آخره، تشبع حاجاته الأساسية دون تدليل، وإلا فالطفل سوف تحوله أنت إلى طاغية صغير، ويصبح ملكاً غير متوج، والتاج ليس على رأسه إنما على رأس الأب، لكن في الحقيقة هو الأمر الناهي المتحكم في الآخرين. في الجانب الآخر: هناك إفراط في القسوة والحرمان أيضاً، وهذه في غاية الخطورة، الأب يريد أن يحول البيت إلى ثكنة عسكرية، أوامر ونواه، ضابط وجندي، وكأنه في الجيش أو في الشرطة! لا يوجد تراحم أو مرونة، فموضوع الثكنة العسكرية والرقابة المستمرة لا تنتهي، يحرص على التعليق على كل تصرف، والتوبيخ على كل سلوك، وهذا يؤدي إلى أنه يحرم من فرصته في إثبات ذاته؛ لأن الإنسان في النظام العسكري ليس له إرادة، ولا بد أن تسلب منه الإرادة حتى تسير الأمور في الحرب وفي غيرها، والأمور الإدارية والروتينية تحتم وجود ضابط وجندي، هذا يقرر

والثاني ينفذ، لكن هذا الوضع في البيت سيحرم الطفل من فرصته في إثبات ذاته؛ لأنه يرى أنه يحنق نفسه ولا يحقق ذاته. الشاهد: أن تحويل البيت إلى مناخ ضابط وجندي يحرم فيه الطفل من إثبات ذاته، وتسد الطرق السوية التي يجب أن يسلكها لكي ينمو نموًا طبيعيًا، فحينها ليس أمامه إلا المقاومة عن طريق المقاومة السلبية بالعناد أو التحدي، فلا بد من ترك الطفل على تهيئته، وإعطاؤه مساحة من الحرية ومرونة وتدريب على التعاون؛ ليوصل تواصل، ويحصل التعاون بين الطرفين، ونستجيب أيضًا لطلباته المعقولة، ليس الحرمان لأجل الحرمان لا، لا بد من الطلبات المعقولة التي تجاب حتى لا يشعر بالقهر والظلم. ومهم جدًا في التعامل معه: إشعاره بالأمان والدفء العاطفي والتقدير والاحترام، ونحذر كثيرًا من عملية التحقير الذاتي؛ فعندما تنتقد من تربيته سواء كان طفلًا أو شابًا مراهقًا فتجنب عملية التحقير الذاتي؛ لأنك تنتقد السلوك فقط، فتقول: أنت طفل مؤدب، ومثلك لا يليق به أن يعمل هذا، أو لا يليق به، وبتريبته على أنه لا يقول ألفاظًا سيئة، لكن لا تقل له: أنت سيء الأدب، سيء الخلق، أنت ميئوس منك طول عمري وأنا أقول: لا فائدة منك... إلى آخر هذه الألفاظ التي هي عبارة عن تحطيم له في الحقيقة، هذا ليس بناءً، بل هذا هدم، ولن يعالج الأخطاء بل بالعكس سيزيد احتقاره لذاته، ويشعره بعدم الكفاءة وعدم القدرة على إنجاز أي شيء، وتهدم الشخصية، فلا بد من الاحترام بحسب الطفل. مثلًا: جاء طفلك بشهادة رسوبه، فلا تجعله محل سخرية وتحقير، فتقول له: فاشل، ليست فيك فائدة، والمال الذي نصرفه عليك لا تستحقه.. إلى آخر هذا الكلام، لكن تقول له: أنا حزين من هذه النتيجة، لكن عندي أمل إن شاء الله أنك تعوضها في المرة القادمة، وتكون النتيجة أحسن، فأنت أظهرت الغضب من هذه النتيجة وعدم الموافقة عليها، وفتحت له باب الأمل؛ لأن الطفل لا ينفذ أبدًا أننا نعلق عليه دائمًا أو أن نختم على جبهته: فاشل، ميئوس منه... إلى آخر هذه التعبيرات المعروفة. عندما ينتقد المربي الطفل الذي يريه ينتقد الأسلوب، ولا يعطيه ختمًا يختم به على شخصيته؛ لأنه ما زال ينمو، والمفروض أنه قابل للتعديل، انتقد الفعل والسلوك وليس الشخصية نفسها. أيضًا: لا بد أن يغرس فيه الشعور

بالمسئولية، دائماً يفهم الطفل أن كل حق مقابله واجب، وأن الحياة ليست فقط أخذ وأخذ وأخذ، لا، الحياة أخذ وعطاء، تريد شيئاً معيناً، ساعد والدتك في ترتيب غرفتك، لا بد أن نفهمه دائماً أن الحياة أخذ وعطاء، نشاوره مثلاً على رجل المرور في الشارع، نقول: انظر إلى رجل المرور هذا، يقف في الحر، والشتاء، ويتعب، لو لم يعمل ذلك لم يأخذ مالاً يعيش به أو يصرف به على أولاده، فتعطيه نماذج حية على أن كل شيء دائماً مقابل شيء، وأن الحياة أخذ وعطاء، وليست فقط أخذ ثم أخذ ثم أخذ، فهناك واجبات تجاه نفسه وتجاه والديه، وإخوته، والمجتمع... إلى آخره، فكل حق لا بد أن يقابله واجب. أيضاً لا بد من ترسيخ مبدأ الثواب والعقاب، فإذا اخطأ لا بد أن يعتذر وإذا أحسن لا بد أن يشجع، ويكافأ على الإحسان.

انعكاس سلوك الآباء على الأبناء

إن سلوك الأب ينعكس على الأطفال، وكلمة الأب أعني بها: الأب أو الأم، إن الذي يحصل من الأطفال إنما هو تقمص لشخصية الأب أو الأم، والتقمص أعني به التوحد، وهي أعلى درجات التقليد والمحاكاة، هذا هو ما يسمى بالتقمص، فالطفل يرى أن أباه أو أمه أكمل الناس في العالم؛ لأن هذه هي البيئة التي يراها حالياً، فدائماً - كما هو المفروض - هم المثل الأعلى له، وكل ما يعملونه صحيح، وطريقتهم هي الطريقة السوية في التفاعل مع البيئة من حوله. مثلاً: لو أن أباه إذا تأخر الأكل عن وقته، أقام عاصفة في البيت هوجاء لا تتناسب مع الخطأ أو التقصير، فهذا مؤثر ضعيف جداً وتافه لكن رد فعله مبالغ فيه جداً، صراخ وعراك ومشاكل؛ فسوف يتعلم الطفل أنه يغضب أيضاً لأنفه الأسباب، ويعبر عن غضبه بهذا السلوك وأمثاله مقابل أتفه الأسباب؛ فيتقمص نفس السلوك، ويمكن أن يقلده مع أفراد آخرين في المدرسة أو إخوته أو أصحابه، فيفهم من سلوك الأب العصبي أو الأم: أنه عندما لا يحقق طلبه أو يثور وأغضب وأنفعل، فنقطة هدوء الأب واتزانه - وكذلك الأم - أمام الطفل أمر مهم جداً. الطفل أحياناً يسرق سلوك الأب، مثال: وجود طفل آخر يعني بقاء العناد كوسيلة لإثبات الذات لجذب الأنظار إليه، ويريد أن يبقى محطاً للاهتمام بين

الأسرة وإخوته أو أقاربه؛ فيرى أن العناد وسيلة لإثبات الذات وتحدي البيئة. عندما يكون العناد وسيلة لأن يثبت الطفل وجوده وذاته، فهذا يعتبر الوجه الحسن للعناد؛ لأن العناد له وجه قبيح ووجه حسن، فالوجه القبيح تكلمنا عنه. أما الوجه الحسن من العناد فإنه يعتبر دلالة على أن الطفل هذا يكتشف نفسه، وأنه له كيان مستقل عن الكبار، وهذا يشجع فيه الفردية والشجاعة والاستقلالية، فهذا الوجه الحسن من عناده، لأنه يقول: هأنذا، أنا موجود، أنا مشتكي إلى ربي، وهذا نمو طبيعي؛ فيبدأ يشعر بذاته وباستقلالته وبشخصيته، فهو يعبر بطريقة غير سليمة عن معنى صحيح وهو الذاتية، لكن طريقة التعبير بالتحدي والعناد لا بد أن نعدلها، فإن العناد والتحدي والغضب ليست هي الطريقة السوية لتحقيق المطالب؛ لأن الحياة أخذ وعطاء، فالإنسان إذا تعود الأخذ والعطاء يرضى عن ذاته، ويرضى عنه الآخرون المحيطون به، ويتعود على التعاون والتفاهم مع الآخرين. قد ينشأ العناد أو الشجار أو الغضب بسبب الشعور بالنقص أو الغيرة أو الشعور بالاضطهاد سواء من أحد إخوته الكبار أو من الولدين، فالعناد والشجار والغضب في هذه الحالة هو تعبير عن عدم النضج، أي: أن الطفل يواجه هذه المواقف بالعناد والتحدي والصراخ وغير هذه الأشياء، فيقول بطريقة غير مباشرة: أنا ما زلت متأخرًا في النضج الاجتماعي، وما زلت بحاجة إلى التعلم والأخذ والعطاء والنمو الاجتماعي؛ لأنه يتعامل بطريقة بدائية، ولا يواجه المشكلة المواجهة السلمية. من أسباب العناد أيضًا: الأم العصبية؛ فهي قد تنتج طفلًا عنيدًا، ربما يكون في حياتها أي سبب من أسباب المعاناة مع زوجها أو أسرته أو نحو ذلك، فتنج طفلًا عنيدًا؛ لأنها تخرج معاناتها بمن صادفها، وأولهم الطفل، بالصراخ أو العويل أو الضرب؛ فتنج معركة غير متكافئة بين طرفين: الأم العصبية؛ لأن لديها معاناة من شيء آخر، لكنها تنفذ في الطفل العقوبة كمن أغضبه مدير عمله، فهو يضطهده أو يؤذيه، فيفرغ غضبه في الموظف الذي تحت يديه، ويجعل هذا إزاحة للمعاناة التي يعانها، لديه مشاكل تضيق نفسه بها فيجد في هذا فرصة للتنفيس. فالأم العصبية تجد المتنفس مع هذا الولد المسكين، فتحصل معركة غير متكافئة؛ لأن الأم أقوى، وأسلحتها أقوى، فلو ضربته ستغلبه، ولو صرخت

فصوتها أعلى منه... إلى آخره، والثاني ضعيف، لكن الضعيف له أسلحة كما أن للقوي أسلحة، وكل منهما يتعامل بالأسلحة التي يقدر عليها، والطفل في هذه الحالة سلاحه يختاره هو، فهو يضايقها في الشيء الذي يستفزها، أو عن طريق العناد والتحدي والصراخ والبكاء... إلى آخره، فيعاندها كي يضايقها، فعندما يضايقها يكون قد أخذ بثأره، ولا يهيمه بعد ذلك انضرب أم لم ينضرب، ولا يهيمه ما سيحصل له، هذه تكون النتيجة. الخلاصة: أن الأم تنزع فتيل هذه المشكلة إذا تخلت عن العصبية.

توجيهات مباشرة للوالدين في التعامل مع الأطفال المعاندين

أول الأمور التي ننصح بها الوالدين في التعامل مع الطفل العنيد: الهدوء والاتزان ما أمكن أثناء عناده أو غضبه، فمن الخطأ الشديد جداً الغضب على الطفل حينما تأتيه نوبات الغضب، ويرمي بنفسه إلى الأرض، ويضرب رأسه بالحائط، وهي نوبة لا بد أن تأخذ وقتها، وكأنه يقول لك: أنا أريد أن أوقف البكاء لكن لا أستطيع، هي نوبة مثل نوبة الصرع تماماً تنتهي بمرور زمن معين، فعندما تأتيه نوبة الغضب بهذه الطريقة اتركه تماماً، ويفضل أن تعزله في مكان بعيد أو غرفة بعيدة، وتتركه حتى تذهب النوبة. فمواجهة الغضب بغضب يولد مشكلة كبيرة جداً فضلاً عن الضرب والإهانة... إلى آخره، وفي هذه الحالة لا يحاول الأب أن يتفاهم معه أثناء الغضب، والتكلم معه لا بد أن يكون بمتتهى الهدوء والاتزان أثناء العناد والغضب. أيضاً تفهمه أن هذا أسلوب غير سليم للتعبير عما في داخله؛ لأنه لم يعدل طريقة التعبير عما يضايقه، وهذا يكون بلغة مناسبة، كذلك عندما تقول له: هذا ليس الأسلوب الصحيح، وتطرح عليه الأسلوب البديل، والإصرار عليه أن هذه هي الطريقة الصحيحة، فتجعله يعبر بحرية عما بداخله، وتبين له أنه ليس هناك مكافئة له إلا بعدما يظهر السلوك الحسن المطلوب. أيضاً: يجب أن يتخلى الوالدان عن العصبية والقلق والعناد على الأقل أمام الأولاد لئلا يقلدوهما. أمر آخر مهم جداً: علاقة الأب أو الأم بالطفل وتدخله في حياته، لا بد من التدخل، لكن يكون تدخلاً مرناً. أيضاً: المشاكل الزوجية أثرها سيء على نفسية الأطفال، خصوصاً حين الكلام على الانفصال أو الطلاق مما يهدد إحساسه

بالأمان والاستقرار. أيضًا: التدخل المبالغ فيه في حياة الطفل خطأ شديد جدًا، بالأوامر الصارمة، وبالنقد والتوبيخ المستمر، والتحقير، والتدخل كالكابوس في كل تصرف للطفل، وانعدام مساحة للحرية. لا بد من التدخل المرن، والمرونة والحوار والتفاهم والتوجيه والنصح، أنت تريد منه طاعة عمياء، والطاعة العمياء تخرج شخصية غير سوية، وتخرج إنسانًا لا شخصية له، يحتاج الطفل أن يربى على هذا المنهج حتى ينمو بطريقة سليمة، فحتى يكون طفلًا مؤدبًا لا يلزم بطاعة عمياء؛ لأن هذا تكليف بما لا يطاق، ويلغي شخصيته ويشوها بعد ذلك. أيضًا من وقت لآخر نحقق رغباته المشروعة بطريقة مناسبة، وتشجيعه على الاختلاط بأقرانه المناسبين. نقطة مهمة أخرى: عدم التشهير بالطفل أمام الآخرين: أحيانًا يظل الطفل حديث العائلة والتلفونات والزيارات، وإذا جاء الضيوف اشتكى الوالدان من الطفل أمامهم، مثل أنه يبلى الفراش أو شيئًا من هذا القبيل، ويذكرنا أشياء تجرحه جدًا، وتقال على الملأ، وتصبح حديثًا مشاعًا أمام الضيوف أو الأقارب أو الأصدقاء، ويناقشنا بعض أخطائه أمام هؤلاء الآخرين. لا بد أيضًا من تدريبه على حل مشاكله بنفسه، ولا بد أن يوجد في البيت نوع من التسامح والتعاون. توحيد السياسة التربوية للوالدين؛ فلا يوجد تعارض منهم في الناحية التربوية، بل المعاملة من الأب والأم معاملة ثابتة وفق معايير مقننة متفق عليها مسبقًا، فلا يأتي واحد يمنح والثاني يمنع، لا يثيب الأول والثاني يعاقب على نفس الفعل؛ لأنه يسبب الارتباك للطفل، فاختلف أسلوب التربية يلجئ الطفل إلى الغضب كوسيلة ليخضع بها الآخرين لنزواته، ثم إنه يحول بينه وبين الاتزان النفسي؛ لأن الطفل لا بد أن يتعود على قبول المعايير الاجتماعية، وقبول النظام، ليس كل ما يريده يأخذه أو يغضب، فلازم أن يعلم أن هناك معايير تحكمنا في سلوكياتنا، فالتدليل المستمر يعلمه فقط الاستجابة الطفلية البدائية للرغبات، فيفهم أن الحياة أخذ وأخذ، فيعيش دائمًا معتمدًا على الآخرين؛ فهم الذي يقومون بكل شيء، وهم الذين ينفذون له رغباته، ويقولون: سمعنا وأطعنا. أيضًا تعدد سلطات الضبط والتوجيه، كما لو كان يعيش ضمن أسرة كبيرة، فالأم تمنع، والجددة تمنح، والأم تعاقب، والجددة تحتضنه.. إلى

آخره، فمثل هذه الأشياء مع تعددها تسبب له الارتباك والغضب والعناد، الأب يمنع والأم تدلله، تقول: تعال يا حبيبي أنا أحضره لك.. إلى آخره، فهذا في الظاهر حسن، والحقيقة أنه ارتباك في السلطات التربوية المتعددة المتناقضة، فيحاول الطفل أن يسيطر على هذه البيئة عن طريق نوبات الغضب والعناد. والتدليل المستمر هو عبارة عن إجابة لكل طلباته المهمة أو غير المهمة، فينشأ أنانياً، لا يرى إلا نفسه فقط، ثم يتوقع نفس المعاملة من البيئة لما يخرج إلى المدرسة مثلاً أو نحو هذا، فإذا منع تحصل له صدمة قاسية ويزيد في العناد والتوتر. الخلاصة: أن التدليل المستمر والمبالغ فيه يعيق الأطفال عن التأهل لمواجهة الحياة ومصاعبها، ويحرمه من فرصة أن يتعلم كيف يكبح رغباته، من ثم نقول: من وقت إلى آخر لا بد من الإحباط المحدود، وليس الإحباط الجامد حتى لا نظلمه، فهذا يفيد أنك تتعمد تأجيل إشباع بعض رغباته إلى الوقت المناسب، فتقول: أنا حالياً مشغول، فإذا فرغت منه مثلاً أصحبك إلى المحل، أو أول الشهر سأحضر لك اللعبة، لماذا؟ لكي تعود التأجيل من تنفيذ رغباته؛ لأن التأجيل بحد ذاته نوع من الكبح، والصرامة تكون قوية، فيتكيف تكيفاً سليماً مع البيئة لما يجد أن البيئة الخارجية كلها لا تحقق طلباته؛ نتيجة المعايير الاجتماعية، فعندها يستطيع أن يتحكم في رغباته. فإذا تكرر الفشل في الحصول على كل هذه الرغبات فإن هذا يقوي فيه جهاز المناعة النفسية، أو يكون سبباً في نجاحه وتكيفه مع ذاته. وأنا في الحقيقة أخرج من الكلام في الحاجات الطبية أو النفسية في المسجد، وقد تعودنا أننا نتكلم عن الآيات والأحاديث، لكن يبدو أن القضايا الحياتية أحياناً نحتاجها، ونشعر من خلال بعض الأمثلة والمشاكل أن بعض الناس محتاجين إلى هذا، فأرجو من كان مقتنعاً بهذا الكلام أن يساعده في إهلاك الوقت، ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

تشاجر الأشقاء

كثيرة هي مشاكل الأبناء أمام الآباء، خصوصاً في مقتبل العمر، ورغم أن كثيراً منها بسيطة إلا أن كثرتها تجعلها مقلقة، ومن تلك المشاكل تشاجر الأشقاء من البنين والبنات، ولكل مشكلة أسباب وحلول وإيجابيات وسلبيات، وبحسب موقف الوالدين وسلوكهما تترتب الحلول. ومما يلاحظ أن هذه المشاجرات تقل كلما تقدم الأولاد في العمر إلى سن الخامسة عشرة حتى تنتهي، إلا أن الأخذ بأسباب تخفيفها هو المطلوب، وأما القضاء عليها فهو من غير الممكن.

مرحلة تشاجر الأشقاء في النمو

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم! صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد: فقد قالت فتاة في السادسة من عمرها لجدتها: من حسن حظي أي وحيدة لا إخوة لي ولا أخوات. فأجابت الجدة: ولم يا عزيزتي؟ ألا تظنين أن من الأمور الحسنة أن يكون للإنسان إخوة وأخوات؟! وكان الجواب: نعم. قد يكون الأمر حسناً، ولكن معنى وجود الإخوة والأخوات هو تشاجرهم وعراكتهم ومقاتلتهم طوال الوقت. إن الشجار بين الإخوة هو أحد أشكال الإزعاج الأكثر شيوعاً في الأسرة، إلا أن التشاحن يمثل في الواقع مرحلة طبيعية من النمو، فأطفال السنتين يضربون ويدفعون ويخطفون الأشياء، بينما يستعمل الأطفال الكبار أسلوب الإغاظ، فهم يسيئون لبعضهم من وقت لآخر عن طريق اللغة. إن الولد -كغيره من الأطفال- لا يستطيع أن يحتفظ بيديه ساكنتين إذا ما كانت أخته قريبة منه، وأخته بالرغم من تفوقه عليها في الحزم والقوة لديها طرائقها الخاصة للانتقام منه، إن كل واحد منهما يبدو كأنه قدير بما يضايق الآخر، ويسر باللجوء إليه، ويدرك حرصه على أشيائه الخاصة، وحرصه على احتلال المكان المعين في المائدة أو السيارة، فيعرف كيف يغيظ الطرف الآخر

ويستفزه. والآباء يضحجون من مشاجرات الأبناء لما يحدثونه من ضوضاء وجلبة في المنزل، ولأنهم يشغلون الآباء عن أداء ما يقومون به، أو يمنعونهم عن الراحة أو الاسترخاء، فيثورون على الأبناء، وقد يلجئون إلى أسلوب عنيف في وضع حد لمشاجرات الأطفال، بل قد يدمغون طفلاً منهم بأنه حقود أو أناني، وأنه سيفشل في حياته لأنه لا يتعاون، بل قد يعيره الآباء بسلوكه هذا في غير أوقات الشجار حاسين بذلك أن شجار الأطفال أمر غير طبيعي، وأن الأولاد يميلون عادة إلى الشجار أكثر من البنات، وأنهم يتشاجرون مع أقرانهم مهما كانت أوصل الصداقة تربطهم. نقول للمربي: لا تنزعج؛ إنها مرحلة طبيعية، إن أي أسرة لديها طفلان أو ثلاثة نجدهم دائماً في مناقشات وخلافات، يتألم الأب وتتألم الأم؛ لأن الأبناء ليسوا أصدقاء وليست علاقاتهم طيبة. والسؤال: هل ظاهرة اختلاف الأطفال مع بعضهم ظاهرة طبيعية، بمعنى: أي الأوضاع يعتبر الوضع الطبيعي: أن يتعاونوا مع بعضهم وأن لا يختلفوا؟ أم أن الوضع الطبيعي هو أن يتشاجروا وللإجابة عن هذا السؤال نجري تجربة صغيرة، وهي أننا نجمع ثلاثة أو أربعة أولاد معاً في حجرة واسعة مجهزة بكل ألوان اللعب والتسلية، ونغلقها لفترة، ترى ماذا ستكون النتيجة؟ بكل تأكيد سيتشاجرون، سواء أكانوا إخوة أم غير إخوة. إذا المسألة ظاهرة طبيعية وعادية، ويجب أن لا يقلق الآباء والأمهات، ويجب أن تراعى برفق ووعي؛ لأنها لا تكون في فترة الطفولة فقط، إنما تمتد للصبا والشباب. إن أول ما تنصح به الأم أن تتخلى عن تصورها المثالي بأن يكون أطفالها على أتم وفاق ولا يتخاصمون أبداً، إن الأم إن واجهت الحقيقة الواقعية فإن قلقها بخصوص خصام الأطفال وتشاجرهم سوف يتضاءل. إن الطفل ذا الست إلى عشر سنوات الذي يصر على الخصام مع إخوته وعلى عدم التحسن في هذا الشأن لا يزال إنساناً عادياً، فكل الإخوة - لاسيما المتقاربين منهم في العمر - لابد أن يتشاجروا، وتقل عادة هذه المشاجرات كلما تقدم الأطفال في السن.

الجوانب السلبية والإيجابية لتشاجر الأشقاء

قد يكون للمشاحنات البسيطة بين الإخوة جوانب إيجابية، خاصة إذا قام الوالدان بدور التوجيه في تعليمهم كيف يدافعون عن أنفسهم وعن حقوقهم، وكيف يعبرون عن مشاعرهم ويحلون صراعاتهم ويحترمون حقوق الغير، ومعنى الصدق والكذب، وأهمية الأخذ والعطاء بأسلوب يحقق لهم المحافظة على حقوقهم وعلى حقوق الغير. إن شجار الأطفال إحدى الوسائل لإثبات الذات والسيطرة، وكتلتهما من الصفات اللازمة لنجاح الإنسان في الحياة، بل الشجار فرصة يتعلم فيها الطفل كثيرًا من الخبرات، منها وجوب احترام حقوق الغير، والعدل والحق والواجب، ومعنى الصدق والكذب، وأهمية الأخذ والعطاء بأسلوب يحقق له المحافظة على حقوقه وحقوق الآخرين. هذا إذا عمد الآباء والمربون إلى انتهاز مناسبات شجار الأطفال في توجيههم الوجهة التربوية السليمة، وتعريفهم بالحق والواجب، والشجار في الواقع دليل على أن الطفل لم ينضج اجتماعيًا، ولم يتعلم بعد أساليب الأخذ والعطاء الاجتماعية. إن من الجوانب الإيجابية لهذه المشاحنات والخلافات أنها تكون في واقع الأمر نوعًا من التنفيس، وتحل دون أن ندري بالكثير منها، وأحيانًا يكون الشجار نوعًا من المنافسة. إذاً هل المنافسة بين الإخوة ضارة، إن المنافسة الشريفة باستمرار فائدتها أكثر من ضررها، وبين الإخوة ينمو الحب ويتطور ويكبر معهم ويظهر، وينضج حينما يتجاوزون سن الطفولة والمراهقة، وكثيرًا ما نسمع هذه العبارة: (إنه أخي على كل حال). إذاً المنافسة بين الإخوة والخلاف لا يستمر، بل ينتهي ويتطور إلى علاقة حب تنضج تحت نار هادئة، والأيام تزيد من الروابط والود، ومع ذلك فهناك حالات يكون الشجار فيها خطرًا إذا اقترن بها عنف أو أذية بدنية، أو أن تتطور لدى بعض الأطفال مشاعر العداة أو اللامبالاة نحو بعضهم بصورة تستمر طوال حياتهم، فالوضع المعتاد هو أن يظهر الإخوة ارتباطًا وإخلاصًا لبعضهم على نحو لا تؤثر فيه المضايقات الجانية. وهكذا فإن التنافس يمكن أن يعتبر عاديًا إذا تبادل الإخوة مشاعر مشتركة بالرضا والإحباط، وإذا لم يكونوا مشحونين بشحنات العنف، ولم ينخرطوا في صراعات تهدد الحياة

ضد بعضهم، وإذا لم يحملوا أحقادًا ولم يستجيبوا لكل إساءة كما لو أنها مصيبة. وتظهر الدراسات أن الأطفال أكثر تنافسًا وتناحرًا مع زيادة العمر، ولذا توقع أن أطفال ثمان سنوات أكثر تناحرًا من أطفال أربع سنوات، ومن هم في عمر اثنتي عشرة سنة أكثر تنافسًا ممن هم في عمر ثمان سنوات، والتنافس أكثر شيوعًا في العالم لدى الإخوة الأكبر سنًا عندما يكونون متقاربين في العمر بفارق سنة أو اثنتين، وعندما يكونون في مرحلة الطفولة المتوسطة ما بين ثمان إلى اثنتي عشرة سنة، كما يزيد احتمال التنافس عندما يكون الطفلان من نفس الجنس، فالطفل الأكبر غالبًا ما يشعر بأن الطفل الأصغر قد حل محله، وإذا كان الطفل الأكبر شخصًا جديًا يهتم بالعمل والتحصيل فمن المحتمل أن يبحث الطفل الأصغر عن هوية متصلة بأن يصبح مرحًا اجتماعيًا غير تقليدي.

أسباب التشاجر

فلننظر الآن في أسباب هذا التشاجر بين الأشقاء، وأشرنا آنفًا أن التقارب في السن ربما يكون من هذه الأسباب، والطفل الأكبر كثيرًا ما يحاول السيطرة على إخوته فيتشاجرون، كما أن الأطفال الأولاد عادة ما يحاولون السيطرة على البنات، والطفل الناجح يلجأ عادة إلى تعيير الطفل غير الناجح في دراسته، فيتشاجروا، أو قد يعير الأطفال بعضهم بعضًا بلون الشعر، أو شكل الجسم، أو بما يملكه طفل ولا يملكه قرين له، وكثيرًا ما يتحد بعض الإخوة ويكونون عصبية ضد أخ آخر خصوصًا لو كان مدللًا مقربًا من الوالدين لصغره، أو لوسامته، أو لمرضه، أو لشدة ذكائه، أو لرقته، إلى غير ذلك من الأسباب، فيتشاجرون. وكثيرًا ما يتشاجر الأطفال للامتلاك أو للاستحواذ على بعض اللعب أو الأشياء في المنزل، أو لو اعتدى طفل على ملكية الآخر أو لعب بكتبه أو أدواته أو ملابسه أو غير ذلك، لكن نستطيع أن نجمل الأسباب التي تؤدي إلى التشاجر، والتي تنبع عن الغيرة وتنتج العدوان نحو بعضهم فيما يلي: بداية يعتمد الأطفال على والديهم اعتمادًا كبيرًا للحصول على المحبة والانتباه وإشباع الحاجات، بحيث لا يحبون أن يشاركهم في ذلك أي بشر، وقد يؤدي تفضيل أحد الأبوين طفلًا على غيره إلى إيقاد شعلة الغيرة لدى الأطفال الآخرين، ويذكر في

هذا المجال أن مقتل هابيل من قبل أخيه قابيل كان بسبب الغيرة الناجمة عن التفضيل الصادر من الأبوين، والغيرة عبارة عن شعور غير ناضج يتعرض له الطفل، وينتج عادة من خيبته في الحصول على أمر محبوب له، ونجاح شخص آخر في الحصول عليه، ولهذا نجد أن انفعال الغيرة انفعال مركب من حب تملك وشعور بالغضب؛ لأن عائقاً ما حال دون تحقيق غاية هامة. والحقيقة أن الغيرة وما يترتب عليها من الشعور بالنقص أو بالقلق أو باضطهاد الكبار كلها يتسبب فيها الآباء، وتؤدي إلى نشوب المعارك بينهم، ويحصل استنفاد الطاقات في محاولة حل هذه المشاكل ليعود الهدوء إلى البيت. قد تأخذ أم لعبة طفلها الأول وتعطيها لطفلها الثاني على أساس أنه كبر عن اللعب بهذه اللعبة، لكن الطفل الأول لا ينظر إلى هذا التصرف على أنه أمر طبيعي، ولكنه ينظر إليه من زاوية أخرى، فلقد استولت أمه على شيء عزيز على نفسه لتعطيه لأخيه، فينتهز أقرب مناسبة لاستثارة غضب هذا الأخ، وتبدأ المعركة. إحدى الأمهات اكتشفت خطأها عندما فعلت ذلك، وأعدت اللعبة إلى طفلها الأول مع رسالة تضمنت عبارات تعترف من خلالها بشعوره، قالت: ابني العزيز علي! لقد أدركت عندما أخذت لعبتك وأعطيتها لأخيك أني قد أخطأت في حقك؛ لأنني لم أستأذنيك في ذلك، ولم أكن أعلم أنها تعني الكثير بالنسبة لك، أنا آسفة، سأعيد إليك لعبتك. احتضن الابن أمه في اليوم الثاني قائلاً في سرور: أشكرك يا أمي لأنك أعدت لي لعبتي. أحياناً يحصل الشجار بين الأشقاء على أنه حيلة دفاعية نفسية، وهي ما تسمى بالإزاحة، حيث يتم تحويل مشاعر العدوان نحو الأبوين إلى الإخوة الصغار، فالطفل يشعر بمشاعر عدوانية تجاه الأبوين أو أحدهما، ولا يستطيع أن يخرج ذلك بصورة صريحة في مواجهة الأبوين، فيزيح هذه المشاعر العدوانية إلى إخوته الصغار. قد تتضمن تصرفات الإخوة تعبيراً عن نبذ الأبوين غير الشعوري، أو عدم محبتها للطفل الأصغر، وحينما يكون أحد الإخوة متدني الإمكانيات في أحد المجالات بالنسبة لأخ آخر قريب منه في العمر ومن نفس الجنس فإن الطفل الأقل في إمكانياته يميل إلى إظهار عدوان أكثر تجاه الآخر من بين الأشقاء؛ لأنه يعيش في ظل إنجازات آخر موهوب، وعندها فإنه يشعر بأنه قد فقد فرضيته، ويحس بأن

كل أعماله ومنجزاته تقارن مع أعمال ومنجزات أخيه. إن المطلوب منا أن لا نركز على المنافسة بين الإخوة بشكل ملح ودائم، ولا داعي لأن نقول في كل دقيقة: انظر كيف أن أخاك مجتهد فعل كذا. أو: اعمل كأختك المهذبة. فهذا النصائح التي هي من هذا اللون ليست هي الأمر المطلوب؛ لأن التركيز هنا لا يكون في الواقع على الاجتهاد أو الأدب الذي يتحلى به الأخ أو الأخت، إنما يكون على التفوق، وهذا يبعث على عدم الرضا في نفس الشخص الذي توجه إليه النصيحة، وعدم الارتياح تجاه أخيه، ويجعله ينسى موضوع النصيحة، ويمكن أيضًا أن يظن أننا منحازون إلى الأخ أو الأخت فيزيد ضيقه، وأحيانًا يتخيل أن كلامنا هو لون من المعايير له بتخلفه في الدراسة، أو التصرف غير الصحيح منه؛ لأن المقارنة يمكن أن تذكي نار المنافسة في كل مجال؛ لأن كل همننا ليس إيجاد اثنين متصارعين وأيهما يغلب الآخر، فنقول: انظر! إن أخاك أقوى منك. وانظر! إن أختك مؤدبة أكثر منك. ألا تكون كأخيك الذي يفعل كذا وكذا. ليس الهدف هو إيجاد شخصين متصارعين، وإنما إيجاد أخوين تجمعهما الأخوة بكل ما تعنيه الكلمة. وينبغي أن يراعى أن التغيرات العمرية لها أثر في حصول الانسجام، فقبل سن الخامسة عشرة سنة لا يحصل الانسجام بين الإخوة والأشقاء بالقدر الذي يرغب فيه الأهل، فينبغي الانتظار حتى بلوغ هذا السن، وكما ذكرنا تنمو الروح الأخوية والحب المتبادل بينهما وتنضج على نار هادئة.....

موقف الآباء من تشاجر الأبناء

ما الذي ينبغي أن يفعله الأبوان في موقف التشاجر بين الأشقاء؟ نقول أولاً لكل أم: عفواً أيتها الأم، نحن نقدر أن ما يهكم كأم هو ما يجب أن تفعله في هذا الصدد - أعني صدد حل مشكلة الشجار بين الأبناء - فمعدرة إذا كان الجواب هو أن ما تستطيعين فعله قليل جداً، إن الخصام والجدال والصراع أمور قد تستمر إلى أن تحلها الأيام وحدها، بجانب أن لكل أسرة وضعها الخاص المختلف عن أوضاع غيرها من الأسر، مما يجعل من الصعب إعطاء نصائح عامة، لكن يمكن تقديم بعض الاقتراحات القليلة: أولاً: بعض الآباء في

بيوتنا يقومون بدور الحكم بين أولادهم كأباء، ويتحول البيت إلى حلبة ملاكمة، والواقع أنه لا بد أن يبقى هناك بعض الصراع والخلاف بين الأبناء، ولا بد أن يدرّب الآباء أنفسهم على أن يكونوا أحياناً متفرجين وأن لا يتدخلوا كحكام، والمثل العامي يقول: إن قاضي الأولاد شقق نفسه. ثانياً: من غير المعقول أن يظل الآباء باستمرار في موقف المتفرج، لا بد في لحظة معينة أن يتدخلوا حتى يوقفوا المعارك التي تنشب بين أولادهم، ومن الطبيعي أن لا يستطيعون دائماً الغوص إلى أعماق كل مشكلة وكل خلاف، وأن يجلّوا تلك الخلافات بميزان العدالة الدقيق، إنما المسألة تحتاج من الآباء إلى شيء كبير من التعقل في مواجهة الأمر، وتحتاج أيضاً إلى أن يدركوا بعض الأمور في مجال الخلافات بين الأبناء. بداية يجب أن لا يكونوا مراقبين لكل صغيرة وكبيرة تصدر عن الأبناء، ويكفي أن يكونوا ملاحظين بشكل غير مباشر دون التعليق أو التدخل في اللعب، إلا إذا وجدوا الأبناء قد خرجوا عن القواعد، وحينئذ يمكن للآباء أن يقترحوا شيئاً بديلاً للشيء المختلف عليه أو أكثر إثارة منه، وأن لا يتعجل الأب أو الأم فيبادر بالانحياز لصف المعتدى عليه؛ لأنه يحتمل أن يكون هو البادئ في الحقيقة، وعلى الرغم من أن هناك دائماً سبباً وراء أي عدوان مثل الحسد أو عدم الاطمئنان أو الضيق النفسي فلا داعي لأن نبحت في أثناء الصراع عن حقيقة السبب. ولكي تحل المشكلة فعلينا أولاً أن نقضي على الخلاف، ثم نبعد الأبناء بعضهم عن بعض دون أن نشعر أيّاً منهم بأنه مخطئ ومنتهم، بعدها نستطيع أن نعمل تحقيقاتنا ونعمل كوكيل النيابة، ولا بد أن نتذكر أنه ليس أسهل على الطفل من أن يلصق بصديقه أو أخيه أشنع التهم، ويتفوه بأبداً الألفاظ لأي سبب ولأي مناسبة. المهم أن لا تظل هذه الألفاظ عالقة بأحد؛ لأنها من الممكن أن تلصق به، ويصبح من الصعب التخلص منها، وربما لو تكررت حاول صاحبها تأكيدها، فحينئذ يقال له -مثلاً-: أنت كاذب. يكذب ما دام باستمرار يتهم بالكذب سواء صدق أو كذب، فيرى في نفسه أنه لماذا يصدق. ومن المهم جداً أن نبه الكبار من الأبناء أن لا يؤذي الصغار، وأن نبه الأبناء أن لا يضايقوا البنات، وفي نفس الوقت لا بد أن نبه على عدم إثارة الصغار للكبار، وأن لا نجعل البنات يغضبن الأولاد حتى يسود

الاحترام بين الجميع. ولا بد أن يتوقع الآباء أن يظل الأبناء حريصين على اللعب مع بعضهم على طول الخط، وعلى قدر المساحة المتاحة لهم في البيت، بل لا بد أن يتعدوا عن بعضهم قليلاً، وأن نجعل الأولاد سعداء لأنهم أولاد، والبنات فخورات لأنهن بنات، وكل له مميزاته، وفي نفس الوقت لا بد من أن يكون عندنا مقترحات لهم لتستنفذ طاقتهم الزائدة، ويشعر الأولاد أنهم محبوبون بنفس القدر، لكن بشكل مختلف، بهذه الطريقة يسود التفاهم جو الأسرة، ولا يكون الأبناء مصدر مشاكل مستمرة في البيت. أيضاً ينبغي أن يحرص الوالدان على التدخل بأقل ما يمكن في المشاجرات بين الإخوة التي لا تتعدى كونها أمراً طبيعياً إذا كانت مقرونة من ناحية أخرى بمظاهر الود والتعاون فيما بينهم.

أخطاء الآباء في حسم مشاجرات الأبناء

مما يجب أن يزيدنا تحفظاً حيال التدخل في هذه المشاجرات الأخوية إلى حد ما ما يستخدمه الأولاد لاستدراج الأب والأم إلى إبداء انحياز لطرف على الطرف الآخر، وكأن الوالدين يوضعان عند ذاك على المحك لينكشف ما يضممرانه من تفضيل، فإذا ناصر واحداً على الآخر اعتبر الثاني نفسه مغبوناً، مما يؤجج غيرته ويدفعه إلى تكرار المشاجرة انتقاماً مما حظي به خصمه من مساندة. أما الأول فهو منقاد من جهته إلى إعادة الكرة من جديد بمناصرة والديه، لذا فتكثر هذه المشاجرات بحضور الأهل ويغذيها تدخلهم. ولهذا السبب أيضاً تلاحظ هذه الظاهرة التي قد تبدو غريبة لأول وهلة، ألا وهي تحرش الأضعف بالأقوى، واستدراجه إلى العراك، وأن الغاية المنشودة ليست عند المتحرش الانتصار على خصمه، وإنما كسب مؤازرة الأهل بحجة أن هذا الصراع غير متكافئ. من هنا يقع ما يجده الأهل من صعوبة في حسم هذه المشاجرات بعدل، أيًا كانت رغبتهم في ذلك صادقة، ولهذا يقول المثل الشعبي: (إن قاضي الأولاد شنتق نفسه)، لذا فالأفضل أن نحد قدر الإمكان من تدخلنا في المشاجرات الأخوية مكثفين بالحرص على أن لا يلحق أحد المتخاصمين أذى بالآخر، أو أن يتسلط عليه بشكل دائم، وكما أشرنا فإن لهذه المشاجرات حسناتها على كل حال؛ إذ من شأنها أن تدرب أولادنا على الصراع الذي لا بد من أن يواجهوه في المجتمع،

فيتعلم كل واحد منهم من خلالها أن يؤكد ذاته مع مراعاة وجود الآخر ومصصلحة الآخر ووجهة نظر الآخر وواقع ميزان القوى، فيتخطى هكذا تحكم محورية الذات به، وينمو في النضج النفسي والقدرة على مواجهة الواقع والتكيف مع متطلبات الحياة الاجتماعية، أما إذا اضطررنا إلى التدخل لوضع حد للغلو في العنف فليكن تدخلنا بحزم مقرون بالصفاء والتفهم، فلا يشعر المذنب بأننا ننبذه أو نحرمه من حبنا وتقديرنا، ويجتار الآباء ويتضايقون عندما يتشاجر أبناءهم، هل الأفضل أن يتدخلوا بينهم ليحلوا مشاكلهم أم يدعوهم وشأنهم يحلونها بأنفسهم؟

وينصح خبراء تربية الطفل الآباء بعدم التدخل في هذه المشاجرات، وإذا استدعى الأمر تدخلهم فإن عليهم عدم إصدار الأحكام على أبنائهم؛ لأن ذلك يشعل الشجار أكثر بينهم، فالأم التي تلوم ابنها لأنه تشاجر مع أخته قائلة: عليك أن تحبها لأنها أختك. أو تقول له: أختك الصغيرة طيبة معك، لماذا أنت شرس دائماً معها فالأم جعلت من نفسها حكماً؛ لأنها لامت ابنها ووقفت إلى جانب ابنتها، وساهمت بذلك في إشعال المشاجرة بين الأخوين.

وإليك المثال الآتي الذي نبين من خلاله خطأ تدخل الوالدين في مشاجرات الأطفال والانحياز لأحدهما: ركض أحمد البالغ من العمر تسع سنوات إلى أمه شاكياً اعتداء أخيه عليه قائلاً: أمي! ضربني عبد الرحمن في بطني. قالت الأم: لا أترككما دقيقتين وحدكما حتى تبدأ في الشجار! من الذي بدأ الشجار هذه المرة؟ أجاب أحمد: هو الذي جاء إلى غرفتي. قالت الأم لعبد الرحمن: لماذا لا تترك أخاك وشأنه حتى لا تسبب لنفسك المتاعب؟ قال عبد الرحمن لأخيه: ما أكثر ما تأتي! أنا أكرهك. رد أحمد غاضباً: أنت الذي بدأت. وتدخلت الأم مرة أخرى قائلة: ابتعدا عن بعضكما إذا كنتم لا تستطيعان البقاء معاً دونما شجار. قال عبد الرحمن: أنا لم أفعل أي شيء، أنت دائماً تلوميني أنا. أجابت الأم: عبد الرحمن! أنا أعرفك جيداً، ألا تقوم بأي عمل مفيد تشغل به وقتك بدل أن تتشاجر مع أخيك، لا أريدكما أن تلمسا بعضاً بعد اليوم. إذا عدنا إلى استعراض الموقف لوجدنا أن الأم أخطأت

خطأين، أخطأت عندما سألت طفليها قائلة: من بدأ هذه المرة؟ لأنها عندما تسأل مثل هذا السؤال كأنها تتطلع إلى معرفة الغالب والمغلوب؟ أي: لا بد أن يكون أحدهما على خطأ والثاني على صواب، وعندما تحدد الأم موقفها من شجار أطفالها بهذه الطريقة فإنها تبدو وكأنها تدعو أبناءها أيضًا إلى الاستمرار في الشجار، ومن سيكون مغلوبًا هذه المرة ومن سيغلب في المرة القادمة. أخطأت الأم أيضًا عندما هاجمت ابنها عبد الرحمن قائلة: ألا تستطيع أن تقوم بأي عمل مفيد بدل أن تتشاجر مع أخيك. لأنها أثارت غضبه أكثر بسبب لومها له وعدم لومها لأحمد، ثم أشعلت ثورته أيضًا على أخيه لأنه اشتكى إلى أمهما، وهذا الشعور لا يجعله راغبًا في تطوير سلوكه، ولماذا يفعل ذلك إذا كانت أمه ستلومه دائمًا ولن تلوم أخاه، لذا كان على هذه الأم أن لا تتدخل في مشاجرة ولديها ولا تحكم على سلوكيها. ولكي تتضح لنا مدى إيجابية تصرفات الوالدين عندما يتعدان عن إصدار الحكم على سلوك أبنائهم نذكر هذا المثال: وقفت الأم في المطبخ تعد فطيرة للعائلة، وأقبل ولداها: كمال البالغ من العمر خمس سنوات، وحسام الذي لا يتجاوز الثالثة من عمره، قال كمال: أنا الذي طلبت أولاً أن أضع الدقيق. قال حسام: لا. أنا الأول. علقَت الأم قائلة: حسنًا سنقوم معا بعمل الفطيرة. قال حسام: أنا أريد أن أكسر البيض. رد كمال: لا. أنا أريد أن أكسر البيض. وكانت الأم ماهرة في تعليقها عندما قالت: إن كنتما غير قادرين على تقرير من سيكسر البيض سأقوم أنا بذلك. احتج الطفلان على والدتهما، قالت الأم: إذا دعونا ننظر إلى ما بقي لنا من الفطيرة لم نقم به، سنحتاج لشخص يقيس الماء ويصبه، اختار كمال قياس الماء، وأراد حسام أن يكسر البيض، وحل الطفلان المشكلة بينهما دون أن تتدخل الأم كحكم بينهما. إن أغلب الشجار بين الأبناء سببه شد انتباه هؤلاء الأبناء لأبائهم ليدركوا من خلال تدخلهم أيهما أقرب إلى نفس والديه، فليحذر الآباء من السقوط في هذه المصيدة، وليجعلوا تدخلهم في حدود المعقول، وبدون إصدار أحكام مسبقة على أحد الطفلين حتى لا يشعر بالظلم، بالتالي لا يرغب في تطوير سلوكه. حينما يعرف الأطفال أن عليهم أن يحلوا مشكلاتهم بأنفسهم فإنهم كثيرًا ما سيتوقفون عن الذهاب لوالديهم بشكاواهم ضد

إخوتهم، فكثيرًا ما يكون الأطفال قادرين على إيجاد حلول عملية لمشكلاتهم إذا تركوا لأنفسهم. مثال آخر: أم تحاول العزل دائميًا، ومع ذلك يتشاجر الولد والبنت دائميًا بحجة أنها أعطته أكثر منها. الحل المحتمل: الطريقة الأولى: يمكن أن تتجاهل الأم مطالبتهما بالعدل وتؤدي الأمر بالطريقة التي تراها مناسبة. الطريقة الثانية: أن تبذل جهدًا في تحري العدل والمساواة، وتفهم الطفل أن الحياة ليست دائميًا عادلة، وأن الأشياء لا تكون متساوية دومًا. الطريقة الثالثة: أن تصر الأم على التدقيق الشديد في العدل، وبصورة فيها سخرية منها وبيان لسخافتها في التنطع في مسألة العدل، فإذا أتى بقطعة حلوى مثلاً فإنها تقيسها لهم بالمسطرة، أو تزنها بالميزان، مع المبالغة في ذلك، ومعظم الأطفال إذا رأوا ذلك يكتشفون فورًا موضع السخرية، ويتلقنون الدرس، ويعرفون أن العدل المطلق أمر صعب. الطريقة الرابعة: أن تطلب الأم من أحد الطفلين أن يقسم الشيء المختلف عليه، ثم تطلب من الآخر أن يختار، وهذه أيضًا طريقة ناجحة، لكن من أفضل طرق التعامل مع هذه المشاكل - كما نفهم مما تقدم من الكلام - أن نقوم بنقل المسؤولية إلى الأطفال، أو نجعل الكرة في ملعبهم كما يقولون، فالمرابي إما أن يتبع أسلوب المسؤولية الفردية أو يتبع طريقة تحميل الطفل نفي المسؤولية، فإذا سلكنا أسلوب المسؤولية الفردية حينما يقوم المرابي بإسناد حل المشكلة إلى الابن فيسلك أحد الاتجاهين: الاتجاه الأول: يخشى المرابي أن تؤثر هذه المشاكل على حياة ابنه، فيتدخل في حمايته فيحرمه التدريب على الأساليب الملائمة لحلها ومواجهتها. هذا الاتجاه - أن الأب هو الذي يحل المشكلة - تكمن سلبياته في أنه يجعل الابن يعتمد على والديه دون أن يتحمل المسؤولية بنفسه في سبيل إيجاد حلول مناسبة، كما أنه يحرم من تحمل المسؤولية والصعوبات التي تواجهه؛ لأنه تعود أن تصله الحلول جاهزة دون معاناة، ويحرم من النجاح والخبرة في التجارب الواقعية. الاتجاه الثاني: أن يحرص الوالدان على تحميله المسؤولية ويراقبانه من بعيد. مثال: حينما يقصر هذا الابن في التعامل مع إخوانه في المنزل، ويتعدى عليهم بالشتيم أو الخشونة والضرب نستعمل مهارات التواصل، أولاً: بالتعبير عن المشاعر، ثم بنقل المسؤولية، ثم بزرع الثقة.

فنعبر عن المشاعر بأن تقول له: لقد قلت مرارًا: إن علاقتك بإخوانك سلبية، ودائمًا نحثك على معاملتهم جيدًا لكنك تضر بهم. فأنت هنا عبرت عن مشاعرك، ثم تنقل إليه المسؤولية فتقول: سأعتبر أن هذا من مسؤولياتك. وأنظر في هذه اللحظة. ثم تقوم بزرع الثقة وتقول له: عندي قناعة أن لديك قدرة على التعامل مع إخوتك باحترام، ومعرفة السلوك الصحيح في هذا الأمر.

أساليب الوقاية من تشاجر الأشقاء وتنافسهم

خير وقت للتدخل في خصام الأطفال هو قبل وقوع الخصام، فعلى الأم أن تكتشف الحدود العادية لقدرتهم في بقاء بعضهم مع بعض في سلام، ثم تحاول أن تفصل بينهم وتبعدهم عن بعضهم قبل أن يصلوا إلى هذه الحدود، ولو أن الأب كان معهم في هذا، وتخصص لهم -أيضًا- الأم أعمالاً منفردة ينشغل بها كل على حدة، بل ربما يصل الأمر أحيانًا إلى أن يكون أحدهم خارج المنزل، أو عند أحد الأقارب، أو ربما يصل الأمر أحيانًا إلى الفصل بينهم في مواعيد الطعام كنوع من التحكم في زمان ومكان الاجتماع، بأن نخصص لكل واحد منهما مكانًا خاصًا به لا يسمح للآخرين بغزوه. إذا هناك مبداءان متداخلان: الأول هو التفريق بين الأطفال بقدر الإمكان. الثاني: استحضار أن الخصام أمر فطري، وأنا ننتظر بصبر إلى أن يكبروا ويتجاوزوا هذه المرحلة؛ لأن الإخوة يزيد تساهمهم كلما كبروا في السن. تقول أم: كنت فيما مضى أحاول إيقاف الشجار، ولكنني أقلعت الآن عن هذه المحاولات، إن إيقاف خصامهما يشبه إيقاف تنافسهما، ومع ذلك فإني أعتقد أن الزمان كفيل بتخفيف خصامهما والتوفيق بينهما، إنها الآن وقد بلغ أكبرهما العاشرة يتخاصمان بالكلام أكثر من خصامهما بالأيدي، وإني أنتظر اليوم الذي سيكفان فيه عن الخصام نهائيًا. إذا الخصام يخف مع التقدم في العمر ويتغير نوعه. والأساليب التالية يمكن أن تساعد في الوقاية من بعض أشكال التنافس بين الإخوة: - اجعل كل طفل يشعر بأنه محبوب وذو قيمة بذاته. - عامل جميع الأطفال بعدالة، وتجنب الانسجام والتفضيل الواضح لبعض أطفالك على بعضهم الآخر. - يجب إشباع الحاجات النفسية للأبناء،

كالحب والأمن والطمأنينة والتقدير والمركز والثقة في النفس، مع معاملة الإخوة جميعاً على أنهم متساوون بأسلوب عادل يتسم بالحزم المشيع بالمحبة والعطف والدفء والمرونة. - هيمئ الأطفال لاستقبال المولود الجديد، وذلك عن طريق إخبارهم في وقت مبكر عن توقع ولادة أخ جديد لهم. - راع الفروق الفردية في جميع مجالات التعامل مع الأطفال. - اجعل لكل طفل وقتاً خاصاً تقضيه معه بحيث يكون مركز انتباهك. - زود الطفل بأكبر قدر من الخصوصية. - علم الطفل احترام الملكية الخاصة في وقت مبكر. - اعمل على ترتيب نشاطات جماعية متكررة في الأسرة ذات طبيعة مرحة، مثل النزعات والحفلات والألعاب. - ضع نظاماً واضحاً بحيث تحدد المسؤوليات وتوزع الأعمال البيتية بوضوح، من يفعل كذا، ومتى، ووزع المسؤوليات بطريقة لا يصطدم الأطفال معها ببعضهم، واعملى على توزيع المهام بحيث لا يأخذ أحد الأطفال الأعمال الجيدة باستمرار ويأخذ غيره الأعمال القذرة مثلاً دائماً. - شكل مجلساً للأسرة، وحدد أوقاتاً معينة يلتقي خلالها جميع أفرادها للمناقشة وتبادل الآراء والاستماع للشكاوى والتخطيط، ويمكن للأطفال أن يعبروا عن مشاعرهم في هذه الأوقات، وأن يكونوا على ثقة بأنهم سوف يعاملون بعدالة. - تجنب الحماية الزائدة للطفل الأصغر في الأسرة. - لا تجعل أحد الأطفال أباً بديلاً يقوم على رعاية الأصغر. - أكد على أطفالك أن يكونوا متعاطفين مع بعضهم، وأن يهتم كل منهم بما يتركه سلوكه من أثر في مشاعر الآخرين. إعادة كلام الطفل، إعادة كلام الطفل وهو يتشاجر مع أخيه وسيلة أخرى يستطيع بها الآباء معالجة المشاجرات التي تشب بين الأبناء، وهاك المثال العملي: فكر أب في طريقة يعالج من خلالها مشاجرة بين ولديه، فوجد أنه عندما أخذ يعيد كلام ابنه الآخر دون أن يصدر حكماً على أحدهما جاء بنتيجة إيجابية، اشتكى حسام البالغ من العمر ثلاث سنوات لوالده ضرب أخيه الأكبر عادل له قائلاً: أبي! عادل ضربني. قال الأب: عادل! تعال هنا. حسام يقول: إنك ضربته. قال: عادل: لا. حسام يكذب، أنا لم أضربه! قال الأب لحسام: عادل يقول: إنه لم يضربك. رد حسام: لا. هو الذي يكذب، أحلف أنه ضربني. أجاب الأب بحزم وهو يضع قاعدة على أبنائه الالتزام بها: حسناً

الضرب أمر غير مسموح به في هذا البيت، هل سمعتم؟ عاد حسام يشد لعبة عادل ليأخذها، قال عادل لأخيه: لا تلمس لعبتي. أجاب حسام متحدياً: بل سألمسها وأخذها منك. قال عادل: هذه اللعبة ملكي ولن تستطيع أن تأخذها. تدخل الأب قائلاً: عادل! حسام يريد أن يمسك لعبتك. قال الأب: حسام! عادل يقول: إنك لن تستطيع أن تأخذ لعبته. هل يمكنكم أن تحلا مشكلتكم معاً؟ واندهش الأب عندما رأى أن ابنه حسام يحاول أن يحل المشكلة قائلاً: عادل! هل أستطيع أن آخذ لعبتك لدقيقة واحدة. رد عادل: لا. هذه اللعبة ملكي. كرر الأب رد عادل قائلاً: حسام! يبدو أن عادلاً غير مستعد لإعطائك اللعبة، إذا استعد سيعطيك إياها. نظر عادل إلى والده من رد فعله، وبعد لحظات قدم اللعبة إلى حسام. إذا إعادة الأب لحديث أبنائه جعله يقف موقفاً محايداً، وشجع الأبناء على أن يحلوا مشكلتهم دون أن يتطلعوا إلى أبيهم لفك مشاجرتهم.

إرشادات مفيدة لتقليل المشاجرات بين الإخوة

هذه -أيضاً- جملة من الإرشادات والأساليب المفيدة لتقليل المجادلات والمشاجرات بين الإخوة في جميع الأعمال: - تجاهل منازعات الأطفال البسيطة حتى يكون تدخلك فيما بعد أكثر فعالية. - قم بدور الحكم غير المتحيز، ودون إصدار أحكام مسبقة على أحد الطفلين. - أصدر حكماً عندما يكون لديك سبب للاعتقاد بوضوح أن أحد الأطفال هو الملموم، أو أن الأطفال غير قادرين على حل مشكلتهم بأنفسهم، فقد يكون عليك أن تقوم بدور القاضي. - كافئ الأطفال كلما استمروا في اللعب دون شجار، وأكد لهم بأنك سوف تستمر في مكافأتهم كلما ابتعدوا عن الشجار فيما بينهم. - اعزل الأطفال عن بعضهم كلما تشاجروا، خاصة إذا كانوا في حالة تشاحن دائماً ولم تصلح معهم الطرق الأخرى، وقم باستبعاد ما تشاجروا عليه عنهم. - اجعل من الواضح للأطفالك - باستخدام عبارات مؤكدة - بأنك لن تسمح لهم بإيذاء بعضهم بعضاً جسدياً بالضرب، أو بالكلمات كالسخرية والألقاب، وأنك لن تتسامح تحت أي ظرف تجاه استخدام العنف المادي بين أطفالك أو أي شكل من أشكال الإغاضة الهدامة. - ابذل جهداً جاداً لفهم الأسباب الكامنة وراء الإغاضة

الهدامة، واعمل على إنهاء الأسباب الواقعية التي تجعل أحد الأطفال يشعر بالغيرة من طفل آخر. - اغرس السلوك الديني وآدابه في نفوس الأطفال، وأشبع حاجاتهم النفسية من مشاعر الأمن والطمأنينة في جو من الحب والاحترام. - حقق العدالة في معاملة الأطفال، فالتفضيل في المعاملة هو من أهم أسباب غرس بذور الغيرة والحقد بين الإخوة وتنشئة بعض الأطفال على النقمة على الوالدين وبعض أفراد الأسرة، والتي قد تنتقل إلى النقمة على المجتمع عموماً. - تجنب الاهتمام بإبراز الفروق بين الأطفال عن طريق عقد المقارنة؛ لكون الطفل يقارن نفسه عادة بغيره من إخوته من حيث الجنس ذكراً أو أنثى، أو من حيث السن صغيراً أو كبيراً، أو من حيث القدرات العقلية والبدنية، أو من حيث الجمال الطبيعي وغير ذلك. ولذا فمن الخطأ اهتمام الآباء بالمقارنة بإبراز هذه الفروق، وإن كان لا بد من وضع أفضلية للخلق والتدين والجد في الدراسة.

نصائح تربوية عامة

نختم هذا الحديث بنصائح تربوية عامة للآباء تفيد في قضية تشاجر الأشقاء وأيضاً في غيرها إنه من الخطأ أن يتوقع الآباء أن يتصرف الأبناء بعقلية الآباء، فعقلية الآباء هي خلاصة خبراتهم وتجاربهم لسنوات طويلة، وإن نفسية الأطفال تختلف عن نفسية الكبار، ولذلك يجب على الآباء مراعاة ما يلي: - أن تحافظ الأم على هدوئها بقدر الإمكان أثناء ثورة الغضب التي يجتازها ابنها، وأن تشعره بأنها تعلم أنه غاضب، وأن من حقه أن يغضب، ولكن من الخطأ أن يعبر عن الغضب بهذا الأسلوب، وأنه يجب أن يعدل سلوكه ويصبح كالآخرين، أي: يغضب ولكن دون أن ينفعل وينفجر بالبكاء ويلجأ إلى الرفس والضرب، كما عليها أن تؤكد له دائماً أن ما فعله لن يؤثر على علاقتها به، وأنه لا يزال ابنها المحبوب لتعلمه التسامح. - أن يكون الآباء قدوة حسنة للأطفال، فيقلعون عن عصبيتهم وثورتهم لأنفة الأمور أمام الأبناء، ويعملون جهدهم لضبط النفس قدر الإمكان حتى لا يقلدهم الأطفال، بل ينبغي عليهم استعمال الأساليب التي تلتزم جانب الهدوء والصبر والفهم في مواجهة الأمور وحلها حلاً معقولاً بالطرق السلمية، حتى يتعلم الأطفال مواجهة الحياة

بأسلوب مرن حكيم غير انفعالي. - على الآباء أن لا يذيقوا الطفل حلاوة الانتصار بتحقيق الرغبة التي انفجر الطفل باكيًا من أجلها وغضب، ذلك لأن ذلك يشجعه على أن تصبح هذه طريقته، أو وسيلته المفضلة في الحصول على ما يريد. - يجب أن يكون الآباء حذرين للغاية من ربط بين مصلحة نفعية يكسب منها الطفل امتيازًا عن طريق لجوئه إلى حدة الطبع والغضب السريع، فلا مكافأة إلا عندما يظهر سلوكًا وخلقًا هادئًا وطبعًا رقيقًا. - عدم التدخل المبالغ فيه في حياة الأبناء، وإن من الواجب اهتمام الآباء بهم ورعايتهم الرعاية اللازمة، بشرط عدم التدخل المبالغ فيه في شؤونهم الخاصة، فعلى الآباء عدم التدخل المبالغ فيه في حياة الأبناء، كأن يرسموا لهم كيف ينفقون مصروف اليد ويتقوا لهم لون ملابسهم. - إن تدخل الآباء يجب أن يكون تدخلًا مرئيًا بأسلوب التوجيه وليس بأسلوب الأمر الذي لا بد أن يطاع، إن الطاعة العمياء بمجرد الطاعة تخلق من الطفل فردًا لا شخصية له، وعلى هذا الأساس يجب على الآباء الإقلال كلما أمكن من التدخل في أعمال الأطفال وحركاتهم، حتى لا يشعروا بكابوس الكبار، ويثوروا غضبًا، أو يلجئوا إلى العناد، وحتى لا يلجئوا إلى استعمال نفس أساليب الآباء مع إخوتهم وأقرانهم من الأطفال فيتشاجرون، ولكن ليس معنى ذلك أبدًا أن نترك الحبل على الغارب، خاصة فيما يتعلق بصحة الطفل أو المحافظة على حياته. - أيضًا مساعدة الطفل قدر الإمكان في تحقيق رغباته المشروعة، والتنفيس عن مشاريعه المكبوتة بمنجزات ابتكارية، وذلك بتحويل نشاط الطفل إلى بعض الهوايات، أو الأشغال اليدوية، أو التلوين، أو اللعب بالطين والصلصال والنجارة وغيرها، واللعب مع رفاق من سنه. إن الطفل الغضوب هو في الواقع طفل عذبه الشعور بالإحباط والكبت، ومثل هذه الأنشطة تجعله ينفس عن هذا الإحباط، وإن كان قليل من الشعور بالإحباط مفيدًا لبناء الشخصية السوية، وكثير منه يؤدي إلى المرض النفسي، لذلك كلما أمكننا مساعدة الطفل على اكتساب الخبرات دون إحباطه كلما أمكنه مواجهة مشاكل الحياة بأسلوب سوي. - وكذلك عدم التوبيخ، خصوصًا أمام طفل آخر، أو أمام الضيوف، بل لا تجوز مناقشة الطفل أو مشاكله مع غيره على مسمع منه، كما لا يجوز استعمال النقد أو العنف

أو الشدة كوسيلة لإرغام الطفل على طاعتنا. - أيضًا لا يجوز أن نعبث بممتلكات الطفل أو نسمح لغيره من الأطفال بذلك، كما لا يجوز أن نحرمه منها لمجرد غضبنا منه لسبب ما، وفي الوقت نفسه لا نظهر أمامه الضعف أو التراخي أو الإهمال أو الشدة من أحد الأبوين والليونة أو التدليل من الآخر، فكلما كانت سياستنا مع الأطفال ثابتة ومرنة وبدون قلق كلما منعنا نوبات الغضب والعناد والتشاجر عند الأطفال. - يجب أن يسود الأسرة روح التعاون والود والتسامح، فكلما شعر الطفل بالاستقرار والهدوء النفسي، وكلما وجه نشاطه وطاقته وحيويته وجهة اجتماعية تساعده على تعلم أساليب الأخذ والعطاء وتجعله ينمو نموًا سويًا، كلما كف عن أساليب الطفولة الأولى التي تتميز بالغضب والعناد والتشاجر أحيانًا، وعند تشاجر الأطفال من سن متقاربة يحسن - ما أمكن - تركهم ليحلوا مشاكلهم بأنفسهم، وإذا كانت هناك ضرورة لتدخل من الكبار فيجب أن تكون للتوجيه والصلح الهادئ دون تحيز لطفل. - في الواقع أن الدراسات العلمية أثبتت أن كثيرًا من حالات الغضب والعناد وكثرة التشاجر عند الأطفال مرجعها في الغالب الآباء أنفسهم، أي أن الآباء كثيرًا ما يكونون مصدر هذه المشاكل بسلوكهم الذي يتسم بالحزم المبالغ فيه، والسيطرة الكاملة على الطفل، ورغبتهم في طاعة أوامرهم طاعة عمياء، وبثورة الآباء وشجارهم في المنزل لأتفه الأسباب. مثل هؤلاء الآباء يجب أن يدركوا أنه من الواجب إصلاح أنفسهم حتى يمكن إصلاح أبنائهم وعلاجهم من مشاكلهم النفسية أو السلوكية كالغضب والعناد والتشاجر، بعبارة أخرى: ينبغي الاهتمام بتربية الآباء قبل الاهتمام بتربية الأبناء.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك - اللهم - ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

المحتويات

٠.....	الشريط الأول: اهتمام الإسلام بتربية النشء
٣.....	مفهوم الأمية التربوية الضائع
٣.....	الفرق بين الأمية التربوية والأمية بالقراءة والكتابة
٤.....	عوائق معالجة الأمية التربوية
٥.....	بعض مظاهر الخلل في التربية
٥.....	إهمال التربية أو تبني التربية المخالفة للإسلام
٦.....	الحديث عن التربية من أبراج عالية لا تناسب بسطاء العقول
٦.....	تطبيق طريقة الآباء الخاطئة في التربية أو إيكاها إلى الخادمت
٧.....	ندرة وجود المعلم التربوي
٧.....	تسليم زمام التربية لوسائل الإعلام المفسدة
٨.....	أهمية التربية المبكرة
٨.....	تحذير الشريعة من إهمال التربية
٩.....	كلام الغزالي على أهمية التربية المبكرة
١٠.....	حث الشريعة على حقوق الأبناء والاهتمام بتربيتهم
١١.....	غفلة الآباء عن التربية المبكرة للأبناء
١٢.....	بداية التربية من اختيار الأم الصالحة
١٣.....	أهمية حنان الأم في تربية الطفل وتميز نساء قريش بذلك
١٥.....	تربية الطفل النفسية من وجهة نظر إسلامية
١٩.....	حضانة الأم التربوية
٢١.....	مشاكل تواجه استمرار العملية التربوية للطفل
٢١.....	نشوء الطفل على سلوك خاطئ
٢١.....	إهمال الاضطرابات النفسية للطفل

- ٢٢ إخراج العلاج النفسي كعامل في العلاج التربوي
- ٢٤ انشغال الآباء بالكسب عن التربية
- ٢٤ الرسائل المتضادة من البيئة المحيطة
- ٢٥ أمثلة تطبيقية لسوء معاملة الطفل تربوياً
- ٢٦ أمثلة على غرس العجز والخذلان والسلبية في نفس الطفل
- ٢٧ المثال الأول على معاملة الطفل بما يؤثر على سلوكه سلبياً
- ٤٤..... **الشريط الثاني: من هنا نبدأ**
- ٨٢ **الشريط الثالث: حقوق الزوجية**
- ١١٨ **الشريط الرابع: القوامة**
- ١٥٨ **الشريط الخامس: أخطار تهديد الأسرة**
- ١٨٠ **الشريط السادس: مقومات شخصية الأب**
- ٢١٤..... **الشريط السابع: التشجيع وأثره في التربية**
- ٢١٥..... التشجيع في طلب العلم
- ٢١٩..... التشجيع في الإسلام
- ٢٢٢..... تشجيع النفس عند تشييط الآخرين
- ٢٢٨..... شروط التشجيع
- ٢٣٠..... أمثلة من التشجيع الفعال
- ٢٣٢..... أثر الشيطان في خنق المواهب
- ٢٣٤..... أثر التشجيع في ولادة المواهب والعقريات
- ٢٣٦..... **الشريط الثامن: رفقاً أيها المربي**
- ٢٣٧..... التربية الإسلامية وأهميتها للأمة

٢٣٨.....	مبدأ الرفق في التربية وأثره
٢٣٩.....	الآثار السلبية للعقاب البدني في التربية
٢٤١.....	الآثار النفسية للعقاب البدني
٢٤٤.....	علاقة التربية بالعبادة
٢٤٥.....	تربية الأنبياء لأقوامهم
٢٤٩.....	مواقف من رفق النبي بأمته
٢٥٣.....	الرفق في اللغة ومعانيه التربوية
٢٥٣.....	مواضع ذكر الرفق في القرآن

٢٥٨.....	الشريط التاسع: أطفالنا والصلاة
٢٥٩.....	طرق وأساليب تربية الأطفال على الصلاة
٢٦٠.....	متابعة انتظام الطفل في الصلاة وتشجيعه
٢٦١.....	التساهل مع الطفل في شروط الصلاة.....
٢٦١.....	عدم تصيد الأخطاء للطفل الذي يواظب على الصلاة
٢٦١.....	تهيئة الطفل لاستقبال الصلاة بعد سن السابعة
٢٦٣.....	أسلوب التعليم النظري والعملي للصلاة
٢٦٣.....	أسلوب التربية بالعادة
٢٦٤.....	الدعاء من وسائل التربية على الصلاة.....
٢٦٤.....	استخدام العقاب في الحث على الصلاة
٢٦٦.....	تعليم الأطفال الصلاة عن طريق القدوة الحسنة
٢٦٨.....	علاج تقصير الطفل في الصلاة
٢٦٩.....	آداب إدخال الأطفال المساجد وتحبيبها إليهم
٢٧٢.....	الأسئلة.....
٢٧٢.....	كيفية الصلح بين الزوجين ونصحهما
٢٧٣.....	كيفية حماية الزوجين من السحر

- ٢٧٤..... سن الزواج للذكر والأنثى
- ٢٧٦..... وجوب بر الوالدين
- ٢٧٧..... أحلام اليقظة
- الشريط العاشر: مشاكل الأطفال النفسية**
- ٢٧٨..... السرقة عند الأطفال
- ٢٧٩..... أسباب وجود ظاهرة السرقة عند الأطفال
- ٢٧٩..... العوامل المساعدة على تفشي السرقة لدى الأطفال
- ٢٨٠..... أنواع السرقة
- ٢٨٢..... أسباب نشوء ظاهرة السرقة عند الطفل
- ٢٨٣..... أسباب نشوء ظاهرة السرقة عند الطفل
- ٢٨٣..... عدم فهم الطفل في سنه المبكرة لمفهوم الملكية الخاصة
- ٢٨٤..... جهل الطفل بمعنى الملكية الخاصة
- ٢٨٤..... عدم اهتمام الطفل في سنه المبكرة بنظرة المجتمع إليه
- ٢٨٤..... أثر الوالدين وعلاقتها بالطفل على نشوء ظاهرة السرقة عنده
- ٢٨٥..... الجو الأسري المتقلب والمضطرب
- ٢٨٥..... سلبية الأبوين وأثرها في تكريس ظاهرة السرقة عند الطفل
- ٢٨٥..... أثر الممارسات الخاطئة عند الأبوين على نمو ظاهرة السرقة عند الطفل
- ٢٨٥..... المبالغة في الاحتياطات الأمنية لحفظ الأشياء مما يثير حب الاستطلاع لدى الطفل
- ٢٨٥..... القدوة السيئة وأثرها في ممارسة الطفل للسرقة
- ٢٨٦..... إسراف الوالدين في العقوبة دون النظر إلى دافع السرقة
- ٢٨٦..... وسائل علاج ظاهرة السرقة عند الأطفال
- ٢٨٧..... وجود القدوة الحسنة في حياة الطفل والمتمثلة في الوالدين
- ٢٨٧..... إشاعة روح التعاون والتضحية في حياة الطفل
- ٢٨٨..... عدم التعجل في اتهام الطفل بالسرقة وتقصي ملابسات قيامه بهذا الفعل
- ٢٨٩..... عدم المبالغة في ترك المال في متناول الطفل
- ٢٩٠.....

- ٢٩١..... معرفة أسباب نشوء ظاهرة السرقة عند الطفل تساعد على منع تفاقمها
- ٢٩١..... ملخص لوسائل علاج ظاهرة السرقة عند الأطفال
- ٢٩١..... معالجة الحرمان المادي وترسيخ مفهوم الملكية الخاصة والعامة
- ٢٩٣..... الجمع بين الحب والحزم في التعامل مع الطفل وتنمية مفهوم الأمانة عنده
- ٢٩٤..... تفعيل مبدأ الثواب والعقاب في التعامل مع الطفل
- ٢٩٤..... توفير الجو الأسري الملائم للطفل وعدم التمييز بين الإخوة
- ٢٩٥..... التصرف بحكمة عند اكتشاف سرقة الطفل أول مرة
- ٢٩٥..... مراقبة مصروف الطفل والمشاركة في معالجة ظاهرة السرقة في بداية ظهورها عنده
- ٢٩٦..... حماية الطفل من وسائل الإعلام التي تفيض في وصف حوادث السرقة
- ٢٩٧..... الحديث عن الأمانة وذكر القصص المتعلقة بها أمام الطفل
- ٢٩٨..... الأسئلة
- ٢٩٨..... الكلام على كتاب تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان
- ٢٩٩..... عادة مص الأصابع عند الأطفال
- ٣٠٣..... كيفية التعامل مع نوبات الغضب عند الطفل في سنواته الأولى
- ٣٠٨..... الشريط الحادي عشر: الطفل العنيد**
- ٣٠٩..... علاقة العناد بفطرة الأطفال
- ٣١٠..... معنى حرية الطفل
- ٣١٠..... شروط ضرب الأولاد
- ٣١٢..... كيفية التعامل مع تعبيرات الطفل السلوكية الغاضبة
- ٣١٥..... علاج العناد الزائد وكبح جماح الطلبات
- ٣١٧..... وسطية التربية بين التدليل والقسوة
- ٣١٩..... انعكاس سلوك الآباء على الأبناء
- ٣٢١..... توجيهات مباشرة للوالدين في التعامل مع الأطفال المعاندين

- ٣٢٤ تشاجر الأشقاء.
- ٣٢٤ مرحلة تشاجر الأشقاء في النمو.
- ٣٢٦ الجوانب السلبية والإيجابية لتشاجر الأشقاء.
- ٣٢٧ أسباب التشاجر.
- ٣٢٩ موقف الآباء من تشاجر الأبناء.
- ٣٣١ أخطاء الآباء في حسم مشاجرات الأبناء.
- ٣٣٥ أساليب الوقاية من تشاجر الأشقاء وتنافسهم.
- ٣٣٧ إرشادات مفيدة لتقليل المشاجرات بين الإخوة.
- ٣٣٨ نصائح تربوية عامة.